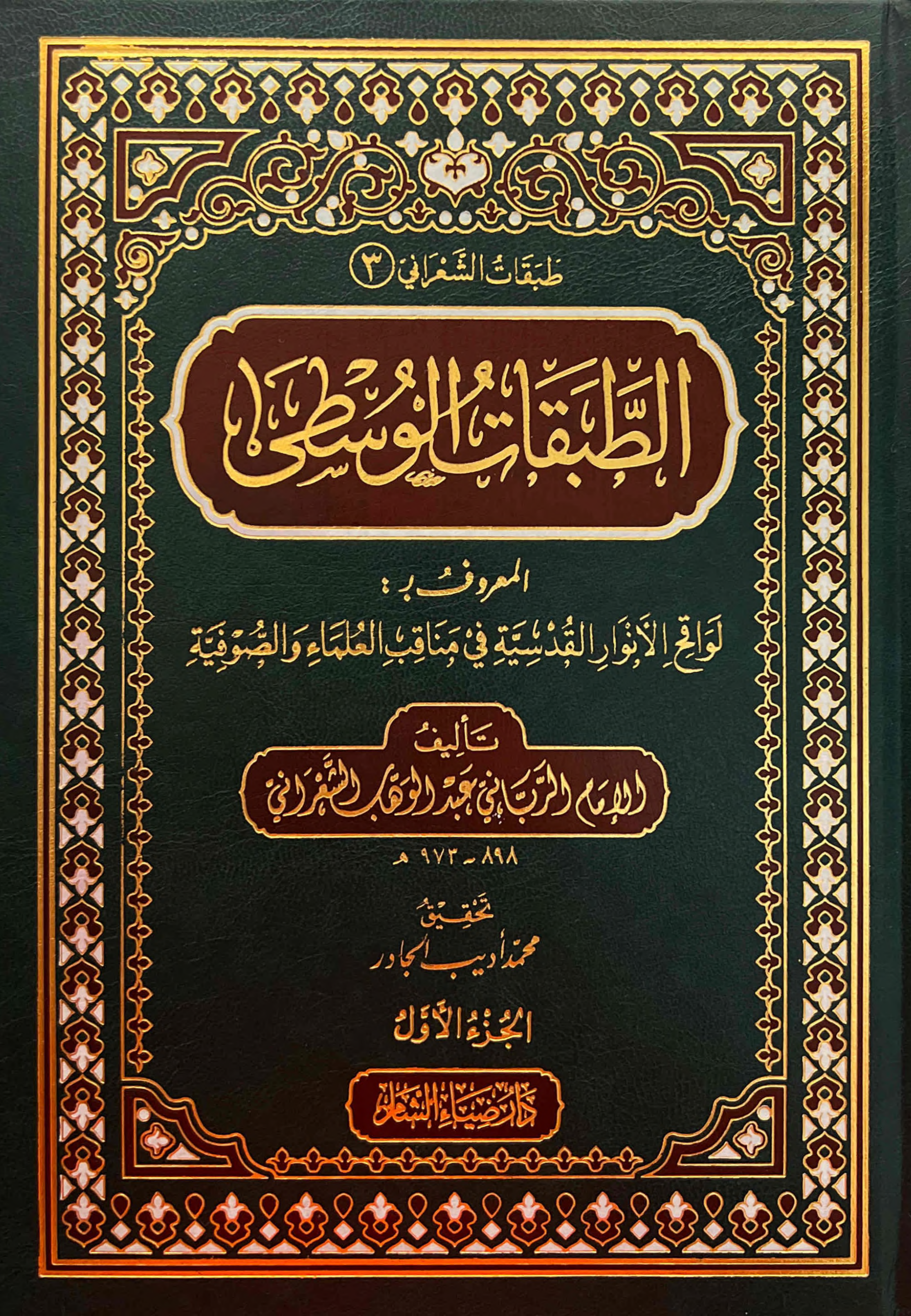
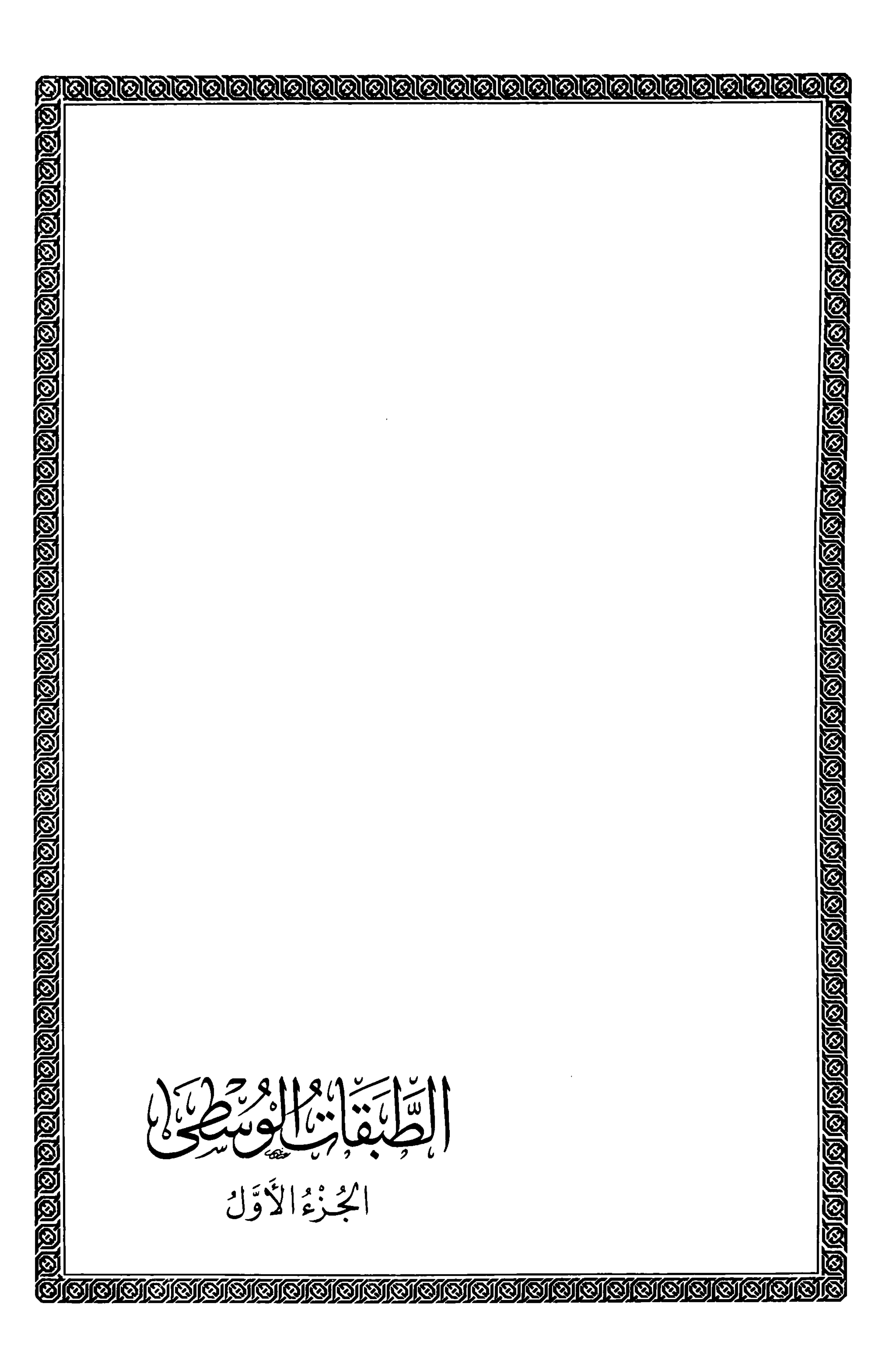

طبقات الشعراني ٣
الطبقات الوسطى
المعروف بـ:
لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية
تأليف
الإمام الرباني عبد الوهاب الشعراني
٨٩٨ - ٩٧٣ هـ
تحقيق
محمد أديب الجادر
الجزء الأول
دار ضياء الشام



الطبقات الوسطى

الجزء الأول



الكتـــــاب : الطبقات الوسطى - الجزء الأول

(لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية)

المـؤلــــف : الإمام الرباني عبد الوهاب الشعراني

تحقيـــــق : محمد أديب الجادر

الناشـــــر : دار ضياء الشام

التنفيذ الطباعـي: مطبعة ضياء الشام

عدد الصفحات : ٤٩٦

سنة الطباعة : ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

بـلد الطباعة : سوريا

الطبعـــــة : الأولى

ISBN: 978-9933-9326-1-9





سـورية - دمشـق - حلبـوني

هاتـف : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٤ ٦٨ ٤٢

جوال : ٠٠٩٦٣ ٩٣٣٨٧٨٠٧٥ / ٠٠٩٦٣ ٩٥٨٨١١٧٠٠

البريد الإلكتروني : deaa.nsr@gmail.com

الطبقات الوسطى

المعروف بـ :

لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية

تأليف

الإمام الرباني عبد الوهاب الشعراني

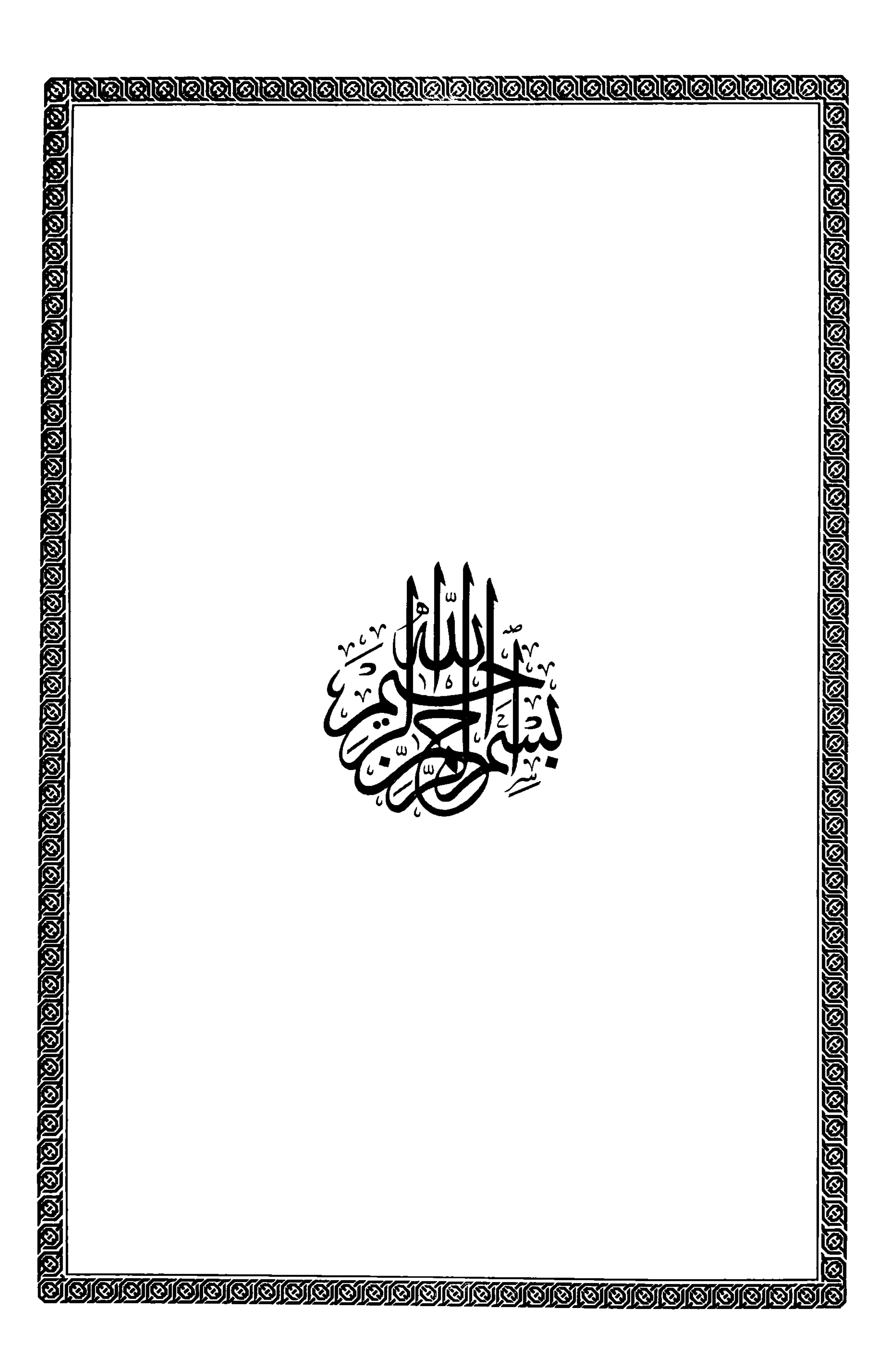
٨٩٨ ـ ٩٧٣ هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

الجزء الأول

دار ضياء الشام


بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا في الإمام الشعراني رحمه الله تعالى :

• قال الإمام الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير :
شيخ وقته الشيخ عبد الوهاب الشعراني . (٢/ ٢٩٠)

وقال في موضع آخر :
وحضر عندي سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله ببركته . (٢/ ٥٣٦)

• وقال الإمام الغزي في الكواكب السائرة :
الشيخ الإمام العارف الشعراني ... له طبقات الأولياء ثلاث ، والعهود ، والسنن وغير ذلك ، وكتبه كلها نافعة . (٢/ ١٥٧)

• وقال الإمام الشرقاوي في التحفة البهية في طبقات الشافعية :
الإمام العالم العامل المعتقد العارف بالله والدال عليه . (٧٠١)

ديباجة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، الملك الحقُّ المبين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إلى الخلق أجمعين ، اللهم ؛ فصلِّ وسلِّمْ وبارك عليه وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين وعلىٰ آلهم وصحبهم أجمعين .

وبعدُ : فهـٰذه طبقاتٌ عظيمة ذكرتُ فيها جملةً صالحة من مناقب الصالحين والعلماء العاملين ، ممَّن لهم كلامٌ في الشريعة والحقيقة ، أو حالٌ يُنهضُ همَّةَ الطالبين إلىٰ طلب طريق الله عز وجل ، دون ذكر مَنْ لم يبلغْنا عنه حالٌ ولا قال ، وإن كان عند الله عظيماً ، **وابتدأتُ بذكر الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وختمت برجال سنة ثمانٍ وستين من القرن العاشر**[1] .

ولا أعلمُ أحداً أنهى الطبقات إلىٰ هـٰذا الحدِّ في عصره ولا غيره ، ولا التزم هـٰذا الالتزام مع أنَّها في غاية الاختصار ؛ **فإنِّي لا أذكر من كلام كلِّ شيخٍ وأحوالِهِ إلا ما غلب اختصاصُهُ به ، ولم يشركْهُ فيه أحدٌ إلا في النادر** ، فليس فيه بحمد الله تعالىٰ كلمةٌ واحدةٌ يُرمىٰ بها ، أو يَستغني المؤمنُ في دينه عن التخلُّق بها ، بخلاف تأليف غيرنا ؛ فربَّما ذكر حكاياتٍ قليلةَ النفع ، أو ضمَّ كلامَ ذلك الصالح أو العالم إلىٰ بعضه بعضاً ، ولا يفرِّقُ بين ما قاله في بدايته ولا ما قاله في توسُّطه للطريق ، ولا بين ما قاله في نهايته .

واعلم يا أخي : أنَّ العلماء هم الصالحون عندنا ؛ لأن حقيقةَ الولي أنَّه عالمٌ عَمِلَ

---

(١) هـٰذا مع ذكره في نهاية الكتاب أن آخر ما التزم ذكره كان سنة (٩٦٥هـ) ، وأنه قد أعاد تبييضها سنة (٩٦٦هـ) انظر (٢/ ٤٧٤ـ ٤٧٥) .

بعلمه علىٰ وجه الإخلاص ، ولا يصحُّ أن يرتقي وليٌّ عن هٰذا الحدِّ أبداً ، وإنما فرَّقتُ بينهما في الاسم تبعاً لما اصطلح الناس عليه في عرفهم من قولهم : فلان فقيه ، فلانٌ صوفي ، فيسمُّون كلَّ من لم يخلَّ بالعملِ بما علم صوفياً ، وكلَّ مَنْ أخلَّ به فقيهاً ، وفي الحقيقةِ لا فرق ؛ فكلُّ فقيهٍ صوفيٌّ ، وكلُّ صوفيٍّ فقيهٌ ، وكلُّ عبدٍ قُسم له من العلم والعمل نصيبٌ لا يتعدَّاه . . فهو عالمٌ بقدر ما أعطاه الله ، وهٰذا كان هو اصطلاحَ السلف الصالح رضي الله عنهم .

وفي كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه : (إنْ لم يكن العلماءُ أولياءَ الله فليس لله تعالىٰ ولي) انتهىٰ .

وقد بسطنا الكلامَ علىٰ ذلك في كتابنا « بهجة الأبصار والفهوم فيما تميَّزَ به أهلُ الله من الأخلاق والعلوم » فراجعه .

وقد رتَّبتُ هٰذه الطبقات علىٰ ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في ذكر مناقب من لم ندركْهُ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين ومن بعدهم إلىٰ جدِّي الأدنى ؛ الشيخِ العارفِ بالله تعالىٰ شيخِ العباد ، وقدوةِ المتورعين في عصره : الشيخ علي الشعراني رضي الله عنه ، وقد توفي في سنة إحدىٰ وتسعين وثمان مئة ، ودفن بزاويته ببلده ساقية أبي شعرة بالمنوفية ، ولم تزل أهل القلوب وجيرانُهُ يَسمعون تلاوةَ القرآن من قبره كما كان في حالِ حياته رضي الله عنه .

القسم الثاني : في ذكر مناقب العلماء والصالحين الذين أدركناهم في مصرَ وقُراها ، في النصف الأول من القرن العاشر ممن كان قاطناً بمصر ، أو وارداً عليها ؛ من مسلِّكين ، وأربابِ أحوال ، ومجاذيبَ ، ممَّنْ أخذنا عنه الطريق وخدمناه حتىٰ مات ، وكنَّا نتردَّدُ إليه ، ونقتبسُ من أنوار أعماله وأحواله ، مما سيأتي بيانه في الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

القسم الثالث : في مناقب من أدركناهم من العلماء العاملين من أهل المذاهب الأربعة ، رضي الله عنهم .

فعليك يا أخي بالاقتداء بهم ؛ فإنهم مصابيحُ الدُّجىٰ ، ولا يحجبك عن الاقتداء بهم حجابُ المعاصرة في هـٰذا الزمان الذي أظلمتْ فيه الدنيا بالنسبة لمن كانوا قبلنا ؛ وذلك ليستضيء أهلُ عصرهم بأنوارهم ، ويتعطَّروا بنفحات أخلاقهم وصفاتهم ، وما كانوا عليه من الزهد والورع في الدنيا عما حرَّم الله تعالىٰ عليهم ، وكثرةِ الخوف من الله تعالىٰ .

وليعلم أهلُ الدعوىٰ للعلم والصلاح في هـٰذا الزمان : بأنَّ أحوالَ من مضىٰ أوائل القرن العاشر كانوا علىٰ غاية الكمال ، بخلاف حالِ غالب الناس اليوم ، حتىٰ إني سمعتُ بعضَهم يقول : أَنا بحمد الله أكملُ في المقام من أشياخي .

وسمعت بعضَهم يقول : إن كان الأشياخُ الذين مضوا مثلَ مشايخ زماننا ففي سبيل الله بناءُ الأضرحة والقباب لهم .

وقد بسطنا الكلام علىٰ ذلك في كتاب « الأخلاق والمنن » ، والحمد لله رب العالمين .

❋ ❋ ❋

ولنشرع في مقصود الكتاب مبتدئين بنبذة صالحة من أخلاقه صلى الله عليه وسلم تبركاً ، فأقول وبالله التوفيق :

نبذة عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أورعَ الناس ، وأزهدَ الناس ، وأعلمَ الناس ، وأكرمَ الناس ، وأعبدَ الناس ، وأعزَّ الناس ، وأبعدَهم عن مواضع الريب .

وكان إذا وعظَ الناسَ لا ينصُّ علىٰ أحدٍ معيَّنٍ خشيةَ أن يُخجله ، وإنما يقول : « مَا بالُ أقوامٍ يفعلونَ كذا ، أو يقولونَ كذا »[١] .

وكان صلى الله عليه وسلم أقنعَ الناس ، فربما أكلَ كفّاً من حشفٍ واكتفىٰ به[٢] ، وربما لم يجدْ شيئاً ، فيطوي الليالِيَ والأيامَ ولا يُعلِمُ أحداً بذلك .

وكان إذا دخل الخلاء يتقنَّعُ بردائه حياءً من الله عز وجل مع أنَّ الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه .

وكان يقول : « اللهمَّ ؛ لا تُرني في أمتِي سوءاً »[٣] ، وقد استجابَ اللهُ سبحانه

---

(١) **فمنها** : ما رواه البخاري (٤٥٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما بال أقوام يشترطون. . . » ، **ومنها أيضاً** : ما رواه البخاري (٧٥٠) أن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة » ، **ومنها** : ما رواه مسلم (١٤٠١) عن سيدنا أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » .

(٢) **الحشف من التمرِ** : أردؤه ؛ وهو الذي يجفُّ ويَصْلُبُ ويتقبَّضُ قبل نضجه ، فلا يكون له نوىً ، ولا لحاء ، ولا حلاوة ، ولا لحم . « المعجم الوسيط » (ح ش ف) .

(٣) روىٰ مسلم في « صحيحه » (٢٠٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم : تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي. . . ﴾ الآية ، وقال عيسىٰ عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فرفع يديه وقال : « اللهم ؛ أمتي أمتي » وبكىٰ ، فقال الله عز وجل : « يا جبريل ؛ اذهب إلىٰ محمد وربك أعلم ، فسله ما يبكيك ؟ » فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله : « يا جبريل ؛ اذهب إلىٰ محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك » .

قال النووي في « شرحه » (٣/ ٧٨) : (هـٰذا الحديث مشتمل علىٰ أنواع من الفوائد ؛ **منها** : =

دعاءه في ذلك ، فلم يُره اللهُ في أمته سوءاً حتىٰ قُبض .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يمدُّ قطُّ عينيه إلىٰ شيءٍ من متاع الدنيا ، ولم يقعْ منه قطُّ خائنةُ الأعين .

وكان لا يغتسلُ قطُّ عرياناً ، ولو في ليلٍ حياءً من الله وملائكته .

وكان صلى الله عليه وسلم يلبسُ ما وجدَ ، فمرَّةً شملةً ، ومرةً بردَ حبرةٍ يمانياً ، ومرةً جبةً صوفاً ، ما وجدَ من المُباح لبسَ .

وكان صلى الله عليه وسلم أشدَّ الناس تواضعاً .

وكان يُردفُ خلفه عبدَهُ أو غيره ، وتارةً يردفُ خلفه وأمامه وهو في الوسط ، كما كان يفعلُ مع الحسن والحسين .

وكان يركبُ ما وجدَ ، فمرَّةً فرساً ، ومرة بعيراً ، ومرة بغلةً ، ومرَّة حماراً ، ومرة يَمشي حافياً راجلاً بلا رداءٍ ولا قَلَنْسُوة ؛ ليعودَ المرضىٰ في أقصى المدينة .

وكان صلى الله عليه وسلم يحبُّ الطيبَ ، ويكرهُ الرائحةَ الرديئة .

وكان يُؤاكلُ الفقراء والمساكين ، ويفلي لهم ثيابهم .

وكان يُكرم أهلَ الفضل على اختلاف طبقاتهم ، ويتألَّفُ أهلَ الشرف بالإحسان إليهم .

وكان يُكرم ذوي رحمه من غير أن يُؤْثِرَهُم علىٰ من هو أفضل منهم .

وكان لا يجفو علىٰ أحدٍ بقولٍ ولا فعلٍ ، ولو فعلَ معه ما يبيح الجفا .

وكان صلى الله عليه وسلم يقبلُ عذرَ المعتذر ، ويمزحُ مع الصبيان والنساء ، ولا يقولُ إلا حقّاً .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا ضحك تبسَّمَ من غير صوت .

= بيان كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم ، ومنها : البشارة العظيمة لهٰذه الأمة) ، ثم قال : (وأما قوله تعالىٰ : « ولا نسوءك » فقال صاحب التحرير : هو تأكيد للمعنىٰ ؛ أي : لا نحزنك) .

وكان يرى اللعبَ المُباح فلا يُنكره ، وتُرفع عليه الأصواتُ بالكلام الجافي فيحتمله .

وكان لا يُؤاخذُ من أساء ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولـٰكن يعفو ويصفح .

وكان صلى الله عليه وسلم له خدمٌ لا يرتفعُ عليهم في مأكلٍ ولا ملبس ، وكان يأكلُ هو وإياهم في إناءٍ واحد .

وكان منديلُهُ باطنَ قدميه في أكثرِ أوقاته .

وكان يُجيبُ من دعاه إلىٰ وليمةٍ ، ويشهدُ جنائزَ المسلمين مَنْ عرفهم ومن لم يعرفهم .

وكان صلى الله عليه وسلم مُقبلاً علىٰ عبادة ربِّهِ ليلاً ونهاراً ، لا يمضي له وقتٌ في غير عملٍ لله عز وجل ، أو فيما لا بدَّ له منه من إصلاح نفسه أو المسلمين .

وكان يخرجُ إلىٰ بساتين أصحابه ، فيأكلُ منها ، ويحتطبُ ، ثم يحملُ الحطب إلىٰ بيته .

وكان لا يحقرُ مسكيناً لفقره ، ولا يهاب مَلكاً لملكه ، يدعو هـٰذا وهـٰذا إلى الله عز وجل دعاءً واحداً .

وكان أرحمَ الخلق بالخلق ؛ إذا وقع منه شتمةٌ لأحدٍ تأديباً قال : « اللهمَّ ؛ اجعلْها عليهِ كفارةً وطهوراً ورحمةً »[١] ، ولم يلعن رسولُ صلى الله عليه وسلم قط امرأةً ولا خادماً ولا بعيراً .

وكان إذا سئل أن يدعو علىٰ أحدٍ عَدَلَ عن الدعاءِ عليه ودعا له ، وما ضرب بيده قطُّ امرأة ولا خادماً ولا غيرَهما إلا أن يكونَ في الجهاد .

وكان إذا دعا الخادمَ ولم يُجبه قال له : « لولا خشيةُ القصاصِ يومَ القيامةِ لأوجعتُكَ بهـٰذا السواكِ »[٢] .

---

(١) رواه البخاري (٦٣٦١) بلفظ : « اللهمَّ ؛ فأيُّما مؤمنٍ سببتُهُ فاجعل ذلك له قربةً إليك يوم القيامة » عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٢٦٠٠) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١٨٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٧٨) ، =

وكان لا يدعوه صلى الله عليه وسلم أحدٌ من حرٍّ أو عبدٍ أو عجوز أو أَمَةٍ إلا قام معه في حاجته جبراً لخاطره .

وكان لا يعيبُ مضجعاً قط ، وكانوا إذا فرشوا له شيئاً اضطجع عليه أو جلس ، وإن لم يفرشوا له شيئاً اضطجع على الأرض أو جلس .

وكان صلى الله عليه وسلم هيِّناً ليِّناً ليس بفظٍّ ولا غليظ ، ولا صخَّابٍ بالأسواق ؛ أي : صياح فيها .

وكان يبدأ بالسلام كلَّ من لقيه من المسلمين ، وإذا أخذ أحدٌ بيده صلى الله عليه وسلم سايره حتىٰ يكونَ ذلك الشخصُ هو المفارقَ له .

وكان إذا لقي أحداً من أصحابه صافحه ، ثم أخذ بيده فشابكه ، ثم شدَّ قبضته علىٰ يده كعادة العرب .

وكان لا يقومُ ولا يجلس إلا علىٰ ذكرِ الله عز وجل .

وما جاءه صلى الله عليه وسلم أحدٌ وهو يُصلِّي إلا خفَّفَ صلى الله عليه وسلم الصلاة ، ثم قال له : « ألكَ حاجةٌ ؟ »[1] ، فإنْ كان له حاجةٌ قضاها له وعاد إلىٰ صلاته .

وكان جلوسُه صلى الله عليه وسلم أن ينصب ساقيه جميعاً ، ويمسك بيده عليهما شبهَ الحبوة .

وكان صلى الله عليه وسلم يجلس حيث انتهىٰ به المجلس ، فلم يكنْ له مجلسٌ يُعرف فيه من بين أصحابه ، فكان الغريبُ إذا جاءَه يسألُ عن أمر دينه لا يعرفُهُ ، فيُكلِّمُ

= والطبراني في « الكبير » (٢٣/ ٢٧٦) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٦٩٤٤) عن السيدة أم سلمة رضي الله عنها .

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤١٩) ، قال الحافظ العراقي : (لم أجد له أصلاً) ، قال الزبيدي في « إتحاف السادة المتقين » [(٧/ ١٠٩)] : (قلت : ولكن روىٰ أحمد في « مسنده » [(٣/ ٥٠٠)] ، عن رجل من الصحابة قال : كان مما يقول للخادم : « ألك حاجة ؟ » وهٰذا يدل إذا جاءه الخادم ووجده في الصلاة كان يخفف ويقبل عليه بالسؤال عن الحاجة) .

أصحابَهُ في شيءٍ يتميَّز به ، فجعلوا له دكاناً من طينٍ يجلسُ عليهِ[١] ، وفرشوا له عليه حصيراً من خُوص النخل .

قال أنس : (وما رأيتُهُ صلى الله عليه وسلم قطُّ ماداً رجليه يُضيِّقُ بهما علىٰ أحدٍ إلا أن يكونَ المكان واسعاً) .

وكان يجلسُ إلى القبلة ويقول : « إنَّهُ سيِّدُ المجالسِ »[٢] .

وكان يُكرمُ كلَّ داخلٍ عليه ، ويؤثره بالوسادة التي تكون تحته ، فإن أبىٰ أن يقبلَ عزم عليه حتىٰ يقبلَها ، وربما بسطَ ثوبَهُ أو رداءه لمن ليستْ بينه وبينه قرابةٌ ولا رضاعٌ يجلسه عليه .

وكان يُلاعبُ الحسنَ والحسينَ ، وربما اركبَهما علىٰ ظهره صلى الله عليه وسلم ، ويمشي بهما علىٰ يديهِ ورجليه ، ويقول : « نعمَ الجملُ جملُكما ، ونعمَ العدلانِ أنتُما »[٣] .

وكان صلى الله عليه وسلم يُعطي كلَّ جليسٍ حظَّهُ من البشاشة ، حتىٰ يظنَّ ذلك الجليسُ أنَّه أكرمُ عليه من جميع أصحابه .

وكانت عيناه صلى الله عليه وسلم تهملان من الدموع في أكثر أوقاته ، حتىٰ كأنَّه قريبُ عهدٍ بمصيبة .

وكُسفتِ الشمسُ مرةً ، فجعل صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج من بيته ويبكي ويقول : « يا ربِّ ؛ ألمْ تعدني ألا تعذِّبَهم وأنا فيهِمْ وهمْ يستغفرونَ ؟! ونحنُ نستغفرُكَ يا ربِّ »[٤] .

---

(١) الدُّكان : المصطبة .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٢٣٥٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (٣/ ٥٢) عن سيدنا جابر رضي الله عنه ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٢٩١) : (وفيه مسروح أبو شهاب ، وهو ضعيف) .

(٤) أخرجه أبو داود (١١٩٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وفيه بعد قوله : « وأنا فيهم » : « ألم تعدني ألا تعذبهم وهم يستغفرون ؟! » .

وكان صلى الله عليه وسلم أكثرَ الناس تبسُّماً ما لم ينزلْ عليه قرآنٌ ، أو يذكر القيامة ، أو يخطب الناس .

وكان أحبُّ الطعام إليه ما كثرتْ عليه الأيدي .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكلُ الحارَّ ويقول : « أبردُوه ثم كلُوا ؛ فإنَّ اللهَ لمْ يطعمْنا ناراً »(١) ، وفي رواية : « إنَّ الحارَّ غيرُ ذي بركةٍ »(٢) .

وكان يأكل القثَّاءَ بالرطب وبالملح .

وكان صلى الله عليه وسلم أحبُّ الفواكه الرطبة إليه الرُّطبَ والعنبَ .

وكان صلى الله عليه وسلم يأكلُ البِطيخ بالخبز وبالسكر ، وربما أكله بالرطب ، ويستعين باليدين جميعاً .

وكان صلى الله عليه وسلم يأكلُ العنبَ خرطاً(٣) يُرىٰ [رؤاله] علىٰ لحيته كخرز اللؤلؤ(٤) ، وهو الماءُ الذي يتقاطرُ منه .

وكان صلى الله عليه وسلم يجمع التمرَ باللبن ويُسميهما الأطيبين .

وكان أكثرُ طعامه التمرَّ والماءَ .

وكان صلى الله عليه وسلم أحبُّ الطعام إليه اللحمَ من غير إكثارٍ منه ، ويقول : « إنهُ يزيدُ في السمعِ ، وهوَ سيِّدُ الطعامِ في الدنيا والآخرةِ »(٥) .

وكان صلى الله عليه وسلم يأكلُ الثريد باللحم والقرع ، ويحبُّ القرعَ ، ويقول :

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٧٠١٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٢٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ١٣٢) عن سيدنا جابر رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفا » (٣٦) .

(٣) **خرط العنقود واخترطه** : إذا وضعه في فيه ، ثم يأخذ حبَّهُ ، ويخرج عرجونه عارياً منه . « النهاية » (خ ر ط) .

(٤) في النسخ : (زواله) ، **والرؤال** : الماء الذي يتقاطر منه .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤١٠٥٤) وعزاه للحاكم في « تاريخه » عن سيدنا صهيب رضي الله عنه .

« إنهُ شجرةُ أخي يونسَ عليهِ السلامُ »[١] .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة : « إذا طبختِي دبَّاءً فأكثرِي من مرقتِها ؛ فإنَّهُ يشدُّ قلبَ الحزينِ »[٢] .

وفي هٰذا القدر كفاية ، وقد بسطتُ الكلامَ علىٰ أخلاقه صلى الله عليه وسلم أول كتاب « العهود المحمدية » وأواخر كتاب « كشف الغمة عن جميع الأمة » ، فراجعهما ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

ولنشرع في ذكر أولياء هٰذه الأمة ، فنقول وبالله التوفيق :

---

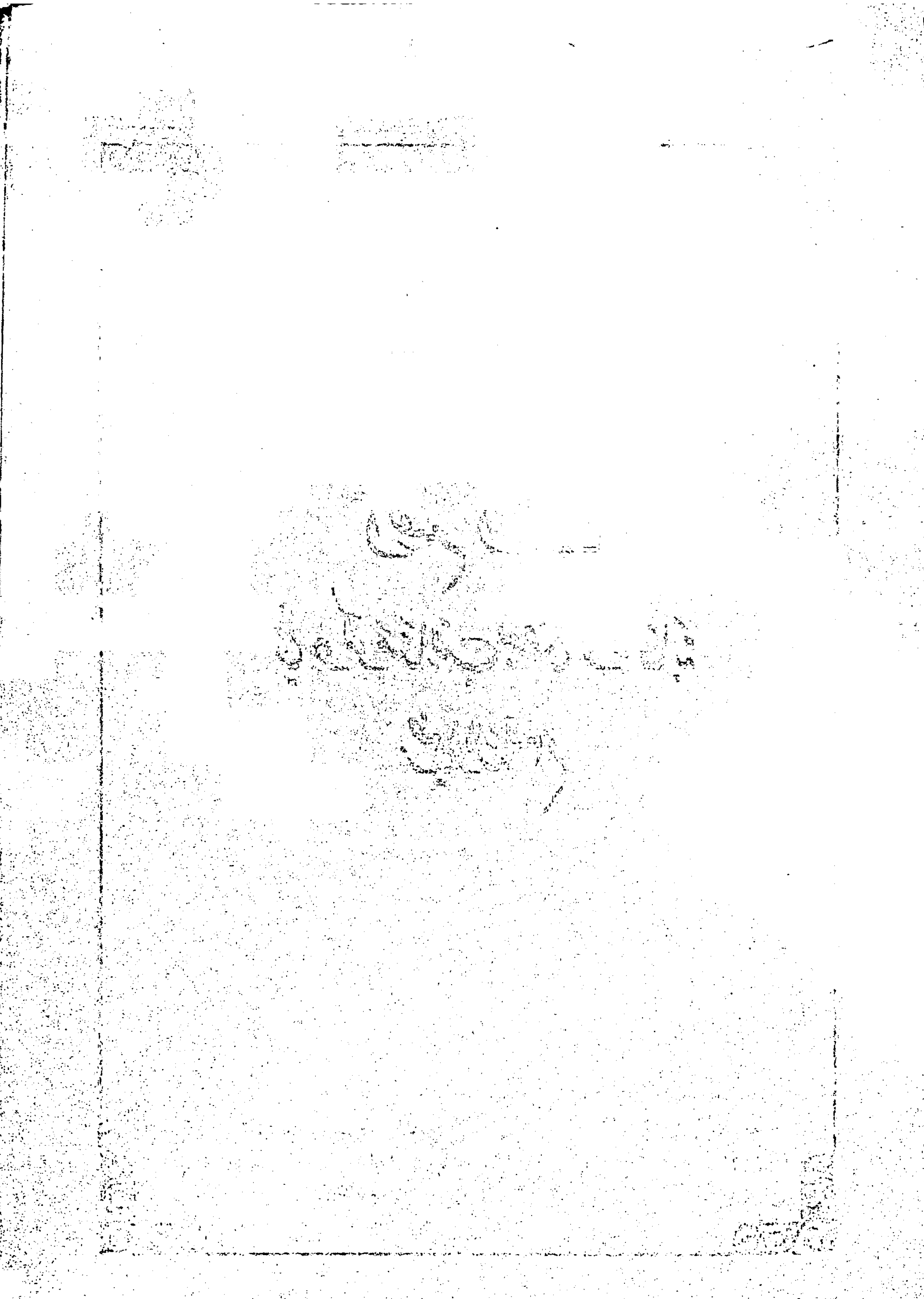
(١) أخرجه البخاري (٥٤٢٠) بلفظ : « فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدُّبَّاءَ » ، ومسلم (٢٠٤١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، بلفظ : « يحبُّ القرع » ، وابن ماجه في « سننه » (٣٣٠٢) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٤/ ٧٤٠) .

(٢) رواه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٩٥٦) .

القسم الأوّل

في ذكر مناقب بعض الصَّحابة رضي الله عنهم





القسم الأول

وهو من أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكرَّم وجهه إلىٰ جدِّي الأدنى الشيخ عليٍّ رحمه الله تعالىٰ .

فأولهم وأفضلُهم على القطعِ والتحقيق :

(٢) الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه[١]

كانوا يشمُّون من جوفه رائحةَ الكبد المشويِّ من شدَّة الخوف من الله عز وجل .

وكان رضي الله عنه يقول : (أكيسُ الكيس التقوىٰ ، وأحمقُ الحمق الفجور ، وأصدقُ الصدق الأمانة ، وأكذبُ الكذب الخيانة) .

وكان رضي الله عنه يحتاطُ في مأكله ومشربه وملبسه أشدَّ الاحتياط .

وكان إذا أكلَ طعاماً فيه شُبهةٌ ، ثم علمَهُ استقاءَ من بطنه ، ثم يقول : (اللهم ؛ لا تُؤاخذني بما شربَتْهُ العروقُ ، وخالطَ الأمعاء) .

وكان يقول : (إن هـٰذا الأمرَ لا يصلحُ آخرُه إلا بما يصلحُ أوله ، وهو السيف) .

وكان إذا وعظ أحداً يقول له : (إنْ أنت حفظتَ وصيَّتي فلا يكن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت ، وهو آتيك) .

وكان يقول : (إنَّ العبدَ إذا دخلَ قلبَه العُجبُ بشيءٍ من زينة الدنيا مقته اللهُ حتىٰ يُفارقَ تلك الزينة) .

وكان يقول : (يا معشر المسلمين ؛ استحيوا من الله ، فوالذي نفسي بيده ؛ إني لأدخلُ الخلاءَ ، فأتقنَّعَ بردائي حياءً من الله عز وجل) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٢٧) (١) ، وجاء في هامش النسخة (ج) بعد أن ذكر نسب سيدنا أبي بكر : (كذا في النسخة التي قال المصنف : إنه فرغ في تبييضها في خامس عشر شهر رجب سنة اثنين وخمسين وتسع مئة ، وهي متقدمة علىٰ تبييض هـٰذه النسخة بأربع عشرة سنة) .

وكان يأخذُ بطرف لسانه ويقول : (هـٰذا الذي أوردني الموارِدَ) .

وكان فمُهُ لم يزلْ فيه حجرٌ ، ويقول : (إنَّه يُذكِّرني بالسكوت) .

وكان إذا سقطَ خطامُ ناقته يُنيخُها ، ثم يأخذُهُ ، فيُقال له : هلا أَمرتنا نناوله لك ، فيقول : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ألا أسألَ الناسَ شيئاً .

ولما تولَّى الخلافةَ قال للصحابة : (قد وُلِّيتُ أمركم ، ولستُ بأخيركم ، فأعينوني ، وإذا رأيتموني استقمتُ فاتَّبعوني ، وإذا رأيتموني زغتُ ، فقوِّموني) .

توفي رضي الله عنه بين المغرب والعشاء ثاني عشرين جُمادى الآخرة سنة ثلاثَ عشرةَ من الهجرة ، وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣) الإمام عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه[١]

كان من أكثر الناس علماً وزهداً وتواضعاً ورفقاً بالمسلمين ، وتعظيماً لآثارِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتاه ابنُهُ يوماً فقال له : قد تخرَّقَ إزاري ، فقال : نكِّسْهُ بعد قطعه ، وإياكَ أن تكون يا ولدي من الذين يجعلون ما رزقهم اللهُ تعالىٰ في بطونهم وعلىٰ ظهورهم .

وكان يقول لأهله : (لا تنخلوا الدقيقَ ؛ فإنه طعامٌ كلُّهُ) .

وكان كثيراً ما يُدني يده من النار ويقول : (يا عمر ؛ ألك صبرٌ علىٰ هـٰذا ؟! لا والله) .

وكان لا يجمعُ في سِماطه بين أُدمين .

وصبَّت ابنتُهُ حفصةُ رحمها الله له مرةً زيتاً علىٰ مرقٍ بارد ، فقال : إدامان في إناءٍ واحد ؟! فلا آكله حتىٰ ألقى الله عز وجل .

وكان في قميصه أربعُ رقاع بين كتفيه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١٢٨/١) (٢) .

وكان إزارُهُ مَرقوعاً بقطعةٍ من جراب ، وأما قميصُهُ فكان فيه أربع عشرَة رقعة ؛ إحداها من جلدٍ أحمر .

ولما خرجَ مرَّةً للعمرة قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَنسنَا يا أُخيَّ منْ دعائِكَ »[١] .

وكان من أكثر الصحابة احتمالاً .

وكان أكثرَهم اهتماماً بأمر المسلمين حتىٰ كادَ يهلك .

وكان يأتي المجزرة كلَّ يومٍ ومعه الدِّرَّةُ ، فكلُّ من يراه يشتري اللحمَ يومين متتابعين يضربُهُ بالدِّرَّةِ ، ويقول له : هلا طويتَ بطنك لجارك وابن عمك ؟!

وأبطأ يوماً عن الخروج لصلاة الجمعة ، ثم خرج ، فاعتذر إلى الناس ، وقال : إنما حبسني عنكم غسلُ ثوبي هٰذا ، كان يُغسل ، وليس عندي غيره .

وخطبَ الناس يوماً فقال : أيُّها الناس ، اسمعوا نُصحي ، فقال له حذيفة : واللهِ ؛ لا نسمعُ لك نصحاً ، فقال له : لمَ ؟! فقال : لأنَّ عليك ثوبين ، وعلىٰ كلِّ واحدٍ منَّا واحدٌ ، فصاحَ بأعلىٰ صوته على المنبر لولدِهِ عبدِ الله ، فأجابه ، فقال : أنشدك بالله ، أما هٰذا الثوبُ الذي عليَّ ثانياً لك ؟! فقال : نعم ، فقال له حذيفة : قلِ الآن نسمعْ لك .

وكان إذا وجد في نفسِهِ عُجباً بالخلافة يَحملُ الحطبَ من السوق بنفسه .

وحملَ مرَّةً قربةَ ماء ، وخرج بها ، وطاف بها في الناس ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنَّ نفسي أعجبتني فأردتُ أن أذلَّها .

ولما قدمَ الشام تلقَّاه أبو عبيدة بنُ الجراح علىٰ بَكْرٍ خطامُهُ حبل[٢] ، ففرح به عمر وقال : الحمدُ لله الذي لم تُغيِّرِ الولايةُ صاحبي ، فمسك أبو عبيدة يدَ عمر فقبَّلَها .

ولما ولي عمر الخلافة كان لا ينام ليلاً ولا نهاراً ، ويقول : (إن نمتُ في النهار

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ١٢٩).
(٢) البَكْر : الفتيُّ من الإبل .

ضيَّعتُ الرعية ، وإن نمتُ في الليل ضيَّعتُ نفسي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ نفسي تشتهي خروفاً مشويّاً في التنور ؛ ولـٰكنَّ خوفَ الحساب يوم القيامة يمنعني من ذلك) .

وكان ربَّما يَشتهي شهوةً بدرهم ، فيؤخِّرُها سنةً كاملة مجاهدةً لنفسه .

وكان رضي الله عنه يقول : (من خافَ من الله لم يشفِ غيظه ، ومن اتَّقى الله لم يصنعْ ما يُريد) .

وصعِدَ المنبرَ يوماً فقال : الحمدُ لله الذي صيَّرني ليس فوقي أحدٌ ، ثم نزل ، فقيل له : ما حملك علىٰ هـٰذا ؟! فقال : إظهاراً لشكرِ الله عز وجل .

وحجَّ رضي الله عنه من المدينة إلىٰ مكة ، فلم تُضربْ له خيمةٌ ولا خباءٌ حتىٰ رجع .

وكان إذا نزلَ منزلاً يُلقىٰ له كساءٌ أو نِطعٌ علىٰ شجرةٍ ، فيستظلُّ بذلك .

وكان رضي الله عنه أبيضَ تعلوه حمرةٌ ، وإنما صار في لونِهِ سمرةٌ من عام الرمادة[١] حين أكثر من أكلِ الزيت توسعةً على الناس في زمنِ الغلاء ، فترك اللحمَ واللبن والسمن ، وكان قد حلفَ ألا يأكلَ غيرَ الزيت حتىٰ يوسِّع اللهُ على المسلمين ، وكانت أيام الغلاءِ تسعةَ أشهر ، وكانتِ الأرضُ قد صارت سوداءَ مثلَ الرماد ، وكان يخرجُ يطوف بالبيوت ويقول : من كان مُحتاجاً فليأتنا .

وكان يقول : (اللهم ؛ لا تجعلْ هلاكَ أُمَّةِ محمدٍ في أيامي) .

وكان رضي الله عنه يبكي حتىٰ صارَ له خطَّان أسودان من كثرةِ الدموع .

وكان إذا مرَّ بالآية في ورده خنقه البكاءُ حتىٰ يسقطَ ، ثم إنه يلزمُ البيتَ حتىٰ يصير يُعادُ كالمريض ، وكانوا يسمعون خنينَهُ من وراء ثلاث صفوف .

---

(١) **عام الرمادة** : كانت سنة ثماني عشرة ، أصاب الناسَ مجاعةٌ شديدة ، وجدب وقحط ، وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد ، فسمي عامَ الرمادة ، واشتد الجوع حتىٰ جعلت الوحش تأوي إلى الإنس ، وحتىٰ جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها ، وفيه كان طاعون عمواس . انظر « الكامل في التاريخ » (٢/ ٣٧٤) .

وكان يقول : (ليتني كنتُ كبشَ أهلي ، فسمَّنوني ما بدا لهم ، ثم ذبحوني ، فأكلوني ، فأخرجوني عذرةً ، ولم أكن بشراً) .

ولما حضرته الوفاةُ قالوا له : استخلفْ ولدَك عبدَ الله ، فقال : يكفي واحدٌ من آل الخطاب يأتي يومَ القيامة ويداه مغلولتان إلىٰ عنقه[1] .

وكان رأسُه في حِجْرِ ولده عبد الله ، فقال له : ضعْ رأسي على الأرض ، فقال : لا فرق بين حجري وبين الأرض ، فقال : ضعْ رأسي ؛ لعلَّ اللهَ أن يرىٰ ذُلِّي فيرحمني ، ثم قال : وددتُ أني أخرجُ من الدنيا كما دخلتُ لا أجرَ ولا وزرَ ، ثم بكىٰ وقال : يا ربِّ ، قد كَبُرَ سنِّي ، وضعفتْ قوَّتي ، وانتشرتْ رعيتي ؛ فاقبضني إليك غيرَ مضيِّع ولا مفرِّط ، فلما مات رآه العباسُ رضي الله عنه ، فقال له : كيف وجدتَ الأمر ؟ فقال : كادَ عرشُ عمرَ يهوي به لولا أنَّه وجد ربّاً رحيماً .

وكان رضي الله عنه إذا مرَّ علىٰ مزبلةٍ يقفُ عندها ويقول : (هٰذه دنياكم التي تَحرصون عليها) .

وكان يبكي ويقول : (ليتني لم أخلق ، ليت أمي لم تلدني ، ليتني لم أكُ شيئاً ، ليتني كنتُ نسياً منسيّاً) .

وكان أحبُّ التهجُّدِ إليه وسطَ الليل .

وكان إذا حصلَ بالناس همٌّ يخلعُ ثيابه الحسنة ، ويلبس ثوباً خشناً قصيراً لا يكادُ يبلغُ ركبتيه ، ثم يرفعُ صوتَهُ بالبكاء والاستغفار والتضرُّعِ حتىٰ يُغشىٰ عليه .

وكان يحملُ جرابَ الدَّقيقِ علىٰ ظهره للأرامل والأيتام ، فقال له بعضهم : دعني أحملْ عنك ، فقال : ومَنْ يحملُ عني ذنوبي يوم القيامة ؟!

وأحواله مشهورةٌ كثيرة ، رضي الله تعالىٰ عنه .

---

(١) أخرج أحمد في « مسنده » (٥/ ٣٢٣) عن سيدنا عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أمير عشرة إلا يُؤتىٰ به يوم القيامة مغلولاً ، لا يفكُّه منه إلا عدلُهُ » .

ومنهم :

(٤) الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه[١]

كان من أعبدِ الصحابة .

ولما حصروه استسلمَ لربِّه عز وجل ، وكان مدةُ حصاره تسعةً وأربعين يوماً ، ثم قتلوه والمصحفُ مفتوحٌ بين يديه ، وهو يقرأُ ، فطار الدمُ من مخِّهِ على المصحف .

وكان رضي الله عنه من أشدِّ الناس خوفاً وحياءً .

وكان إذا اغتسلَ لا يُقيم صلبَهُ ، مع أنه كان لا يغتسلُ إلا وعليه قميصٌ .

وكان يصومُ النهار ، ويقوم الليل إلا هجعةً من أوله .

وكان كثيراً ما يختمُ القرآن في ركعةٍ واحدة .

وكان يخطبُ الناسَ وعليه إزارٌ غليظ ثمنُهُ أربعةُ دراهم .

وكان يُطعم الناس طعامَ الإمارة ، ثم يدخلُ بيتَهُ فيأكل الخلَّ والزيت .

وكان إذا ركبَ أردفَ غلامَهُ خلفه ، ولا يستعيبُ ذلك .

وكان إذا مرَّ على المقابر يبكي حتىٰ تبتلَّ لحيتُهُ ، رضي الله عنه .

ومناقبه وأحواله كثيرة مشهورة .

ومنهم :

(٥) الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه[٢]

كان أكثرَ الصحابة نطقاً بالحكمة .

وكان يقول : (الدنيا جيفةٌ ؛ فمن أرادَ منها شيئاً فليصبرْ علىٰ مُخالطة الكلاب) .

وكان أبو عبيدة يقول : (ارتحلَ الإمامُ علي بنُ أبي طالب رضي الله عنه عن تسع

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣١) (٣) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٢) (٤) .

كلمات قطعَ بهنَّ الأطماعَ عن اللحاق بواحدةٍ منهن ؛ ثلاثٌ في المناجاة ، وثلاثٌ في العلم ، وثلاثٌ في الأدب ؛ فأما التي في المناجاة فهي قوله : كفاني عزّاً أن تكونَ لي ربّاً ، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً ، أنت لي كما أحبُّ ، فوفِّقني لما تُحبَّ ، وأما التي في العلمِ فهي قوله : المرءُ مَخبوءٌ تحت لسانه ، وقوله : تكلَّموا تُعرفوا ، وقوله : ما هلك امرؤٌ عرف قدرَهُ[1] ، وأما التي في الأدب فهي قوله : أنعمْ علىٰ من شئت تكن أميرَهُ ، واستغن عمن شئت تكنْ نظيرَه ، واحتجْ إلىٰ من شئت تكنْ أسيره) .

وكان رضي الله عنه يحلفُ ويقول : (واللهِ ؛ لا يُحبُّني إلا مؤمنٌ ، ولا يُبغضني إلا منافق) .

وكان رضي الله عنه يقول : (موتُ الإنسان بعد أن كبرَ وعرفَ ربَّهُ خيرٌ من موته طفلاً بلا حسابٍ في الآخرة) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أعلمُ الناس بالله أشدُّهم حبّاً وتعظيماً لأهلِ لا إلـٰه إلا الله) .

وقيل له مرَّةً : ألا نحرسُكَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حارسُ كلِّ إنسانٍ أجلُهُ .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا كان يوم القيامة أتتِ الدنيا بأحسن زينتها ، ثم تقول : يا ربِّ ؛ هبني لبعضِ أوليائك ، فيقول الله عز وجل لها : اذهبي يا لا شيءِ ، فلأنتِ أهونُ من أن أهبَكَ لبعضِ أوليائي ، فتُطوىٰ كما يُطوى الثوب الخَلَق ، ثم تُلقىٰ في النار) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يَرجوَنَّ العبدُ إلا ربَّهُ ، ولا يخافنَّ إلا ذنبه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا يَستحي أن يَسألَ عما لا يعلمُ إلا جاهلٌ) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أخوفُ ما أخاف عليكم اتِّباع الهوىٰ ، وطولَ الأمل) .

---

(١) في (ز) : (ما خاب) بدل (ما هلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (الفقيه كل الفقيه من لم يقنِّطِ الناسَ من رحمة الله ، ولم يؤمِّنهم من مكرِ الله ، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله ، ولم يتركِ التهجُّدَ بالقرآن في الليل) .

وكان رضي الله عنه يقول : (كونوا مصابيحَ الليل ، خلقان الثياب ، جددَ القلوب ، تُعرفون به في ملكوت السماء ، وتُعرفون به في الأرض) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لو حننتم حنينَ الواله الثكلان ، وجَأَرتُم جُؤَار مُبتلَى الرهبان ، ثم خرجتم من أموالكم وأولادكم في طلبكم من الله غفران سيئةٍ واحدة . . لكان ذلك قليلاً في جنب ما تطلبون)[١] .

وكان رضي الله عنه يقول : (خيرُ القلوب أوعاها للخير ، ثم يتنهَّدُ ويقول : هاه هاه ، إنَّ ها هنا لعلوماً لو أصبنا لها حملةً) ، ويُشير إلىٰ صدره .

وقُدِّم له مرةً فالوذجاً ، فوُضع بين يديه ، فقال : إنَّك طيِّبُ الريح ، حسنُ اللون ، طيِّبُ الطعم ، ثم تركه وقال : أكره أن أعوِّدَ نفسي ما لم تعتد ، فلما قُتل عثمان ، ونُهبتِ الدار لم يأكل طعاماً إلا مختوماً ؛ حذراً من الشبهة ، وكان قوتُهُ وكسوته يأتيانه من المدينة .

وكان رضي الله عنه يرقِّعُ قميصَهُ ، ويقول : (لبسُ المرقَّع يُخشِعُ القلبَ ، ويقتدي به المؤمن) .

وكان يقطعُ من كمِّ قميصه ما زاد علىٰ رؤوس الأصابع ، وكذلك كان عمرُ يفعل رضي الله عنهما .

وكان رضي الله عنه يبردُ في الشتاء حتىٰ ترتعدَ أعضاؤه من البرد ، فقيل له : ألا نأخذُ لك كساءً من بيت المال ؟! فقال : لا .

وكان رضي الله عنه يقول : (**التقوىٰ** : هي تركُ الإصرار على المعصية ، وتركُ الاغترار بالطاعة) .

---

(١) أخرج الخبر أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٧٧) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لم يبقَ من الدنيا شيءٌ أستأنسُ به سوى الليل وظلمته) .

وكان يُحاسبُ نفسه علىٰ كلِّ شيءٍ ، ويُعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطَّعامِ ما غلظ .

وكان طولَ ليله يُصلِّي ولا يهجع إلا قليلاً .

وكان يقبضُ علىٰ لحيته ، ويتململُ تململَ السقيم ، ويبكي بكاءَ الحزين حتىٰ يصبحَ .

وكان يُخاطب الدنيا ويقول : (يا دنيا ؛ غرِّي غيري ؛ فإني قد طلَّقتُكِ ثلاثاً) .

وكان رضي الله عنه يقول : (آهِ آهِ من قلة الزاد ، وبُعدِ السفر ، ووحشة الطريق) .

وكان يقول : (من أشدِّ الأعمال مواساةُ الأخ في المال) .

وكان يقول : (ما نلتَ من دنياك فلا تفرح به ، وما فاتكَ فلا تأسَ عليه ، وليكن همُّك فيما بعد الموت) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن مع كلِّ إنسانٍ ملكين يحفظانه مما لم يقدَّر عليه ، فإذا جاءَ القدرُ خَليا بينه وبينه ، فليس للعبدِ جُنَةٌ حصينةٌ إلا الأجل) .

وكان آخرُ كلامه : لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله .

وكان رضي الله عنه ينشد كثيراً : [من الوافر]

حقيقٌ بالتَّواضعِ مَنْ يموتُ ... ويكفي المرءَ مِنْ دنياه قوتُ

فما للمرءِ يُصبحُ ذا هُمومٍ ... وحرصٍ ليس يُدركهُ النعوتُ

فيا هـٰذا سَترحلُ عنْ قريبٍ ... إلىٰ قومٍ كلامُهُمُ السُّكوتُ

إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦) طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه[(١)]

كان ممن ثبتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحدٍ ، ووقاه بنفسِهِ وبيده ، فشَلَّت يدُهُ ، وجُرح يومئذٍ أربعةً وعشرين جرحاً ، وسمَّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « طلحةَ الخيرِ » .

وكان يتصدق بنحو المئة ألف في يوم وهو محتاج إلىٰ ثوب يخرج به إلى المسجد .

وكان رضي الله عنه يقول : (إن شخصاً تبيتُ عنده الدنانيرُ لا يَدري ما يطرقه من الله لمغرور) .

وكان إذا لم يجدْ من يَقبلُ نفقتَهُ تلك الليلة لا يأوي إلىٰ منزله إلى الصباح .

قُتل يومَ الجملِ سنة ستٍّ وثلاثين ، وقبرُهُ بالبصرة مشهور رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٧) الزبير بن العوام رضي الله تعالىٰ عنه[(٢)]

كان من شجعان يوم بدر ، وقاتلَ قتالاً شديداً حتىٰ كانَ الرجلُ يُدخلُ يدَهُ في الجراحِ في ظهره وعاتِقهِ .

ولما حضرته الوفاةُ كان عليه من الدَّين مئتا ألف [وألفا] ألف[(٣)] ، وليس عنده وفاءٌ ، فقال له أولاده : ما نفعلُ في هـٰذا الدَّين ؟ فقال لهم : قولوا يا مولى الزُّبير ؛ اقض دينَهُ ، فقضاه الله عنه جميعاً .

وعُذِّبَ في الله عز وجل ليكفرَ به ، فأبىٰ ، وكان عمُّهُ يحرقُهُ بالنار ، ويقول له : اكفرْ بالله ، فيقول : لا أكفرُ بالله تعالىٰ أبداً .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٦) (٥) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٧) (٦) .

(٣) في النسخ (ألفي) ، وفي (ي) وحدها : (مئتي ألف درهم) ، والمثبت من المصادر .

وكان له ألفُ مملوكٍ يؤدُّون إليه الخراجَ كلَّ يومٍ ، وكان يتصدَّقُ به آخر النهار في مجلسٍ ، ولا يقوم منه بشيء ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[١]

من أقوى الصحابة يقيناً ، ومن أكثرِهم إجابةً لدعائه .

ولما مرضَ للموت قال : يا ربِّ ؛ إنَّ لي بنين صغاراً ، فأخِّرْ عني الموت حتىٰ يبلغوا ، فأخَّره الله تعالىٰ عنه إلىٰ عشرين سنة ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ ﴾ [المنافقون : ١١] .

ووقع بينه وبين خالد بن الوليد كلامٌ ، فذهب رجلٌ يقعُ في خالدٍ عنده ، فقال : إن الذي بيننا لم يبلغ ديننا .

ولما وقعت فتنةُ عثمان رضي الله عنه اعتزل الناسَ ، فلم يخرجْ من بيته .

وكان من أكثر الصحابة صدقةً على الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام .

وكان رضي الله عنه أشجعَ الناس ، رمىٰ يومَ أحدٍ بألفِ سهمٍ ، وأوصىٰ أن يُدفنَ في جبَّةٍ كان قد لقي المشركين فيها يوم بدر ، فكُفِّنَ فيها ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩) سعيد بن زيد رضي الله عنه[٢]

كان مجابَ الدعوة ، وكان يقول : (من أرادَ أن اللهَ يستجيبُ دعوتَه فلا يعصي ربَّهُ لا سرّاً ولا جهراً) .

وادَّعتْ عليه أروىٰ بنتُ أُويس عند مروان أنَّه أخذَ لها قطعةً من أرضها ، فقال

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٧) (٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٨) (٨) .

سعيد : اللهم ؛ إن كانتْ كاذبةً فاعمِ بصرَها ، واقتلْها في أرضها ، فعميتْ ، ثم إنَّها وقعتْ في حفرةٍ من أرضها ، فماتت .

توفي رضي الله عنه بالعقيق ، وحُمل إلى المدينة ، فدُفنَ بها سنة خمسٍ وخمسين ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠) عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه[١]

كان من أكثر الصحابة صدقةً على الفقراء والمساكين ، وربَّما تصدَّقَ بالسبع مئة راحلة بأقتابها وأحلاسها .

ولم يزل شديدَ الخوف من منذ قالَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إني رأيتُكَ دخلتَ الجنةَ حبواً ، فأقرضِ الله قرضاً حسناً يُطلقْ لكَ قدمَيك »[٢] ، ثم إن جبريلَ عليه السلام نزلَ فقال : يا محمد ؛ مُرْ عبد الرحمـٰن فليضفِ الضيفَ ، وليطعمِ المسكينَ ، فإذا فعلَ ذلك كان كفارةً لما هو فيه .

وَرُوي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلَّىٰ خلْفه ، وعمَّمَهُ مرَّةً بيده[٣] ، وسدلَها بين كتفيه ، وقال : « إنَّهُ عبدٌ صالحٌ » .

وكان رضي الله عنه كثيرَ التواضع لا يُعرفُ من بين عبيده .

توفي سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٨) (٩) .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣١١) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (١٦١٦) ، والبزار في « مسنده » (١٠٠٥) عن سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه ، وقد شهد عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه بدراً والحديبية ، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وصلَّىٰ خلفه .

(٣) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ٣٦٣) عن عطاءٍ الخراساني رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(١١) أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه(١)

كان رضي الله عنه يقول : (أَلا رُبَّ مبيِّضٍ لثيابه مُدنِّسٍ لدينه ، ألا رُبَّ مكرمٍ لنفسهِ وهو لها مهين) .

وكان يقول : (بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات ، فلو أنَّ أحدَكم عملَ من السيئات ما بين السماء والأرض ، ثم عملَ حسنةً واحدةً لعلتْ فوق سيِّئاته حتىٰ تقهرهنَّ) .

وكان يقول : (مثلُ المؤمن مثلُ العصفور ، يتقلَّبُ كلَّ يومٍ كذا كذا مرة) واللهُ تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٢) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(٢)

كان صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكثرَ الناس دخولاً علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان صاحبَ وسادِهِ وسواكه ونعليه وطهوره في السفر .

وكانوا يشبِّهونَه برسول الله صلى الله عليه وسلم في هَدْيه ، وحسنِ سمته .

وكان من أحسنِ الناس ثياباً ، وأطيبهم ريحاً ؛ تعظيماً لخلطةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وحمله نعله .

وكان يُلبسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعليه ، ويَمشي أمامه بالعصا حتىٰ يُدخله حِجْر نسائه ، فإذا جلس صلى الله عليه وسلم نزعَ نعليهِ ، ثم أدخلهما في ذراعه تبرُّكاً بهما ، ثم أعطىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم العصا .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٩) (١٠) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٠) (١١) .

وكان رضي الله عنه دقيقَ الساقين ، فضحك بعضُ الصحابة مرَّةً من دقَّتِهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسِي بيدِهِ ؛ لَهُما أثقلُ في الميزانِ منْ جبلِ أحدٍ »[(١)] .

وكان حسنَ الصوتِ ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يستمعُ لقراءته في الليل ويقول : « مَنْ سرَّهُ أنْ يقرأَ القرآنَ رطباً كما أُنزلَ ، فليقرأه على قراءةِ ابنِ مسعودٍ »[(٢)] .

وكان رضي الله عنه قليلَ الصوم ، كثيرَ الصلاة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني إذا صمتُ ضعفتُ عن الصلاة ، وهي عندي أهمُّ من الصوم .

وسمع رضي الله عنه مرَّةً رجلاً يقول : اللهم ؛ اجعلني من المقرَّبين ، ولا تجعلني من أصحابِ اليمين ، فقال عبد الله : ها هنا رجلٌ يودُّ أنه إذا ماتَ لا يُبعث ، يعني بذلك نفسَهُ مخافةَ يوم القيامة .

وكان إذا بكى في الليل يلاقي دموعَهُ بكفَّيهِ ، ثم يرشُّ بدموعه على الأرض من كثرتها .

وكان من أكره الناس للشُّهرة .

وخرج معه مرَّةً ناسٌ يشيِّعونه ، فزجرهم ، وقال : إنها ذلَّةٌ للتابع ، وفتنةٌ للمتبوع .

وكان يقول : (لو تعلمون من نفسي ما أعلم لحثيتم على رأسي التراب) .

وكان يقول : (حبذا المكروهان ؛ الموت ، والفقر) .

وكان يقول : (إن الرجلَ الدَّيِّنَ ليدخلُ على السلطان ، فلا يخرج ومعه شيءٌ من دينه ؛ وذلك لأنه يعصي الله ؛ إمَّا بفعله ، وإما بقوله ، وإما بسكوته) .

وكان يقول : (ما أصبحتُ قطُّ على حالةٍ فتمنَّيتُ أن أكونَ على سواها ؛ رضاً بما يفعلُ الله) .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (١/ ١١٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣١٧) ، عن سيدنا قُرة رضي الله عنه ، وأبو يعلى (٥٣١٠) عن سيدنا زر بن حبيش رضي الله عنه ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٢٨٩) : (رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح) ، تقدم تخريجه (١/ ١٤٠) .

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٨) ، وأحمد في « مسنده » (١/ ٢٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ١٤٠) .

وكان يقول : (لو أن رجلاً قامَ بين الركن والمقام سبعين سنة يعبدُ اللهَ عز وجل ، وهو يحبُّ الدنيا لبعثه اللهُ يومَ القيامة معها ، ولو أنَّ رجلاً عبد اللهَ كذلك سبعين سنة ، وهو يحبُّ ظالماً لبعثه الله يومَ القيامة معه) .

ولما مرضَ عاده عثمان بنُ عفان رضي الله عنه فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي ، قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمةَ ربي ، قال : ألا نأمرُ لك بطبيبٍ ؟ قال : الطبيبُ أمرضني ، قال : ألا آمرُ لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي به ، قال : يكونُ لأولادك من بعدك ، قال : أتخشىٰ علىٰ أولادي الفقر وإني أمرتُهم أن يقرؤوا كلَّ ليلةٍ سورة الواقعة ، وإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « منْ قرأَ سورةَ الواقعةِ كلَّ ليلةٍ لمْ تُصبْهُ فاقةٌ أبداً »[1] .

وكان يقول : (ليس العلمُ بكثرة الرواية ، إنما العلم بالخشية) .

وكان يقول : (ويلٌ لمن لا يعملُ بعلمه) ، سبع مرات .

قلتُ : يعني : أنه ما ليس له وقتٌ من العبادات التي تتكرَّرُ ، وإلا فالعبادات التي تتكرَّرُ ربما تزيد على الآلاف ، والله أعلم .

وكان يقولُ كثيراً : (ذهب صفوُ الدنيا وبقي كدرُها ، وصار الموتُ اليوم تحفةً لكلِّ مؤمن) .

وكان يقول : (لا يحلُّ أحدٌ بذروةِ الإيمان حتىٰ يكونَ الفقرُ أحبَّ إليه من الغنىٰ ، والذُّلُّ أحبَّ إليه من العزِّ ، ويستوي عنده ذامُّهُ ومادحُهُ) .

وفسَّر أصحابُهُ هٰذه الجملة فقالوا : حتىٰ يكونَ الفقرُ في الحلال أحبَّ إليه من الغنىٰ في الحرام ، وحتىٰ يكونَ التواضعُ في طاعة الله أحبَّ إليه من الشرف في معصية الله ، وحتىٰ يكون ذامُّهُ ومادحُهُ عنده في الحقِّ سواء .

وكان يقول لأصحابه : (أنتم أكثرُ صلاةً واجتهاداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كانوا أزهدَ منكم في الدنيا ، وأخوفَ منكم لله) .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٦٨) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٨٠) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ١٤١) .

وكان يقول : من بلغَهُ ظلمُ ظالمٍ فرضيه فهو شريكُهُ يُحشر معه ، فقيل له : فإذا سكتَ عنه وهو غيرُ راض ؟ فقال : إنْ سكتَ مع قدرتِهِ على الكلام حُشر معه كذلك ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٣) خباب بن الأَرَت رضي الله عنه[١]

كان من أصبر الصحابة على التعذيبِ في دين الله عز وجل ، وعذَّبوه بالنَّارِ وغيرها ثلاثةَ أيام ليرجعَ عن دين الإسلام ، فلم يرجع .

ولما اتَّسعتْ عليه الدنيا كان يبكي ويقول : مضىٰ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأخذوا من الدنيا شيئاً ، وتخلَّفنا بعدَهم ، فأخذنا من المال ما لا نجدُ له موضعاً إلا التراب ، ولولا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموتِ علىٰ أنفسنا لدعوتُ به .

وقال له عمر بن الخطاب يوماً : ما أشدُّ ما لقيتَ من المشركين ؟ فقال : أوقدوا لي ناراً ، فما أطفأها إلا ودكُ ظهري[٢] .

توفي بالكوفةِ وصلَّىٰ عليه علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤) أبيُّ بن كعب رضي الله عنه[٣]

كان من أقرأ الصحابة ، وقرأ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سورة : (لمْ يكنِ الذينَ كفروا. . .) إلىٰ آخر السورة بأمرِ الله عز وجل له في ذلك .

وكان يقولُ : (من كان منكم مُقتدياً فليقتدِ بمن ماتَ من أصحابِ رسول الله

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٣) (١٢) .

(٢) الودك : الشحم .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٣) (١٣) .

صلى الله عليه وسلم ؛ فإنَّ الحيَّ لا يؤمنُ عليه الفتنة) .

وكان يقول : (اقتصادٌ في سُنَّةٍ خيرٌ من اجتهاد في بدعة) .

وكان يقول : (ما ترك عبدٌ لله شيئاً إلا عوَّضه اللهُ خيراً منه من حيث لا يحتسب) ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٥) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[١]

كان رضي الله عنه يحذِّرُ الناسَ من الذنوب ، ويقول : (يا صاحبَ الذنب ؛ لا تأمنْ شرَّ عاقبتِهِ ؛ فإنَّ ضحكَكَ وفرحَكَ بعد الذنبِ وأنت لا تَدري ما اللهُ صانعٌ بكِ . . أعظمُ من الذنب ، وعدمُ اضطرابِ قلبك من نظر الله إليك وأنتَ على الذنبِ . . أَعظمُ من الذنب) .

وكان في وجهه خطَّان أسودان من كثرة الدموع كالشِّراك البالي .

وكان يقول : (لو بغىٰ جبلٌ علىٰ جبلٍ لَدُكَّ الباغي منهما) .

وكان يقول : (سيأتي على الناس زمانٌ يُعرَجُ فيه بعقول الناس حتىٰ لا تكاد تجدُ أحداً في ذلك الزمان له عقلٌ) .

وكان يجلس يوماً للتأويلِ ، ويوماً للفقه ، ويوماً للمغازي ، ويوماً للشعر ، ويوماً لأيام العرب .

وكان يقول : (لا يقبلُ اللهُ صلاةَ امرئ وفي جوفه حرام) .

وكان يقول : (عيادة المريض مرة سُنَّةٌ ، فما زدتَ فهو نافلة) والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٥١) (٢١) .

ومنهم :

(١٦) عبد الله بن الزبير رضي الله عنه[١]

كان من عُبَّاد الصحابة .

وكان إذا قام للصلاة كأنه عودٌ من الخشوع .

وكان إذا سجدَ يُطيلُ السجودَ حتىٰ تنزلَ العصافيرُ علىٰ ظهره ، لا تحسبُهُ إلا جدارَ حائط .

وكان يُحيي الليلَ ، فتارةً يُحييه بركعةٍ ، وتارةً بسجدة ، وتارةً بالقيام حتىٰ يُصبحَ من غير سجودٍ ، فيسجد بعد الفجر .

وكان يُسمَّىٰ حمامة المسجد .

قُتَل رضي الله عنه سنة ثلاثٍ وسبعين وهو ابنُ اثنين وسبعين سنة ، وصُلبَ علىٰ باب الكعبة .

وكان أطلسَ لا لحية له[٢] ، قتله الحَجاجُ حين بُويع له بالخلافة ، وأطاعه أهلُ الحجاز ، واليمن ، والعراق ، وخراسان ، وأقام في الخلافة تسعَ سنين ، ثم حاصره الحَجاجُ بمكة ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٧) الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣]

كان أشبهَ الناسِ برسول الله صلى الله عليه وسلم في الخَلْق والصفات .

وسمع مرَّة رجلاً يسأل الله َعشرة آلاف درهم ، فذهب ، وأرسلها إليه من البيت .

وكان يقول : (إني لأستحيي من الله أن أَلقاه ولم أَمشِ إلىٰ بيته الحرام) ، فمشىٰ عشرين مرة من المدينة علىٰ رجليه ، وإنَّ الجنائبَ لتُقاد معه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٥١) (٢٢) .

(٢) **الأطلس** : الخفيف العارض ؛ أي : جانب الوجه .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٥٢) (٢٣) .

وكان يُقاسمُ الله تعالىٰ في كلِّ شيءٍ دخل يده ، حتىٰ إنه ليتصدَّقُ بالنعل ويُبقي عنده الآخر .

وكان إذا اشترىٰ من أحدٍ بستاناً أو شيئاً ، ثم افتقرَ البائعُ يردُّه إليه مع الثمن .

وما سُئل شيئاً قطُّ فقال لا .

وكانت مدَّةُ خلافته سبعةَ أشهرٍ ، بايعه أهلُ الحجاز ، والعراق ، واليمن ، وخراسان ، وغيرُهم .

مات رضي الله عنه مسموماً ، يقال : إنَّ امرأته سمَّتْهُ لتتزوجَ بيزيد بن معاوية ، فلما شربَ السُّمَّ تقطَّع كبدُهُ ، فقال : إني قد سقيت السُّمَّ مراراً فلم أُسق مثلَ هـٰذه المرة ، فقال له أخوه الحسين : من تتَّهم لنقتله ؟ فقال : إنْ يكن الذي أظنُّ فاللهُ أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً ، وإن لم يكن فما أحبُّ أن يُقتل بي بريءٌ ، فلما اشتدَّ به النزعُ قال : أَخرجوا فراشي إلىٰ صحن الدار ، فأُخرج ، فقال : اللهم ؛ إني أحتسبُ نفسي عندك ؛ فإني لم أُصبْ بمثلها[1] ، **ثم توفي سنة خمسين ، ودُفن بالبقيع ، والله أعلم** .

وكان رضي الله عنه حليماً كريماً ورعاً ، وقد دعاه ورعُهُ إلىٰ أن تركَ الدنيا والخلافة لله عز وجل .

وكان من المُبادرين إلىٰ نصرة عثمان رضي الله عنه .

وولي الخلافةَ بعد قتل أبيه رضي الله عنه ، وبايعه أكثرُ من أربعين ألفاً ، ولما بلغه أن معاويةَ سارَ إليه من الشام سار هو إلىٰ معاويةَ ، فلما تقاربا علمَ أنه لن يَغلبَ إحدى الطائفتين حتىٰ يَقتلَ أكثر الطائفة الأخرىٰ ، فأرسلَ إلىٰ معاوية ، وبدأه بتسليمِ الأمر إليه علىٰ أن تكونَ الخلافةُ له بعده ، وعلىٰ ألا يطلبَ أحداً من أهل المدينة ، والحجاز ، والعراق بشيءٍ مما كان أيام أبيه ، وغير ذلك من الأمور التي فيها مصلحةٌ للمسلمين ، فأجابه معاويةُ لما طلب ، واصطلحا علىٰ ذلك ، وظهرتِ المعجزةُ النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ ابني هـٰذا سيِّدٌ ، ولعلَّ اللهَ يُصلحُ بهِ بينَ فئتينِ عظيمتينِ من

---

(١) روى الخبر المسعودي في « مروج الذهب » (٣/ ١٨٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/ ٢٨٤) ، وأورده النويري في « نهاية الأرب » (٥/ ١٩٣) .

المسلمينَ »[1] ، وكلُّ ذلك كان في سنة إحدىٰ وأربعين .

وبلغنا : أنه قال لأصحابه : (أيُّها الناس ؛ إن كان هـٰذا الأمرُ لي ، وأنا أحقُّ به فإني قد نزلتُ عنه لمعاوية بطيب نفسٍ ، وإن لم يكنِ الأمرُ لي ، ومعاويةُ أحقُّ به فقد سلَّمته إليه) والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٨) الإمام الحسين بنُ علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[2]

ولد رضي الله عنه في شعبان سنة أربعٍ من الهجرة ، وكان له من الولد خمسةٌ : علي الأكبر ، وعلي الأصغر ، وله العقبُ ، وكلُّ الأشراف منه[3] ، والثالث جعفرٌ ، وفاطمة ، وسُكينة المدفونة بالمراغةِ بمصر كما قيل بالقُرب من السيدة نفيسة[4] ، ومن مقام عمِّها محمدِ الأنور .

وكان من أزهدِ الناس ، وأعبدِ الناس ، وأعفِّ الناس ، وأحلمِ الناس ، وأعلمِ الناس ، وأكرمِ الناس ، وأحسنِ الناس .

وحجَّ رضي الله عنه خمساً وعشرين حجَّةً ماشياً ، وجنائبُهُ تُقادُ بين يديه تواضعاً لله عز وجل .

وكان رضي الله عنه يقول : (اعلموا أنَّ حوائجَ الناس إليكم من جملةِ نِعَمِ الله عليكم ، فلا تملُّوا من تلك النعم ؛ فتعود عليكم نقماً) .

وكان يقول : (من جاد ساد ، ومَنْ بخلَ رذل ، ومن تعجَّل لأخيه خيراً وجده إذا قدمَ علىٰ ربِّه غداً) .

قُتل رضي الله عنه شهيداً يوم الجمعة في عاشر المحرم سنة إحدىٰ وستين ، وهو ابن ستٍ وخمسين سنة .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٧) عن سيدنا الحسن رضي الله عنه .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٥٤) (٢٤) .

(٣) قوله : (وله العقب ، وكل الأشراف منه) يعني : كل الأشراف الحسينيين من علي زين العابدين ، كما نبه الشعراني على ذلك في ترجمته للإمام محمد الباقر رحمه الله . انظر (١/ ٦٩) .

(٤) أجمعت المصادر التي ذكرت ترجمتها علىٰ أن وفاتها كانت بالمدينة ، وليست في مصر ، وقال المناوي في « طبقاته » (١/ ١٥٠) معقباً علىٰ قول الشعراني : (وليس ذلك بصحيح) .

وعطَّشوه قبل القتل في يوم حارٍّ[١] ، وصاروا يتراؤون له بكيزان البلّورِ وفيها الماء ، فيقول : أقسمتُ عليكم بجدِّي ألا سقيتموني شربةً أُبرِّدُ بها كبدي ، فلم يُجيبوه .

وكان الحسنُ البصري رضي الله عنه يقول : (واللهِ ؛ لو كنتُ مع قتلة الحسين ، أو مع مَنْ رضي بقتله ما دخلتُ الجنةَ حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفاً من نظره إليَّ بعين الغضب) .

وسألوه مرةً عن دم البعوض ، فقال : تستحلُّون دمَ الحسين ، وتسألون عن دم البعوض ، ما رأيتُ أجهلَ منكم !

ورأيتُ في كُتب السِّير : (أنَّ الله عز وجل قتلَ بسبب يحيى بنِ زكريا خمسةً وتسعين ألفاً ، وذلك ديةُ كلِّ نبيٍّ) .

ثم رووا أن الله عز وجل أوحىٰ إلىٰ محمدٍ صلى الله عليه وسلم : (إني قتلتُ بيحيى بنِ زكريَّا خمسةً وتسعينَ ألفاً ، ولأقتلنَّ بالحسينِ ابنِ بنتِكَ قَدْرَ ذلكَ مرَّتينِ)[٢] .

ورووا أنهم لما قتلوا الحسين احتزُّوا رأسَهُ ، وقعدوا في أولِ مرحلةٍ يَشربون الخمرَ ، فخرجَ عليهم قلمٌ من حديدٍ من حائطٍ ، فكتبَ على الحائط سطراً : [من الوافر]

أَتَرجُو أمَّةٌ قتلَتْ حُسيناً ... شفاعةَ جدِّهِ يومَ الحسابِ

وأنشدتْ أختُهُ زينبُ[٣] ترفعُ صوتَها ، ورأسُها خارجةٌ من الخباءِ ، رضي الله عنها :

ماذا تَقولونَ إنْ قالَ النبيُّ لكمْ ... ماذا فعلتُم وأنتمْ آخرُ الأُممِ
بعترتي وبأهلِي بعدَ مُفتقدِي ... منهمْ أُسارىٰ ومنهمْ ضُرِّجُوا بدمِ

---

(١) الموافق في ١٠/ ١٠/ ٦٨٠م .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣١٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « الموضوعات » لابن الجوزي (١/ ٤٠٨) .

(٣) في غير (ج) : (سكينة) ، والمثبت من (ج) و« تاريخ دمشق » (٦٩/ ١٧٨) ، و« الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٥٥) .

ما كانَ هـٰذا جزائِي إذْ نصحتُ لكمْ أنْ تَخلُفوني بسوءٍ في ذَوي رحِمِي

ودفنوا رأسَهُ ببلاد الشرق ، ثم أُرشي عليها طلائع بنُ رُزِّيك نائبُ مصر بثلاثين ألف دينار ، ونقلها إلىٰ مصر ، وبنىٰ عليها المشهدَ الحُسيني ، وخرج هو وعسكرُهُ إلىٰ نحو الصَّالحية بطريق الشام مشاةً حفاةً يتلقَّون الرأسَ ، فوضعها في بُرنسٍ من حريرٍ أخضرَ ، علىٰ كرسي آبنوس ، وفرشوا تحتها الطيبَ والعنبر والمسكَ .

وقد زرناها مراراً ، وحضر معي شيخُ الإسلام الشيخُ شهابُ الدين بنُ الشلبي الحنفي يوماً ، وكان لا يعتقدُ صحَّةَ دفنها في هـٰذا المشهد تبعاً لبعضِ أهل التواريخ ، فلمَّا جلسَ ثقلتْ رأسُهُ ، فنام ، فرأىٰ خادماً خرج من الضريح ، وذهب ماشياً إلى الحجرةِ النبوية ، فوقف علىٰ رأسِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، إنَّ عبدَ الوهاب وأحمد الحنفي عند رأسِ ابنك الحسينِ يَزورانها ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم ؛ تقبَّلْ منهما ، ثم أفاق صارخاً بأعلىٰ صوته : آمنتُ وصدَّقت أن رأسَ الإمام الحسين هنا ، ودامَ علىٰ زيارتها إلىٰ أن مات . رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(١٩) أُوَيْس القَرَني رضي الله عنه(١)

وذكرته في الصحابة ، وإن كان الأصحُّ أنه تابعيٌّ ؛ لما نقله بعضُهم : أنه اجتمعَ برسول الله صلى الله عليه وسلم سرّاً مرات ، وحضر معه في وقعة أحد ، وقال : واللهِ ؛ ما كُسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم حتىٰ كُسرت رباعيتي ، ولا شُجَّ وجهُه حتىٰ شجَّ وجهي ، ولا وُطئ ظهره حتىٰ وُطئ ظهري .

وكان رضي الله عنه من أكابر الزهاد ، رثَّ البيت ، قليلَ المتاع .

وكان لم يزل ضارباً بلحيته إلىٰ صدره ، رامقاً ببصره إلى الأرض ، واضعاً يده علىٰ شماله .

وكان له طِمران من الثياب ، ويأتزرُ بإزارٍ من صوف .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٥٩) (٢٥) .

وكان قوتُهُ مما يَلتقطُ من النوىٰ .

وكان الناسُ لا يرونه إلا نحو كلِّ سنةٍ مرةً ؛ لأنهم لمَّا نسبوه إلى الجنون بنىٰ له خصّاً علىٰ باب دار أهله ، فلم يخرج إلى الناس .

وقال له رجلٌ مرَّةً : أوصني ، فقال : عليك بكتاب الله ، وسُنَّة المرسلين ، وصالحي المؤمنين ، وذكرِ الموت ، وعدم مفارقة الجماعة .

وقال له آخر : ادعُ لي ، فقال : حفظكَ اللهُ ما دمت حيّاً ، ورضَّاك من الدنيا باليسير ، وجعلك من الشاكرين لما أعطاك .

وكانتِ الوحدةُ أحبَّ إليه من الشهرة ، ويقول : (إني ما دمتُ مع الناس فأنا في غمٍّ) .

وكان كلَّما يمشي يتصدَّقُ بكلِّ ما في بيته .

وكان يلتقطُ الكِسَرَ من المزابل .

وتعرَّىٰ مرةً ، فلم يجدْ شيئاً يستره ، فجلس في قَوْصَرَّةِ تمرٍ[1] .

وقال له هَرم بنُ حيان : أوصني ، فقال : توسَّدِ الموتَ إذا نمتَ ، واجعله نُصبَ عينك إذا قمتَ .

وكان يقول : (الدعاءُ بظهر الغيب أفضلُ وأَسلمُ من الزيارة واللقاء ؛ لأنَّ اللقاءَ قد يعرضُ فيه التزيُّنُ والرياء) .

ولما دفنوه رجعوا فلم يجدوا لقبره أثراً .

وكان إذا أَمسىٰ يقول : (اللهم ؛ إني أعتذرُ إلىٰ كلِّ كبدٍ جائع ؛ فإنه ليس عندي إلا ما في بطني) .

وكان يقول : (لم يدعْ لي الأمرُ بالمعروف صديقاً ، وكلَّما نَهيناهم عن المنكرِ شتموا أعراضنا ، ووجدوا علىٰ ذلك من الفاسقين أعواناً ، واللهِ ؛ لقد رمونا بالعظائم بسبب ذلك) .

---

(١) **القَوْصَرَّة** : وعاء للتمر من قصب .

وكان يقول : (لا يبلغُ الرجلُ مقامَ الخوف حتىٰ يكونَ كأنه قتلَ الخلقَ أجمعين) .

وقال له رجل : أوصني ، فقال : فرَّ إلىٰ ربِّك ، فقال : فمن أين المعاش ؟! فقال : أفٍّ لقلوبٍ خالطها الشكُّ ، يرزقُكَ وأنت مُدبرٌ عنه ، ولا يَرزقُكَ وأنتَ مُقبلٌ عليه ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٠) الإمام سلمان الفارسي رضي الله عنه[١]

كان أميراً علىٰ زهاءِ ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وكان عطاؤه خمسةَ آلاف ، ومع ذلك كان يخطب الناسَ في عباءةٍ يفترشُ بعضها ويلبس بعضها ، ولم يكن بيتٌ يُظلُّهُ ، إنَّما كان يدور مع الظلِّ حيث دار .

وكان يأكلُ من عمل يديه ، ويطحنُ مع الخادم ، ويعجنُ عنها إذا أرسلها في حاجةٍ ، ويقول : لا نجمعُ عليها عملين .

وكان يضفِرُ الخوصَ ، فيأخذ خُوصاً بدرهمٍ ، فيضفِرُهُ ويعمله قِفافاً ، فيبيع ذلك بثلاثة دراهم ، فيردُّ درهماً فيه ، ويُنفق علىٰ عياله درهماً ، ويتصدَّق بدرهم .

وكان لا يأكل من صدقات الناس ، ويقول : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ »[٢] .

وكان غالبُ الناس يسخِّرونه في حملِ أمتعتهم لرثاثة ثيابه ، فربما عرفوه ، فيقولون له : نحملُ عنك ، ويعتذرون إليه ، فيقول : لا أترككُم حتىٰ أحملَه إلى المنزل ، وها هو ذاك .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٤) (١٤) .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (٦/ ٢١٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٥٩٨) عن عمرو بن عوف رضي الله عنه ، وإسناده في المرفوع ضعيف ، وقد صح موقوفاً علىٰ علي رضي الله عنه . انظر « مجمع الزوائد » (٦/ ١٣٠) .

وكان يقول : (مثلُ المؤمن في الدنيا كمثلِ مريضٍ معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه ، فإذا اشتهىٰ ما يضرُّه منعَهُ ، وقال : إن أكلتَهُ هلكتَ ، وكذلك المؤمن يشتهي أشياءَ كثيرةً ، فيمنعه الله عز وجل منها حتىٰ يموتَ ، فيُدخلُه الجنة) .

وكان يقول : (ربَّ ضاحكٍ ولا يدري : أربُّهُ راضٍ عنه أم ساخط ؟!) .

وكان قليلَ المتاع في الدنيا ، ويقول : (إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهداً فقال : « ليكنْ بُلغةُ أحدِكمْ منَ الدنيا كزادِ الراكبِ »)[١] .

وكتب إليه مرَّةً أبو الدرداء : هلمَّ يا أخي إلىٰ بيت المقدس ؛ فلعلَّكَ تموتُ فيه ، فكتب إليه سلمان : أما بعد ، فإنَّ الأرضَ لا تقدِّسُ أحداً ، وإنما يُقدِّسُ كلَّ إنسان عملُهُ ، والسلام . انتهىٰ .

فكان كلامُه أعلىٰ من كلام أبي الدرداء في المقام .

عاش مئتين وخمسين سنة[٢] ، **وتُوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه** ، وقبرُهُ بإسدود ظاهرٌ يُزار[٣] بالقرب من بيت المقدس ، وقد دُفن عنده سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٥/٤٣٨) ، وابن ماجه (٤١٠٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/١٩٥) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٣١٧) وصححه ، ووافقه الذهبي . تقدم (١/١٤٥) .

(٢) قال الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١/٥٥٥) : (وقد فتشت فما ظفرت في سنه بشيء ، ومجموع أمره وأحواله وغزوه ينبئ بأنه ليس بمعمَّر ولا هرم ؛ فقد فارق وطنه وهو حدث ، ولعله قدم الحجاز وله أربعون سنة أو أقل ، فلم ينشب أن سمع بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم هاجر ، فلعله عاش بضعاً وسبعين سنة ، وما أراه بلغ المئة ، وقد ذكرت في « تاريخي الكبير » [(٢/٢٨٦)] أنه عاش مئتين وخمسين سنة ، وأنا الساعة لا أرتضي ذلك ، ولا أصححه) .

(٣) **المشهور** : أن قبره بالمدائن بالعراق ، ويُعرف اليوم بسليمان باك ؛ أي : الطاهر ، وإسدود : مدينة ساحلية فلسطينية على البحر المتوسط .

ومنهم :

(٢١) الإمام تميم الدَّاري رضي الله عنه[١]

كان لا يتركُ قيامَ الليل سفراً ولا حضراً ، وربما قامَ فتهجَّدَ بآيةٍ واحدة إلى الصباح يُردِّدُها ويبكي .

وكان لا يقدرُ علىٰ سماع سورة القارعة ونحوها من آياتِ الخوف .

وكان له هيبةٌ عظيمة ، ولباسٌ حسن .

وهو أوَّلُ من قصَّ على الناس بأمر عمرَ بنِ الخطاب .

وكان له حُلَّةٌ اشتراها بألف درهم ، لا يلبسها إلا في الليلة التي يُرجىٰ أن تكون ليلةَ القدر ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢) أبو الدرداء عُويمر بن زيد رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه من أخوفِ الناس علىٰ زوال إيمانه ، ويقول : (واللهِ الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ ما أمِنَ أحدٌ علىٰ إيمانه أن يُسلبَ إلا سُلبَ) .

وكان يقول : (إني لآمرُكُم بالخير ولا أفعله ؛ رجاءَ أن يحصلَ لي الخيرُ مِنْ قبلكم ؛ لأني دللتُكم عليه) .

وكان يقول : (تفكُّرُ العبدِ ساعةً فيما فرَّط في جنب الله خيرٌ له من قيامِ ليلة) .

وكان يقول : (مثقالُ ذرةٍ من عملٍ مع تقوىٰ أفضلُ من أمثال الجبال من أعمال المغترِّين) .

وكان يقول : (من فقه الرجلِ رفقُهُ في معيشته) .

---

(١) **واسمه** : تميم بن أوس بن خارجة ؛ أبو رقية ، وقد تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٥) (١٥) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٦) (١٦) .

وكان يقول : (إذا ناقدتَ الناسَ ناقدوك ، وإنْ هربتَ منهم تبعوك) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو تعلمون ما أعلم لما أكلتُم شهوةً ، ولا شربتم ماءً إلا وهو مخلوطٌ بدموعكم ، ولكن الله رحمكم بالغفلة) .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم ورقٌ لا شوكَ فيه ، فصاروا اليومَ شوكاً لا ورق فيه) .

وكان يقول : (من أراد أن يدخلَ الجنة وهو يضحكُ فليكن لسانُهُ رطباً من ذكر الله) .

وكان يقول : (لا تُبغضْ من أخيك المسلمِ إذا عصىٰ إلا عملَهُ ، فإذا تركَهُ فهو أخوك) .

وكان يقول : (نعم صومعةُ الرجل بيتٌ يُكنُّه ، ويكفُّ به لسانه وفرجه وبصره) .

وقالتْ له أمُّ الدرداء[1] : إنِ احتجتُ بعدك أفآكلُ من الصدقة ؟ قال : لا ، اعملي وكلي ، فإن ضعفتِ عن العمل فالتقطي السُّنبل ، ولا تأكلي الصدقة .

وخطبها معاويةُ ، فقالت : واللهِ ؛ لا أغيِّرُ علىٰ أبي الدرداء أحداً .

وكان رضي الله عنه لم يزلْ يدفع الدنيا بيديه ، ويقول لها : إليك عني .

وكان يقول : (لا يفقُهُ الرجلُ كلَّ الفقه حتىٰ يمقتَ نفسَهُ في جانب الله عز وجل) .

وكان يقول : (ليس في المؤمن بِضْعَةٌ أحبَّ إلى الله من لسانه ، فليحفظْه ، وإلا أدخله النار) .

وكان يقول : (إنا لنضحكُ في وجوه قومٍ ، وإنَّ قلوبَنا لتلعنُهم) .

وكان يقول : (إذا تركك أخوك وانعوجَ فلا تتركه ، فإنَّ الأخ يستقيمُ مرةً ، ويَعوجُّ أخرىٰ) .

---

(١) هي أم الدرداء الصغرىٰ ؛ هجيمة الحميرية ، الدمشقية ، العالمة الفقهية ، عرضت القرآن وهي صغيرة علىٰ أبي الدرداء ، وطال عمرها ، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد ، وأما أم الدرداء الكبرىٰ : فهي خَيرة بنت أبي حدرد . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٧٧) .

وكان هـٰذا مذهبَ عمرَ بنِ الخطاب ، والنخعي ، وجماعةٍ ، فكانوا لا يهجرون أخاهم عند الذنب ، ويقولون : إنَّه سيرجع .

وكان يقول : (إياكم أن تتحدَّثوا بزلات العلماء ؛ فإنهم يرجعون إلى الله سريعاً) .

وكانت زوجتُه تقول : سمعتُ أبا الدرداء يقول : (ما وجدتُ شيئاً في العبادات أشفىٰ لصدري ، ولا أفضلَ من مجالس الذكر) .

وكانوا يحضرون عند أمِّ الدرداء فيذكرون الله ، وتذكرُ معهم .

وكانت تعظُ الوعاظ ، وأرسلت مرة إلىٰ نَوف البِكالي وهو يعظُ الناسَ ، فقالت له : اتَّقِ الله ، ولتكنْ موعظتُكَ لنفسك ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٣) الإمام عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[١]

كان من عبَّاد الصحابة وزهَّادهم ، لم يضعْ لبنةً علىٰ لبنة ، ولا غرسَ شجرةً منذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان رضي الله عنه يقول : (يا بن آدم ؛ صاحبِ الدنيا ببدنك ، وفارقْها بقلبك وهمِّك) .

وكان يقول : (لا يكونُ الرجلُ عالماً حتىٰ لا يحسدَ مَنْ فوقه ، ولا يحتقرَ من دونه ، ولا يبغي بالعلم ثمناً) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٤) الإمام أبو ذر رضي الله عنه[٢]

كان من أخوف الصحابة ، وأكثرِهم تفكُّراً في أمر معادِهِ ، فربَّما يظلُّ نهارَهُ أجمعَ يتفكَّرُ فيما إليه مَصيرُهُ .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٨) (١٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٨) (١٨) .

وكان لا يبني قطُّ شيئاً من داره إذا انهدم ، ويقول : (إنَّ ربَّ المنزل لا يدعنا نقيم فيه إلا بعضَ أيام) .

وكان رضي الله عنه لا يدَّخرُ قوتَ غدٍ ، ويقول : إن ذلك حرام .

وكان الرجلُ إذا دخل عليه لا يجدُ في بيته شيئاً من أمتعة الدنيا ، إنَّما هو خَلَقتُهُ[(١)] ، ومطهرتُهُ ، ومصحفُهُ ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : « يا أبا ذرٍّ ، إنِّي أحبُّ إليكَ ما أحبُّ لنفسِي ، لا تأمَّرَنَّ على اثنينِ ، ولا تلينَّ مالَ يتيمٍ »)[(٢)] ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[(٣)]

كان صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يقول : (مِنْ أحبِّ الأعمال إلى الله عز وجل كثرةُ ذكره ، والصلاةُ علىٰ نبيِّه صلى الله عليه وسلم) .

وكان يقول : (أحبُّ الأيام إليَّ يوم يأتيني الخادمُ فيقول : ما في بيتنا اليوم شيءٌ نأكلُهُ) .

وبكىٰ يوماً في صلاته ، ثم التفتَ فرأىٰ رجلاً وراءه ، فقال : لا تُعلمنَّ بهـٰذا أحداً .

وكان يقول : (سيأتي على الناس زمانٌ يُقال للرجل : ما أظرفه ! ما أعقله ! وما في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمان) .

وكان يقول : (ليس خيرُكم الذي يتناولُ من الدنيا الكَفافَ ؛ ولـٰكنَّ خيرَكم الذي

---

(١) **الخَلَق** : البالي .

(٢) أخرج الحديث مسلم في « صحيحه » (١٨٢٦) .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/١٤٩) (١٩) .

يكسبُ صالحاً ، ويتصدَّقُ بما زاد عن كفايته) .

وكان يقول : (أكملُ الرجال من كان رجلاً في أمر الدنيا وأمر الآخرة) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦) الإمام أبو هريرة رضي الله عنه[١]

كني بهرَّةٍ صغيرة كانت عنده .

وكان غزيرَ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : لولا آيةٌ في كتاب الله ما حدَّثتكم بشيءٍ أبداً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ . . . ﴾ [البقرة : ١٧٤] الآية .

وكان يخدمُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويقنعُ منه بما يسمعُ من المواعظ ، ولا يطلبُ منه غيرَ ملءِ بطنه .

وكان يُغشىٰ عليه من الجوع ، ولا يسألُ الناس شيئاً .

وكان من ورده : أنه يُسبِّحُ كلَّ يومٍ [اثنتي][٢] عشر ألف تسبيحة ، ويقول : (إنَّ عددَ ذنوبي كلَّ يومٍ أكثرُ من تسبيحي) .

ورفع يوماً علىٰ جاريته سَوطاً ، ثم قال : لولا خشيةُ يوم القيامة لضربتك به ، ثم قال : اذهبي فأنت حرةٌ .

وكان هو وامرأتُهُ وجاريتُهُ يقتسمون الليلَ أثلاثاً ، ثم يُصلِّي كلٌّ منهم ثلثَهُ ، فكانوا يُحيون الليلَ كلَّهُ .

وكان يقول : (أَحبُّ الأوجاع إليَّ الحُمَّىٰ ؛ لأنها تُعطي كلَّ مفصلٍ حقَّهُ من الأجر ؛ بسبب عموم الوجع) .

وكان يحملُ حزمةَ الحطب علىٰ رأسه وهو أميرُ المدينة[٣] ، ويقول : افسحوا لأميركم ، وهو يبتسمُ .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٤٩) (٢٠) .

(٢) في النسخ (اثني) .

(٣) كان مرات أميراً على المدينة من قبل معاوية رضي الله عنهما .

وكان خليفةً لمروان[1] .

ولما حضرته الوفاة بكىٰ ، وقال : قد أصبحتُ علىٰ شفا جُرفٍ هارٍ ، لا أدري أي الدارَيْنِ أنزل .

توفي رضي الله عنه في المدينة في خلافة معاوية ، وله من العمر ثمانٌ وسبعون سنة[2] ، وكان إسلامُه قبل موتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، رضي الله عنه .

ومناقبه كثيرة مشهورة ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

ولنشرع في ذكر التابعين وتابع التابعين رضي الله عنهم أجمعين ، فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) وكان مروان بن الحكم يلي المدينة ، وربما ناب في المدينة عن مروان . انظر « صحيح مسلم » (٨٧٧) .

(٢) ذكره ابن العماد في « شذرات الذهب » (١/٢١٦) ضمن وفيات سنة سبع وخمسين .

ذِكرُ التَّابِعِين وَتَابِع التَّابِعِين

رضي الله عنهم



فمنهم :

(٢٧) الإمام المُجمعُ علىٰ جلالته الحسن البَصري رضي الله عنه[١]

كان رضي الله عنه كثير البكاء والحزن ، لا يراه أحدٌ إلا ظنَّ أنَّه قريبُ عهدٍ بمصيبة ؛ لما به من الحزن .

وكان يقول : (لو نادىٰ مُنادٍ علىٰ باب المسجد : ليخرجْ أفسقُ الجماعة وأقلُّهم حَياءً من الله عز وجل . . ما سبقني أحدٌ إلى الخروج ، إلا إن كان معه فضلُ قوَّةٍ عليَّ) .

وكان يقول : (لو نادىٰ منادٍ من السماء : كلُّ الناس يدخلون الجَّنةَ إلا واحداً ، لخشيتُ أن أكون أنا ذلك الواحد) .

وكان يقول : (لقد أدركنا أقواماً كنَّا في جنبهم لصوصاً ، ولو أنهم رأونا اليوم لقالوا : هـٰؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أدركنا الناسَ وهم ينامون مع نسائهم علىٰ وسادةٍ واحدة عشرين سنة ، يبكون حتىٰ تبتلَ الوسادةُ من دموعهم ، لا يشعرُ عيالُهم بذلك) .

وكان رضي الله عنه يقول : (زرتُ عمر بنَ عبد العزيز أيام خلافته ، فأخرجَ لي نصفَ رغيفٍ ، ونصفَ خيارة ، وقال : كُلْ يا حسن ؛ فإن هـٰذا زمانٌ لا يحتملُ الحلالُ فيه السَّرَفَ) .

وكان ميمون بنُ مِهْران يقول : زرتُ الحسنَ البصري بعد موت عمرَ بنِ عبد العزيز ، فلما دققتُ الباب ، خرجتْ إليَّ جاريةٌ خُماسية[٢] ، فقالت : من تكون ؟ فقلتُ لها : ميمون بن مِهْران ، فقالتْ : كاتبُ عمر بن عبد العزيز ؟ فقلتُ لها : نعم ، فقالت : وما حياتُك يا شقيُّ بعد صاحبك إلىٰ هـٰذا الزمان الخبيث ؟! ثم استأذنتِ

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٦٦) (٣٣) .

(٢) أي : أن طولها خمسة أشبار .

الحسنَ ، فأذنَ لها ، فأدخلتني إليه ، فرحَّبَ بي ، وأخرجَ لي كسرةً وشقةَ بِطيخ ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (الزاهدُ في الدنيا مَلِكٌ في الدنيا والآخرة) .

وكان يقول : (من أقبلَ بقلبه على الله أقبلَ اللهُ تعالىٰ إليه بقلوب عباده ، ولولا أنَّ المخلصين يحبُّونَ نفرةَ الناس عنهم خوفاً أن يشغلوهم عن ربِّهم . . لما تفرَّقَ الناس عنهم قطُّ) .

وكان يقول : (**من علامة محبِّ الدنيا** : أن يكونَ دائمَ البِطنة ، قليلَ الفطنة ، همُّه بطنُهُ وفرجُهُ ، فهو يقولُ في النهار : متىٰ يدخلُ الليلُ حتىٰ أنام ؟ ويقول في الليل : متىٰ أُصبح حتىٰ ألهو وألعبَ ، وأجالسَ الناس في اللغو ، وأسألَ عن أحوال الناس ؟) .

وكان يقول : (لم يبقَ من روح الدنيا إلا ثلاث : لقاءُ الإخوان ، والتهجُّدُ بالقرآن ، وذكرُ الله تعالىٰ في بيتٍ خالٍ عن الناس وعن رؤية النفس) .

وكان يقول : (ما بقي للناس أخٌ يساعدهم علىٰ عمل الآخرة ، وما بقي إلا من يُفسدُ على الناس قلوبَهم) .

وكان يقول : (إني لأكره أن يأتيني أخي إلىٰ منزلي ؛ خوفاً ألا أقومَ بواجب حقِّه) .

وصلى الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة .

وكان أكثرُ مشيه حافياً .

وكان له هيبةٌ عظيمة ، وكان يدخلُ على الولاة فيأمرُهم وينهاهم ، لا يخافُ في الله لومةَ لائم .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو كنتُ ممن أعانَ علىٰ قتلِ الحسين أو رضي به ، وعُرضتْ عليَّ الجنة . . ما دخلتها حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخوفاً أن ينظرَ إليَّ نظرةَ غضب) .

وكان سفيان الثوري يقول : (الحسنُ البصري أجلُّ أصحاب علي بن أبي طالب ، وكان يُصلِّي خلفه ، وكان ليلةَ قتلِ عليٍّ يُصلِّي خلفه) .

وكان والده من أهل مَيْسَان[1] ، فسُبي ، فهو مولىً للأنصار .

وكان الغالبُ عليه الخوفَ ، حتىٰ كأنَّ النارَ لم تُخلق إلا له وحده .

وكان يقول : (ذهب المعارفُ وبقيتِ المناكر ، ومن بقي اليوم من المسلمين فهو مغمومٌ) .

وكان ينشدُ كثيراً : [من الخفيف]

ليسَ مـنْ مـاتَ واستـراحَ بميْـتٍ إنَّمـا المَيْـتُ مَيِّـتُ الأحيـاءِ[2]

وكان من أكثر الناس ورعاً ، حتىٰ كان يقول : (وددتُ أني أكلتُ أكلةً من حلالٍ ، فصارتْ في جوفي مثل الآجُرَّةِ ؛ فإنه بلغني أنها تقيمُ في الماء ثلاث مئة سنة) .

وقيل له مرة : إنّ الفقهاءَ يقولون كذا وكذا ، فقال : ويحكم ، وهل رأيتم فقيهاً قطُّ ، إنما الفقيهُ الزاهدُ في الدنيا ، البصيرُ بذنبه ، المداومُ علىٰ عبادة ربّه ليلاً ونهاراً لا يفتر .

وكان يحلفُ بالله مراراً : أنه ما أحبَّ الدرهمَ أحدٌ إلا أذلَّهُ اللهُ ، ولا تركه أحدٌ إلا أعزَّهُ الله .

وكان إذا استأذن عليه أحدٌ من إخوانه لا يأذنُ له ، إلا إن كان عنده شيءٌ يُطعمه له ، فإنْ لم يكن عنده شيءٌ خرج له ، وكذلك كان إذا دقَّ بابَهُ أحدٌ لا يخرجُ له إلا إن كان يطلبُ أمر دينه .

وكان يقول : (**المحبُّ لله** : سكرانُ هيمانُ حيران لا يفيقُ إلا عند مشاهدة محبوبه) .

وكان يقول : (يُستعانُ علىٰ وسواس إبليس بالذكر والقرآن ، وعلىٰ وسواسِ النفس بالصوم ، والصلاة ، والمجاهدة ، والرياضة) .

---

(١) **مَيْسَان** : اسم كورة واسعة كثيرة القرىٰ والنخل ، بين البصرة وواسط ، فتحت في أيام سيدنا عمر بن الخطاب ، وولَّىٰ عليها النعمان بن عدي بن نضلة ، وكان من مهاجرة الحبشة . « معجم البلدان » (٥/ ٢٤٢) .

(٢) تقدم البيت وتخريجه في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٦٧) (٣٣) .

وكان يقول : (إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً لم يشغلْهُ عنه بأهلٍ ولا ولدٍ ولا مال) .

وكان يقول : (مِنْ شرط المتواضع : ألا يرىٰ نفسَهُ فوق أحدٍ من المسلمين ، بل يرىٰ نفسَهُ دون كلِّ أحدٍ ، وكلٌّ له الفضلُ عليه) .

وكان يقول : (إذا أذنب العبدُ ثم تاب لم يزددْ من الله إلا قرباً ، وهٰكذا كلَّما أذنب ؛ لأنه دائمُ السير بذنبٍ وبلا ذنب حتىٰ يصلَ إلى الآخرة) .

وقال له رجلٌ : أشكو إليك قساوةَ قلبي ، قال : عليك بمجالسِ الذكر ، والإحسانِ إلى اليتيم .

وكان يقول : (أشرُّ الناس للميت أهلُهُ يبالغون في البكاء عليه ، ولا يهون عليهم قضاءُ دَينِهِ ليبرِّدوا مضجعَهُ من الدَّين) .

وكان يقول : (أدركنا أقواماً كانوا فيما أحلَّ اللهُ لهم أزهدَ منكم فيما حرَّمَ الله عليكم) .

وكان يقول : (الجاهلُ يشتري مودَّةَ رجلٍ بعداوة ألف رجل) .

وكان يقول : (الطمعُ في الدنيا يشينُ العالِم ، ويُذهبُ بحرمته وهيبته من القلوب) .

وكان يقول : (ذمُّ الرجل نفسه في العلانية مدحٌ لها) .

وقيل له : هل في البصرة منافق ؟ فقال : لو خرج المنافقون منها لاستوحشت منهم ؛ لمشاركتي لهم في الصفات .

وكان يقول : (أكرمُ إخوانِكَ هو الذي يدومُ لك ودُّهُ ، وليس بأخيك من احتجتَ إلىٰ مُداراته) .

وكان إذا جلس بين الناس يجلسُ ذليلاً كالأسير ، وإذا تكلَّمَ يتكلَّمُ كلامَ رجلٍ قد أُمر به إلى النار .

وكان يقول : (من لبس الصوفَ تواضعاً لله تعالىٰ زاده نوراً في بصره وقلبه ، ومن لبسه إظهاراً للزهد في الدنيا ، والتكبُّر به على الإخوان في نفسه كُوِّرَ في جهنم مع الشياطين) .

وكان يقول : (ما كلُّ الناس يصلحُ للبس الصوف ؛ لأنه يطلب صفاءً ومراقبة لله عز وجل) .

وقيل له مرة : ما سببُ لبسك الصوف ؟ فسكتَ ، فقيل له : أَلا تُجيب ؟! فقال : إن قلتُ : زهداً في الدنيا زكَّيتُ نفسي ، وإن قلتُ : فقراً وضيقاً شكوتُ ربي ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٨) عامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه[١]

كان يقول : (لو أنَّ الدنيا كانت لي كلَّها ثم أمرني اللهُ بإخراجِها لأخرجتها من غير تردُّدٍ) .

وكان قد جعل علىٰ نفسه كلَّ يومٍ ألف ركعة ، فكان لا ينصرفُ منها إلا وقد انتفختْ قدماه وساقاه ، ثم يقول لنفسه : يا نفسُ ، إنما أُريدُ إكرامَكِ عند الله غداً ، واللهِ ؛ لأعملنَّ بك عملاً حتىٰ لا يأخذَ الفراشُ منك نصيباً .

وكان يقول : (لا أبالي إذا أَحببتُ الله عز وجل علىٰ أيِّ حالٍ أصبحت أو أمسيت) .

قلت : وذلك لأنَّ المحبَّ لا يقعُ في معصية محبوبه ، فليس المرادُ أنه لا يبالي بالمعصية إذا وقع فيها ، فاعلم ذلك .

وكان يقول : (منذ عرفتُ اللهَ لم أخف سواه) .

وكان إذا دعا علىٰ إنسانٍ ظلمَهُ قال : (اللهم ؛ أكثرْ مالَهُ ، وأصِحَّ جسمَهُ ، وأطلْ عمره) .

وكان يقول : (ربما يودُّ العالِمُ يومَ القيامة أنه لم يكن عَلِمَ شيئاً حين يُحاسب علىٰ عمله بعلمه) .

وكان رضي الله عنه إذا سافر يأخذُ معه ركوةً ، فإن شاءَ صبَّ فيها ماءً للوضوء ،

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٦١) (٢٦) .

وإن شاء صبَّ منها عسلاً ، وإن شاء صبَّ منها لبناً .

وكان معه بعضُ دراهم ، فكان يُنفقُ منها ما شاء على المساكين ، ولا يُنْقَصُ منها شيءٌ .

وكان يقول : (إني أستحيي ألا أُعطي السائل أقلَّ من رغيف) .

وقيل له مرةً : من هو خيرٌ منك ؟ فقال : من كان صمتُهُ تفكُّراً ، وكلامُهُ ذكراً ، ومشيُهُ تدبُّراً ، فهـٰذا خيرٌ مني .

وكان يقول : (ذكرُ اللهِ عز وجل شفاءٌ ، وذكرُ غيرِهِ داء) .

وكان يقول : (مِنْ جهلِ العبدِ : أن يخافَ على الناس من ذنوبهم ، ولا يخافَ هو علىٰ نفسه من ذنوبه) .

وكان يقول : (ليس خيرُكم بخيرٍ ، ولـٰكنَّهُ خيرٌ من أشرَّ منه) .

وكان كثيراً ما يدخلُ للمجانين ، فيطعمهم ، فيقول الناس له : إنهم لا يدرون بذلك ، فيقول : الله يدري به .

وكان يقول : (تفقَّهْ ثم اعتزل) .

وكان يقول : (إذا متُّ فلا تُعلِموا بي أحداً ، وقدِّموني إلىٰ ربي ؛ فهو أرحمُ بي من الناس) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق : ٢] : (أي : من كلِّ شيءٍ ضاقَ على الناس) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٩) مسروق بن عبد الرحمـٰن رضي الله عنه[١]

كان قد سُرق وهو صغير ، فوجدوه ، فسمَّوه مسروقاً .

وكان يقول : (من ادَّعى العلمَ بغيرِ خشيةٍ فهو كاذب) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٦٣) (٢٧) .

وكان يقول : (إذا بلغ أحدُكم أربعين سنة فليأخذْ حذرَهُ من الله عز وجل) .

وكان يُصلِّي حتىٰ تورَّمتْ قدماه .

وكان له سترٌ يُرخيه بينه وبين الناس إذا دخلوا عليه ، فكان يشتغلُ بالصلاة ، ويدعُهم في كلام دنياهم .

وكان يقضي بين الناس ، ولا يأخذُ علىٰ ذلك أجراً من بيت المال ولا غيره .

وكان يقول : (ما بقي للمؤمن في هـٰذا الزمان خيرٌ من لحدٍ) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٣٠) علقمة بن قيس رضي الله عنه[١]

كان يكره الشُّهرةَ ، ويُحبُّ الخمول للذكر .

وقيل له مرَّةً : أَلا تجلسُ تُعلِّمُ الناس القرآن ؟! فقال : أكره أن يطأَ عقبي أحدٌ ويقال : هـٰذا علقمة[٢] .

وكان لا يدخلُ على الولاة ، ويقول : إني أخافُ أن أدخلَ عليهم فيُصيبوا من ديني وأنا لا أشعر .

وكان يقول : امشوا بنا نزدد إيماناً ؛ أي : تفقهاً .

وكان يتزوَّجُ بناتِ الفقراء ؛ يُريد بذلك التواضعَ والإحسان إليهنَّ في ضمن التزويج من حيث لا يَشعر بذلك أحد .

مات ولم يَرِثوا بعده سوىٰ ردائه ، وبرذونه ، والمصحف ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٦٣) (٢٨) .

(٢) **العقب** : مؤخر القدم ، وفلان موطأ العقب ؛ أي : كثير الأتباع .

ومنهم :

(٣١) الأسود بن يزيد النَّخَعي رضي الله عنه[١]

كان يجهدُ نفسَهُ في العبادة والصوم حتى اخضرَّ جلدُهُ واصفرَّ ، وكانوا إذا قالوا له : ارفقْ بنفسك يقول : إنَّ الأمرَ كلَّهُ جدٌّ .

وذهبت إحدىٰ عينيه من كثرة البكاء والجوع .

توفي بالكوفة سنة خمسٍ وسبعين ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٣٢) الربيع بن خُثَيْم رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (من انتظرَ الناسَ يرشدونه إلىٰ عيبه فقد ضلَّ سعيُهُ) .

وكان يقول : (كنْ وصيَّ نفسك وإلا هلكت ولا تشعر) .

وأصابه الفالج ، فقالوا له : ألا تتداوىٰ ؟! فقال : قد علمتُ أنَّ الدواء مشروعٌ ، ولٰكنْ عن قريبٍ لا يبقى المتداوي ولا المداوي .

وكان أكثرُ عمله سرّاً ، لا يطَّلع عليه إلا أهلُ بيته .

وكان إذا دخل أحدٌ عليه وهو يقرأ في المصحف غطَّى المصحفَ بكمِّهِ .

وكان يقول : (كلُّ ما لا يُبتغىٰ به وجهُ الله يضمحلُّ) .

وكان إذا وجد غفلةً من الناس يخرجُ إلى المقابر ويقول : كنَّا وكنتم ، ثم يُحيي الليلَ كلَّهُ عندهم ، فإذا أصبح كأنَّه نُشرَ من قبره .

وكان يخرجُ لصلاة الجماعة يُهادىٰ بين رجلين ، فيقول الناس له : إن اللهَ قد رخَّصَ لك ! فيقول : صحيحٌ ، ولٰكنْ ماذا أصنعُ إذا سمعتُ منادي ربي يقول : حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٦٤) (٢٩) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٦٤) (٣٠) .

وكان دائم التهجد في الليل ، حتىٰ كانتِ ابنةُ جاره تعتقدُ أنه أُسطُوانةٌ ، فلما ماتَ قالتْ لأمِّها : يا أماه ؛ ما صنعتِ الساريةُ التي كانت تحت سقيفة جارنا ؟ فقالت لها : يا بُنية ، إنما كانت تلك الأُسطوانةُ هي جارُنا الذي ماتَ ، كان يظلُّ ليلَهُ قائماً ، ولعلَّ البُنيةَ ما كانت تصعدُ سطحَهم إلا ليلاً حتىٰ ظنَّتْ ذلك[1] .

وكان يُمسك جلده ويقول : (يا جُليدة ؛ كيف حالُكَ إذا بُسَّتِ الجبال بسّاً ، ودُكَّتِ الأرض دكّاً ؟) .

وكان لا يُمكِّنُ أهلَهُ من كنسِ بيته ، ويقول : إنا أحقُّ بالخدمة منكم ، وأحبُّ لنفسي المهنة .

وكان يقول : (لو رأونا أصحابُ محمدٍ لقالوا : هـٰؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب) رضي الله عنه .

مات في سنة سبع وستين في أيام معاوية[2] .

ومنهم :

(٣٣) هَرِم بن حيان رضي الله عنه[3]

كان من أعبد التابعين وأزهدِهم في الدنيا .

وكان يقول : (أخرجوا حبَّ الدُّنيا من قلوبكم تدخلها الآخرة) .

وكان يقول : (اللهم ؛ إني أعوذُ بك من زمانٍ يتمرَّدُ فيه صغيرُهم ، ويُؤمِّلُ فيه كبيرُهم ، وتُقرَّبُ فيه آجالُهم ، ويرون فيه أعزَّ إخوانهم علىٰ معصية فلا ينهونه) .

وكان يقول : (عليكم بقلَّة الكلام ؛ فإنَّ صاحب الكلام إما أن يقصِّرَ فيه فيُخصم ، أو يُبالغ فيه فيأثم) ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) وردت مثل هـٰذه القصة في ترجمة منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى . انظر (١/ ٢١٢) ، و(٣/ ١٠٢) .

(٢) قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٦١) : (قيل : توفي سنة خمس وستين) ، وقال ابن حجر في « تهذيب التهذيب » (٣/ ٢٤٢) : (مات بعد قتل الحسين سنة « ٦٣هـ » ، وأرخه ابن قانع سنة « ٦١هـ ») .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٦٥) (٣١) .

ومنهم :

(٣٤) أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه[١]

كان دائمَ الإقبال على عبادة ربّه ، حتى لو قيل له : إنَّ جهنَّمَ تُسعَّرُ لك ما قدرَ على أن يزيدَ في عمله شيئاً .

وكان قليل الأكل ويقول : (إنما تجري الخيلُ المُضمرةُ)[٢] .

وكان يقول : (مَنْ شدَّ قدميه في الصلاة ثبَّتها اللهُ على الصراط) ، والله تعالى أعلم .

ومنهم :

(٣٥) سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه[٣]

كان يقول : (ما فاتتني فريضةٌ في جماعةٍ منذ أربعين سنة) .

وكان قوَّامَ الليل ، وكان يقولُ لنفسه إذا دخلَ الليلُ : (قومي إلى خدمة ربِّك يا مأوى كلِّ شرٍّ ، تُريدين أن تغفُلي في النهار ، وتنامي بالليل ، واللهِ ؛ لأدعنَّكَ تزحفي زحفَ البعير) .

وكان يُصبحُ كلَّ ليلةٍ وقدماه منتفختان .

وكان يقول : (لا خيرَ فيمن يتعبَّدُ ولا يجمعُ الدنيا ليصونَ بها دينَهُ وحسبَهُ ، ويصلَ بها رحمَه) .

وكان يقول : (لأن أُخلِّفَ بعدي دنيا أُحاسبُ عليها يومَ القيامة أحبُّ إليَّ من أن

---

(١) **واسمه** : عبد الله بن ثوب ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرى » (١٦٦/١) (٣٢) .

(٢) **تضمير الخيل** : أن تُشَدَّ عليها سروجها ، وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها ، فيذهب وهلُها ، ويشتد لحمها ، ويحمل عليها غلمان خفاف يجرونها ، ولا يعنفون بها ، فإذا فعل ذلك بها أُمِن عليها البُهر الشديد عند حُضرها ، ولم يقطعها الشدُّ . « تاج العروس » (ض م ر) .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرى » (١٦٩/١) (٣٤) .

أتجرَّدَ للعبادة وأنا مُحتاجٌ إلى الناس) .

وكان يقول : (لي منذ ثلاثين سنة ما أذَّنَ المؤذِّنُ قطُّ إلا وأنا في المسجد) .

وصلىٰ رضي الله عنه الصبحَ بوضوء العشاء خمسين سنة .

وكان يقول : (ما فاتتني تكبيرةُ الإحرام منذ خمسين سنة) .

وكان يقول وقد أتتْ عليه أربع وثمانون سنة : (ما شيءٌ أَخوفُ عندي من النساء) .

وكان يقول : (الناس كلُّهم تحت كنفِ الله ، يعملونَ أعمالَهم السيئةَ ، فإذا أرادَ اللهُ تعالىٰ فضيحةَ عبدٍ أخرجه من تحت كنفه ، فبدتْ للناس عورتُهُ) .

قلت : وقد استحبَّ بعضُهم للعبدِ إذا رأىٰ أمارات الخذلان أن يقول : اللهم ؛ إنْ كنتَ قدَّرتَ عليَّ المعصيةَ الفلانية فاسترني فيها ، واغفر لي ، وإن لم يكنْ سبقَ عليَّ تقديرُ شيءٍ فأزل عني هـٰذه الأوهام التي أدافعها ؛ فإنَّ الله عز وجل يُجيبُهُ إن شاء الله تعالىٰ ، ويسترُهُ في تلك المعصية ؛ فإنه أولىٰ من وفَّىٰ بحقِّ من التجأ إليه ، والله أعلم .

وكان يقول : (من ملأ عينَهُ من رؤية ظالمٍ مَيْلاً إليه حبطَ عملُهُ) .

وضربه عبدُ الملك بن مروان حين امتنعَ من مبايعته ، وألبسه المُسوحَ ، ونهى الناسَ عن مجالسته ، فكان كلُّ من نسي وجلسَ إليه يقول له : قمْ لا تُجالسني ؛ فإنهم قد جلدوني ، ومنعوا الناسَ من مُجالستي ، فكان الناسُ يقومون عنه .

وكان يمنعُ الناسَ أن يقولَ أحدُهم : مُسيجد ومُصيحف ، ويقول : (عظِّموا كلَّ ما نُسب إلى الله عز وجل) .

وكان الناس يستأذنون عليه هيبةً له كما يَستأذنون على الأمراء ؛ بل أشد .

وكان يقول : (ما استغنىٰ أحدٌ بالله إلا وافتقرَ الناسُ إليه) .

وكان يقول : (ليس من شريفٍ ولا دنيء ، ولا عالمٍ ولا جاهل إلا وفيه عيبٌ ؛ ولـٰكنْ من كان فضلُه أكثرَ من نقصه وهِبَ نقصُه لفضله) .

وكان يقول : (ليس كلُّ الناسِ يُذكر عيوبهم ؛ خوفاً أن يتجرَّأَ الناسُ على الذنوب) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٣٦) عروة بن الزُّبير رضي الله عنه[١]

كان يحثُّ أولادَه علىٰ تعلُّم العلم ، ويقول : (إنكم إن كنتم الآن صغارَ قومٍ فستكونونَ كبارَ قومٍ آخرين ، ما أقبح الجهلَ سيما من شيخ !) .

وكان ينهىٰ عن المشي إلى الولاة ، فخرج إلى الوليد بن عبد الملك ، فوقعت في رجله الأَكَلَةُ ، فقطعوها ، فكانوا يرون ذلك عقوبةً لمشيه بها إلى الوليد ، وكان يقول : الحمدُ لله الذي لم يبتل الرِّجلَ الأُخرى

وكان يسردُ الصوم ، فقطعوا رجلَه وهو صائمٌ ، لم يُمسكه أحدٌ ، وهو متجلِّدٌ حتىٰ قُطعت .

وكان يقول : (إذا رأيتم من رجلٍ حسنةً فأحبُّوه ، واعلموا أنَّ لها عنده أخواتٍ ، وإذا رأيتم منه سيئةً فأبغضوه ، واعلموا أنَّ عنده لها أخواتٍ ، ومن أحبَّ رجلاً صالحاً فكأنَّما أحبَّ الله) .

وكان يقول : (من طلبَ الآخرة طلبته الدنيا حتىٰ يأخذَ منها حاجته ، وما رأينا أحداً تبع الدنيا فطلبته الآخرة أبداً) .

وكان يقول : (يقيِّضُ اللهُ تعالىٰ للعلمِ أقواماً لا ينتفعون به في أنفسِهم كيلا يضيعَ ، فيكونون حملةً له فقط) .

وكان يقول : (أدركنا المصاحف وهي لا تباع ، إنما يأتي الرجل بورقةٍ عند المنبر ، فيقوم الرَّجلُ المحتسبُ فيكتبُ له ما شاء الله ، ثم يجيء آخر فيكتبُ له ما شاء الله من تلك السورة حتىٰ يختمَها) .

مات رضي الله عنه وهو صائم سنة أربعٍ وتسعين ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٧٠) (٣٥) .

ومنهم :

(٣٧) محمد بن الحنفية ابن الإمام علي رضي الله عنهما[١]

وهو جدُّنا الأعلىٰ من جهة الأم .

كان يقول : (من كرمتْ عليه نفسُهُ لم يكن للدنيا عنده قدر) .

وكان يقول : (ليس بحليمٍ من لم يُعاشرْ بالمعروف من لم يَجدْ من معاشرته بدّاً) .

وكتب ملكُ الروم إلىٰ عبد الملك بن مروان كتاباً يتوعَّدُهُ فيه ، ويحلفُ : ليحملنَّ إليه مئة ألف في البرِّ ، ومئة ألف في البحر ، أو يُؤدِّي إليه الجزية ، فلم يجدْ عنده كاتباً يكتبُ له عبارةً يردُّ بها الجواب ، فكتب إلى الحجَّاج أَنْ أرسل كتاباً إلىٰ محمد بن الحنفية وتوعَّده وهدِّده ، واطلبْ منه الجواب ، وأرسلْ جوابَهُ إليَّ لأُرسلَهُ إلىٰ ملك الروم ، ففعل الحجاجُ ذلك ، فأرسل ابنُ الحنفية إلى الحجاج كتاباً يقول فيه : إن الله عز وجل ثلاث مئة وستين نظرةً إلىٰ عباده في اليوم والليلة ، وأنا أرجو أن ينظرَ اللهُ تعالىٰ إليَّ نظرةً يمنعُني بها منك ، فبعثَ الحجَّاجُ بذلك إلىٰ عبد الملك ، فكتب مثلَهُ إلىٰ ملك الروم ، فردَّ ملكُ الروم له الجواب ، وقال : هـٰذا الجوابُ لستَ من أهله ، ولا أنتَ كتبتَهُ ، وإنما خرجَ هـٰذا من بيت نبوة . انتهىٰ .

توفي رضي الله عنه بأرضه بغيبغات ؛ قريةٍ بقرب الينبع ، وقبره بها ظاهرٌ يُزار ، والله سبحانه أعلم .

ومنهم :

(٣٨) الإمام زين العابدين
عليُّ بنُ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]

وهو عليٌّ الأصغر ، وأما عليٌّ الأكبر فقُتل مع الحسين رضي الله عنهم أجمعين .

ولما قُتل أخوه عليٌّ الأكبر كان عمره ثلاث عشرة سنة[٣] ، وكان مريضاً نائماً ، فلم

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٧١) (٣٦) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٧٢) (٣٧) .

(٣) والذي ورد في « تهذيب الكمال » (٢٠/ ٣٨٤ ، ٣٨٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/ ٣٨٦) :=

يقتلوه رضي الله عنه ، ثم إنَّهم قتلوه ، وحملوا رأسه إلىٰ مصر[١] ، ودفنت بالمشهد قريباً من مجراة القلعة بمصر العتيق ، وقبره بيِّنُ الأثر اليوم ، ظاهرٌ يُزار ، وعليه قبةٌ عظيمة ، ومع الرأس الإمام زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما قرأتُهُ مَنقوشاً بخطٍّ قديمٍ علىٰ قبره ، رضي الله عنه .

وكان زينُ العابدين رضي الله عنه إذا توضَّأ للصلاة اصفرَّ وجهُهُ ، ويقول : (إنكم لا تدرون عظمةَ من أريد أن أقفَ بين يديه) .

وكان رضي الله عنه إذا مشىٰ لا تجاوز يدُهُ فخذَهُ ، ولا يخطرُ بيده .

وكان إذا بلغه عن أحدٍ أنه يَثْلِبُ من عرضه يذهبُ إلىٰ منزله ، ويتلطَّفُ به ، ويقول : يا أخي ، إنْ كان ما قلتَهُ فيَّ حقّاً فأَسألُ الله أن يغفرَ لي ، وإن كان غيرَ ذلك فأسألُ الله أن يغفرَ لك .

وكان بعضُ الناس يقفُ يسبُّه علىٰ رأسِهِ في المسجد بحضرة الناس ، وهو ساكتٌ لا يقول شيئاً ، فإذا انصرفَ الناسُ تبعه إلىٰ منزله ، وتلطَّفَ به ، وقال : يا أخي ؛ أتعبتَ نفسك بسبِّي ، فاجعلني في حلٍّ ، فكان بعضُهم يقومُ له ، ويقبِّلُ رأسه ، ويقول : اجعلني في حلٍّ حياءً منه . وكان ينشد[٢] : [من الوافر]

ومـا شـيءٌ أحـبَّ إلـىٰ لئيـمٍ إذا شَتَـمَ الكـريـمَ مـنَ الجـوابِ

وكان يقول : (فقدُ الأحبَّةِ غربة) .

وكان يقول : (عبادةُ الأحرار إنما تكون محبَّةً لله ، لا رغبةً ولا خوفاً) .

وكان يقول : (ليس بصاحبكم من إذا فتحتم كيسَهُ بغيرِ إذنه ، وأخذتم منه ما شئتم . . تكدَّرَ ولم ينشرح) .

= أن عمره كان ثلاثاً وعشرين سنة ، ويؤيده ما سيذكره المؤلف رحمه الله بنهاية الترجمة أنه مات سنة (٩٤هـ) وله (٥٨) عاماً ، فيكون مولده سنة (٣٨هـ) ، ومأساة كربلاء كانت سنة (٦١هـ) .

(١) الذي في كتب التراجم أنه توفي سنة أربع وتسعين ، وقيل : تسع وتسعين للهجرة بالمدينة ودفن في البقيع في قبر عمه الحسن بن علي ، ولم يذكروا أنه قتل ، والله أعلم .

(٢) ينسب البيت للأصمعي . انظر « الجليس الصالح » (١/ ٥٨٧) ، وتقدم (١/ ١٧٣) .

وكان يقول لأشياعه : (أحبُّونا حبَّ الإسلام ؛ فإنَّه ما برحَ بنا حبُّكم حتىٰ صارَ علينا عاراً) ؛ إشارةً إلىٰ ما وقع له مع عبد الملك بن مروان حين حملَهُ مثقلاً بالحديد في يديه ورجليه وعنقه إلى الشام ، ولما بلغَ الزهريَّ ذلك دخلَ علىٰ عبد الملك ، فشفع في زين العابدين ، وقال له : ليس زينُ العابدين كما تظنُّ به من أنه يطلبُ الخلافة ، إنما هو رجلٌ مشغولٌ بنفسه وعبادة ربِّه ، فسمع له وأطلقه .

وكان رضي الله عنه يحبُّ ألا يعينَهُ علىٰ طَهورِهِ أحدٌ ، وكان يملأ مطهرتَهُ لقيام الليل ، ويُخمِّرُها حين يقوم من الليل .

وكان يقول : (إن اللهَ عز وجل يحبُّ المؤمن المذنبَ التوَّاب) .

وكان كثيرَ الثناء والترحُّم علىٰ أبي بكر ، وعمر ، وعثمان .

وكان وردُه في اليوم والليلة أَلفَ ركعة .

وكان رضي الله عنه كثيرَ الخوف ، فربما ثارتِ الريح ، فيخرُّ مَغشيّاً عليه .

ولمَّا حجَّ قال : لبَّيك اللهم لبيك ، ثم سقطَ مَغشيّاً عليه .

وسبَّه مرةً رجلٌ ، وبالغ في سبِّهِ ، فكان الإمامُ يتغافلُ عنه ، فقال له : إيَّاك أعني ، فقال له : وعنك أُغضي .

وخرج يوماً من المسجد ، فلقيه رجلٌ فسبَّهُ وبالغ في سبِّهِ ، فثارت إليه العبيدُ والموالي ، فكفَّهم عنه ، وقال : مهلاً على الرجل ، ثم إنه أقبلَ عليه ، وقال : ما سُتر عنك من أمرنا أكثرُ مما ظهرَ لك ، ألك حاجةٌ نُعينُكَ عليها ؟ فاستحى الرجلُ ، فألقىٰ عليه خميصته التي كانت عليه ، وأمرَ له بعطاءٍ فوق الألف درهم ، فقال الرجل : أشهدُ أنك من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم حقّاً .

وقيل له مرةً : ألا تسبَّ هـٰذا الذي يسبُّكَ ؟! فقال : هو يَسبُّني بما يعرف فيَّ ، ولستُ أعرفُ فيه شيئاً أسبُّهُ به ، رضي الله عنه .

توفي رضي الله عنه وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة ، ودفن بالبقيع ما عدا رأسَهُ كما تقدَّم ، وذلك في سنة أربعٍ وتسعين رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٣٩) الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين رضي الله عنهم[١] وهو أبو جعفرٍ الصادقِ

قال النَّوويُّ رضي الله عنه : (ويُسمَّىٰ بالباقر ؛ لأنَّه بقرَ العلم ـ أي : شقَّه ـ حتىٰ عرف أصلَهُ ، وما خفي عنه)[٢] انتهىٰ .

وكان رضي الله عنه يقول : (إنَّ الصواعقَ لتصيب المؤمنَ وغيرَهُ ، ولا تصيب قطُّ الذَّاكرين لله عز وجل) .

وكان يقول : (ما دخلَ قلبَ امرئٍ شيءٌ من الكِبْرِ إلا نقصَ من عقلِهِ مثلُ ما دخله من الكبر) .

وكان يحبُّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويُبالغ في مدحه ، ويقول : (من لم يقلِ الصدِّيق فلا صدَّقَ اللهُ له قولاً) .

وبلغه عن جماعةٍ من أهل العراق أنَّهم يُبغضون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أنهم يحبُّون أهلَ البيت ، فكتبَ إليهم : (إني بريءٌ ممن يُبغض أبا بكر وعمر ، ولو أني وليت لتقرَّبتُ إلى الله بدماءِ من يَكرههما) .

وكان يقول : (ما من عبادةٍ أفضلُ من عفَّةِ بطنٍ وفرج) .

وكان إذا ضحك قال : (اللهم ؛ لا تمقتني) .

وكان يقول : (ليس شيءٌ يميلُ الإخوان إليك مثلَ الإحسان إليهم) .

وكان يقول : (بئس الأخُ يرعاك غنيّاً ويقطعك فقيراً) .

وكان يقول : (اعرفِ المودَّةَ في قلب أخيك بما له في قلبك) .

---

(١) في النسخ : (محمد الباقر بن علي بن زين العابدين) بزيادة (بن) بين (علي) و(زين العابدين) والتصويب من المصادر ؛ فإن (زين العابدين) : هو لقب (علي) ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٧٤) (٣٨) .

(٢) انظر « تهذيب الأسماء واللغات » : (١/٢٤٧) ، وفيه : (وعلم خفيَّهُ) بدل (وما خفي عنه) .

قال الأصمعي : (وذرِّية الحسينِ كلُّهم من قبل زين العابدين ، فهو أبُ الحسينيين كلِّهم) .

مات سنة سبعَ عشرةَ ومئة وهو ابنُ ثلاث وسبعين سنة ، وأوصىٰ أن يُكفَّن في قميصه الذي كان يُصلِّي فيه ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٠) الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنه[١]

كان مجابَ الدعوة .

وكان إذا احتاجَ إلىٰ شيءٍ قال : يا ربَّاه ؛ أنا محتاجٌ إلىٰ كذا ، فما يفرَغُ من قوله إلا وذلك الشيءُ موضوعٌ إلىٰ جنبه .

وكان يقول : (أربعٌ لا ينبغي لشريفٍ أن يأنفَ منهن : قيامُهُ لأبيه ، وخدمتُهُ لضيوفه ، وقيامُهُ علىٰ دابَّته ، ولو أن له مئةَ عبدٍ ، وخدمتُهُ لمن يتعلَّمُ منه العلم) .

وكان يقول : (لا يتمُّ المعروف إلا بثلاث خصال : أن يصغِّرَهُ في عينه ، ويسترَهُ ، ويعجِّلَهُ) .

وكان يقول : (إذا أقبلتِ الدُّنيا علىٰ إنسانٍ أَعطتْهُ محاسنَ غيره ، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسنَ نفسه) .

وكان يقول : (إذا بلغك عن أخيك ما تكرهُهُ فاطلبْ له العذرَ إلىٰ سبعين عذراً ، فإن لم تجدْ له عذراً ، فقل لنفسك : لعل له عذراً لا تعرفيه) .

ودخل عليه سُفيان الثوري ، فرأىٰ عليه ثوباً من خزٍّ ، فقال له : إنكم من بيتِ نبوةٍ تلبسون هـٰذا ؟! فقال : يا ثوري ؛ أدخلْ يدك ، فأدخلها ، فإذا تحته مسحٌ من شعرٍ خشن[٢] ، ثم قال : يا ثوريُّ ؛ أرني ما تحت ثوبك هـٰذا الغليظ ، فإذا تحته قميصٌ

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٧٦) (٣٩) .

(٢) **الخزُّ**: ما ينسج من صوفٍ وإبريسمٍ ، **والمِسْحُ** : ثوب من الشعر غليظ . « تاج العروس » (خ ز ز) (م س ح) .

أرقُّ من بياض البيض ، فخجل سفيان ، فقال : يا ثوري ؛ لا تُكثرِ الدخولَ علينا تضرُّنا ونضرُّكَ) .

وكان يقول : (نلبسُ الجبَّةَ لله ، والخزَّ لكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه) .

ودخل أبو حنيفة مرَّةً علىٰ جعفر الصادق ، فقال : يا أبا حنيفة ؛ بلغني أنك تقيسُ في دين الله تعالىٰ ، لا تفعل ؛ فإنَّ أولَ من قاس إبليس ، فقال : إنما أقيسُ فيما لم أجدْ فيه نصّاً ، فقال : لا بأس إذن .

وكان رضي الله عنه يقول : (إذا بلغكم عن مسلمٍ كلمةٌ فاحملوها علىٰ أحسنِ ما تجدون ، فإن لم تجدوا فلوموا أنفسَكم) .

وكان يقول : (لا تأكلوا من يدٍ جاعتْ ثم شبعت) .

وكان يقول : (إذا أذنبتَ فاستغفر ؛ فإنَّما هي خطايا مطوَّقةٌ في أعناق الرجال قبل أن يُخلقوا ، وإياكم والإصرارَ على الذنب) .

توفي بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومئة .

وكان يقول : (منِ استبطأ رزقَهُ فليكثرْ من الاستغفار) .

وكان يقول : (من أُعجبَ بشيءٍ من أحواله ، وأراد بقاءَه عليه . . فليقل : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف : ٣٩]) .

وكان يقول : (أوحى اللهُ إلى الدنيا : يا دنيا ؛ من خدمني خالصاً فاخدميه ، ومن لم يخدمني فاستخدميه) .

وكان يقول : (العلماءُ أُمناء الرسل ما لم يأتوا أبوابَ السلاطين) .

وكان يقول : (اللهم ؛ ارزقني مواساةَ المقترين في الرزق ، وكلُّهُ من فضلك) والله أعلم .

ومنهم :

(٤١) الإمام عمر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه[١]

كان من الخلفاء الراشدين .

وكان الذئب يرعىٰ مع الشاة في زمنه من شدَّةِ عدله ، فلما تُوفي عدا الذئبُ علىٰ شاةٍ ، فقال الراعي : قد ماتَ عمر رضي الله عنه ، فقالوا له : من أين عرفتَ ذلك مع بُعْدك عن المدينة ؟! فقال : عدمُ احترام الذئب للشاة .

وكانت حجزةُ إزاره غائبةً في عُكَنه قبل الخلافة[٢] ، فلما تولَّى الخلافة فلو شئتَ أن تعدَّ أضلاعَه لعددتَها .

وكانت غلَّتُهُ خمسين ألف دينار ، فكان يُنفقها كلَّها حتىٰ لا يبقىٰ له إلا قميصٌ واحد لا يخلعه إلا إنِ اتَّسخَ ، فإذا اتَّسخَ وغسله مكثَ في البيت حتىٰ يجفَّ .

قالت زوجتُه فاطمةُ بنتُ عبد الملك : (ولما ولي عمرُ الخلافةَ لم يغتسلْ قطُّ من جنابةٍ إلىٰ أن مات) .

قالت : (ولما ولي الخلافة خيَّرنا ، وخيَّر جواريه بين الإقامة والفراق ، وقال : قد جاءني ما يَشغلُني عنكنَّ حتىٰ يفرغَ الناسُ من الحساب بينَ يدي الله عز وجل) .

قالت : (وخيَّرني بين الإقامةِ عنده من غير مسيسٍ ، وبين أن أَلحقَ بدارِ أبي ، فاخترتُ الإقامةَ ، ووضعتُ جميع ما أملكه في بيت المال ما عدا قميصٍ ألبسه ، وعلا البكاءُ والنحيبُ من جواريه حتىٰ كأنه ماتَ إياساً منه) ، رضي الله عنه .

قالت فاطمة : (وما بلغني عن أحدٍ من الرجال ما رأيتُهُ من عمر رضي الله عنه ، كان إذا دخلَ عندي البيتَ ألقىٰ نفسه على الأرض يبكي حتىٰ تغلبَهُ عيناه ، ثم يستيقظ فيبكي ليلَهُ أجمع ، وربما نام في سطحِ غرفته ، فبكىٰ في سجوده ، فينزلُ علينا دموعُهُ من الميزاب ونحن تحته حتىٰ يظنَّ الظانُّ أنَّ السماء أمطرت) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٧٨) (٤٠) .

(٢) **العُكْنَة** بالضم : ما انطوىٰ وتثنَّىٰ من لحم البطن سمناً .

وكان يخطبُ الناسَ بقميصٍ مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجلٌ : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الله تعالىٰ قد أعطاك ، فلو لبستَ لك ثوباً جديداً ، فنكسَ رأسَه ساعةً ثم قال : أفضلُ القصدِ عند الجِدَة[1] ، وأفضلُ العفو عند المقدرة .

وكانت بناته يُرقِّعن ثيابهنَّ حتىٰ يتخرَّقن بالكلية ، وربما دعا الواحدةَ منهنَّ ، فلم تُجبْه من عذرِ العري ، فيأمر لها بخيشةٍ ، فيُلبسُها إيَّاها .

وكثيراً ما كان يبكي الدمَ حين تَنفَدُ الدموع .

وكان يجتمعُ بالخضر عليه السلام كثيراً بالمدينة .

وقال يوماً للخضر : أوصني ، فقال : يا عمر ؛ إياك أن تكونَ وليّاً لله في العلانية وعدواً له في السرِّ ، فخرَّ عمر مغشيّاً عليه .

وكان كلَّ قليلٍ يُرسلُ قاصدَهُ بالسلام علىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعلىٰ أبي بكر وعمر ، ليس له حاجةٌ بإرساله إلا لذلك .

وكان له سَرَبٌ ينزل فيه كلَّ ليلةٍ[2] ، وفيه غلٌّ ، فيضع الغلَّ في عُنقه ، ولا يزالُ يبكي ويتضرَّعُ إلى الصباح .

وكان يقول : (إياكم والدخولَ علينا ، ولو أمرتمونا ونهيتمونا ؛ فإنَّ من دخل علىٰ والي جورٍ لا يسلمُ من الإثم) .

وكان يقول : (لو أرادَ اللهُ تعالىٰ ألا يُعصىٰ ما خلق إبليس) .

وكان يقول : (لو تعلمون مني ما أعلم من نفسي ما نظرتم إلىٰ وجهي) ، وكانوا يقولون : ما أنور وجهه ! إذا مرَّ عليهم .

وكان يقول : (ليس الزهدُ في الشُّبهات ؛ إنما يكون الزهد في الحلال ، أما الشُّبهات والحرام فنارٌ تسعرُ في بطون الآكلين ، ولولا أنَّهم أمواتٌ لوجدوا ألمَ النارَ في بواطنهم) .

---

(١) **الجِدَة** : الغنىٰ واليسار والسعة .

(٢) **السَّرَب** : حفير تحت الأرض لا منفذ له .

مات رضي الله عنه سنة إحدىٰ ومئة مسموماً .

قالت فاطمة : (واللهِ ؛ إن خوفَهُ من الله كان أقوىٰ من مرضه من السُّمِّ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٢) مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه[1]

كان من أكثر التابعين خوفاً ، حتىٰ كان يقول : (لو أتاني آتٍ من ربِّي عز وجل وخيَّرني بين أن أدخلَ الجنة بعد الحساب أو أكونَ تراباً لاخترتُ أن أكون تراباً) .

وكان له ولدٌ صالح ، فمات ، فلبس أحسنَ ثيابه ، وسرَّحَ لحيته ، فقيل له في ذلك ، فقال : أتأمروني أن أستكينَ للمُصيبة ، واللهِ ؛ لو كانتِ الدنيا كلُّها وما فيها لي ، ثم وعدني ربي علىٰ تركها كلِّها بشربة ماء في الآخرة . . لاخترتُ تلك الشربةَ علىٰ أخذها .

وكان يقول : (لأن أبيت نائماً وأُصبح نادماً أحبُّ إليَّ من أن أبيتَ قائماً وأُصبح معجباً) .

وكان يقول : (إذا تساوتْ سريرةُ العبدِ وعلانيتُهُ قال الله تعالىٰ له : قد صرتَ عبدي حقّاً) .

وكان إذا دخلَ بيته وسبَّحَ الله تُسبِّحُ معه آنيتُهُ بلسانٍ فصيح .

وكان مجابَ الدعوة ، وظلمه رجلٌ مرةً ، فقال : أماتك اللهُ عجلاً ، فمات في الحال ، فطلبوه إلىٰ زيادٍ وهو على البصرة ، فقال : هل مسَّه ؟ فقالوا : لا ، فقال : هل هي إلا دعوةُ رجلٍ صالح صادفتْ قدراً ؟! وأمر بإطلاقه .

وكان يقول : (اللهم ؛ إني أعوذ بك من شرِّ كلِّ عملٍ ادَّعيتُ أني مخلصٌ فيه ، وأني أردتُ به وجهَكَ) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٠) (٤١) .

وكان يقول : (اللهم ؛ ارضَ عنَّا ، فإن لم ترضَ فاعف ؛ فإنَّ المولىٰ قد يعفو عن عبده وهو عنه غيرُ راض) .

وكان يقول : (أجِلُّوا اللهَ عز وجل وعظِّموه عن أن تذكروه عند كلبٍ أو حمار ، فتقولون للكلب : أخزاك الله ، أو للحمار : فعل الله بك كذا) .

وكان يقول : (لولا الغفلةُ تُعرضُ لقلوب الصدِّيقين لماتوا من عظيم ما تجلَّىٰ لقلوبهم من عظمة الله عز وجل) .

وكان يقول في دعائه : (اللهم ؛ لا تردَّ هـٰؤلاء السائلين معي من أجلي) .

وكان يلبس المطارفَ والبرانس ، ويركبُ الخيول .

توفي بعد الطاعون الجارف[1] لما تولَّى الحجَّاج العراق سنة سبعٍ وثمانين ، والله أعلم[2] .

ومنهم :

(٤٣) أبو العلاء بن الشخِّير أخو مطرِّف رضي الله عنه فيما قيل[3]

كان رضي الله عنه يقول : (العافيةُ مع الشكر أحبُّ من البلاء مع الصبر) .

قال سفيان الثوري : وذلك لأن الله تعالىٰ مدحَ سُليمان عليه السلام مع العافية بقوله : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [صَ : ٣٠] ، وقال في أيوب مع البلاء : ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [صَ : ٤٤] فاستوتِ الصفتان ، وهـٰذا معافئ ، وهـٰذا مبتلئ ، فوجدنا الشكر قد قامَ مقام الصبر ، فلمَّا اعتدلا كانت العافيةُ مع الشكر أحبَّ من البلاء مع الصبر ، والله أعلم .

---

(١) **الطاعون الجارف** : طاعون وقع في البصرة سنة (٨٧هـ) ، فهلك به خلق كثير . انظر « طبقات ابن سعد » (٧/ ١٤٥) .

(٢) ذكره ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » (١/ ٢١٤) ضمن وفيات ستٍّ وثمانين ، وذكره ابن العماد في « شذرات الذهب » (١/ ٣٨٦) ضمن وفيات خمس وتسعين ، والله أعلم .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٣) (٤٢) .

ومنهم :

(٤٤) صفوان بن محرز المازني رضي الله عنه[١]

كان من أقنع الناس .

وكان يقول : (إذا وجدتُ بعد يومين رغيفاً وكوزَ ماء فعلى الدنيا العفاء) .

وكان له سَرَبٌ ينزله ويبكي فيه .

وكان لا يخرجُ من بيته إلا لصلاة الجماعة .

وانكسر جذعٌ من بيته ، فقالوا له : ألا تُصلحُهُ ؟! فقال : إنَّ ربَّ المنزل لا يدعنا نقيمُ فيه حتىٰ نُصلحه ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٥) أبو العالية رضي الله عنه[٢]

كان يكرهُ للرجل أن يلبسَ زِيَّ الرهبان من الصوف ، ويقول : (زينةُ المسلمين التجمُّلُ بلباسهم) .

وكان يحبُّ الوحدة ، ويكره الشهرة .

وكان إذا جلسَ إليه ثلاثةٌ قام وتركهم خوفاً من اللغو .

وكان يقول : (ما مسستُ ذكري بيميني منذ خمسين سنة) .

وكان يقول : (من لم يخشعْ في صلاته فمتىٰ يخشع ؟!) .

وكان يقول : (من أعظمِ الخسران حفظُ الرجل القرآن ثم ينام ولا يتهجَّدُ به في الليل) ، رضي الله عنه .

توفي سنة تسعين من الهجرة رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٣) (٤٣) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٤) (٤٤) .

ومنهم :

(٤٦) بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه[١]

كان يقول : (كلَّما ازددتُ في المطعم واللباس واتِّساعِ الدار ازددتُ من الله بُعداً ، وكل يومٍ ازددتُ فيه مالاً ازددتُ من الله مقتاً) .

وكان يقول : (إذا وجدتَ من إخوانك جفاءً فتبْ إلى الله تعالىٰ ؛ فإنك أحدثتَ ذنباً ، وإذا وجدتَ من إخوانك محبَّةً وزيادةَ وُدٍّ فذلك لطاعةٍ أحدثتها ، فاشكرِ الله) .

وكان يقول : (إذا رأيتم الرجلَ موكلاً بعيوب الناس ، خبيراً بها ، فاعلموا أنه قد مُكر به) .

توفي رضي الله عنه سنة ثمان ومئة .

ومنهم :

(٤٧) صِلَة بنُ أَشْيَم العدوي رضي الله عنه[٢]

كان إذا مرَّ علىٰ قومٍ يلعبون ويضحكون يقول لهم : أخبروني عن قومٍ أرادوا سفراً ، فقطعوا نهارَهم في اللَّعب ، وليلَهم في النوم ، متىٰ يصلون إلىٰ مقصدهم ؟!

وكان رضي الله عنه يُصلِّي حتىٰ يزحفَ إلىٰ فراشه .

وكان لا يحزنُ علىٰ أحدٍ مات من إخوانه ، وكانوا إذا أخبروه بأحدٍ مات يقول : قد أخبرني الله به قبلكم في قوله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٤٨) العلاء بن زياد رضي الله عنه[٣]

كانْ مجلسُهُ قعرَ بيته ، لا يخرجُ منه إلا لصلاة جماعةٍ أو فعل خير .

وكان يقول : (واحزناه على الحزن !) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٤) (٤٥) .
(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٥) (٤٦) .
(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٥) (٤٧) .

وكان قد بكىٰ حتىٰ غَشِيَ بصرُهُ ، وكان يبكي السبعةَ أيام مُتوالية لا يذوقُ فيها طعاماً ولا شراباً حتىٰ يرقَّ له أهله وجيرانه .

وكان يقول : (لو علم الناسُ ما أمامهم ما اطمأنُّوا ساعةً في هٰذه الدار ، ولا أكلوا ، ولا شربوا ، ولا ناموا ، ولا زرعوا ، ولا بنوا) .

وجاءه مرةً شخصٌ فقال : يا سيدي ، رأيتُكَ البارحةَ في الجنة ، فقال : أما وجدَ الشيطانُ أحداً يسخرُ به غيري وغيرك .

وكان يقول : (إنكم اليومَ في زمانٍ أقلُّكم الذي ذهبَ عشرُ دينه ، وسيأتي زمانٌ أقلُّهم الذي يبقىٰ معه عشرُ دينه) .

توفي أيام الحجَّاج ، والله أعلم[١] .

ومنهم :

(٤٩) محمد بن سيرين رضي الله عنه[٢]

كان ذا خشوعٍ وسمت حسن .

وكان رضي الله عنه قليل المجالسة للناسِ .

وكان إذا وقع أنه جالسَ الناس ، وذكروا أحداً بسوء يذكرُهُ هو بخير ، ثم يفرُّ هارباً منهم .

وكان لا يدعُ أحداً يمشي معه إذا خرج إلىٰ مكان .

وكان إذا كلَّمَ أُمَّهُ لا يرفعُ صوتَهُ إجلالاً لها .

وكان كريماً جدّاً ، فحُبِسَ مرَّةً في دَيْنٍ ، فقال له السجَّانُ : امض إلىٰ بيتك ، وتعالَ آخر النهار ، فقال : لا أُعينك علىٰ خيانة أمانتك .

---

(١) قال الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢/ ١١٥٢) : (ذكر ابن حبان أنه توفي بالشام في آخر ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين) ، وذكره ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » (١/ ٢٠٢) ضمن وفيات سنة تسع وسبعين .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٧) (٤٩) .

قال : وسببُ حبسي : أني كنتُ عيَّرتُ رجلاً حُبس في دَيْنٍ ، وقلت : لأيِّ شيء استدان ، هلا صبر ، فعوقبتُ بذلك .

وكان يقول : (من الظلم البيِّن : أن تذكرَ شرَّ ما في أخيك حالَ غضبك عليه وتكتمَ محاسنه) .

وذكروا الحجَّاجَ عنده بسوءٍ ، فقال : إن الله تعالىٰ حَكَمٌ عدلٌ ، فكما ينتقمُ من الحجاج كذلك ينتقمُ منكم للحجَّاج .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو كان للذنوب ريحٌ لما قدر أحدٌ أن يجلس إليَّ ؛ من شدَّةِ نَتْنِ ريحي) .

وكان يقول لمن رأىٰ رؤيا تهولُهُ : (اتَّقِ الله في اليقظة ، ولا يضرُّك ما تراه في نومك) .

وقال له رجل مرَّةً : اجعلني في حلٍّ ؛ فإني اغتبتُك ، فقال : معاذ الله أن أُحلَّ ما حرَّم الله من عرضي ، ولـٰكن غفرَ الله لك يا أخي .

وكانوا إذا مدحوه في علمه وقالوا : إنَّ الصحابة لم يكونوا يُحسنون أكثرَ من هـٰذا فقال : والله لو أردنا فقههم لما أدركَتْهُ عقولُنا .

توفي رضي الله عنه سنة عشر ومئة ، وهو ابن نيفٍ وثمانين سنة رضي الله عنه .

ومنهم :

(٥٠) ثابت بن أَسلم البُناني رضي الله عنه[١]

كان يقومُ الليلَ خمسين سنة ، فإذا جاء السَّحَرُ يقول : (اللهم ، إنْ كنتَ أعطيتَ أحداً أن يُصلِّي في قبره ؛ فأعطني ذلك) ، فلما ماتَ وسدُّوا عليه اللَّحدَ وقعت لبنةٌ ، فإذا هو قائمٌ يُصلِّي في الحال ، وشهد ذلك من حضر جنازته .

وكان يقول : (الصلاةُ خدمةُ الله في الأرض ، ولو كان شيءٌ أفضلَ من الصلاة لما قال تعالىٰ : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران : ٣٩]) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٨) (٥٠) .

وكان يقول : (كابدتُ الصلاةَ عشرين سنة ، وتنعَّمتُ بها عشرين سنة) .

وكان الناس يسمعون قراءتَهُ في قبره مدَّةً ، ثم اختفىٰ عن الناس ، رضي الله عنه[1] .

ومنهم :

(٥١) محمد بن واسع رضي الله عنه[2]

كان رضي الله عنه قليلَ المتاع في الدنيا ، وكان لا يزيد في لباسه علىٰ قميصٍ ، ولا يزيدُ في أُدمِهِ علىٰ إدامٍ واحد .

فلما ماتَ رآه بعضُهم هو وجماعة من الصلحاء علىٰ باب الجنة ، فنظر أيَّ الناسِ يدخلُ قبل صاحبه ، فدخل محمد بنُ واسع ، فسأل الملائكةَ : ما سببُ تقديمه في الدخول ؟! فقالوا : إنه كان له قميصٌ في دار الدنيا ، وكان للناس قميصان فأكثر ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٥٢) مالك بن دينار رضي الله عنه[3]

كان من أخوفِ التابعين من الله عز وجل حتىٰ كأنَّ النارَ لم تُخلق إلا له وحده .

وقالوا له مرة : لا نراك تلبسُ الصوفَ ؟! فقال : لا أرىٰ نفسي أهلاً له .

وكان إذا حدَّثَ بحديثٍ ومرَّتْ سحابةٌ يقطع الحديثَ ، ويتمعَّرُ وجهُهُ ، ويقول : اصبروا حتىٰ تمرَّ هـٰذه السحابة ؛ فإني أخشىٰ أن يكون فيها حجارةٌ يُرجمُ بها مالك .

وكان لا يخرجُ مع الناس للاستسقاء ، ويقول : أخاف أن يردَّهم اللهُ بلا قضاءِ حاجةٍ لأجلي .

---

(١) اختلف في تاريخ وفاته ، فقيل : ثلاث وعشرين ومئة ، وقيل : سنة سبع وعشرين ومئة ، وفي « ميزان الاعتدال » (١/ ٣٦٢) : (قال ابن علية : مات سنة سبع وعشرين ومئة) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٩) (٥٣) .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٠) (٥٥) .

وكان يقول : (الناسُ يستبطئون المطرَ ، ومالكٌ يستبطئ الحجر) .

وكان يقول لمن يُحدِّثهم : (والله ؛ لو رآني عمر بنُ الخطاب وأنا أُحدِّثكم لضربني بالدِّرَّةِ ، وأقامني ، وقال : مثلُكَ لا يصلحُ لإملاءِ الحديث) .

وكان كثيراً ما يُجالسُ الكلابَ على المزابل ، ويقول : (هم خيرٌ من قرناء السوء) .

وكان يقول : (لولا أني أَخشىٰ أن تكونَ بدعةً لأوصيتُ أني إذا أنا متُّ أنهم يغلّوني بالحديد ؛ لأُدفعَ إلىٰ ربي مغلولاً كما يُدفعُ العبدُ الآبق إلىٰ مولاه) .

وكان يقول : (أدركنا الصحابةَ وهم لا يعيبُ بعضُهم علىٰ بعضٍ في الملابس ، فكان صاحبُ الخزِّ لا يعيبُ علىٰ صاحب الصوف ، وصاحبُ الصوف لا يعيبُ علىٰ صاحب الخزِّ) .

وكان يقول : (قد اصطلحنا كلُّنا علىٰ حبِّ الدنيا ، فلا عالمٌ ولا صالح يعيبُ علىٰ أخيه حبَّهُ لها ، مع أنَّها رأسُ كلِّ خطيئة) .

وكان يقول : (إذا صحَّ الودُّ فلا تضرُّك غيبةُ أخيك إذا منعَهُ من لقائك شغلٌ أو حياء) .

وكان إدامُهُ طولَ سنته الملحَ ، فكان يُشترىٰ له الملحُ بدرهم ، فيأتدمُ به طول السنة.

وكان لا يأكل اللحمَ إلا من أضحيته ؛ لما ورد فيها[1] .

وكان يقول لعياله : (من وافقني منكم على التقلُّلِ من الدنيا فهو مني وأنا منه ، وإلا فالفراق) .

وكان يقول : (اللهم ؛ لا تُدخل بيتَ مالك شيئاً زائداً على القوت) .

وكان يتقوَّتُ من عمل الخوص ، وكتابةِ المصاحف .

وكان بيتُهُ خالياً من أمتعة الدنيا ، ليس فيه سوىٰ مصحفٌ ، وإبريق ، وحصير .

---

(١) قال تعالىٰ في سورة الحج (٢٨) : عن الأضحية : ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ ، وقال في الآية (٣٦) : ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ .

وكان يقول : (هلك أصحابُ الأثقال) .

وكان يقول : (لولا أنْ يقولَ الناس جُنَّ مالك بنُ دينار للبستُ المسوح ، ووضعت الرماد على رأسي كما يفعل أهلُ المصائب) .

وكان أكثرُ لباسه السوادَ ، ويقول : إنه شعارُ أهل المصائب في دنياهم ، وأنا أولىٰ به ؛ لأنَّ مُصيبتي في ديني ، وهي أعظمُ من جميع مصائب الدنيا .

وكان يقول : (إذا تعلَّمَ العبدُ العلم ليعملَ به كثُر علمُهُ ، وإذا تعلَّمه لغير العمل قلَّ علمُهُ ، وزاد فجورُهُ ، وتكبَّرَ به على العوام) .

وقال له الخليفة مرَّةً : ادعُ لي ، فقال : كيف أدعو لك وألفُ واحدٍ يدعون عليك .

توفي سنة إحدىٰ وثلاثين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٥٣) محمد بن المنكدر رضي الله عنه[١]

كان يقول : (كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامتْ علىٰ آثار السلف) .

وكان يقول : (لما تبتُ عن أكل الحرام والشُّبهات صرتُ آكل من حشيش الأرض ثلاثين سنة ، ثم نُوديتُ : الآن قد نقي بدنك من الشبهات) .

وكان يحجُّ بأطفاله كلَّ سنةٍ ، ويقول : نعرضُهم علىٰ ربِّهم في تلك المواقف ، فلعلَّ اللهَ ينظرُ إليهم برحمته .

وكان يقول : (إن المفتي يدخلُ بين الله وبين عباده ، فلينظرْ كيف يفعل) .

وكان يقول : (إني لأستحي من الله أن أرىٰ رحمتَهُ تعجزُ عن أحدٍ من العصاة ، ولولا النصُّ ورد في المشركين لما أخرجتهم[٢] ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦]) .

توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ثلاثين ومئة .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٢) (٥٦) .

(٢) أي لما أخرجتهم من رحمة الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٥٤) صفوان بن سليم رضي الله عنه[١]

كان يقومُ الليلَ حتىٰ تورَّمتْ قدماه .

وكان يتهجَّد في الشتاء فوق السطحِ حتىٰ لا يأخذَه النومُ ، ويتهجَّد في قعرِ البيت في الحرِّ حتىٰ لا يأخذه النوم .

وكان من أَزهد الناس في الدنيا وفي الشهرة .

دخل عليه يوماً سليمان بنُ عبد الملك وهو جالسٌ في المسجد ، فأعجبه سمتُهُ ، فأرسل إليه بألف دينار مع الغلام ، فقال للغلام : يا أخي ، أنت غلطت ، ارجع فاستثبت الخبرَ ، فلما خرجَ الغلام هربَ صفوان من المسجد ، فلم يظهرْ حتىٰ سافر سليمانُ من المدينة .

توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ومئة .

ومنهم :

(٥٥) الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه[٢]

هو ابنُ جعفر الصادق .

وكان يقول : (إذا تغيَّرَ صاحبُك عليك فاعلمْ أن ذلك من ذنبٍ أحدثته ، فتبْ إلى الله تعالىٰ من كلِّ ذنبٍ يستقمْ لك ودُّهُ) .

قلت : وروى الطبراني حديث : « ما تَوَادَّ اثنانِ فيُفرَّقُ بينَهما إلا بذنبٍ يُحدثُهُ أحدُهما »[٣] والله أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٣) (٥٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٣) (٥٨) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « مسنده » (٢/ ٦٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٢٣٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٤٠١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

وكان يلقَّب بالعبد الصالح ؛ لكثرةِ عبادته في الليل والنهار .

وكان إذا بلغه أنَّ أحداً يكرهُهُ ويستغيبه يُرسلُ إليه بمالٍ جزيل .

ولد رضي الله عنه بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومئة ، وأقدمه المهديُّ إلى العراق ، ثم ردَّه إلى المدينة ، فأقام بها إلىٰ أيام الرشيد ، فلما قدم الرشيدُ المدينة حمله معه إلىٰ بغداد ، وحبسه بها إلىٰ أن تُوفي بها مَسموماً سنة ثلاث وثمانين ومئة .

وقبره بها مشهور رضي الله عنه . والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٥٦) محمدُ بن كعب القُرظي رضي الله عنه[(١)]

كان يحثُّ أصحابَه علىٰ كثرة ذكر الله تعالىٰ ليلاً ونهاراً ، ويقول : (لو رُخِّص لأحدٍ في ترك الذكر لرُخِّصَ لزكريا عليه السلام حين نذر ألا يكلِّمَ الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ؛ فإنه تعالىٰ لم يرخِّصْ له في ترك ذكره ؛ بل قال له : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران : ٤١]) .

وقال له رجلٌ مرَّةً : أُريدُ أن أُعطي الله عز وجل عهداً وميثاقاً ألا أعصيَهُ أبداً ، فقال له : ومَنْ أَعظمُ الآن منك جرماً ، وأنت تتألَّىٰ على الله ألا يَنْفُذَ فيك قضاؤه وقدره ، إنما على العبد أن يتوبَ كلَّما أذنبَ .

وكان رضي الله عنه يقول : (يسيرُ الدنيا يشغلُ عن كثير الآخرة) .

وكان يقول : (لا تنزلُ الحكمةُ في قلبٍ فيه عزمٌ علىٰ معصية)[(٢)] .

وكان يقول : (إذا صحَّتِ الضمائرُ ، غُفرت الكبائر) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٤) (٥٩) .

(٢) في هامش (ج) : وإلىٰ هـٰذا يشير قول الإمام الشافعي رضي الله عنه : (من الوافر)

شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتىٰ لعاصي

توفي سنة سبع عشرة ومئة ، وكان يعظُ الناسَ في المسجد ، فسقط المسجدُ عليه ، فمات ، ومات أهلُ مجلسه كلُّهم .

ومنهم :

(٥٧) عبد الرحمـٰن بن هرمز الأعرج رضي الله عنه[١]

كان يقول : (إياكم ومحبَّةَ الإكثار من الإخوان ؛ فإنكم لا تقدرون على القيام بحقوقهم ، وربما يعجزُ الواحد منَّا عن القيام بِواجب حقِّ صاحبٍ واحد) .

وكان يقول : (كان بين قول فرعون : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص : ٣٨] وبين قوله : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] أربعون سنة) .

وكان يقول : (كم من مستورٍ في الدنيا يُكشفُ للناس أمرُهُ يومَ القيامة حين يُنادي المنادي : لينضمَّ كلُّ حزبٍ إلىٰ حزبه) .

وكان يُعاتب نفسه كثيراً ، ويقول لها : (يا مأوىٰ كلِّ شرٍّ ، ما أراك سلمتِ من خطيئةٍ واحدة ، وعن قريبٍ ينادي المنادي في القيامة : يا أهلَ خطيئةِ كذا ؛ قوموا ، فتقومينَ معهم قهراً عليك ، ثم ينادي : يا أهل خطيئة كذا ؛ قوموا ، فتقومين معهم ، وهـٰكذا حتىٰ تقومي مع أهل الخطايا كلهم ، فأراك يا أعيرج تقومُ مع كلِّ طائفةٍ) .

توفي سنة أربعين ومئة .

---

(١) كذا في النسخ ، وصاحب الترجمة لا يمت إلى الأخبار الواردة بصلة ، فالأخبار لسلمة بن دينار أبي حازم المتوفىٰ سنة (١٤٠هـ) والتي تقدَّمت ترجمته قبل في « الطبقات الكبرىٰ » (١٨٦/١ ، ١٩٤) (٤٨) ، ولا أدري من أين تسرَّب الخطأ ؟ ففي « الطبقات الكبرىٰ » لا توجد ترجمة لعبد الرحمـٰن بن هرمز الأعرج ، وإنما الأخبار الواردة ملصقة بترجمة محمد بن كعب خطأ ، وهنا صرَّح بالاسم ، وقد مشىٰ علىٰ هـٰذا الخطأ المناوي في « طبقاته الصغرىٰ » (ص ٤١١) إذ نقل منه دون أن يتأكد ، أما عبد الرحمـٰن بن هرمز الأعرج فهو الإمام الحجة الحافظ المقرئ المدني الأعرج مولىٰ محمد بن ربيعة ، سافر آخر عمره إلىٰ مصر ، ومات مرابطاً بالإسكندرية سنة (١١٧هـ) . انظر « سير أعلام النبلاء » (٦٩/٥) .

ومنهم :

(٥٨) عُبيد بن عُمير رضي الله عنه[١]

كان يقول : (من علامة كمال الإيمان : أن يُسبغَ العبدُ الوضوءَ على المكاره والبرد ، وأن يخلو بالمرأةِ الحسناء فلا يخطرُ بباله جِماعُها) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ ما المجتهدُ فيكم إلا كاللاعب فيمن مضىٰ) .

قلت : ومما يقعُ لي كثيراً : أنني ما استكثرت عملي في عيني يوماً من الأيام إلا ورأيتُ تلك الليلة أني ألعب مع المحبظين ؛ تنبيهاً من الله تعالىٰ علىٰ كثرةِ جهلي ، والله أعلم .

وكان يقول : (ما بقي للمؤمن في الدنيا سرورٌ إلا لزومَ بيته إلىٰ أن يموت ؛ فإنَّ رؤية الناس الآن تورثُ الغمَّ) .

وكان يقول : (طوبىٰ لمن لا يَشتهي الخطايا بقلبه) .

وكان يقول : (من علامة الإخلاص : عدمُ طلب محمدةِ الناس ، ومحبَّةُ ذمِّهم له) .

وكان يقول : (**حقُّ الضيف عليك ثلاثٌ** : ألا تطعمَه إلا من حلال ، ولا تتكلَّف له ، وأن تحفظَ عليه أوقات الصلاة بإعانته علىٰ طهوره) .

وكان يقول : (**علامةُ المتقلِّلِ من الدنيا** : ألا يأخذَ منها شيئاً ، إلا إنْ كان بحيثُ لو لم يأخذه لأثم) .

ومنهم :

(٥٩) مجاهد بن جبر رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (إني لأرى الرجلَ علىٰ معصيةِ الله تعالىٰ ، فأرجو له المغفرةَ أكثرَ من رجائي المغفرة في طاعاتي ، وربما استحييتُ أن أقولَ له : إني رأيتُك علىٰ كذا) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٥) (٦٠) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٦) (٦١) .

وكان يقول : (إذا نظرنا إلىٰ عظمةِ من عصيناه كانتِ الصغائرُ كبائرَ) .

وكان يقول : (لا يكون الرجلُ من الذاكرين كثيراً حتىٰ يذكرَ الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً) .

وكان يقول : (إن النَّملةَ التي كلَّمتْ سليمانَ كانت كالذئب العظيم) .

وكان يقول : (ليس أحدٌ إلا ويُؤخذُ من كلامه ويُتركُ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وكان يقول : (يؤمرُ يومَ القيامة بعبدٍ إلى النار ، فيصيرُ يلتفتُ وراءه ، فيقول الله عز وجل له وهو أعلم : لِمَ تلتفتْ وراءك ؟ فيقول : واللهِ يا ربِّ ؛ ما كان هـٰذا ظنِّي فيك ، وأنت تعلمُ ، فيقول اللهُ عز وجل : « فما كان ظنُّك بي ؟ » فيقول : أن تغفرَ لي ، فيقول الله عز وجل : « خلُّوا سبيله ، أنا عند ظنِّ عبدي بي »[١] .

وكان يقول : (ليكنْ آخرُ كلامِ أحدكم عند منامه : « لا إلـٰه إلا الله » ؛ فإنها وفاةٌ لا يدري لعلَّها تكونُ منيته) .

توفي رضي الله عنه وهو ساجدٌ سنة اثنتين ومئة ، وله ثلاثٌ وثمانون سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٠) عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه[٢]

كان إذا حدَّثهُ شخصٌ بحديثٍ وهو يعلمه أصغىٰ إليه إصغاءَ مَنْ لم يسمعْهُ قطُّ ؛ كي لا يُخجلَ من يحدِّثُهُ .

وكان يقرأ في كلِّ قيامٍ من صلاة الليل المئتي آية وأكثر .

وكان لا يأذنُ لأحدٍ استأذن على الدخول عليه حتىٰ يقولَ له : بأيِّ نيَّةٍ جئت ؟ فإذا

---

(١) أخرجه أحمد في « الزهد » (٢٢٢١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٩٢) عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٧) (٦٢) .

قل له : جئتُ لزيارتك يقول له : ليس مثلي يُزار ، ثم يقول : لقد خبثَ زمانٌ يُزار مثلي فيه .

وكان يقول : (من جلسَ مجلسَ ذكرٍ كفَّر الله عنه بذلك المجلس عشرةَ مجالس من مجالس اللغو الباطل) .

وكان عطاءٌ مولىً لأبي مَيْسَرةَ الفِهري ، ونشأ بمكَّة ، وكان من أعلمِ أهل زمانه بالتفسير .

وكان أحمد بنُ حنبل رضي الله عنه يقول : (خزائنُ العلم لا يقسمُها اللهُ إلا علىٰ من أحبَّ ، ولو كان يَخصُّ بالعلم أحداً لخصَّ به أهلَ النسب ؛ فإنَّ عطاءً كان عبداً حبشيّاً ، وكان يزيد بنُ أبي حبيب نُوبيّاً ، وكان الحسنُ البصري مولىً ، وكان عكرمةُ مولىً ، وكان ابنُ سيرين مولىً للأنصار ، وكان مكحولُ مولىً ، وكان طاووس مولىً ، وكان النَّخعيُّ مولىً ، وكان ميمون بن مهران مولىً ، وكان الضحَّاكُ بنُ مزاحم مولىً كما قاله الزهري وغيره ، فهٰؤلاء علماءُ الإسلام ، وكلُّهم كانوا موالي) .

وكان عطاءٌ يُعلِّم العلمَ للأكابر والأصاغر ، وجلس عندهْ سليمان بنُ عبد الملك حين حجَّ حتىٰ يُعلِّمَهُ المناسك ، ثم التفت سليمانُ إلىٰ أولاده وقال : تعلَّموا العلم ، وانظروا إلىٰ ذُلِّي بين يدي هٰذا العبد الأسود حتىٰ يُعلِّمني أمرَ ديني .

حجَّ عطاءٌ رضي الله عنه سبعين حجَّةً ، وعاش مئة سنة ، **وتوفي بمكة سنة خمسة عشر ومئة .**

ومنهم :

(٦١) عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه[١]

كان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء : ١٧] قال : (الدنيا كلُّها قريبٌ ، وكلُّها جهالةٌ) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٨) (٦٣) .

وكان يقول : (من قرأ سورة « يسٓ » في يومٍ لم يزلْ في سرورٍ ذلك اليوم حتىٰ يُمسي) .

وكان يقول : (سعةُ الشمس سعةُ الأرض وزيادة ثلاث مرات ، وسعةُ القمر سعةُ الأرض مرة) .

وكان قد جزَّأ الليلَ ثلاثة أجزاء : ثلثاً ينام ، وثلثاً يحدِّث ، وثلثاً يصلي ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٢) طاووس بن كيسان اليماني رضي الله عنه[١]

كان من أكثر الناس سياسةً حتىٰ كان يقول : (كان يُقال : « قمْ للقرد في دولته ») .

وكان يقول : (تعلَّمِ العلم لنفسك ، ولا تتعلمْهُ للناس ؛ فإنَّ الناسَ قد ذهب منهم العملُ بالعلم) .

وكان يقول : (أفضلُ العبادة أخفُّها) .

وكان يقول : (لو وزن خوفُ المؤمن ورجاؤه لاعتدلا) .

وكان من أعبد التابعين ، حجَّ رضي الله عنه أربعين حجَّةً ، وكان من أخوفِ الناس من الله عز وجل ، وكان إذا رأى النار يكادُ عقلُهُ يطيش .

ورأىٰ مرَّةً روَّاساً يُخرجُ رأساً من التنُّور ، فخرَّ مغشيّاً عليه .

وكان كثيرَ الورع ، حتىٰ كان لا يسقي دابَّتَهُ من بئرٍ حفرها أحدٌ من الولاة .

صلَّى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة .

وكان قوَّالاً بالحقِّ للولاة وغيرهم ، لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/١٩٨) (٦٤) .

ومنهم :

(٦٣) وهب بن منبِّه رضي الله عنه[١]

كان يقولُ : (رأيت في **التوراة** : من علامةِ الرَّجل الناصح : أن يخاصِمَهُ قومُهُ وجيرانه ؛ لكثرة ما يَنصحُهم) .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم ورقٌ لا شوكَ فيه ، فصرتم اليوم شوكاً لا ورق فيه ؛ إن ترككم إنسانٌ تبعتموه وآذيتموه) .

وكان يكره الشعر ، ويقول : إني أكرهُ أن يوجدَ في صحيفتي يومَ القيامة شعرٌ .

وكان يكرهُ القياس في الدين ، ويقول : (أخافُ على العالم أن يقيسَ ، فتزلَّ قدمُهُ بعد ثبوتها) .

وكان يقول : (إذا قرأ الشريفُ العلمَ تَواضعَ ، وإذا قرأه الوضيع تكبَّر) .

وكان يقول : (من لم يسمح لعدوِّه بالمال احتاجَ إلىٰ قتاله) .

وكان يقول : (عليكم بالاكتساب بالبيع والشراء ؛ فإنه ما افتقر أحدٌ إلا رقَّ دينُهُ ، وقلَّ عملُهُ ، وذهبتْ مروءتُهُ ، واستخفَّ به الناس) .

وكان يقول : (البلاءُ للمؤمن كالشِّكالِ للدابة)[٢] .

وكان يقول : (إنَّ للعلم طغياناً كطغيان المال) .

وكان يقول : (اتخذوا عند الفقراء يداً ؛ فإنَّ لهم دولةً يوم القيامة) .

وكان يقول : (خُلق ابنُ آدم أحمقَ ، ولولا حمقُه ما هنأه العيش) .

وقال له رجلٌ يوماً : إني رأيتُ فلاناً يشتمك ، فقال : أما وجدَ إبليسُ رسولاً يرسله

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٩) (٦٥) .

(٢) **الشِّكال** : العقال والقيد ؛ أي : الحبل الذي يشد قوائم الدواب ، ويقال : بالفرس شكال إذا كان تحجيله في يدٍ ورجلٍ من خلاف .

لي غيرك ؟! ثم غضب على الرجل ، وخرج إلىٰ دار الشاتم فقبَّل رأسَهُ ، وقال : أنت في مسامحةٍ مني فيما قلتَ .

وكان يقول : (قرأتُ نيفاً وتسعين كتاباً من كتب اللهِ عز وجل ، فوجدت فيها كلِّها : « إنَّ من وكَّلَ إلىٰ نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر ، ورأيتُ فيها : إنَّ الله تعالىٰ يقول : يا بنَ آدم ؛ ما قمتَ لي بما يجبُ لي عليك ، أذكرُكَ وتنساني ، وأدعوك وتفرُّ مني ، خيري إليك نازلٌ ، وشرُّك إلي صاعد ») .

وكان يقول : (قد أصبحَ علماؤنا يبذلون علمَهم لأهل الدنيا لينالوها منهم ، فهانوا في أعينهم ، وزهدوا في علمهم) .

وكان يقول : (من كانت بطنه وادياً من الأودية فكيف يصحُّ له زهدٌ في الدنيا ؟!) .

وكان يقول : (قال موسىٰ عليه السلام : يا ربِّ ؛ احبسْ عنِّي كلامَ الناس ، فقال الله عز وجل : لو فعلتُ ذلك لأحدٍ لجعلته لنفسي ؛ فإنهم جعلوا لي زوجةً وولداً ، وقالوا : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤]) .

وكان يقول : (أوحى الله إلىٰ داود عليه السلام : أنَّ أسرعَ الناس مروراً على الصراط الذين يَرضون بحكمي ، وألسنتُهم رطبةٌ من ذكري) .

وكان يقول : (من أعظم الذنوب بعد الشِّركِ بالله السخريةُ بالناس) .

وكان يقول : (إذا صام الإنسانُ زاغَ بصرُهُ ، فإذا أفطرَ علىٰ حلاوةٍ عاد بصره) .

وكان يقول : (من تعبَّدَ ازدادَ قوةً ، ومن كسل ازداد وهناً وضعفاً) .

وكان يقول : (قال : عيسىٰ عليه السلام للحواريين : بحقٍّ أقولُ لكم : إنَّ أكلَ خبز الشعير ، ولبسَ المسوح ، والنومَ على المزابل لكثيرٌ علىٰ من يموت) .

وكان يقول : (الإيمانُ عُريان ، وثوبه التقوىٰ ، وزينتُهُ الحياءُ) .

صلىٰ رضي الله عنه الصبحَ بوضوء العشاء عشرين سنة .

وتوفي بصنعاء سنة أربع عشرة ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٦٤) ميمون بن مهران رضي الله عنه[١]

كاتبُ عمرَ بنِ عبد العزيز .

كان يقول : (كراهةُ الرجل للمعصية أثقلُ في ميزانه يومَ القيامة من كثرة الطاعات مع الميل إلى المعاصي) .

وكان يحثُّ أصحابه على الكسبِ ويقول لهم : (حصِّلوا قوتكم ، ثم أغلقوا عليكم بيوتكم) .

وقالوا له مرةً : إن ها هنا أقواماً يقولون : نجلسُ في بيوتنا حتىٰ يأتينا رزقُنا ، فقال : هٰؤلاء قومٌ حمقىٰ ، هٰذا لا يصحُّ إلا لمن كان له يقينٌ كيقين إبراهيم الخليل .

وكان يقول : (**أولو العزمِ من الرسل هم** : نوحٌ ، وإبراهيم ، وموسىٰ وعيسىٰ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم) .

وكان يقول : (يا قرَّاءَ القرآن ؛ لا تتخذوا القرآنَ بضاعةً تحترفون بها ، اطلبوا الدنيا بالدنيا ، واطلبوا الآخرة بأعمالها) .

وكان يقول لأصحابه : (قولوا لي ما أكرهُ في وجهي ؛ فإن الرجلَ لا ينصحُ أخاه حتىٰ يقولَ له في وجهه ما يكره) .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ إذا رأوا شخصاً راكباً وأحدٌ يجري خلفه يقولون له : قاتلك الله من جبَّار) .

وكان يقول : (إذا تأكَّدَتِ المودَّةُ بين الأخوين فلا بأسَ ببعد الزمن في زيارتهما) .

وصبَّتْ جاريتُهُ مرةً عليه مرقاً حارّاً ، فأحرقَتْ رأسَه ، فارتعدتْ ، فقال : لا بأس عليك ، أنت حرَّةٌ لوجه الله عز وجل ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٠١) (٦٦) .

ومنهم :

(٦٥) أبو وائل شقيق بن سَلَمة رضي الله عنه[١]

كان من أخوفِ الناس من الله عز وجل ، وأكثرِهم تعظيماً للمساجد .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إني لأستحيي من الله عز وجل أن أطوفَ حولَ بيته بقدمي ، وقد مشتْ إلىٰ غيرِ مرضاته فيما مضىٰ من الزمان) .

وكان لا يتجرَّأُ يدخلُ الحِجْرَ فضلاً عن البيت .

وسمع مرَّةً رجلاً يقول : فلانٌ متَّقٍ ، فقال له : ويحك ، وهل رأيتَ متَّقياً قطُّ ، إنَّ المتَّقي من إذا سمعَ بذكر النار ذهبتْ روحُه .

وكان إذا صلَّىٰ بالليل يسمعُ جيرانُهُ تسبيحَهُ .

وكان إذا سمعَ بذكر اسم الله ينهضُ قائماً ، ويرعد كالطير المذبوح .

وكان يقول : (أستحي من الله أن أخافَ شيئاً دونه) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إنَّ قوماً يجدون في هـٰذا الزمان رغيفاً من حلالٍ يضعونه علىٰ مائدتهم لَغرباءُ في هـٰذا الزمان) .

وكان يقول : (ما دام الرجلُ يعلمُ أنَّ الله تعالىٰ يراه فهو في ذكرٍ ، وإن كان في السوق) .

وكان يقول : (كم بينكم وبين القوم ! أقبلتْ عليهم الدنيا فهربوا منها ، وأدبرتْ عنكم فاتَّبعتموها) .

ومنهم :

(٦٦) إبراهيم التيمي رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (كفىٰ من العلم الخشية ، وكفىٰ من الجهل أن يُعجبَ الرجلُ بعمله) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٠٢) (٦٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٠٣) (٦٨) .

وكان يقول : (حملتنا المطامعُ علىٰ أسوءِ الصنائع) .

وكان يكره الشهرةَ ، ويحبُّ الخمول .

وقالوا له مرة : ألا تتكلمُ على الناس فتؤجر ؟! فقال : أما يرضى المتكلِّمُ أن ينجوَ كفافاً ؟!

وكان الأعمشُ يقول : قلت لإبراهيم التيمي : بلغني أنك تمكثُ شهراً لا تأكلُ شيئاً ، فقال : نعم وشهرين ، وما أكلتُ منذ أربعين يوماً إلا حبةَ عنبٍ ، ناولنيها أهلي ، فأكلتها ثم لفظتها في الحال .

وكان يقول : (إذا رأيتم الرجلَ يتهاونُ في التكبيرة الأولىٰ مع الإمام حتىٰ يفوته بعضُها . . فاغسلوا أيديكم منه) .

توفي رضي الله عنه في حبس الحجاج سنة اثنتين وتسعين .

وكان سببُ حبسه : أن الحجَّاج طلب إبراهيم النخعيَّ ، فجاء الرسول فقال : أخرجوا إبراهيم ، فأخرجوا إبراهيمَ التيمي ، فلما وصلَ إلى الحجَّاج أمرَ بحبسه في الدِّيماس[1] ، ولم يكن له ظلٌّ من الشمس ، ولا كنٌّ من البرد ، وكان كلُّ اثنين في سلسلةٍ ، فتغيَّرَ إبراهيمُ ، وضنيَ جسدُهُ حتىٰ مات ، فرأى الحجَّاجُ في منامه قائلاً يقول : مات الليلةَ في حبسك رجلٌ من أهل الجنة ، فقال : انظروا من ماتَ ، فوجدوا إبراهيمَ ، فقال : حلمٌ من الشيطان ، فأَمَرَ به فأُلقيَ على المزبلةِ ، فاللهُ يقابله بما يستحق إن شاء الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٦٧) إبراهيم بن يزيد النَّخَعي رضي الله عنه[2]

كان يقول : (أدركنا الناسَ وهم إذا اجتمعوا يخافون من أن يُحدِّثَ الرجلُ بأحسن ما عنده) .

---

(١) **الدِّيماس** : سجن للحجاج بمدينة واسط . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٥٤٤) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٠٤) (٦٩) .

وكان يقول : (لا بأس أن يقولَ المريضُ إذا سُئل : كيف نجدُك ؟ أن يقولَ : بخيرٍ ، ثم يشكو لأخيه ما به ، ليسألَ اللهَ له العافية) .

وكان يقول : (ما أُوتي أحدٌ بعد الإيمان أفضلَ من الصبر على الأذىٰ) .

وكان يُخفي أعمالَه الصالحةَ خوفَ الشُّهرة ، حتىٰ إنه كان لا يجلسُ قطُّ إلىٰ أُسطُوانة .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم يَهابون أن يُفسِّروا القرآن ، والآن قد صار كلُّ من أراد تفسيره جلس له) .

وكان يقول : (وددتُ أني لم أكن تكلَّمتُ بعلمٍ ، وإِنَّ زماناً صرتُ فيه فقيهاً لزمانُ سوء) .

وكان يقول: (لا بأس أن تبشَّ للنصرانيِّ إذا كان لك إليه حاجةٌ ، أو بينكما معروفٌ).

وفي روايةٍ عنه : (لا بأس أن تُسلِّمَ على النصراني) .

قلت : ويجبُ تأويلُهُ علىٰ قوله : كيف حالك ؟ لا علىٰ قوله : السلام عليك ؛ لأنه لا يجوز ، ويُحتملُ أنَّ مرادَه ما إذا تعارضتْ عندنا مفسدةُ عدمِ السلامِ ومصلحةُ السلامِ ؛ فإنه يفعلُ أخفَّها مفسدةً ، والله أعلم .

وكان يقول : (إنَّ الرجلَ ليتكلَّمُ بالكلمة من العلم ليصرفَ بها وجوه الناس إليه ، يهوي بها في جهنمَ سبعين خريفاً ، فكيف حالُ من كانت نيَّتُهُ كذلك من أول جلوسه إلىٰ أن يفرغ ؟!) .

وكان إذا استعار دابةً ليركَبَها إلىٰ موضعٍ ، فوقع سَوْطُهُ يميناً أو شمالاً يُوقفها وينزلُ ، فيأخذه ويقول : إنما ركبناها لنذهبَ بها إلىٰ كذا لا إلىٰ كذا .

وكان يقول : (كفىٰ بالمرء إثماً أن يُشار إليه بالأصابع في دِيْنٍ أو دنيا ، إلا من حفظَ الله تعالىٰ) .

وكان يلبسُ الثيابَ المصبوغة بالزعفران أو العُصفرِ حتىٰ لا يعرفَهُ من يراه أهو من القرّاء أم من الفتيان .

توفي سنة خمس وتسعين ، رضي الله عنه[١] .

ومنهم :

(٦٨) عون بن عبد الله بن عُتبة رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (إن لكلِّ شخصٍ سيِّداً من عمله ، وإنَّ سيدَ الأعمالِ كلِّها ذكرُ الله عز وجل) .

وكان يقول : (كفىٰ بك كبراً أن ترىٰ نفسك علىٰ من دونك) .

وكان يقول : (إياكم والكبرَ ؛ فإنَّه أولُ ذنبٍ عُصي اللهُ به) .

وخرج أصحابُهُ يوماً ، فرأوه نائماً في الحرِّ والغمامةُ تظلُّه ، فلما استيقظَ أخذ عليهم العهدَ ألا يذكروا ذلك في حياته لأحدٍ .

وكان يقول : (إذا لم تقدرْ على الفرارِ من أرضِ المنكر فاعتزلْ أهلها) .

وكان يقول : (مجالسُ الذكر صقالٌ للقلوب ، وشفاءٌ لها من الأمراض) .

وكان يلبسُ أحياناً الخزَّ ، وأحياناً الصوفَ ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألبس الخزَّ لئلا يستحي ذو الهيئة أن يجلسَ إليَّ ، وألبس الصوفَ لئلا يهابني المساكينُ أن يجلسوا إليَّ .

وكان يقول : (من اتَّهم نفسَه بالنفاق فليس عنده نفاق) .

وكان من أحلمِ الناسِ عند القدرة .

وكان إذا خالفَهُ غلامُهُ يقول له : (ما أشبهك بمولاك مع ربِّه عز وجل) .

وكان يقول : (**من تمامِ التقوىٰ** : ألا يشبع العبدُ من العلم ؛ لأن طلب العلم

---

(١) وذكر الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٢٧) : أنه توفي سنة ست وتسعين .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٠٦) (٧٠) .

محمودٌ إذا صلحتِ النية فيه ، عَمِلَ به أو لم يعمل ، وإنَّما كَره قومٌ زيادةَ العلم لكونهم لم ينتفعوا به) .

وكان يقول : (من ضبطَ ما يدخلُ بطنه فقد ضبطَ الأخلاقَ الصالحة) أي : لأنها تنشأُ من اللقمة ، كما أنَّ من لم يضبطْ ما يدخلُ جوفه ضبطَ الأخلاق السيئة كلَّها .

ومنهم :

(٦٩) سعيد بن جُبير رضي الله عنه[١]

كان أكثرُ أوقاته بكَّاءً على تفريطه في جنب الله ، حتى عمشتْ عيناه ، ويقول : (من بكى هنا فرحَ هناك) .

وكان كثيراً ما يختم القرآنَ في ركعةٍ في جوف الكعبة .

وكان يقول : (كلُّ موجبةٍ فهي كبيرة) .

وكان يقول : (بلغتُ من حقارة نفسي ألا أراها أهلاً أن تنهى أحداً عن فعلٍ رديء) ؛ أي : كان ينهى الناسَ ، ولا يرى نفسَه أهلاً لذلك .

وكان له ديكٌ يقوم يتهجَّدُ على صياحه كلَّ ليلةٍ ، فلم يصحِ الديكُ ليلةً ، فنام سعيدٌ عن ورده ، فدعا على الديك ، فمات لوقته ، فعزم ألا يدعو بعد ذلك على أحدٍ .

وكان يقول : (من علامة الإجابة حلاوةُ الدعاء) .

ولما أخذه الحجَّاجُ قال : ما أُراني إلا مقتولاً ، فكان كذلك .

ودخلتْ عليه ابنتُهُ ، فرأت القيدَ في رجله ، فبكتْ ، ثم إنه دُعي ليُقتل ، فصاحت ، فقال : يا بُنية ؛ ما بقاءُ أبيك بعد سبعٍ وخمسين سنة ؟!

ولما قطع الحجَّاجُ رأسَهُ صاحتِ الرأسُ : (لا إلـه إلا الله) مرتين ، ثم قالتِ الثالثة فلم تُتمَّها .

ولما وعده بالقتل بكرةَ النهار قال للحرس : دعوني أتأهَّبْ للموت ، وآتيكم غداً ،

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرى » (١/٢٠٧) (٧١) .

فتنازعوا في ذلك خوفَ الهرب ، ثم إنه غلبَ عليهم اعتقادُ صدقه ، فأطلقوه ، ثم جاءهم من الغد ، فقدَّموه للقتل ، ثم بُسط النِّطعُ ، وجاء السيَّافُ ، فذبحه على النِّطع ، وكان قد قال : اللهم ؛ لا تُسلِّطِ الحجَّاجَ علىٰ أحدٍ بعدي ، فعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ، ووقعتِ الأَكَلَةُ في بطنه ، فكان يُنادي بقيَّةَ حياته : ما لي ولسعيد بن جبير ، كلما أردتُ النوم أخذوا برجلي فجرُّوني .

قُتل رضي الله عنه سنة خمسٍ وتسعين .

وكان كثيراً ما يقول لأصحابه : (من أطاعَ الله تعالىٰ فهو ذاكرٌ ، ومن عصاه فهو غافل ، وإن أَكْثَرَ التسبيحَ وتلاوةَ القرآن) .

وقيل له مرة : مَنْ أَعبدُ الناس ؟ فقال : رجلٌ وقع في الذنوب كثيراً ، ثم تابَ منها ، فكلما تذكَّرَ ذنوبَهُ احتقرَ عملَه .

وكان إذا طلع الفجرُ لا يتكلَّمُ بغير ذكر الله تعالىٰ حتىٰ تطلع الشمس ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٧٠) عامر الشعبي رضي الله عنه(١)

كان من أكثر الناس إجلالاً لله عز وجل ، وكان إذا سمع أحداً يَستغيبُهُ يقول : قد سامحتُكَ لمن أنتَ عبدُهُ ، ثم يُنشد(٢) : [من الطويل]

هنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ   لعزَّةَ من أعراضِنا ما استحلَّتِ

وكان يقول : (إياكم والقياسَ في الدين ؛ خوفَ الزيادة فيه) .

وكان يقول : (لأن أقيم في حمامٍ أحبُّ إليَّ من أن أُقيمَ بمكة) ، قال سفيان : (إعظاماً لها ، وخوفاً من وقوع ذنبٍ فيها) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٢٠٨) (٧٢) .

(٢) البيت لكثير عزة . انظر « ديوانه » (ص ١٠٠) .

وكان يقول : (اتَّقوا الفاجرَ من القرَّاء ، والعابدَ الجاهل ؛ فإنهما فتنةٌ لكلِّ مفتون) .

وكان يقول : (لم يحضرْ وقعةَ الجمل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أربعةٌ : عليٌّ ، وعمار ، وطلحة ، والزبير ، فإن جاؤوا بخامسٍ فأنا كاذب)[١] .

ووصفوه مرةً بالفقه والعلم ، فقال : (لستُ بفقيهٍ ولا عالم ؛ إنَّما نحن قومٌ سمعنا حديثاً ، فنحن نحدِّثُكم بما سمعنا ، وإنما الفقيهُ من تورَّعَ عن محارم الله ، والعالِمُ من يخشى اللهَ بالغيب) .

وكان يقول : (تعايشَ الناسُ بالدِّين طويلاً حتىٰ ذهبَ الدِّين ، ثم تعايشوا بالمروءة طويلاً حتىٰ ذهبتِ المروءة ، ثم تعايشوا بالحياءِ طويلاً حتىٰ ذهب الحياء ، ثم تعايشوا الآن بالرغبة والرهبة ، وسيأتي بعد ذلك ما هو أشدُّ منه) .

وكان يقول : (ليتني لم أتعلَّمْ علماً ، وخرجتُ من الدنيا كفافاً لا عليَّ ولا لي) .

وكان يقول : (ما بكينا قطُّ من زمانٍ إلا وبكينا عليه) .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم لا يُعلِّمون العلمَ إلا لعاقلٍ ناسك ، وقد صاروا اليوم يُعلِّمونه لمن لا عقلَ له ولا نسك) .

توفي رضي الله عنه بالكوفة سنة أربعٍ ومئة ـ وهي السنةُ التي ولد فيها الإمامُ الشافعي[٢] ـ عن سبعٍ وتسعين سنة .

ومنهم :

(٧١) ماهان بن قيس رضي الله عنه[٣]

كان لا يفترُ عن ذكر اللهِ عز وجل ، ويقول : (أما يستحي العبدُ أن تكونَ دابتُهُ أكثرَ ذكراً لله منه) .

---

(١) ولعل مراده الرعيل الأول من الصحابة ، وكانت وقعت الجمل سنة (٣٦) للهجرة .

(٢) المعروف كما في كتب التراجم أن الشافعي ولد سنة خمسين ومئة ، وتوفي سنة أربع ومئتين .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٠٩) (٧٣) .

ولمَّا صلبَهُ الحجَّاجُ على بابه كان يذكر اللهَ على الخشبة ، فيهلِّلُ ، ويسبِّحُ ، ويكبِّرُ ، ويعقد بأصابعه حتى بلغ تسعاً وعشرين ، ثم طعنوه على تلك الحالة ، فمات ، ومكثَ شهراً مصلوباً .

وسئل مرةً عن أعمال الصحابة ، فقال : كانت قليلةً ؛ ولكنَّ قلوبَهم سليمةٌ ، وأنتم أعمالُكم كثيرة ، وقلوبُكم غيرُ سليمة .

ومنهم :

(٧٢) رِبعي بن حِراش رضي الله عنه[1]

كان من أعبدِ الناس ، وأكثرِهم مجاهدةً .

وكان يقول : (لا تعوِّدوا نفوسَكم الراحة في الدنيا ، فتُسبقَوا غداً يومَ القيامة) .

وكان يقول : (إنِ استطعتَ ألا تُعرفَ في هٰذا الزمان فافعلْ ؛ فإن الدنيا فسدتْ ، وما بقي للعبد إلا العزلةُ عن الكبير والصغير ، إلا في مواضع الاجتماع المشروع) .

وكان يقول : (من فائدةِ الجوع : أن يُميتَ الهوىٰ ، ويُصفِّي الفؤاد ، ويُورث فهم دقائق العلوم) .

وكان يقول : (من أكلَ حلوى الأمراء مالَ إلىٰ هواهم) .

وكان يقول : (من قلَّد غيرَه استراح من ورطة الجدال) .

وكان يقول : (من شبعَ من الحلال يُوشكُ أن يشبعَ من الحرام) .

وكان أكثرُ صومِهِ رضي الله عنه في أيام الصيف .

وكان قد آلىٰ علىٰ نفسِهِ : أنه لا يضحكُ قطُّ حتىٰ يعلمَ أين مصيرُهُ : إلى الجنة أم إلى النار ، فضحكَ علىٰ مُغتسله ، وقال : قدمتُ علىٰ ربٍّ كريم .

وكان يُنفق مالَه كلَّه علىٰ أصحابه ، ويضيِّقُ علىٰ نفسه ، ويقول : إنْ لم ينفقِ السُّلطان علىٰ عسكره عُصِي أمرُهُ ، وربما قاتله ، والإحسان إلى الأصحاب يقيِّدُهم على

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٠) (٧٤) .

الطاعة ، فلما نفدَ مالُهُ كلُّه دخلوا عليه ، فوجدوه يعجنُ عجينَهُ في جفنةٍ ودموعُهُ تسيل ، فقيل له في ذلك ، فقال : لمَّا قلَّ مالي جفاني أصحابي .

توفي رضي الله عنه سنة أربعٍ ومئة .

ومنهم :

(٧٣) طلحة بن مُصَرِّف رضي الله عنه[١]

كان يقول : (استعينوا على الشيطان بالله عز وجل ؛ فإنه ربَّما جلبَ على الإنسان بمثل ربيعةَ ومضرَ حتىٰ يُوقعَهُ فيما سُلِّطَ به عليه)[٢] .

وكان من أعظمِ الناس ورعاً وزهداً .

ودخلتْ جاريةٌ مرةً داره تطلبُ ناراً ، فقالت لها امرأته : اصبري حتىٰ نشوي لطلحة قديدَهُ ، فصبرتِ الجاريةُ لها ، فلم يأكلْ من ذلك القديد ، وقال : حتَّىٰ تُرسلي لسيِّدِها يُسامحنا في تعويق جاريته عندنا لأجلي .

وشوتْ له امرأتُهُ مرَّةً لحماً علىٰ سيخ حديد كان عندها للناس ، فلم يأكلْ من ذلك الشويِّ .

وكانوا إذا رفعوه فوق أحدٍ من علماء زمانه يذهبُ إلىٰ ذلك العالِمِ ، ويجلسُ بين يديه ، ويقرأ عليه ؛ ليدفعَ ما توهَّمَهُ الناسُ فيه من أنه أعلمُ منه .

وكانوا إذا ذكروا عنده الاختلافَ ينهاهم ، ويقول : لا تقولوا : الاختلاف ، وقولوا : السَّعَةُ على المسلمين .

وكان يقول : (لقد أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لاحترقتْ أكبادُكم ، وقد كنا نرىٰ أنفسَنا في جنبهم لصوصاً ، ونرىٰ كثرةَ أعمالنا لعباً) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١١) (٧٥) .

(٢) جلب علىٰ فرسه : أي : صاح به من خلفه واستحثَّهُ ، قال ابن عاشور في تفسير ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ ﴾ [الإسراء : ٦٤] (١٥/ ١٥٣) : (وهو تمثيل لحال صرف قوته ومقدرته على الإضلال بحال قائد الجيش يجمع فرسانه ورجالته) .

وكان يقول : (العتابُ مفتاح التقالي[١] ، فقلَّ ما عاتبَ أحدٌ أخاه علىٰ أمرٍ إلا وقلاه بعد ذلك ، فالتجاوزُ عن زلات الإخوان واجبٌ) .

وكان يقول : (إنْ خافَ الإنسانُ حصولَ حقدٍ من تركِ العتاب . . فالعتابُ أولىٰ) .

وكان يقول : (أكرموا سفهاءكم ؛ فإنهم يكفونكم العارَ والنار) .

وكان يقول : (إذا اعتذرَ إليك أخوك فتلقَّه بوجهٍ طلقٍ ، إلا أن تكونَ مأموراً بهجره) .

توفي رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة ومئة .

ومنهم :

(٧٤) زُبَيْد اليامي رضي الله عنه[٢]

كان ورعاً زاهداً ، ذا هيبةٍ ، يَراه الرجلُ فيرجُفُ فؤادُه من هيبته .

وكان يقسمُ الليلَ أثلاثاً ؛ ثلثٌ عليه ، والثلثان علىٰ أخويه[٣] ، فكان يقومُ ثُلثَهُ ، ثم يجيءُ إلىٰ أخيه ، فربما يركُضُهُ برجله ، فيجده كسلاً ، فيقول له : نم ، أنا أقومُ عنك ، ثم يأتي لأخيه الآخر ، فيفعلُ معه كذلك إذا رآه كَسِلاً ، فكان يقوم الليلَ كلَّهُ .

توفي سنة اثنين وعشرين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٧٥) منصور بن المعتمر رضي الله عنه[٤]

كان إذا وقفَ للصلاة كأنَّه ميتٌ .

وكان سفيان الثوريُّ يقول : (لو رأيتم منصور بنَ المعتمر وهو يُصلِّي لقلتم إنه يموتُ الساعةَ) .

---

(١) **التقالي** : التباغض .

(٢) في النسخ : (البامي) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وقد تقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٢) (٧٦) .

(٣) في النسخ : (أخويه) ، وفي المصادر : (ابنيه) .

(٤) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٢) (٧٧) .

وكانت لحيتُهُ تلصقُ بصدره في الصلاة .

وكان يقول : (من لم تعمشْ عيناه من البكاء فليس بباك) .

وكان يقوم الليل علىٰ سطحِ داره ، فلما توفي قالت ابنةُ جيرانه لأمها : ما فعلت تلك الأُسطُوانة التي كانت فوق سطح جارنا ؟ فقالت لها : ليست تلك بأسطوانة ، ولٰكنها كانت جارَنا ؛ لأنه كان يقومُ الليلَ كلَّهُ ، فظنَّتْ أنه عمود ، وتقدَّم مثلُ ذلك في الربيع بن خُثَيم[1] .

وصام ستين سنة وقامها لم ينمْ[2] ، ولم يُفطر نهاراً .

وكان يبكي حتىٰ يرحمَهُ أهلُهُ طولَ ليله ، وكان إذا أصبحَ كحل عينيه وادَّهن ، وخرج إلى الناس ، وأظهر النشاطَ ، يُوهمُهم أنه كان نائماً .

وكان قد عَمِشَ من شدَّةِ البكاء .

وحبسوه شهراً لِيَليَ القضاء ، فلم يفعلْ ، فقالوا لعامل الكوفة : لو نثرتَ لحمَهُ لم يتولَّ القضاءَ ، فخلَّىٰ سبيله ، وحلَّ قيده .

وكان دائماً لا يراه أحدٌ إلا مُنكسرَ الطرف ، مُنخفضَ الصوت ، رطبَ العينين ؛ إذا حرَّكته جاءتْ عيناه بالدموع .

وكان يقول : (لو لم يكن لنا ذنبٌ إلا محبَّتَنا للدنيا لاستحقَّينا دخولَ النار) .

وكان يقول لعلماء زمانه : (إنَّما أنتم تتلذَّذون بالعلم ، يسمعُ أحدُكم المسألة من العلم فيحكيها ، ولو أنكم عملتم بالعلم لتجرَّعتم مرارةَ الدنيا ؛ لأنه ليس شيء من العلم يأمركم بمحبَّتها أبداً) .

وكان يقول : (من أعظمِ الزهد في الدنيا الزهدُ في لقاءِ الناس ، وانشراح الصدر إذا جفوك) .

---

(١) تقدم (٣/ ٦١) .
(٢) في (ز) : (وقام ليلها لم ينم) .

وكان يقول : (اللهم ؛ لا تجعلْ لي مالاً ولا ولداً ولا خادماً ولا داراً ، وما أعطيتَهُ لي مما يشغلني عنك فخذْه مني سريعاً) .

توفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة .

ومنهم :

(٧٦) سليمان بن مِهْران الأعمش رضي الله عنه(١)

كان يُكرمُ الفقراء ، ويهينُ الأمراء ، حتىٰ كان الملوكُ والأمراء في مجلسه أحقرَ الحاضرين ، مع أنه كان مُحتاجاً إلىٰ رغيف .

وكان يقول : (نقضُ العهد وفاءٌ بالعهد لمن ليس له عهد) .

وكان إذا قام من النوم فلم يجدْ ماءً يضربُ يديه على الحائط ويتيمَّمُ محافظةً على الطهارة حتىٰ يجدَ الماء ، ويقول : (أخافُ أن أموتَ علىٰ غير طهارةٍ ؛ فإنَّ الموتَ يأتي بغتةً) .

ومكث نحو سبعين سنة لا تفوتُهُ تكبيرةُ الإحرام مع الإمام .

وكان يحثُّ أصحابه علىٰ ترك المعصية أكثرَ من حثِّهم علىٰ فعلِ الطاعة ، ويقول : (أما يخشىٰ أحدُكم إذا عصا الله أن يثورَ من تلك المعصية دخانٌ يسوِّدُ وجهَ أحدِكم بين الناس ، أو يشتبكَ ذَكَرُ الزاني في فرج الزانية حتىٰ يراه الناسُ) .

وكان يقول : (من علامةِ فساد الناس أن يؤمَّرَ عليهم شرارُهم) .

وكان يقول : (إذا أنا متُّ فلا تعلموا بي أحداً ، واذهبوا بي فاطرحوني في لحدي ؛ فإني أحقرُ من أن يمشي أحدٌ في جنازتي) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إني لأستحيي من الله تعالىٰ أن أجلسَ في المسجد بعد صلاة الجماعة ، ولولا أن الشرعَ أمرني بالحضورِ ما تجرَّأت أن أحضرَ) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو كانت نفسي بيدي لطرحتُها في بيت الخلاء) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٣) (٧٨) .

ومنهم :

(٧٧) أبو إدريس الخَولاني رضي الله عنه[١]

كان يقول : (ليس بفقيهٍ من لم يعملْ بما عَلِمَ) .

وكان يقول : (لا يهتك اللهُ سترَ عبدٍ وفي قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من خير) .

وكان يقول : (إعرابُ اللسان يقيمُ جاهَكَ عند الناس ، وإعرابُ القلب يقيمُ جاهَكَ عند الله) .

وكان يقول : (لي كذا كذا سنة ما عملتُ عملاً أستحي من أن يراني الناس عليه ، إلا الجماع والغائط) .

وكان يعلِّقُ سَوْطَه في موضعِ صلاته ، فإذا وجد في نفسه كسلاً ضربَها به ، ويقول : أنا أحقُّ بالسَّوطِ من الدوابِّ ، فيضرب ساقيه حتىٰ ينتفخا .

وكان يمشي علىٰ دجلة بغداد والناس يَنظرون ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٧٨) مكحول الدمشقي رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (من أحيا ليلةً واحدةً بذكر ربِّه أصبحَ كيومَ ولدته أمُّهُ) .

وكان يقول : (إن كان الفضلُ في الجماعة فإن السلامةَ في العزلة) .

وكان يقول : (إذا كان في أمَّةٍ خمسةَ عشرَ رجلاً يستغفرون الله عز وجل كلَّ يومٍ خمساً وعشرين مرة . . لم يؤاخذِ الله عز وجل تلك الأمة بعذابِ العامة) .

وكان يقول : (من طاب ريحُهُ زادَ عقله ، ومن نظف ثوبُهُ قلَّ غمُّهُ) .

وكان يقول : (إذا بلغك القولُ عن الرجلِ فأنْكَرَهُ فخذْ بقوله ، ودع ما بلغك عنه) .

وكان يقول : (كنا نمزحُ ونضحك ، فلما بلغنا السنَّ الذي يُقتدىٰ بنا فيه أَمسكنا عن ذلك) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٤) (٧٩) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٥) (٨٠) .

وكان يقول : (إذا تكلَّمَ الفقيهُ بالإعراب ذهب الخشوعُ من قلبه) .

وكان يقول : (لا تكملُ محبَّةُ الأخ في الله تعالىٰ حتىٰ يكونَ أحبَّ إليك من الأب والأم والأخ الشقيق) .

وكان يقول : (طولُ الكمد أعجبُ من طول الدمعة للخائفين) .

وكان يقول : (إنَّ العقلَ إذا طاشَ فُقدتِ الحرقة ، وإذا فُقدتِ الحرقة قلصتِ الدمعةُ ، وإذا ثبتَ العقلُ فهم صاحبُهُ الموعظةَ فأحرقته ، فحزن وبكىٰ) .

وكان يقول مناجياً لله عز وجل : (ما أراكَ تُعذِّبنا قطُّ وتوحيدُك في قلوبنا ، ولو أنك فعلتَ بنا ذلك لجمعتَ بيننا وبين قومٍ طالما عاديناهم وقاتلناهم لأجلك) .

وكان يقول : (كان العلماءُ إذا عملوا عملاً لا يرون نفوسَهم علىٰ من لم يعمل ، وكانوا إذا عملوا بعلمهم اشتغلوا بنفوسهم ، وإذا اشتغلوا بنفوسهم فُقدوا ، وإذا فُقدوا طُلبوا ، وإذا طلبوا هربوا) .

وكان يقول : (لا تبذلْ علمَكَ قطُّ لمن لا يسأله ؛ فإنه يستهين به) .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم يسمون الدنيا الدنية ، ولو وجدوا لها اسماً أشرَّ منه لسمَّوها به) .

وكان يقول : (كانت أحبارُ بني إسرائيل ـ الصغيرُ منهم والكبير ـ لا يمشي إلا بالعصا مخافةَ أن يختالَ أحدُهم في مشيته ، فيمقته الله عز وجل) .

ومنهم :

(٧٩) كعب الأحبار رضي الله عنه[1]

كان يقول : (ما استقرَّ لعبدٍ ثناءٌ في الأرض إلا بعد أن استقرَّ في السماء) .

وكان يقول : (أنيروا بيوتكُم بذكر الله كما تُنيروا به قلوبَكم) .

---

(١) كعب بن ماتع الحميري : أبو إسحاق ، أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٦) (٨٢) .

وكان يقول : (يأتي على الناس زمانٌ تكثرُ فيه المسألةُ ، فمن سأل في ذلك الزمان لم يُبارك له فيما يأخذ) .

وكان يقول : (ما أحدٌ يُساقُ إلى النار إلا وهو مُسوَّدُ الوجه ، قد وضعتِ الأَنكالُ في قدميه ، والأغلالُ في عنقه ، إلا من كان من هٰذه الأمة ؛ فإنهم يُساقون إلى النار بألوانهم من غيرِ تسويدِ وجوههم ؛ لأنهم كانوا يَسجدون عليها في دار الدنيا) .

وكان يقول : (إنما سُمي الخليل أواهاً[١] ؛ لأنه كان إذا سمعَ بذكر النار قال : أوَّه من النار ، أوَّه من النار) .

وكان يقول : (يوشكُ أن تروا جهَّالَ الناس يتباهون بالعلم ، ويتغايرون به على التقدُّم عند الأمراء كما تتغايرُ النساء على الرجال ، فذلك حظُّهم من علمهم) .

وكان يقول : (صلاةٌ بعد صلاة ليس بينهما لغوٌ كتابٌ في علِّيين) .

وكان يقول : (لا يذهبُ ألمُ الموت عن الميت ما دام في قبره) .

توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨٠) عبد الرحمـٰن بن عمرو الأوزاعي
الإمام الجليل رضي الله عنه[٢]

كان رضي الله عنه يكرهُ صيدَ الطير أيامَ فراخه رحمةً بالولدِ والأم أن يُفرَّقَ بينهما[٣] .

وكان لا يأكلُ من الصيدِ إلا ما لا ولد له صغير .

وكان لا يدخلُ الخلاء إلا كلَّ شهرٍ مرة ، فلما مشتْ بطنُهُ صار يَدخلُ في الشهر مرتين .

---

(١) قال تعالىٰ في (سورة هود) الآية (٧٥) : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٧) (٨٣) .

(٣) في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٧) : (يكره صيد البر أيام فراخه رحمة بأمه وبه) .

وكان يقول : (تبارك من خلقك يا بن آدم ، وجعلك تنظرُ بشحمٍ ، وتسمعُ بعظمٍ ، وتتكلمُ بلحم) .

وكان يقول : (ليس ساعةٌ من ساعات الدنيا إلا وهي معروضةٌ على العبد يومَ القيامة يوماً بيوم ، وساعةً بساعة ؛ فالساعةُ التي لا يذكرُ اللهَ فيها تنقطعُ نفْسُ العبدِ عليها حسرات ، فكيف إذا مرت عليه ساعةٌ مع ساعةٍ ، أو يومٌ مع يوم ؟!) .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم أولَ ما يستيقظون من النوم يتفكَّرون في أمر معادهم ، وما هم صائرون إليه ، ثم يفيضون بعد ذلك في الفقه والقرآن ، ونراهم اليومَ أول ما يستيقظون لا يتفكَّرون إلا في أمور الدنيا) .

ودخل عليه المنصورُ يوماً ، فقال : عظني ، فوعظَهُ ، فبكىٰ ، فقال : ادعُ لي ، فقال : ما من أحدٍ من رعيتك إلا وهو يشكو بليَّةً أوصلتها إليه ، أو ظُلامةً سقتها إليه ، فما ينفع دعاءُ عبد الرحمـٰن لك ؟!

وكان يقول : (لقاءُ الإخوان خيرٌ من لقاء الأهل والمال) .

وكان يقول : (الفارُّ من عياله كالآبق ، لا يُقبلُ له صلاةٌ ولا صومٌ حتىٰ يرجعَ إليهم) .

وكان يقول : (لو قبلنا من الناس كلَّ ما يُعطوننا لهُنَّا في أعينهم) .

ولد رضي الله عنه سنة ثمان وثمانين ، ومات سنة سبعٍ وخمسين ومئة .

وكان مولدُهُ ببعلبك ، ومات في حمام بيروت ، دخلَ الحمامَ ، فذهب الحماميُّ في حاجةٍ ، وأغلق عليه الباب ، ثم جاء فوجده ميتاً متوسِّداً يمينه ، مستقبلَ القبلة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨١) حسان بن عطية رضي الله عنه[١]

كان من أعبدِ الناس .

وكان إذا صلَّى العصر يتنحَّىٰ في ناحيةِ المسجد، فيذكر الله تعالىٰ حتىٰ تغيبَ الشمس .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٨) (٨٤) .

وكان يُدمنُ قيام الليل ويقول : (من أطالَ القيامَ في الليل هوَّن الله تعالىٰ عليه طولَ يوم القيامة) .

وكان يقول : (ما ازدادَ العبدُ في علمه وعمله إخلاصاً إلا ازدادَ الناسُ منه قرباً) .

وكان يقول : (بكىٰ آدمُ علىٰ خطيئته سبعين عاماً ، وبكىٰ علىٰ خروجِهِ من الجنَّةِ سبعين عاماً ، وبكىٰ على ابنه هابيل لما قُتل أربعين عاماً ، وأقام بمكة مئة عام) .

ومنهم :

(٨٢) عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه[١]

أدركَ الحسنَ البصري وغيرَهُ .

وكان يقول : (مَثَلُ المؤمن مثلُ الولد في الرحم ، لا يحبُّ الخروجَ ، فإذا خرجَ لم يحبَّ أن يرجعَ ، فكذلك المؤمنُ إذا خرج عن الدنيا) .

وكان يقول : (عليكم بالتقلُّل من الدنيا ، وعليكم بالخبزِ والملح ؛ فإنه يذيبُ شحم الكلىٰ ، ويزيدُ في اليقين) .

وكان يقول : (أحسنُ أحوال العبد مع الله تعالىٰ موافقتُهُ ، فإن أبقاه في الدنيا لطاعته كان أحبَّ إليه ، وإن أخذه كان أحبَّ إليه) .

وكان يقول : (ما من عبدٍ أُعطي من الدنيا شيئاً ، فابتغىٰ إليه شيئاً ثانياً إلا سلبه اللهُ تعالىٰ حبَّ الخلوة معه ، وبدَّله بعد القرب بعداً ، وبعد الأُنس وحشة) .

وصلَّىٰ رضي الله عنه الصبحَ بوضوء العشاء أربعين سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨٣) أبو بشر صالح المُرِّي رضي الله عنه[٢]

كان كثيرَ البكاء ، يبكي كبكاءِ الثكلىٰ علىٰ ولدها ، ويجأَرُ جؤار الرهبان ، ويرتعدُ حتىٰ تكادَ مفاصلُه تتقطَّع .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٩) (٨٥) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢١٩) (٨٦) .

وكان إذا رأى المقبرةَ يمكثُ مبهوتاً اليومين والثلاثة لا يعقلُ ولا يتكلَّم ، ولا يأكلُ ولا يشرب ولا ينام .

وكان يسمعُ كلامَ الموتىٰ ، ويسمعُ ما يعظونه به ويقولون : ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف : ٤٤] ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٨٤) أبو المهاصر بن عمرو القيسي رضي الله عنه[1]

واسمه : رياح .

كان رضي الله عنه يقول : (لي نيفٌ وأربعون ذنباً قد استغفرتُ الله عز وجل عن كلِّ ذنبٍ مئة ألف مرة ، وما ثَمَّ إلا عفوه ومغفرتُهُ) .

وكان يقول : (من شأن العاقل : ألا يجعلَ لبطنه علىٰ عقله سبيلاً ؛ فإنَّ الدنيا أيامٌ قلائل) .

وكان لا يأكلُ دائماً إلا سدَّ رمقٍ .

وكان يقول : (إياكم وأكلَ اللحم ؛ فإنَّ أكلَ مثقالٍ من لحمٍ يقسِّي قلبَ أحدكم أربعين صباحاً) .

وكان يقول : (تحويلُ الجبل من مكانه أهونُ من إزالة حبِّ الرئاسة إذا استحكم في النفس) .

وفي روايةٍ أُخرىٰ عنه : (نحتُ الجبال بالأظافير أهونُ من مخالفة الهوىٰ إذا تمكَّنَ في النفس) .

---

(١) في النسخ : (المهاجر) بدل (المهاصر) ، والمثبت من : « الإكمال » (٧/ ٢٠٤) ، و« القاموس المحيط » (هـ ص ر) ، و« تبصير المنتبه » (هـ ص ر) ، و« تاج العروس » (هـ ص ر) ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٢٠) (٨٧) .

وكان يقول : (رحمَ اللهُ أقواماً زاروا قبورَ إخوانهم بقلوبهم ، وهم في محاريبهم) .

وكان ينهىٰ أصحابَه عن الجلوس علىٰ حوانيت الصيارفة ، ويقول : إنها أماكنُ الرِّبا .

وكان يقول : (إذا قال رفيقُكَ قصعتي فليس برفيقٍ حتىٰ يقولَ قصعتنا) .

وكان يقول : (لمَّا التقى الخضرُ مع موسىٰ كان من جملة ما أوصاه : إياكَ يا موسىٰ أن تتعلَّم العلمَ لغيرك فلا تعملُ به أنت ، فيكون لغيرك نورُهُ ، وعليك وِزرُهُ) .

وكان يقول : (كما لا تنظرُ أبصارُ الخفافيش إلىٰ نور الشمس كذلك لا تنظرُ قلوبُ محبِّي الدنيا إلىٰ نور الحكمة) .

وكان يقول : (لا يبلغُ الرجلُ إلىٰ منازل الصدِّيقين حتىٰ يتركَ زوجتَه كأنها أرملةٌ ، وأولادَهُ كأنهم يتامىٰ ، ويأوي إلىٰ مزابلِ الكلاب) .

وكان إدامُهُ دائماً الخبزَ والملحَ لا يزيدُ عليه ، ويقول لنفسه : أمامكِ الشوي وطعامُ العرس في الدار الآخرة .

وكان يقول : (عليك بمجالسِ الذكر ، وحسنِ الظن بمولاك ، وكفىٰ بهما خيراً) .

ومنهم :

(٨٥) عطاء السَّلِيمي رضي الله عنه[١]

كان الغالبُ عليه الخوفَ من الله عز وجل والحزنَ علىٰ ما فرَّطَ في جنب الله ، حتىٰ إنه مكثَ في بيته لا يخرجُ من البيت ولا يقدرُ أن يقومَ أربعين سنة ، وكان يُومئ بالصلاة علىٰ فراشه .

وكان يخدمُهُ داخل بيته المخنَّثون ، فقيل له : ألا تُطهِّرَ بيتك من هٰؤلاء الأقذار

(١) تقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٢١) (٨٨) ، وفي النسخ (السلمي) بدل (السليمي) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

والجيف ؟! فقال : والله ؛ لَهُم عندي أطهرُ من نفسي .

ونظر مرَّةً في التنُّورِ وهو يُسجرُ ، فغُشيَ عليه .

وكان يبكي الثلاثة أيام بلياليها متواليةً لا يَرقأُ له دمعٌ حتىٰ يبكي الدمَ .

وكان إذا بكىٰ يدخلُ الداخلُ فيظنُّ أنَّ رشاشَ دموعِهِ على الأرض أثرُ الوضوء ، وإنما هي دموعُهُ ، كان يتلقَّاها بيديه ، ويرشُّها حوله .

وكان إذا خرجَ لجنازةٍ يُغشىٰ عليه في الطريق مرات ، ويخرُّ من على الدابة ، ثم يرجعُ ، وربما رجعوا به في نعشِ الميت .

وكان إذا نزلَ بالمسلمين بلاءٌ يقول : (هـٰذا كلُّهُ بذنبِ عطاء ، لو مات عطاءٌ استراح الناسُ منه) .

ومنهم :

(٨٦) عُتبة الغلام بن أبان رضي الله عنه[١]

وسمي بالغلام ؛ لأنه كان في العبادة كأنه غلامُ رهان[٢] ، لا لصغرِ سِنِّه .

وكان يقول : (جاءني عبدُ الواحد بنُ زيد فقال لي : ما بال فلان يصفُ من قلبه منزلةً لا أعرفها في قلبي ؟! فقلتُ له : لأنك تأكلُ مع خبزك تمراً وهو يأكل حافاً) .

وكان عتبةُ يأوي إلى المقابر والصحارىٰ ، ويَخرجُ إلى السواحل فيقيم فيها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة ، فيُصلِّي الجمعةَ ، ويزورُ إخوانه ثم يرجع .

وكان الغالبُ عليه الحزنَ حتىٰ كانوا يشبِّهونه بالحسن البصري .

وكان يهجعُ أولَ الليل هجعةً ، ثم يقوم يُصلِّي إلى الصباح .

وكان يلبسُ الشعر تحت ثيابه ، إلا يوم الجمعة .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٢٢) (٨٩) .

(٢) كذا في عامة النسخ : (رهان) ، وفي المطبوع من « الكبرىٰ » (١/ ٤٧) (رهبان) والصواب ما أثبت .

وكان لباسه كساءين أغبرين ، يأتزرُ بواحدةٍ ويَرتدي بالأخرىٰ .

وكان له بيتٌ مغلقٌ لا يفتحه إلا ليلاً ، فلما مات فتحوه ، فوجدوا فيه قبراً محفوراً وغُلاً من حديد ، كان يجعلُه في عنقه ، ويوبِّخُ نفسه بذلك .

مات شهيداً في قتال الروم رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٨٧) سفيان بن سعيد الثوري رضي الله عنه[1]

كانوا يُسمُّونه أميرَ المؤمنين في الحديث .

ولد رضي الله عنه سنة سبعٍ وتسعين ، وخرج من الكوفة إلى البصرة سنة خمسٍ وخمسين ومئة ، وتوفي بالبصرة سنة إحدىٰ وستين ومئة .

وكان عالمَ الأمة وعابدَها وزاهدَها .

وكان رضي الله عنه لا يُعلِّمُ أحداً العلم حتىٰ يتعلَّمَ الأدبَ عشرين سنة ثم يُعلِّمُهُ .

وكان يقول : (إذا فسدَ العلماءُ فمن بقي في الدنيا يُصلحهم ؟! ثم ينشد : [من الرجز]

يا معشـرَ العُلماءِ يا ملحَ البلدْ ما يُصلحُ الملحَ إذا الملحُ فَسَدْ

قيل له : فبأيِّ شيء يَفسُدُ العلماء ؟ قال : بميلهم إلى الدنيا ؛ فإنَّ الطبيبَ إذا كان يجرُّ الداءَ إلىٰ نفسه كيف يُداوي غيره ؟! .

وكان يقول : (إذا لم يكنْ تحت الحنكِ من العمامةِ شيءٌ فهي عِمامةُ إبليس)[2] .

وكان يقول : (من تصدَّرَ للعلم قبل أن يحتاجَ الناسُ إليه فقد تعجَّل الذلَّ) .

وكان يمكثُ اليومين والثلاثة لا يأكلُ ؛ شغلاً بما هو فيه من العبادة ، فإذا اشتدَّ به الجوع وتضرَّر به أكلَ سدَّ الرمق .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٢٣) (٩٠) .

(٢) سيأتي مثل هـٰذا القول (٣/ ١٣٧) من قول الإمام مالك .

وكتب مرَّةً إلىٰ عبَّاد بن عبَّاد : (أما بعد ، فإنك يا أخي في زمانٍ كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوَّذون بالله أن يُدركوه ، مع أنَّ معهم من العلم والدين واليقين ما ليس معنا ، فكيف بنا حين أدركناه علىٰ قلَّةِ علمٍ ودينٍ ، وضعفِ يقينٍ ، وقلَّة صبرٍ ، وقلَّةِ أعوانٍ على الخير ، وفسادٍ من الزمان ، وكدرٍ من الدنيا ؟! فعليك يا أخي بالأمرِ الأول ، والتمسُّكِ به ، وعليك بإخمالِ ذكرك ما استطعت ؛ فإنَّ هـٰذا زمانُ الخمول ، وعليك بالعزلة ، وقلَّةِ مخالطة الناس ، فقد كان الناسُ إذا التقوا ينتفعُ بعضُهم ببعضٍ ، وأما اليوم فقد ذهبَ ذلك ، فالنجاةُ الآن في تركهم ، وإياك والقربَ من الأمراء ومخالطتهم في شيءٍ من الأشياء ، ويُقال لك : لتشفعَ وتدرأ عن مظلومٍ ، أو تردَّ مظلمةً ؛ فإنَّ ذلك من خديعةِ إبليس ، وإنما اتَّخذَ ذلك القرَّاءُ سُلَّماً للقُرْبِ منهم ، واصطياداً للدنيا بذلك) .

وكان إذا جلس للعلم وأعجبه منطقُهُ يقطعُ الكلام ويقوم ، ويقول : أُخذنا ونحن لا نشعر .

وكان يُملي الحديثَ ويقول : (واللهِ ؛ لو رآني عمر بنُ الخطاب لضربني بالدِّرَّة وأقامني وقال : مثلُك لا يصلحُ لحديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] .

وكان يقولُ للناس إذا طلبوا منه الحديث : (واللهِ ؛ ما أرىٰ نفسي أهلاً لإملاء الحديث ، ولا أنتم أهلٌ أن تسمعوه ، وما مَثَلي ومَثَلُكُم إلا كما قال القائل : افتضحوا فاصطلحوا) .

وكان قد امتنعَ من الجلوس للعلم ، فقيل له في ذلك ، فقال : (واللهِ ؛ لو علمتُ أنهم يُريدون بالعلم وجهَ الله عز وجل لأتيتهم في بيوتهم ، وعلَّمتهم ، ولـٰكن إنما يُريدون بالعلم المباهاة ، وقولَهم حدثنا سفيان) .

وكان يقول : (إذا تزوَّجَ الرجلُ فقد ركب البحر ، وإذا ولِدَ له ولدٌ فقد سافر به المركب) .

وكان يقول : (من شأن العاقل ألا يُزاحمَ على الفُتيا إذا كفاه غيرُهُ) .

---

(١) تقدمت هـٰذه المقولة من قول مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ (٣/ ٨٠) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ ما كنا نظنُّ أننا نعيشُ إلىٰ هـٰذا الزمان الخبيثِ ، وظهورِ هـٰذه المنكرات) .

وكان رضي الله عنه ربما يخرج إلى السوق ، فيرى المنكر ، فلا يقدرُ علىٰ إزالته ، فيبول الدمَ قهراً .

وكان رضي الله عنه يقول : (كيف يحبُّ العاقلُ البقاءَ مع هـٰؤلاء الناس ، وهو مقتدٍ بالأموات ؟! فإننا إذا ذكرنا الأمواتَ حييت القلوبُ ، وإذا ذكرنا الأحياءَ ماتت) .

وكان يقول في مناجاته : (إلـٰهي ؛ البهائم يزجُرُها الراعي فتنزجرُ عن هواها ، وأُراني لا يزجرني كتابُكَ عما أهواه ، فيا كشف سوأتاه يومَ الحساب !) .

وكان رضي الله عنه من كبار المتورِّعين ، لا يكادُ يأكلُ طعامَ أحدٍ من أصحابه ، وربما دعوه إلى الوليمةِ ، فيأخذُ معه رغيفَهُ ، فإذا شعرَ به صاحبُ الطعام يقول له : أنت تعرفُ حالَ خبزك ، وأنا أعرفُ حال خبزي .

وكان يقول : (قال رجلٌ لعيسى بنِ مريم عليه السلام : أوصني ، فقال له : انظرْ رغيفَك من أين هو) .

وقيل له : إن فلاناً يدخلُ على المهدي ويقول : أنا بحمد الله في خلاصٍ من دخولي له ، فقال سفيان : كذبَ والله فيما قال ، أما رأىٰ إسرافَه في مأكله وملبسه ، وملبس خدمه وخيله ورجله ، وكلُّه من بيت مال المسلمين ؟! فهل قال له يوماً : هـٰذا لا يحلُّ لك ؟!

وكان يقول : (رضا المتجنِّي عليك غايةٌ لا تُدرك) .

وكان يقول : (اجتمعتُ بأبي حبيب البدوي رضي الله عنه ، فقال لي : يا سفيان ؛ عليك بالرِّضا عن الله عز وجل إذا منعك ما طلبتَ ؛ فإنَّ منعَ الله لك عطاءٌ ؛ لأنه ليس عن بخلٍ ولا عدمٍ ، وإنما هو نظرٌ واختبار) .

وكان يقول : (قد صار المالُ في زماننا هـٰذا صلاحاً للمؤمن ، أو قال : سلاحاً) .

وكان يقول : (أُحبُّ لطالبِ العلم أن يكونَ في كفايةٍ ؛ فإنَّ ألسُنَ الناس تُسرِعُ بالوقيعة فيه إذا احتاجَ وذَلَّ) .

وكان يقول : (لا طاعة للوالدين في أكلِ الشُّبهات فضلاً عن الحرام) .

وكان يقول : (إنما فُضِّل العلمُ علىٰ غيره من الأعمال إذا عَمِلَ به صاحبُهُ) .

وكان يقول : (شكوى المريض إلىٰ أحدٍ من إخوانه ليس من شكوى الله عز وجل) .

وكان يقول للمهدي كلَّما اجتمع به : احذرْ من هـٰؤلاء الأعوان ، والمتردِّدين إليك من القرَّاءِ ؛ فإنَّ هلاكَك علىٰ يديهم ، يأكلون طعامَك ، ويأخذون دراهمَك ، ويغشُّونك ، ويمدحونَك بما ليس فيك ، وإنَّ أظلمَ الظالمين لنفسه مَنْ قَبِلَ مدحَ من لا يعرفه وهو يعرفُ من نفسه ضدَّ ذلك) .

وكان يقول : (**أئمةُ العدل خمسةٌ** : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز ، من قال غير ذلك فقد اعتدىٰ) .

وكان سفيان رضي الله عنه رثَّ الهيئة ، حتىٰ قيل : إنهم قوَّموا ثيابَهُ التي عليه حتى النَّعلَ فبلغَ درهماً وأربعةَ دوانق .

وكان رضي الله عنه لا يجلسُ قطُّ في صدر مجلس ، وإنما كان يقعدُ بجنب حائطٍ ، ويجمعُ بين ركبتيه .

وكان يقول : (لا ينبغي أن يأمر السلطان[١] إلا من كان عالماً عاملاً بما يأمره به ، بشرطِ الرفق والعدل ، وتمهيد بساطٍ للنصح قبل ذلك) .

وقال له رجلٌ مرةً : قد ذهبَ الناسُ يا أبا عبد الله علىٰ خيلٍ دُهم ، وبقينا بعدهم علىٰ حمير دَبرةٍ[٢] ، فقال له الثوري : ما أحسنَ حالُها لو كانت على الطريق ، لـٰكنها مع كونها علىٰ حميرٍ دبرةٍ قد اعوجَّتْ .

---

(١) في (هـ ، و ، ح) : (يُؤمِّر) بدل (يأمر) .

(٢) الدَّبَرة بالتحريك : القرحة . « القاموس المحيط » (د ب ر) .

وكان يقول : (إذا بلغَكَ عن قريةٍ أنَّ بها رُخصاً فارحل إليها ؛ فإنَّه أسلمُ لقلبك ودينك ، وأقلُّ لهمِّكَ) .

وكان يقول : (لا تُجبْ أخاك إلىٰ طعامٍ ، وتقول : « منْ دعاهُ أخاهُ فليُجبْ »[١] حتىٰ تعلمَ أنَّ قلبَك يصلحُ علىٰ طعامه) .

ونصح يوماً إنساناً رآه يخدمُ الولاة ، وقال : ابعدْ عنهم ، فقال له : فما أصنع بعيالي ؟! فقال سفيان : ألا تسمعوا إلىٰ هـٰذا ؟! يقولُ إنه إذا عصى الله تعالىٰ رَزَقَ عيالَهُ ، وإذا أطاعَهُ ضيَّعهم .

وكان يقول : (لا تقتدوا بصاحبِ عيالٍ قطُّ ؛ فإنه قلَّ أن يسلمَ من التخليط) .

وكان يقول : (حُجَّةُ كلِّ متهوِّرٍ في أكل الحرام والشُّبهات قولُهُ : عيالي) .

وكان يقول : (لو أن عبداً عبدَ الله تعالىٰ بعبادة الثقلين ، وهو يحبُّ الدنيا . . إلا نُودي عليه علىٰ رؤوس الأشهاد : ألا إنَّ هـٰذا قد أحبَّ ما أبغضَ اللهُ ، فيكاد يذوبُ من الخجل) .

وكان يقول : (لأن أُخلِّفَ بعدي ثلاثين ألف دينار أُحاسبُ علىٰ كلِّ درهمٍ منها يومَ القيامة . . أحبُّ إليَّ من أن أحتاجَ إلى الناس ؛ فإنَّ المال ما كان يُكره إلا فيما مضىٰ ، وأمَّا اليومَ فقد صارَ ترساً للمؤمن يتَّقي به حاجتَهُ إلى الملوك والأغنياء) .

وكان يقول : (أمسكوا ما بيدكم من المال بنية الإنفاق لا يضرُّكم ذلك ؛ فإنَّ من احتاج إلى الناسِ لا بدَّ أن يبذلَ لهم دينه) .

وكان يقول : (لا تصحبْ من يتكرَّمُ عليك في السفر ؛ فإنَّكَ إن ساويته في النفقة أضرَّ بك ، وإن تفضَّلَ عليك استعبدك) .

وكان يُخرج للضيفِ اللقمةَ اليابسة وحصاةَ الملح ، ويقول : (الحلالُ في زماننا لا يحتملُ السَّرَف ، وأما الحرامُ والشُّبهات فما كُلِّفنا أن نضيِّقَ منه أحداً) .

---

(١) كذا في النسخ : (أخاه) ، والحديث رواه مسلم (١٤٢٩/ ٩٧) بلفظ : « إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليُجبْ) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما . وقوله: (أخاه) كذا الأصل .

وكان يقول : (خرجتُ مرةً في الليل ، فنظرتُ إلى السماء ، ففقدتُ قلبي ، فقلت ذلك لبعض إخواني ، فقال : إنما فقدتَ قلبَكَ ؛ لأنَّك لم تنظرْ إليها نظرَ اعتبار ، وإنما نظرتَ إليها نظرَ تلهِّي) .

وكان يردُّ ما يُعطاه ، ويقول : لو علمتُ أنهم يكتمون ذلك لأخذته منهم وأنفقته ، ولكنهم يأبون إلا أن يقولوا : أخذَ منَّا سفيان كذا وكذا على وجه الافتخار عليَّ .

وكذلك كان يجوعُ ولا يقترضُ ، ويقول : إنَّ أحدَهم يقول : اقترضَ اليومَ مني سفيان كذا .

وكان يقول : (الأذانُ بخراسان خيرٌ من المجاورة بمكة) .

وكان يقول : (**الزهدُ في الدنيا** : هو قِصَرُ الأمل لا غير ، وكيف يزهدُ فيها من يحبُّ البقاءَ فيها ، ولو بلبس الخيش ، وأكل النخال ؟!) .

وكان يقول : (ازهدْ في الدنيا ، ونمْ عن الفضائل ولا عليك ؛ فإنَّ الزهدَ مع تركِ الفضائل أفضلُ من فعلِ الفضائل مع الرغبة في الدنيا كما عليه طائفةُ أهل الأسواق) .

وكان يقول : (إذا رأيتم العالمَ يلوذُ بباب السُّلطان فاعلموا أنه لِصٌّ ، وإذا رأيتموه ببابِ الأغنياء فاعلموا أنه مراءٍ) .

وكان يقول : (إنَّ الرجلَ ليكونَ عنده المالُ وهو زاهدٌ في الدنيا ، وإنَّ الرجلَ ليكون راغباً فيها وهو فقير) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إني لأُحبُّ أن أكونَ في مكانٍ لا يعرفه أحدٌ) .

وكان إذا ذكر الموت يرتعدُ ، ويصيرُ أياماً لا يَنتفعُ به أحدٌ .

وكان يقول : (إذا عرفتَ نفسك فلا يضرُّك ما قيل فيك) .

وكان يقول : (أصلُ كلِّ عداوةٍ اصطناعُ المعروف إلى اللئام) .

وكان يقول : (إذا رأيتَ أخاك حريصاً على أن تُقدِّمَهُ في الإمامة أو في المجلس . . فأخِّرْهُ) .

وكان قد جعل على نفسه ثلاثةَ أشياء : ألا يخدمَهُ أحدٌ ، ولا يَطوي له ثوباً ، ولا يضع لبنة على لبنة .

وكان يقول : (هـٰذا زمانٌ عليك فيه بخويصَّةِ نفسك ، ودعْ عنك أمرَ العامة) .

وكان يقول : (أَبعِدِ القرَّاءَ الذين يحبُّون الدنيا ، فلأَن أشتري شيئاً من فتىً يتغنَّىٰ أحبُّ إليَّ من الشراءِ من قارئ ؛ فإنَّ القارئ يحبُّ أن لو نقصَ من حقِّك ، والمغنِّي يُعطيك حقَّك كاملاً مروءةً أو ديانة) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ ما نازعتُ قارئاً في شيءٍ إلا خفتُ أن يسعىٰ في سفك دمي) .

وكان يقول : (إذا كان لك إلىٰ قارئٍ حاجةٌ فلا تذكرْ أحداً من أقرانه بخيرٍ عنده ؛ فإنه يقفُ عن قضاء حاجتك) .

وكان إذا سُئل عن الغوغاء من هم ؟ يقول : هم الذين يطلبون بعلمهم الدنيا .

وكان يقول : (للعلمِ درجاتٌ ، فأولُ الأمر تعلُّمُهُ ، ثم العملُ به ، ثم الصمتُ ، ثم نشرُهُ للناس) .

وكان يقول : (لو أنَّ أهل العلم أخلصوا فيه لم يكن عملٌ أفضلَ منه ، لـٰكنهم خلطوا) .

وكان يمسك بيده الدنانير ويقول : (لولا جمعُنا هـٰذه لتمندلوا بنا) .

وكان يقول : (إيَّاكم وكثرةَ الإخوان ؛ فإنَّ كثرةَ الإخوان من رقَّةِ الدين) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ ما أدري ما يقعُ مني إذا نزل بي بلاءٌ ، فلعلي أكفرُ ولا أشعر) .

وكان يقول : (عجبتُ من كون النساء أكثرَ أهلِ النار ، مع كون معاصي الرجال أكثر من معاصيهنَّ) .

وكان يقول : (من رأىٰ نفسَهُ علىٰ أخيه في العلم والعمل حبطَ أجر علمِهِ وعمله ، ولعلَّ أخاه يكون أورعَ منه عمَّا حرَّم الله عز وجل) .

وكان إذا تفكَّر في أمرِ الآخرة وأهوالها يصيرُ كالمجنون لا يعي ، يقول : هاه هاه .

ولما بعثَ أبو جعفر المنصور الخشَّابين أمامه حين خرجَ إلىٰ مكة قال : إنْ رأيتم

سفيانَ الثوري فاصلبوه ، فوصلوا مكةَ ، ونصبوا الخشبَ ، وجاؤوا إليه ، فوجدوه نائماً ؛ رأسُهُ في حِجْر الفُضيل بنِ عياض ، ورجلاه في حِجْر سفيان بنِ عيينة ، فقالوا : يا أبا عبد الله ؛ اتَّقِ الله ولا تشمِتْ بنا الأعداء ، فتقدَّمَ سفيان إلىٰ أستار الكعبة ، فأخذ بها وقال : برئتُ من هـٰذا البيت إنْ دخلها أبو جعفر ، فمات قبل أن يدخلَ مكة .

وكان يقول : (إن الملكين ليجدان ريحَ الحسنات والسيئات إذا عقدَ القلبُ علىٰ ذلك ، فكما لا يُؤذونك لا تؤذيهم) .

وسئل مرةً عن رجلٍ يكتسبُ لعياله ، ولو صلَّىٰ في الجماعة لفاته القيامُ عليهنَّ ، ماذا يصنع ؟ فقال : يكتسبُ لهم قوتهم ، ويُصلِّي وحده .

وكان يقول : (كثرةُ النساءِ ليس من الدنيا ؛ لأنَّ علياً رضي الله عنه كان من أزهد الصحابة ، وكان له أربعُ نسوة ، وتسع عشرَة سرية) .

وكان يحثُّ أصحابَهُ على الخمول ، ويقول : (هـٰذا زمانٌ لا يأمنُ فيه الخاملُ علىٰ نفسه ، فكيف بمن له صيتٌ ؟!)

وكان يقول : (إذا سمعتم بدعةً من أحدٍ فلا تحكوها لأصحابكم ، ولا تُلقوها في قلوبهم يفعلونها ، ويقولون : قد فعلها غيرُنا) .

وكان يقول : (قد صار أهلُ السُّنَّة غرباءَ في زماننا هـٰذا) .

وكان يقول : (إني لأعرفُ محبَّةَ الرجل للدنيا بكثرة تملُّقِه إلىٰ أهلها ، والسؤال عنهم إذا غابوا) .

وكان يقول : (إذا رأيتم شرطياً نائماً في وقتِ صلاةٍ فلا توقظوه لها ؛ فإن نومَهُ أحسنُ للناس ؛ لئلا يؤذيهم) .

وقيل له مرَّةً : ألا تدخلُ على الولاة مُتحفِّظاً منهم ، فتعظهم وتأمرُهم وتنهاهم ؟! فقال : أتأمروني أن أسبَحَ في بحرٍ ولا تبتلَّ قدماي ، وإني أخافُ أن أدخلَ عليهم ، فيرحِّبوا بي ، فأميل إليهم ، فيحبطَ عملي .

وشكا إليه رجلٌ مرةً مُصيبةً ، فقال : قم عني ، ما وجدتَ أحداً أهونَ في عينك مني حتىٰ تشكوَ اللهَ عندي .

وكان يقول : (علامةُ العلماء بالله : أن يخشوه ، ويقفوا عند حدوده) .

وكان يقول : (إن أرضيتَ ربَّك أسخطْتَ الناس ، وإذا أسخطتَ الناس فتهيَّأ للسهام ، ولا شكَّ أن التهيؤَ للسهام أحبُّ إلى العاقل من ذهاب دينه) .

وكان يقول : (إذا رأيتم جيرانَ الفقيه يُحبونه فاعلموا أنه مُداهنٌ) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٨٨) سفيان بن عُيينة رضي الله عنه[1]

حفظ رضي الله عنه القرآنَ وهو ابنُ أربع سنين ، وكتب الحديث وهو ابنُ سبعِ سنين .

وكان يقول : (من لا تنتفعُ به فلا عليك ألا تعرفه) .

وكتب مرَّةً لبعض إخوانه : (أما آن لك يا أخي أن تستوحشَ من الناس ، وتأخذَ بجانبٍ عنهم ؟! واللهِ ؛ لقد أدركنا الناسَ إذا بلغ أحدُهم أربعين سنة جفا معارفه ، وأنكر قرابته ، وصار كأنه مختلطُ العقل من شدَّة تأهُّبِهِ للموت) .

وكان إذا جاء عطاؤه يقول : (أعطوه لمن هو أحوجُ مني ؛ فإني غنيٌّ عنه ، مع أنه ليس عنده رغيفٌ ، إيثاراً علىٰ نفسه) .

وكان يقول : (من صبرَ على البلاءِ ، ورضي بالقضاء . . فقد كمل أمره) .

وكان يقول : (يكفي ابنَ آدم من الشرِّ أن يرىٰ في نفسه فساداً فلا يُصلحه) .

وكان يقول : (خصلتان يعسرُ على الإنسان علاجُهما : تركُ الطمع فيما في أيدي الناس ، وإخلاصُ العمل لله تعالىٰ) .

وكان يقول : (إذا كان نهاري نهارَ سفيه ، وليلي ليلَ جاهلٍ غافلٍ عن الله . . فما أصنعُ بالعلم الذي كتبته ؟!) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٤٧) (٩٥) .

وكان يقول : (مَنْ زِيْدَ في عقلِهِ نقصَ من رزقه) .

وكان يقول : (« لا إلـٰه إلا الله » بمنزلةِ الماء في الدنيا ، فمن لم يكن معه « لا إلـٰه إلا الله » . . فهو عطشان ميتٌ) .

وكان يقول : (ما أنعم اللهُ على العباد بنعمةٍ أفضل من نُطقهم بـ : « لا إلـٰه إلا الله » ، وإنَّ « لا إلـٰه إلا الله » في الآخرة كالماء في الدنيا) .

وكان يقول : (السكوتُ عن تفسير نحو حديث : « منْ غشَّنا فليسَ منَّا » أفضلُ وأزجرُ للناس)[1] .

وكان يقول : (الزهدُ في الدنيا هو الصبرُ ، وارتقاب الموت) .

وكان حرملة يقول : (دخلتُ علىٰ سُفيان بنِ عيينة زائراً ، فأخرج لي رغيفاً من شعير ، وقال لي : دع ما تقول الناسُ فيَّ ، فواللهِ ؛ إنه لطعامي من منذ ستين سنة) .

وكان يقول : (طلبُ ما لا بدَّ للإنسان منه ليس من الدنيا) .

وكان يقول : (ماءُ زمزم بمنزلة الطيب ، لا ينبغي لأحدٍ ردُّهُ) .

وكان يقول : (إياكم والغيبةَ ؛ فإنها أشرُّ من الدَّين ، وإذا كان نَفْسُ المؤمن معلقةً بدَينه حتىٰ يُقضىٰ عنه كما في الحديث ، فكيف بالغيبة ؟! فإن الدَّين يُقضىٰ والغيبةَ لا تُقضىٰ) ، ثم يقول : (**وإيضاح ذلك** : أنه لو أصابَ رجلٌ مالاً حراماً لرجلٍ ، ثم تورَّعَ عنه بعد موته ، وجاء به إلىٰ ورثته . . لَكُنَّا نرىٰ أنَّ ذلك كفارةٌ له ، ولو أنه اغتابه ، ثم تورَّعَ وجاء بعد موته إلىٰ ورثته وإلىٰ جميعِ أهل الأرض ، فجعلوه في حلٍّ . . ما كان في حلٍّ ؛ لأنَّ عرض المؤمن أشدُّ من ماله) .

وكان يقول : (من وصيةِ الخضر لموسىٰ عليهما السلام : يا موسىٰ ؛ لا تُعيِّرْ أحداً بذنبٍ) .

---

(١) أخرج الحديث مسلم في « صحيحه » (١٠١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومعناه : ليس علىٰ طريقتنا ومذهبنا ، لا أنه يخرج عن الملة ؛ ولهـٰذا قال سفيان : السكوت عن تفسير هـٰذا الحديث أفضل ؛ ليكون أزجر لهم ، وتقدم تخريجه (١/ ٢٤٨) .

وكان يقول : (إن للأنبياء سرّاً ، وللعلماء سرّاً ، وللملوك سرّاً ، فلو ظهر سرُّ النبوة للعامة لفسدتِ النبوة ، ولو ظهر سرُّ العلماء لفسدت العامة ، ولو ظهر سرُّ الملك لفسد الملك) .

وكان يقول : (العلم إن لم ينفعْكَ ضرَّك) .

وكان إذا فرغ من صلاته يقول : اللهم ؛ اغفر لي ما كان فيها .

وكان يقول : (لا يكملُ عقلُ طالب العلم حتىٰ يرىٰ نفسَهُ دون المسلمين كلِّهم) .

وكان يقول : (إذا لم تصلْ إلىٰ حقِّك إلا بالخصومةِ والسُّلطانِ فدعه ؛ لما ترجو من سلامة دينك) .

وكان يقول : (كم من شخصٍ يُظهرُ الزهدَ في الدنيا ، والله يعلمُ من قلبه أنه لها محبٌّ) .

وكان يقول : (عليكم بكتمانِ الفقر ؛ فإنه من الأعمال الصالحة ، وهو من أشدِّ ما يكون على النفس) .

وكان يقول : (الجهاد عشرةُ أجزاء ؛ فجهادُ العدوِّ واحدٌ منها ، وجهادُ النفس تسعةُ أجزاء) .

وكان يقول : (إنما عُرفوا لمحبَّتهم ألا يُعرفوا ، ولو أنهم أحبُّوا أن يُعرفوا ما عُرفوا) .

وكان يقول : (ائتوا الصلاةَ قبل النداء ، ولا تكونوا كالعبد السُّوء ، لا يأتي إلى الصلاة حتىٰ يُدعىٰ إليها) ؛ يعني : تهاوناً بها .

وكان يقول : (ليس على الإنسان شيءٌ أضرَّ من علمٍ لا يعملُ به) .

وكان يقول : (أشرارُ أهل العام الماضي خيرٌ من خياركم في هـٰذا العام) .

وكان يقول إذا أفتى الناس : (واللهِ ؛ إن الزمانَ الذي يحتاجُ الناس فيه إلىٰ مثلي لزمانُ سوء) .

ولد رضي الله عنه بالكوفة في سبعٍ ومئة ، وسكن مكة ، **وتوفي بها سنة ثمانٍ**

وتسعين ومئة ، وهو ابنُ إحدىٰ وتسعين سنة ، ودفن [بالحَجون][١] ؛ يعني : باب المعلىٰ ، وبجنبه الفُضيل بن عياض ، وأبو القاسم القُشيري ، واليافعي ، والشيخ بدر الدين بن جماعة ، والشيخ بهاء الدين ابن السُّبكي ، رضي الله عنهم .

ومنهم :

(٨٩) شُعبة بن الحَجَّاج رضي الله عنه[٢]

كانوا يُسمُّونه أميرَ المؤمنين في الرواية والحديث .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إن الشيطان صار يلعبُ بالقرَّاء كما يلعب الصبيانُ بالأُكْرَة[٣] ، فكيف بغير القراء ؟!) .

وكان من أعبد الناس ، عبدَ الله تعالىٰ حتىٰ جفَّ جلدُهُ علىٰ عظمه ، فليس بينهما لحمٌ .

وكان يصومُ الدهر كلَّه ، ويعيبُ علىٰ من يلبس ثوباً بثمانية دراهم ، ويقول : هلا اشترىٰ أحدُكم قميصاً بأربعة دراهم ، وتصدَّق بأربعة .

وكان إذا مرَّ بسائلٍ يذهبُ إلى البيت ، فيُخرجُ له جميعَ ما وجده فيه .

وكان يسألُ للفقراء والمحاويج ، ويقول : (لولا سؤالي لهـٰؤلاء ما جلستُ إلىٰ أحدٍ) .

وكان لونُ ثيابه رضي الله عنه لونَ التراب ، وكان إذا حكَّ جلدَه انتثرَ منه التراب .

وكان إذا سأله إنسانٌ شيئاً ولم يكن عنده أعطاه الحمار ، وقال : بعْهُ ، وخذ منه حاجتك ، ووسِّعْ علىٰ نفسك بالباقي ، ويصيرُ يمشي في حوائجه حتىٰ يجدَ له ثمنَ حمار .

وكان إذا قعدَ في مركبٍ أعطى الأجرةَ عن جميع مَنْ في المركب .

---

(١) في النسخ : (بالحجرة) ، والمثبت من « الكبرىٰ » (١/ ٢٤٩) ، ومصادر ترجمته .
(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٥٠) (٩٦) .
(٣) **الأُكْرَة** : الكرة . « المعجم الوسيط » (١/ ٢٢) .

وقوَّموا مرةً حمارَ شُعبة وسرجَهُ ولجامه فبلغ سبعةَ عشرَ درهماً ، وقوَّموا ثيابه فلم تكن تساوي عشرة دراهم ، وكانت قميصاً ورداءً وإزاراً وعِمامة .

وأرسل له المهديُّ ثلاثين ألف درهم ، ففرَّقها في المجلس ، ولم يأخذْ منها درهماً ، وإنَّ عياله لمحتاجون إلىٰ رغيفٍ .

توفي رضي الله عنه بالبصرة وهو ابنُ سبعٍ وتسعين سنة ، في سنة ستين ومئة ، رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٩٠) مِسْعر بن كِدَام رضي الله عنه[١]

بكسر الكاف .

كان يقول : (إن لله عباداً لو يعلمون بما ينزلُ القدر لاستقبلوه استقبالاً ؛ حبّاً لربِّهم ولقدره ، فكيف يكرهونه إذا وقع ؟!) .

وكان إذا فتح المصحفَ ، ورأىٰ فيه قصَّةَ قومٍ عذَّبهم الله.. يقول : إلـٰهي ، قد أدخلتَ رحمتَهم قلبي ، فإن شئتَ فاغفرْ لي ، وإن شئتَ عذِّبني .

وكان يقول : (لا ينبغي للمؤمن أن يُرىٰ فارغاً من عمل الدنيا أو الآخرة ؛ فإنَّ الموتَ ربما أتاه علىٰ بغتة) .

وكان ربَّما ينشدُ الشعرَ بعد الصلاة ، ويقول : النفسُ تكونُ هـٰكذا وهـٰكذا .

وسئل مرَّةً : مَنْ أفقهُ أهل المدينة ؟ فقال : أفقههم أتقاهم لله عز وجل .

وكان لا ينام كلَّ ليلةٍ حتىٰ يقرأ نصف القرآن ، فإذا فَرَغَ من ورده لفَّ رداءه ، ثم هجع هجعةً خفيفة ، ثم يثبُ مرعوباً كالرجل الذي ضاع منه شيءٌ عزيز ، فهو يطلبه ، ثم يستاكُ ويتطهَّرُ ويستقبلُ المحراب إلى الفجر .

وكان يجتهدُ في إخفاء أعماله الصالحة .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٥١) (٩٧) .

وكان يقول : (أشتهي أن أسمعَ صوتَ باكيةٍ حزينة) .

وقيل له مرةً : أتحبُّ من يبصِّرُكَ بعيوبك ؟ فقال : إن كان صديقاً فنعم ؛ لأنه نصحني ، وإن كان يُريد أن ينقصني بين الناس فلا .

وكان إذا ذُكر يومُ القيامة يبكي حتىٰ يرثي له الحاضرون .

وكان لا يخرجُ من المسجد إلا لخدمة أُمِّه ، ويقول : لولا أمي لما خرجت من المسجد .

وكان إذا خرج بكىٰ ، وإذا دخلَ بكىٰ ، وإذا صلىٰ بكىٰ ، وإذا جلس بكىٰ ، كأنَّ النارَ لم تُخلق إلا له وحده .

ودخل عليه سفيانُ الثوري في مرضِ موتهِ فقال له : ما هٰذا الجزعُ يا مسعر ؟! واللهِ ؛ إني أودُّ أني أموت الساعة ، فقال له مِسْعَر : إنك إذاً لواثقٌ بعملك يا سفيان ، لٰكني واللهِ كأني علىٰ شاهقِ جبلٍ ، لا أدري أين أهبطُ ، فبكىٰ سفيان ، وقال : أنت أدركتَ ما لم نُدرك .

وكان سفيان إذا حدَّثَ عنه يستحي أن يقول : مِسْعَر ، وإنما يقول : أبو سلمة .

وكان في جبهته مثلُ ركبة العنز من السجود .

وكان يقول : (لا ينبغي أن يُثنىٰ علىٰ عالمٍ ، وهو يأخذُ جوائز السلطان ، ويبني بيته بالآجُرِّ) .

وطلبت منه أمُّهُ مرَّةً كوزَ الشرب ، فما أتاها به حتىٰ وجدها نامتْ ، فوقفَ والكوزُ علىٰ يده ينتظرُ استيقاظها من بعد العشاء إلى الفجر تعظيماً لها) .

ولما طلبه أبو جعفر المنصور ليُولِّيه القضاءَ أبىٰ ، وقال : واللهِ ؛ يا أمير المؤمنين ، إنَّ أهلي يُرسلوني أشتري لهم حاجةً بدرهم ، فلا يرضون بشرائي ذلك ، فكيف يولِّيني أميرُ المؤمنين القضاء ؟! فأعفاه منه ، وقال له : لو كان في المسلمين مثلُك لخرجتُ إليه ماشياً .

وكان يقول : (من رضي بالخلِّ والبقل لم يستعبدْه الناس) .

وكان يقول : (مضاحكةُ الوالدين على الأسرَّة أفضلُ من مجالدة السيوف في سبيل الله) .

وكان إذا سأله أحدٌ الدعاءَ ، قال له : ادعُ أنت حتىٰ أؤمِّنَ أنا ؛ فإنَّ الدعاء من صاحب الحاجة أبلغ .

وكان رضي الله عنه يقول : (شكوى المريض للطبيب ليس من شكوى الله عز وجل ؛ لأنه إنما يذكرُ للطبيب قدرةَ الله عز وجل) .

وكان يقول : (اللهم ؛ من ظنَّ بنا خيراً أو ظننا به خيراً فصدِّقْ ظننا وظنَّهُ) .

وكان يقول : (قيامُ الليل نورٌ للمؤمن يوم القيامة يسعىٰ به بين يديه ومن خلفه ، وصيام النهارِ يُبعد العبد من حرِّ السعير) .

وكان يبكي ويقول : (وهل خُلقتِ النارُ إلا لمثلي ؟!)

وكان إذا ظلمه إنسان يقول : (اللهم ؛ لا تُمته حتىٰ تجعلَه محدِّثاً أو مفتياً) .

وكان يقول : (يُنادي منادٍ يوم القيامة : يا مادحين الله ؛ قوموا ، فلا يقومُ إلا من كان يكثر قراءة « قل هو الله أحد ») .

وكان يقول : (أعرفُ الناس بعَوَرِ الناس الأعورُ) .

توفي رضي الله عنه بالكوفة سنة خمس وخمسين ومئة .

ومنهم :

(٩١) (٩٢) الحسن بن صالح وأخوه علي رضي الله عنهما[١]

كانا من العبَّاد الزهَّاد .

وكانا قد قسما الليل ثلاثةَ أجزاء ، فكان عليٌّ يقوم الثلثَ ، ثم ينبِّهُ الحسنَ وينام ، ثم يقوم الحسنُ ، فإذا فرغ نبَّه أُمَّه ، فقامتِ الثلثَ الآخر ، فلما ماتت أمُّهما قسما ثُلثَها عليهما ، فكان كلُّ واحدٍ يقومُ نصفَ الليل ، فلما ماتَ عليٌّ قام الحسنُ الليلَ كلَّهُ .

---

(١) تقدمت ترجمتهما مع ذكر مصادرهما في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٥٣) (٩٨) و(٩٩) .

وكان كلٌّ واحدٍ يقرأ في ثُلثِهِ ثلثَ القرآن ، فلما ماتَ صاحبُهُ زادَ ما كان يقرأ علىٰ قراءته .

وكان الحسنُ كثير الصدقة ، وكان إذا لم يجدْ في داره ما يُعطيه للسائل أعطاه شعلةً من نار ويقول : امض بها إلىٰ منزل قومٍ عسىٰ يعطوك شيئاً تتبلَّغُ به .

وكان يستحي أن يُواجه أحداً بالنُّصح ، وإنما يُرسلُه له في ورقةٍ ، أو يدفعها إليه .

وكان يقول : (صاحبُ التخليط في مطعمِهِ أو في صحبتك لا يفلح) .

وكان يقول : (إذا لم يخشَ العالمُ ربَّهُ فليس هو بعالم) .

وكان يقول : (لا ينبغي لمؤمنٍ أن يأكلَ أو يشربَ أو يخرجَ أو يدخل أو يفعل شيئاً إلا بنيَّةٍ صالحة) .

وسُئل مرَّةً عن الدليل علىٰ قولهم : (الكريم لا يستقصي حقَّهُ) ، فقال : دليله قوله تعالىٰ : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾ [التحريم : ٣] .

وكان يقول : (أنا أستحي من الله أن أتكلَّفَ النومَ ، وإنما أجلسُ بين يديه كلَّ ليلةٍ حتىٰ يصرعَني النومُ ، فإذا نمتُ ثم استيقظتُ ثم عدتُ نائماً فلا أنامَ الله عيني) .

وكان لا يقبلُ من أحدٍ شيئاً ، لا هديةً ولا غيرها ، ويقول : قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه : من جلس في المسجد وقَبِل كلَّ ما يُعطاه . . فقد ألحف في المسألة .

وكان يقول : (أولُ من أخبر أهلَ فارس بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم جنيٌّ في صورة كلب ؛ وذلك أنه أتىٰ إلىٰ كلبٍ من كلاب فارس ، فقال : أطعمني وأنا أخبرك خبراً ، فأَطعَمَهُ ، فقال : محمدٌ مات) .

وسئل مرةً عن سترة المُصلِّي ، فقال : سترته التقوىٰ .

وسئل عمَّا يقطعُ الصلاة ، فقال : يقطعُها الفجور .

وكان لا يوجدُ في بيته شيءٌ يؤكل ، ويجيء إليه ولدُهُ في المسجد ، فيقول : يا أبِ ؛ إني جيعان ، فيعلِّله حتىٰ يروحَ .

وكان له جاريةٌ يأكلُ من غزلها الخبزَ والشعير .

وكان يتنخَّمُ الدمَ من شدَّة الخوف من الله عز وجل .

وكان يقول : (فتَّشنا الورعَ ، فلم نجده في شيءٍ أقلَّ منه في اللسان) .

وكان إذا أشرفَ على المقابر يخرُّ مغشيّاً عليه .

وكان إذا ذهبَ إلىٰ جنازةٍ لا يستطيعُ أن يرى الميتَ وهم يُدخلونه القبر ، فوقع بصرُهُ عليه مرةً ، فأُغمي عليه ، ورجعوا به محمولاً على النعش .

وكان إذا بكىٰ سمع الناسُ صراخَهُ كبكاءِ أهل المصائب .

وكان يقول : (عملُ الحسنات يقوِّي البدن وينوِّرُ القلبَ والبصر ، وعملُ السيئات بالعكس) .

وكان يقول : (لا يُسمَّى الرجلُ فقيهاً إلا إن صار يفرحُ إذا زَوى اللهُ عنه الدنيا ، ويحزنُ إذا دخلت عليه الدنيا) .

توفي عليٌّ رضي الله عنه سنة أربع وخمسين ومئة ، وتوفي بعده أخوه الحسن بثلاث عشرة سنة ، رضي الله عنهما .

ومنهم :

(٩٣) الإمام عبدُ الله بن المبارك رضي الله عنه[(١)]

ولد سنة ثمان عشرة ومئة .

وكانوا يقدِّمونه في الأدب علىٰ سفيان الثوري ، وكان سفيان نفسُهُ يعترفُ بالقصور عن درجته ، ويقول : (جهدتُ جهدي علىٰ أن أداومَ ثلاثةَ أيام في السَّنة علىٰ ما عليه عبد الله بن المبارك فلم أقدر) .

وكان يقول : (لا تقتدوا بعلماء زمانكم ، وانظروا في سير الصحابة والتابعين ؛ فإنه أهدىٰ لكم) .

وكان يقول : (إذا دخلتْ سنة مئتين ففرُّوا من مجالسة الناس ، إلا في حضورِ واجب) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٥٥) (١٠٠) .

وكان يقول : (إذا قرأتم من القرآنِ ما تقيمون به صلاتكم فاشتغلوا بالعلم ؛ فإنه يُطلعكم علىٰ معاني القرآن) .

وكان يقول : (كيف يطلب أحدُنا في هٰذا الزمان إخوانَ الصدق ، ولا نعرفُ أحداً قطُّ من إخواننا الآن يأخذُ نصيحةَ أخيه بانشراح قلب ؟!) .

وكان يقول : (لا يُسمَّى العالمُ عالماً حتىٰ لا تخطرَ محبةُ الدنيا له علىٰ بال) .

وسئل مرَّةً عن سَفِلة الناس من هم ؟ فقال : هم الذين يتعيَّشون بدينهم .

وكان يقول : (ما أتىٰ حاملُ القرآن معصيةً قطُّ إلا وهو يُناديه به في جوفه : أفٍ لك ، كيف تعصي الله وأنا في جوفك ؟! ألا ترىٰ زواجري ، ولا مواعظي ، ولا ترعوي بها ؟!) .

وكان يقول : (من علامة من عرفَ نفسه أن يكون أذلَّ من كلبٍ) .

وكان يقول : (من ختمَ نهاره بذكرِ الله عز وجل كتبه الله كمن ذكر النهارَ كلَّهُ) .

وكان يتحرَّىٰ هٰذا العمل كلَّ يومٍ .

وكان يقول : (رُبَّ عملٍ صغير تجعله النيةُ كبيراً ، وربَّ عملٍ كبير تجعله النية صغيراً) .

وكان ينشد هٰذين البيتين كثيراً من كلامه رضي الله عنه : [من المتقارب]

وهلْ بدَّلَ الدِّينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سُوءٍ ورهبانُها
لقدْ رتعَ القومُ في جيفةٍ يَبِينُ لِذي العلمِ إنتانُها

وكان يقول : (مسكين ابنُ آدم ، قد وُكِّلَ به خمسةُ أملاك ؛ ملكان بالليل ، وملكان بالنهار يجيئان ويذهبان والخامسُ لا يفارقُهُ ليلاً ولا نهاراً) .

وكان إذا اشتهىٰ شيئاً لا يأكلُهُ إلا مع ضيفٍ ، ويقول : بلغنا أنَّ طعام الضيف لا حسابَ علىٰ صاحبه .

وكان له رضي الله عنه سفرةٌ تُحمل علىٰ عجلةٍ أو عجلتين .

قال أبو إسحاق الطالقاني : ورأيتُ بعيرين مملوءَين دجاجاً مشوياً لسفرة عبد الله بن المبارك .

وكان يُطعم أصحابه الفالوذج والخبيص(١) ، ويظلُّ هو نهارَهُ صائماً .

وما دخلَ رضي الله عنه الحمامَ قطُّ .

وقيل له مرةً : قد قلَّ مالُكَ ، فأقللْ من صلة الناس ، فقال : إن كان المالُ قد قلَّ فإنَّ العمر قد نفد .

وكان يقول : (أربعُ كلماتٍ انتُخبتْ من أربعةِ آلاف حديث : لا تثقنَّ بامرأة ، ولا تحمِّل معدتَك ما لا تطيق ، ولا تغترَّ بمالٍ ، وتعلَّمْ من العلم ما تعلمُ أنك تعمل به فقط) .

وكان إذا بلغه عن أصحابه أنهم نسبوا إليه مسألةً من العلم يأمرهم بكشطها ، ويقول : (من أنا حتىٰ يُكتبَ قولي في القراطيس ؟!) .

وكان يقول : (كن محبّاً للخمول ، كارهاً للشهرة ، ولا تظهرْ من نفسك أنك تحبُّ الخمول ، فترفع نفسك ، وتقع في أشدَّ من الخمول) .

وكان يقول : (دعواك الزهد من نفسك يُخرجُكَ من الزهد) .

وكان يقول : (سلطانُ الزهدِ أعظمُ من سلطان الرعية ؛ لأنَّ سلطانَ الرعية(٢) لا يجمعُ الناس إلا بالعصي ، والزاهدُ يُنفِّرُ الناس عنه ، فيتبعونه) .

ولمَّا قدم هارونُ الرشيد الرقَّةَ وردَ عبدُ الله بنُ المبارك ، فانجفلَ الناس إليه(٣) ، وتقطَّعت نعالُهم ، وارتفعتْ أصواتهم ، وثارتِ الغبرةُ ، فأشرفت أمُّ ولدٍ لأمير المؤمنين من برج قصر الخشب ، فلما رأتِ الناس وكثرتَهم قالت : ما هـٰذا ؟! قالوا : عالمُ خراسان ، فقالت : هـٰذا هو المُلكُ ، لا مُلك هارون الرشيد ؛ فإن هارون إنَّما

---

(١) **الفالوذج** : نوع من الحلوىٰ ، يُسوَّىٰ من لُبِّ الحنطة ، **والخبيص** : حلواء أيضاً معمول من التمر والسمن .

(٢) في (ز) : (الرهبة) بدل (الرعية) .

(٣) **انجفل الناس إليه** : أي : ذهبوا مسرعين نحوَهُ .

يُجمعُ الناسُ إليه بالعصي والشُّرط والأعوان .

وكان إذا قرأ شيئاً من آيات التخويف كأنه بقرةٌ منحورةٌ من البكاء ، لا يجترئ أحدٌ منَّا أن يدنو منه ، ولا يسألَهُ عن شيءٍ .

وكان يكرهُ للعلماء قبولَ الزكوات ، فقالوا له : إنْ منعناهم الزكاة حرموا تحصيل العلم ، فقال : أعطوهم ليحصلوا العلم .

وكان يقول : (لئن أَردَّ درهماً من شُبهةٍ أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّقَ بمئة ألف دينار) .

وقيل له مرة : ما التواضع ؟ فقال : التكبُّرُ على الأغنياء ثقةً بالله عز وجل .

وكان لعبد الله صاحبٌ يقال له : إسماعيل بنُ عُلَيَّة ، وكان يُجاريه في العبادة والزهد ، فتولَّى ابنُ عُليَّةَ أمرَ الصدقات ، فكتب إليه عبد الله بنُ المبارك : [من السريع]

يا جاعلَ العلمِ لهُ بازياً ... يصطادُ أموالَ السَّلاطينِ
احتلتَ للدُّنيا ولذَّاتِها ... بحيلةٍ تذهبُ بالدِّينِ
وصرتَ مجنوناً بهَا بعدمَا ... كنتَ دواءً للمجانينِ
أينَ رواياتُكَ والقولُ في ... لزومِ أَبوابِ السَّلاطينِ
إنْ قلتَ أُكرهتُ فما هٰكذا ... زلَّ حمارُ الشَّيخِ في الطِّينِ

وذكروا لعبد الله بن المبارك مرَّةً ما كان عليه يوسفُ بنُ أسباط من العبادة والتجرُّد عن الدنيا ، فقال : لقد ذكرتمونا بأقوام ينزلُ بهم الغيثُ ، ولٰكنْ إنْ فعل الناسُ جميعُهم ذلك فمَنْ لحفظِ سُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! ومَنْ لعيادةِ المرضىٰ وشهود الجنائز ؟! وعدَّ أنواعاً من القُربِ .

وسئل مرَّةً : كيف تعلمُ الملائكةُ أنَّ العبدَ قد همَّ بحسنةٍ ؟ فقال : يجدون ريحَها ، وقد تقدَّم نظيرُ ذلك عن سفيان بن عُيينة[١] .

وكان يقول : (عجبتُ من حامل القرآن والعلم كيف تدعوه نفسُهُ إلىٰ محبَّة الدنيا ، ويخالف ما حمل من القرآن والعلم ؟!) .

---

(١) الذي تقدم نظير ذلك عنه : هو سفيان الثوري رحمه الله تعالى : (٣/ ١١٩) .

وكان يقول : (بلغنا : أنَّ الرحمةَ تنزل عند ذكر الصالحين)[١] .

وكان رضي الله عنه من أورعِ الناسِ ، وَرَدَ مرةً من مرو إلى الشام في ردِّ قلمٍ استعاره ونسيَهُ في رَحْلِهِ ، وسافر به .

وكان يحثُّ جميعَ أصحابه على الأدب ، ويقول : (كاد الأدبُ أن يكون ثُلُثَي الدِّين) .

وكان قليلَ الخلاف على أصحابه ، وينشد[٢] : [من الرمل]

وإذا صاحبْتَ فاصحبْ ماجداً ذَا عفافٍ وحياءٍ وكرمْ
قولُهُ لِلشيءِ لا إنْ قلتَ لا وإذا قلتَ نعمْ قالَ نعمْ

وكان يقول : (يجبُ على العاقلِ ألا يستخفَّ بثلاثةٍ : بالعالم ، والسلطان ، والأخ الصادق ؛ فإنَّ من استخفَّ بالعالم ذهبَتْ آخرتُهُ ، ومن استخفَّ بالأخ ذهبت مروءته ، ومن استخفَّ بالسلطان ذهبتْ دنياه) .

وكان يقول : (لا يقل أحدُكم ما أجرأَ الظالم الفلاني على الله ! ولٰكن ليقل : ما أغرَّ فلاناً بالله ! فإنَّ الله أكرمُ وأجلُّ من أن يجترِئ عبدُهُ عليه) .

وكان يقول : (عليكم بالبخورِ في اللِّحىٰ والأكمام ؛ فإنَّ مجامرَ الرجال فيها ، كما أنَّ مجامرَ النساء تحت القميص) .

وكان يقول : (ليس من الدنيا قوتُ يومٍ يضعُهُ العبدُ في بيته) .

وكان يقول : (ما أودعتُ قلبي قط شيئاً من علمٍ أو غيره فخانني) .

وكان ينشدُ إذا ودَّع شخصاً من إخوانه : [من الطويل]

وهوَّنَ وجدِي أنَّ فُرقةَ بيننا فِراقُ حياةٍ لا فراقُ مماتِ

---

(١) قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » (٧٢٠) : (قال شيخنا : لا أستحضره مرفوعاً ، وسبقه لذلك شيخه العراقي فقال في « تخريج الإحياء » : « ليس له أصل في المرفوع وإنما هو من قول سفيان بن عيينة ») ، ثم قال السخاوي : قلت : وسأل أبو عمرو بن نجيد أبا جعفر بن حمدان وهما صالحان : بأي نية أكتب الحديث ؟ فقال : ألستم ترون أن عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ؟! قال : نعم ، قال : فرسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الصالحين .

(٢) تنسب هٰذه الأبيات لابن الأعرابي . انظر « الأمالي » (٢/ ١٨٢) .

وكان يقول : (لا يُخرجُ العبدَ عن الزهد إمساكُهُ الدنيا ليصونَ بها عِرضَه عن سؤال الناس) .

وقيل له مرة : إنَّ شيبان يزعم أنك مُرجئٌ ، فقال : كذب ؛ فإني خالفتُ المرجئة في ثلاثة أشياء ؛ وذلك أنهم يزعمون أنَّ الإيمان قولٌ بلا عمل ، وأنا أقول : إنه قولٌ وعمل ، ويزعمون أنَّ تاركَ الصلاة جاحداً لا يكفر ، وأنا أقول : إنه يكفرُ ، ويزعمون أنَّ الإيمانَ لا يزيدُ ولا ينقص ، وأنا أقول : إنه يزيدُ وينقص .

توفي رضي الله عنه سنة إحدىٰ وثمانين ومئة ، ودُفن بقريةٍ علىٰ بحر الفرات ، يقال لها : هيت ، لمَّا رجع من الغزو .

وكانت إقامته بخراسان ، وكان مولدُهُ سنة ثمانٍ ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٤) الإمامُ الأعظمُ أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت رضي الله عنه[١]

كان من أعبدِ الناس ، وأزهد الناس ، وأورع الناس ، وأعفِّ الناس ، وأفقه الناس ، وأخوف الناس ، رضي الله عنه .

ولد سنة ثمانين من الهجرة ، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومئة وهو ابن سبعين سنة .

وكان في زمنه أربعةٌ من الصحابة : أنس بنُ مالك ، وعبدُ الله بن أبي أوفىٰ ، وسهل بنُ سعد ، وأبو الطُّفيل ، وهو آخرهم موتاً ، ولم يأخذْ عن أحدٍ منهم . قاله النووي رضي الله عنه[٢] .

وكان عبد الله بن المبارك يقول : لمَّا دخلتُ الكوفة قلتُ لهم : من أعلمُ الناس في بلدِكم هـٰذه ؟ فقالوا كلهم : أبو حنيفة ، فقلتُ لهم : فمن أزهدُ الناس فيها ؟ فقالوا كلُّهم : أبو حنيفة ؟ فقلت لهم : فمن أورعُ الناس فيها ؟ فقالوا كلُّهم : أبو حنيفة ، فقلت لهم : فمن أَخوفُ الناس فيها من الله ؟ فقالوا كلُّهم : أبو حنيفة رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٣٩) (٩٣) .

(٢) انظر « تهذيب الأسماء واللغات » : (٢/ ٤٦٠) .

وأكرهوه على تولية القضاء أيامَ مروان ، وضربوه على رأسهِ ضرباً شديداً ، فلم يلِ .

وكان يقول لمَّا أطلقوه : (واللهِ ؛ إن غمَّ والدتي عليَّ كانَ أشدَّ عليَّ من الضرب) .

وكان الإمامُ أحمد إذا ذُكِرَ أبو حنيفة بكى وترحَّم عليه .

ثم إن أبا جعفر المنصور أكرهه بعد ذلك ، وأشخصَهُ من الكوفة إلى بغداد ، فأبى وقال : لا أكونُ قاضياً ، فحبسه حتى تُوفي في السجن ، وكانوا يُخرجونه كلَّ قليلٍ من الحبس ، ويتوعَّدونه ليليَ القضاء ، فيأبى ، ويقول : يا أبا جعفر[1] ؛ اتَّقِ الله ، ولا تولِّي إلا من يخافُ الله ، واللهِ ؛ ما أنا مأمونٌ في الرضا ، فكيف أكونُ مأموناً في السخط ؟!

ويقال : إنه تولَّى القضاءَ يومين أو ثلاثةً قهراً ، ثم مرض ، فمات بعد ستةِ أيام .

وقال ابن الجوزي : دعا أبو جعفر أبا حنيفة والثوري ومسعراً وشريكاً ليولي أحدَهم القضاء ، فقال الإمام أبو حنيفة : أنا أخمِّنُ لكم تخميناً ؛ أما أنا فأحتال وأتخلَّصُ ، وأما مِسْعر فيتحامقُ ويتخلَّص ، وأما سفيان فيهرب ، وأما شريك فيقع ، وكان الأمرُ كما قال .

وكان مِنْ تَحامقِ مِسْعر : أنه لمَّا دخلَ للخليفة قال : كيف حالُكَ ؟ وكيفَ طبيخُك ؟ وكيف حميرك ؟ فقال : أخرجوا هـٰذا ؛ فإنه مجنون ، وأما سفيان فلبس ثيابَ الفتيان من المعصفرات ، وأمسك العصا ، وخرج إلى بلاد اليمن ، ولما بلغه أن شريكاً تولَّى هجره سفيان ، وقال : قد كان يُمكنك الهرب فلم تهرب .

وكان الإمامُ أبو حنيفة حسنَ الوجه ، حسن الثياب ، طيِّبَ الريح ، كثيرَ الكرم ، حسنَ المواساة لإخوانه .

وكان يُعرف بريح الطيب إذا أقبل في ظلام .

وكان يقول : (ما صلَّيت قطُّ إلا ودعوتُ لشيخي حماد ، ولكلِّ من تعلَّمتُ منه علماً ، أو علَّمته) .

---

(١) ما أثبت من (ز) وحدها ، وفي باقي النسخ : (يا أبا منصور) .

وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يمدحُ أبا حنيفة ، ويقول : (الناسُ عيالٌ علىٰ أبي حنيفة في الفقه) .

وكان أهلُ عصره يسمُّونه الوتد ؛ لكثرة صلاته بالليل .

وصلَّى الصبحَ بوضوء العشاء أكثرَ من أربعين سنة .

وكان رضي الله عنه لا يجلسُ في ظلِّ شجرةِ مَنْ له عليه دينٌ ، ويقول : (« كلُّ قرضٍ جرَّ نفعاً فهوَ رباً »[1] ، وإنَّ لي علىٰ صاحب هـٰذه الشجرة ديناً) .

وكان عامَّةُ ليله يُصلِّي بالقرآن في ركعةٍ واحدة .

وكان جيرانُهُ يسمعون بكاءَهُ في الليل حتىٰ يرحموه ، كأنه قَتَلَ ألف نفس .

وختم القرآن في المكان الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة .

وقال عبد الله بن المبارك : بلغنا عن أبي حنيفة : أنه صلى الصلوات الخمس أربعين سنة بوضوءٍ واحدٍ .

وكان نومُهُ جالساً ، فينام لحظةً بين الظهر والعصر ، وفي الشتاء ينام لحظة من أول الليل .

وكان يقول : (إذا قَبِلَ القاضي الرِّشوةَ فهو معزول ، وإن لم يعزلْه الإمام) .

وسُئل مرةً : أيُّما أفضل : الأسودُ أم علقمة ؟ فقال : واللهِ ؛ ما نحن بأهلٍ أن نذكرَهُم ، فكيف نُفاضل بينهم ؟!

وكان من أخوفِ الناس من الله عز وجل ، ويقول : سمعتُ عطاء يقول : (ما من مَلَكٍ مقرَّبٍ ، ولا نبيٍّ مرسل إلا ولله الحجةُ عليه ؛ إن شاء غفرَ له ، وإن شاء عذَّبه) .

وكان يقول : (إنما سُمِّي المرجئة بذلك ؛ لأنَّهم أرجؤوا أمر العصاة إلى الله لمَّا سُئلوا : أين منزلهم في الآخرة ؟ ؛ فإنَّ الكفار في النار ، والمؤمنين في الجنة) .

وكان رضي الله عنه من أحسن الناس جاراً ، حتىٰ إنه كان له جارٌ يهودي ، وكانت

---

(١) روى الحديث الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » كما في « بغية الباحث » (٤٣٧) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ٢٤٠) .

قصبةُ خلائه تخرُّ على الإمام كلَّ يومٍ ، فكان يجمعُ كلَّ يومٍ ما تحصَّلَ ، ويحملُه إلى الكوم وهو ساكتٌ ، فمكث على ذلك عشر سنين ، فبلغ ذلك اليهوديَّ ، فبكى ، ثم جاء وأسلمَ .

وكان يقول : (لو أنَّ الله تعالى قسم لعبدٍ من العبادة ما صارَ به مثلَ السَّوط من المجاهدة لم يقبلْ ذلك منه ، إلا إنْ كان يعلمُ ما يدخلُ جوفه : أحلالٌ هو أم حرام) .

وكان يقول : (جالستُ الناس خمسين سنة فما وجدتُ أحداً منهم غفرَ لي ذنباً فيما بيني وبينه ، ولا وصلني حين قطعتُهُ ، ولا سترَ عليَّ عورةً ، ولا ائتمنتُهُ على نفسي إذا غضب ، فالاشتغالُ بهـٰؤلاء حمقٌ) .

وكان يقول : (لو لم يكن من صفة الدنيا إلا كون الحقِّ يُعصىٰ فيها . . لكان ذلك كفايةً في بغضنا لها) .

وكان يقول : (الملحُ مع الخبز شهوةٌ) .

ورئي رضي الله عنه بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرَ لي ، فقيل له : بالعلم ؟ فقال : هيهات ، إن للعلم شروطاً وآفاتٍ قلَّ من يتخلَّصُ منها ، فقيل له : فبم غفر الله لك ؟ فقال : بقولِ الناس فيَّ ما ليس فيَّ .

وكان يقول : (لا ينبغي أن يُتركَ القاضي على القضاء أكثر من سنة ؛ لأنه إذا مكث فيه أكثرَ من سنةٍ ذهب فقهه) .

وكان يقول : (من هان عليه فرجُهُ هان عليه دينُهُ) .

وكان يقول : (إذا تكلَّمَ العبدُ بما علم فلا إثم ؛ إنما الإثمُ في الظنِّ) .

وكان يقول : (بلغني : أنه ليس في الدنيا أقلُّ من فقيه ورع)[1] .

وكان إذا أفتى يقول : (هـٰذا أحسنُ ما قدرنا عليه من العلم ، فمن قدرَ على غير ذلك فهو وذاك) .

---

(١) في « الطبقات الكبرى » : (أعزُّ) بدل (أقلُّ) .

وكان يقول : (لا ينبغي لمن لم يعلمْ دليلي أن يفتي بكلامي) .

وقال رجل يوماً : إني أحبُّك ، فقال : وما يمنعُك من محبَّتي ، ولستُ بجارك ، ولا ابنِ عمٍّ .

وكان يقول : (غوغاء الناس هم القصَّاصُ الذين يستأكلون بوعظهم الدنيا) .

ومناقبه رضي الله عنه كثيرةٌ مشهورة .

وقد بسطتُ القول في مناقبه في مقدمة كتابنا « مختصر السُّنن الكبرىٰ » للبيهقي ، فراجعه ، والله أعلم .

ومنهم :

(٩٥) الإمامُ الأعظم مالك بنُ أنس رضي الله عنه[١]

كان من صفته : أنَّه رجلٌ طوالٌ ، عظيمُ الهامة ، أصلعُ ، أبيض الرأس واللحية ، شديدُ البياض ، وكان لباسُهُ الثيابَ العدنية الجياد .

وكان يُدير طرف عمامته من تحت حنكه ، ويقول : (إذا لم يكنْ من العمامة شيءٌ تحت الحنك ، فهي عِمامة الشيطان)[٢] .

وكان إذا أراد أن يجلسَ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسَ أحسنَ ثيابه ، وتبخَّر وتطيَّب واغتسل ، ومنع الناس أن يَرفعوا أصواتهم ، ثم يُحدِّثهم .

وكان شغلُهُ إذا دخل بيته تلاوةَ القرآن في المصحف ، وكانت الخلفاء تهابه .

وكان يقول : (قصُّوا الشاربَ حتىٰ تبدو حمرةُ الشفة ، ولا تحلقوه ؛ فإنه مثلة) .

وكان يقول : (ما ثَمَّ أحدٌ يُخاف عليه يومَ القيامة أكثرُ من العلماء ؛ فإنهم يُسألون عما يُسألُ عنه الأنبياء) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٣٧) (٩٢) .

(٢) تقدّمت مثل هـٰذه المقولة من قول سفيان الثوري أيضاً (٣/ ١١٢) .

وكان يقول : (مَثَلُ المنافقين في المسجد كمثلَ العصافير في القفص إذا فُتح بابُ القفص طارت) .

ومكث رضي الله عنه خمساً وعشرين سنة لم يشهدِ الجماعة ، فقيل له : ما يمنعك عن الخروج ؟! فقال : أخاف أن أرىٰ مُنكراً فلا أغيِّره .

قلت : وإنما سُومح مِنْ مثلِ ذلك ؛ لأنَّه مُجتهدٌ ، فلو فعل مثلَ ذلك من ليس بمجتهدٍ فلا يُسامح بذلك ، بل يخرجُ للجماعة .

وكان يقول : (إذا مدحَ الرجلُ نفسَهُ ذهب بهاؤه) .

وكان رضي الله عنه مُهاباً ، فكان إذا قال في مسألةٍ : (لا) أو : (نعم) لا يتجرَّأُ أحدٌ يقول له : من أين قلت ذلك ؟!

وكان يقول : (أخذتُ العلمَ عن تسع مئة شيخ ؛ منهم ثلاث مئة من التابعين) .

وكان يقول : (ليس العلمُ بكثرة الرواية ؛ وإنما هو نورٌ يضعه الله في القلب يفرِّقُ به الإنسانُ بين الحقِّ والباطل) .

وقيل له مرةً : ما تقول في طلب العلم ؟ فقال : حسنٌ جميل ، ولـٰكنِ انظرْ ماذا يلزمك من حين تصبح إلىٰ أن تُمسي فالزمْهُ .

ولما ضربه جعفر بن سليمان في طلاقِ المكره ، وحملَهُ علىٰ بعيرٍ ، وقال له : نادِ علىٰ نفسك بأنك مُوافقٌ لنا ، فقال رضي الله عنه : ألا من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفْني فإني مالك بنُ أنس ، أقول : طلاقُ المكره ليس بشيءٍ ، فبلغ ذلك جعفراً ، فقال : أدركوه وأنزلوه ؛ فإنه يُعلن بمخالفتنا .

وكان يقول : (حقٌّ علىٰ من طلب العلم أن يكونَ له وقارٌ وسكينة وخشية) .

وكان يقول : (لا ينبغي للعالم أن يتكلَّمَ بالعلم عند من لا يُطيعه ؛ فإنه ذلٌّ وإهانة للعلم) .

وكان يمشي في أزقَّةِ المدينة حافياً ، ويقول : (إني أستحي من الله تعالىٰ أن أطأَ موضع قدمِ نبيِّه صلى الله عليه وسلم بنعلٍ أو بحافر دابة) .

ولما اختفىٰ رضي الله عنه أيام الفتنة قال لمُطرِّفِ بنِ عبد الله : ماذا يقولُ الناس فيَّ ؟ فقال : أمَّا الصديق فيُثني عليك ، وأما العدو فيقع ، فقال : ما زال الناس هٰكذا لهم عدوٌّ وصديق ، ولٰكن نعوذُ بالله من تتابع الألسنة كلِّها بالذم .

وسُئل رضي الله عنه مرَّةً عن كيفية الاستواء على العرش ، فقال بعد إطراقٍ وتفكُّر : (الكيفُ غيرُ معقول ، والاستواءُ غيرُ مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنُّكَ صاحبَ بدعة) ، ثم أَمَرَ به فأُخرج .

ومناقبه رضي الله عنه كثيرةٌ مشهورة .

ولد رضي الله عنه سنة ثلاث وتسعين ، وتوفي سنة سبعٍ وسبعين ومئة[1] ، ودفن بالبقيع ، وعلىٰ قبره جلالةٌ وهيبة .

وقد زرته سنة ثلاث وخمسين وتسع مئة ، فحصل للخلق بكاءٌ عند قبره حتىٰ تناحبوا ، ولم يقعْ لهم ذلك عند قبر غيره ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٦) الإمامُ الأعظم محمد بنُ إدريس الشافعي رضي الله عنه[2]

وشهرتُهُ تُغني عن تعريفه ، ولٰكن نذكرُ طرفاً من مناقبه وأحواله تبرُّكاً به رضي الله عنه ، فنقول وبالله التوفيق :

هو ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلتقي معه في عبدِ مناف .

ولد رضي الله عنه بغزةَ ، ثم حُمل إلىٰ مكة وهو ابن سنتين ، **وأقام بمصرَ أربع سنين ، ثم تُوفي بها ليلةَ الجمعة بعد المغرب سنة أربعٍ ومئتين ، وعمره أربع وخمسون سنة .**

ونشأ رضي الله عنه يتيماً في حِجْرِ أمِّهِ في قلَّةِ عيشٍ وضيق حال .

وكان في صباه يُجالس العلماء ، ويكتب ما يستفيده منهم في العِظام ونحوها ؛

---

(١) كذا في النسخ ، والمشهور أنه توفي سنة تسع وسبعين ومئة كما في كتب التراجم .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٣٠) (٩١) .

لعجزه عن ثمنِ الورق ، حتىٰ ملأ منها حباباً[(١)] .

وتفقه في مكة علىٰ مسلم بن خالد الزَّنْجي .

وكان منزله شعب الخيف منها ، ثم قدم المدينة فلزم الإمامَ مالك رضي الله عنه ، وقرأ عليه « الموطأ » حفظاً ، فأعجبه قراءتُهُ ، وقال له : يا محمد ؛ اتَّقِ الله تعالىٰ ، فسيكون لك شأنٌ ، وكان سِنُّهُ لما أتىٰ مالكاً بالمدينة ثلاث عشرة سنة .

ثم رحل إلى اليمن حين تولَّىٰ عمُّه القضاء بها ، واشتهر بها .

ثم رحل إلى العراق ، وبرع في الاشتغال بالعلم ، وجدَّ فيه ، وناظر محمد بنَ الحسن وغيرَهُ ونُصِرَ .

ونشر علم الحديث والسنة ، وأقام بمذهبه أهله ، واستخرج الأحكام من السنة ، ورجع كثيرٌ من العلماء عن مذاهبهم إلىٰ مذهبه .

ثم خرج إلىٰ مصر آخر سنة تسع وتسعين ومئة ، وصنَّف كتبَهُ الجديدةَ بها ، ورحل الناسُ إليه من سائر الأقطار .

قال : الربيع بنُ سليمان : (رأيتُ علىٰ بابِ دار الإمام الشافعي سبع مئة راحلة تطلبُ سماعَ كتبه ، رضي الله عنه) .

ولما خرج من بغداد أنشد : [من الطويل]

سـأطلـبُ علمـاً أو أمـوتَ ببلـدةٍ ... يقـلُّ بها قَطْـرُ الـدُّمـوعِ علـىٰ قبـرِي
وليسَ اكتسابُ العلمِ يا نفسُ فاعلمِي ... بميـراثِ آبـاءٍ كـرامٍ ولا صهـرِ
ولـٰكنْ فتى الفتيانِ مَنْ راحَ واغتدَىٰ ... ليطلـبَ علمـاً بـالتجلُّـدِ والصَّبـرِ
فإنْ نالَ علماً عاشَ في الناسِ سيِّداً ... وإنْ ماتَ قالَ الناسُ بالغَ في العذرِ

وأنشد قبل أن يخرج من بغداد : [من الطويل]

لقدْ أصبحتْ نفسِي تتوقُ إلىٰ مصر ... ومِـنْ دونِهـا أرضُ المهـامِـهِ والقفـرِ
فـواللهِ مـا أدريْ أَللفـوزِ والغنـىٰ ... أُسـاقُ إليهـا أمْ أُسـاقُ إلـىٰ قبـرِي

(١) في (أ ، و ، ز ، ج) : (خبايا) ، والحُبُّ : وعاء الماء كالجرة ونحوها .

وكان مذهبه رضي الله عنه الحديثَ ، ويقول : (إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي) .

وكان يقول : (وددتُ أنَّ الخلقَ تعلَّموا هٰذا العلم ، ولا يُنسبُ إليَّ منه حرف) .

وكان يقول : (وددتُ أني إذا ناظرتُ أحداً ألا أُظهرَ عليه الحجة ؛ بل أحبُّ أن يُظهرَ اللهُ الحقَّ علىٰ يديه) .

وكان يقول : (طلبُ العلم علىٰ وجهِ الإخلاص أفضلُ من صلاة النافلة) .

وكان يقول : (من أرادَ الآخرة فعليه بالإخلاص في العلم) .

وكان يقول : (من طلبَ العلم بعزِّ النفس لم يُفلح ، ومن طلبه بذلِّ النفس وخدمةِ العلماء أفلح) .

وكان يقول : (تفقَّهْ قبل أن ترأسَ ، فإذا رأستَ فلا سبيلَ إلى التفقُّهِ) .

وكان يقول : (دقِّقوا في العلم ؛ لئلا تضيعَ دقائقُهُ) .

وكان يقول : (جَمالُ العلماء كرمُ النفس ، وزينتُهم الورعُ والحلم) .

وكان يقول : (ما ثَمَّ للعلماء عيبٌ أعظمُ من رغبتهم في الدنيا) .

وكان يقول : (ليس العلمُ ما حُفظ ، إنَّما العلمُ ما نفع) .

وكان يقول : (فقرُ العلماء اختيارٌ ، وفقر الجهَّال اضطرار) .

وكان يقول : (لا تُماروا في العلم ؛ فإنَّ المراء يُقسِّي القلب ، ويُورث الضغائن) .

وكان يقول : (الناسُ في غفلةٍ عن هٰذه السورة : « والعصر إن الإنسان لفي خسر ») .

وكان جزَّأَ الليلَ ثلاثةَ أجزاء : الثلثُ الأول يكتب ، والثاني يُصلِّي ، والثالث ينام .

وفي رواية : وكان نومُهُ في الليل دونَ ساعةٍ ، وكان يختمُ القرآنَ في كلِّ يومٍ مرة ، يستنبطُ منه الأحكام .

وكان يقول : (ما كذبتُ قطُّ ، ولا حلفتُ بالله لا جادّاً ولا هازلاً ، وما تركتُ غُسلَ الجمعة قطُّ في سفرٍ ولا حضرٍ ، ولا صيفاً ولا شتاءً ، وما شبعتُ من الطعام من

منذ ست عشرة سنة ، إلا شبعةً واحدة طرحتُها من ساعتي) .

وكان يقول : (من لم تعزُّهُ التقوىٰ فلا عزَّ له) .

وكان يقول : (ما فزعتْ نفسي من الفقرِ قطُّ) .

وكان يقول : (طلبُ فضول الدنيا عقوبةٌ عاقبَ الله تعالىٰ بها عباده) .

ولما بلغ الأربعين سنة مشىٰ على العصا ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأذكر أني مسافرٌ من الدنيا .

وكان يقول : (من شهد الضعفَ من نفسه نالَ الاستقامة ، ومن غلبته شدَّةُ الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها ، ومن رضي بالقنوعِ زالَ عنه الخضوع) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يُنوِّرَ الله عليه قلبه فعليه بالخلوة ، وقلةِ الأكل ، وترك مخالطة السفهاء ، وبعضِ طلبة العلم الذين ليس معهم إنصافٌ ولا أدب) .

وكان ينشد : [من مجزوء الكامل]

ما حكَّ جسمَكَ مثلُ ظفرِكْ فتولَّ أنتَ جميعَ أمرِكْ
وإذا سألتَ لحاجةٍ فاسألْ لمعترفٍ بقدرِكْ

وكان يقول : (لا بدَّ للعالم من خَبِيْئَةٍ من عملٍ تكون بينه وبين الله[1] ؛ فإنَّ العلمَ قليل الجدوىٰ في الآخرة إلا من حفظ الله) .

وكان يقول : (لا يعرفُ الرياءَ إلا المخلصون) .

وكان يقول : (لو أَوصىٰ رجلٌ لأعقلِ الناسِ صرفتُهُ إلى الزهَّاد) .

وكان يقول : (سياسةُ الناس أشدُّ من سياسة الدواب) .

وكان يقول : (العاقلُ من عَقَلَه عقلُهُ عن كلِّ مذموم) .

وكان يقول : (عليكم بالمروءةِ ؛ فإنها رأسُ الإيمان ، وواللهِ ؛ لو علمتُ أنَّ الماءَ البارد يُنقِصُ مروءتي ما شربتُهُ) .

---

(١) في (ح ، ك) : (خيبة) بدل (خبيئة) ، وفي « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٣٣) : (لا بد للعالم من وردٍ من أعماله) .

وكان يقول : (أصحابُ المروءات في جهدٍ في كلِّ زمانٍ) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يختمَ اللهُ له بخيرٍ فليحسنِ الظنَّ بالناس) .

وكان يقول لطلبة العلم : (سدُّوا بابَ التزويج عنكم ؛ فإنَّ لي منذ أربعين سنة أسألُ إخواني المتزوِّجين عن تزويجهم وما حصلَ لهم ، فكلُّهم يقول : ما رأيتُ خيراً قطُّ) .

وكان يقول : (ليس بأخيك من احتجتَ إلىٰ مُداراته) .

وكان يقول : (من علامةِ الصادق في مودَّةِ أخيه : أن يقبلَ عللَهُ ، ويسدَّ خللَهُ ، ويغفر زَلَلَهُ) .

وكان يقول : (من علامة الصديقِ : أن يكونَ لصديقِ صديقه صديقاً) .

وكان يقول : (ليس سرورٌ يعدلُ صحبةَ الإخوان ، ولا غمٌّ يعدلُ فراقهم ، ولولا محادثةُ الإخوان والتهجُّدُ في الأسحار ما أحببتُ البقاء في هـٰذه الدار) .

وكان يقول : (لا تقصِّرْ في حقِّ أخيك اعتماداً علىٰ مروءته ، ولا تبذل وجهك لمن يهونُ عليه رَدُّك) .

وكان يقول : (من برَّكَ فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أَطلقك) .

وكان يقول : (لا تُشاورْ من ليس في بيته دقيق) .

وكان يقول : (أظلمُ الظالمين لنفسه مَنْ تواضع لمن لا يُكرمه ، ورغبَ في مودَّة من لا ينفعه ، وقبل مدحَ من لا يعرفه) .

وكان يقول : (زينُ العالِمِ الفقرُ والقناعة) .

وكان يقول : (عاشرتُ الصوفية عشر سنين ، فممَّا استفدتُه منهم قولُهم : الوقتُ سيفٌ إن لم تقطعه قطعك[١] ، وقولهم : إن لم تُشغلْ نفسَك بالخير شغلتك بالشرِّ) .

وكان يقول : (أفضلُ العصمةِ ألا تجد) .

وكان يقول : (من نمَّ لك نمَّ عليك ، ومن نقل إليك نقل عنك ، ومن إذا أرضيتَهُ

---

(١) جاء في هامش (ج) : (قوله رضي الله عنه : « الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك » يعني : إن لم تقطعه بالعمل اقتطعك بالأمل . انتهىٰ) .

مدحَكَ بما ليس فيك . . كذلك إذا أغضبتَهُ ذمَّك بما ليس فيك) .

وكان يقول : (من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانيةً فقد فضحه وشانه) .

وكان يقول : (من سامَ بنفسه فوق ما تُساوي ردَّهُ اللهُ إلىٰ قيمته قهراً عليه) .

وكان يقول : (من تزيَّنَ بباطلٍ هُتك سترُهُ) .

وكان يقول : (التكبُّرُ من أخلاق اللئام) .

وكان يقول : (شرُّ الناسِ اللئيم ؛ إذا ارتفع جفا أقاربَهُ ، وأنكرَ معارفَهُ) .

وكان يقول : (إذا ولي أخوك ولايةً فارضَ منه بعُشْرِ ودِّهِ الذي كان قبل ولايته ؛ فمن كلَّفَهُ مثلَ ما كان قبل ولايته فقد ظلمَهُ ؛ لكثرة اشتغاله بأمر رعيَّتِهِ) .

وكان يقول : (القناعةُ تورثُ الراحة) .

وكان يقول : (أرفعُ الناس قدراً من لا يرىٰ قدرَهُ ، وأكثرُهم فضلاً من لا يرىٰ فضلَهُ) .

وكان يقول : (من كتم سرَّهُ كانت الخيرةُ في يده) .

وكان يقول : (ما ضحك الناسُ من خطأ رجلٍ في مسألةٍ إلا ثبتَ صوابُها في قلبه) .

وكان يقول : (الإكثارُ من الدنيا إعسارٌ ، والإعسارُ منها إيسارٌ) .

وكان يقول : (الانبساطُ إلى الناس مجلبةٌ لقرناء السوء ، والانقباضُ عنهم مجلبةٌ للعداوة ؛ فكنْ بين المنقبض والمنبسط) .

وكان يقول : (ما زدتُ في إكرام شخصٍ فوق قدره إلا نقصَ من قدري بقدر ما زدتُ) .

وكان يقول : (لا وفاءَ لعبدٍ ، ولا شكرَ للئيم) .

وكان يقول : (صحبةُ من لا يخاف العارَ عارٌ يوم القيامة ، ومن عاشر اللئام اكتسب اللؤم) .

وكان يقول : (من اتَّعظ بقلبه كان واعياً ، ومن اتَّعظَ بفعله كان هادياً ؛ لأن فعله يؤيِّدُهُ ، ومن سمع بإذنه كان حاكياً) .

وكان يقول : (من الذلِّ حضورُ مجلس العلم بلا نسخةٍ ، وعبورُ الماء بلا قطعة ، ودخول الحمام بلا قصعة ، وتذلُّلُ الرجل للمرأة أو للئيم لينالَ من مالهما شيئاً) .

وكان يقول : (مداراةُ الأحمق غايةٌ لا تُدرك) .

وكان يقول : (من ولي القضاء ولم يفتقرْ فهو لصٌّ) .

وكان يقول : (ينبغي للعالِمِ أن يكونَ بجنبه سفيهٌ يردُّ عنه ألسنة السفهاء) .

وكان يقول : (أحبُّ لكلِّ مُسلمٍ أن يُكثرَ من الصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وكان يقول : (إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيتُ رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) .

وكان يقول : (لو رأيتُ صاحبَ بدعةٍ يمشي على الماء ما قبلتُهُ) .

وكان يقول : (من لم يصنْ نفسَهُ لم ينفعْهُ علمُهُ) .

وكان يقول : (الكرمُ والسخاء يُغطِّيان عيوبَ الإنسان في الدنيا والآخرة) .

وكان يقول : (من استُغضِبَ فلم يغضبْ فهو حمار ، ومن استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان) .

وكان يقول : (احذروا معاملةَ الأعور ، والأحول ، والأعرج ، والأحدب ، والأشقر ، والكوسج ، وكلِّ مَنْ به عاهةٌ في بدنه ؛ فإن فيه التواءَ ، ومعاشرتُهُ عسرةٌ) .

وكان يقول : (من طلب الرئاسةَ قبل حينها فرَّتْ منه) .

وكان يقول : (ليس من المروءة أن يُخبرَ الرجلُ بسنِّهِ ؛ لأنه إنْ كان صغيراً استحقروه ، وإن كان كبيراً استهرموه) .

وكان يقول : (من نظَّفَ ثوبَهُ قلَّ همُّهُ ، ومن طاب ريحُهُ زادَ عقله ، وقهر عدوَّهُ) .

وكان يقول : (لينوا لمن يَجفو ، فقلَّ من يصفو) .

وكان يقول : (ما نصحتُ أحداً فقبلَ مني النصحَ إلا عظمَ في عيني ، وزدتُ في مودَّته ، ولا ردَّ عليَّ أحدٌ النُّصحَ إلا سقط من عيني ورفضتُهُ) .

وكان رضي الله عنه من أكرم الناس ، قدمَ من اليمن بعشرة آلاف دينار ، فضرب خباءَهُ خارج مكة ، ففرَّقها كلَّها في مجلسٍ واحد على الناس .

وكان إذا سأله أحدٌ شيئاً احمرَّ وجهُهُ حياءً من السائل .

وكان رضي الله عنه يخضبُ لحيتَهُ بالحنَّاء حمراء قانية ، وتارةً يخضبُها بصُفرة .

وكان كثيرَ الأسقام والأمراض ؛ منها البواسير ، كانت دائماً تنضحُ الدَّمَ حتىٰ كان لا يجلسُ للحديث إلا والطستُ تحته يقطرُ فيه الدمُ .

وكان يونس بنُ عبد الأعلىٰ يقول : (ما رأيت أحداً لقي من السقم والمرض ما لقي محمد بن إدريس) .

وكان رضي الله عنه مقتصداً في لباسه .

وكان نقش خاتمه : (كفىٰ بالله ثقةً لمحمد بن إدريس) .

وكان اللهُ تعالىٰ قد أَلقىٰ عليه الهيبةَ ، حتىٰ كان أصحابُهُ لا يتجرَّؤون أن يَشربوا وهو ينظرُ إليهم هيبةً له .

وكان يتوشَّح بالرداء ، ويتكئ على الوسادة ، وتحته مضرَّبتان[1] .

وكان إذا اشترىٰ جاريةً يشترطُ عليها ألا يقربَها ؛ لأنه كان عليلاً على الدوام .

قال الربيع : ولما اشتدَّ المرضُ بالشافعي رضي الله عنه ليلةَ موته دخلتُ عليه ، فقلتُ له : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مُفارقاً ، ولكأسِ المنية شارباً ، ولسوءِ أعمالي ملاقياً ، وعلىٰ ربِّي الكريمِ وارداً ، ثم بكىٰ ، فكان ذلك آخرَ عهدي به ، رضي الله عنه .

---

(١) المضربة : كساء أو غطاء كاللحاف ، ذو طاقين مخيطين خياطة كثيرة ، بينهما قطن ونحوه . انظر « المعجم الوسيط » (ض ر ب) .

وكان الشريفُ البعلبكي المدفون تحت شباك الإمام البحري يقول : (إذا زرتمُ الإمامَ الشافعي فقفوا عند الشباك ؛ فإنه موقفُ الأبدال) انتهىٰ ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٩٧) الإمام أحمد بن حنبل إمامُ السُّنَّة رضي الله عنه[١]

وشهرته في اتِّباع السنة ومعاقبتُهُ عليها أشهرُ من أن تذكر .

وكان رضي الله عنه يقول : (طوبىٰ لمن أُخمل ذكرُهُ في هـٰذه الدار) .

وكان يقول : (رأيتُ ربَّ العزة في المنام كذا كذا مرة ، فقلت له في مرةٍ : يا ربِّ ؛ بم يتقرَّبُ إليك المتقرِّبون ؟ قال : بكلامي ، فقلت : يا ربُّ ؛ بفهمٍ أو بغير فهم ؟ فقال : بفهمٍ وبغير فهم) .

وكان إذا جاءه شابٌّ أمردُ يطلب الحديث لم يحدِّثْهُ حتىٰ يأتي ومعه غيرُهُ ، وكذلك كان يفعلُ يحيى بنُ معين .

وكان يقول : (إنما تزوَّجَ يحيى بنُ زكريا مخافةَ النظر) .

وكان رضي الله عنه لا يتركُ قيامَ الليل أبداً ، وله في كلِّ يومٍ وليلة ختمٌ ، وكان يسترُ ذلك عن الناس .

وكان أبو عصمة يقول : بتُّ ليلةً عند الإمام أحمد أطلب الحديث ، فأتىٰ بماءٍ فوضعه عند رأسي ، فلمَّا أصبحَ نظرَ إلى الماء كما هو لم يُستعمل ، فقال : يا سبحان الله ! رجلٌ يطلبُ العلم ولا يكونُ له وردٌ من الليل ! ولم يحدِّثني .

وكان يلبسُ الثيابَ النقية البياض ، ويتعهَّدُ شاربَهُ وشعرَ رأسه وبدنه .

وكان مجلسُهُ خاصّاً بأمور الآخرة ، لا يكاد يُذكرُ فيه شيءٌ من أمر الدنيا .

وكان يجيبُ إلى العرسِ والأملاك والختان ويأكل .

وجاءته زكاةٌ يوماً ، فردَّها ، فقيل له : إنَّ أولادَكَ عراةٌ ، فقال : العريُ خيرٌ لهم

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٤٢) (٩٤) .

من أوساخ الناس ، وإنها أيامٌ قلائل ، ثم نرحل من هـٰذه الدار .

وكان إذا جاعَ يأخذُ الكِسرةَ اليابسةَ ، فينفضُها من الغبار ، ثم يصبُّ عليها الماء في قصعةٍ حتىٰ تبتلَّ ، ثم يأكلها بالملح .

وكان إذا اشتهى الطعامَ طبخوا له عدساً وشحماً في فخَّارة .

وكان أكثرُ إدامه الخلَّ .

وكان لا يمكِّنُ أحداً يمشي معه في الطريق إلا إن كان له حاجةٌ .

ولما مرضَ عَرَضوا بولَهُ على الطبيب ، فنظر إليه وقال : (هـٰذا بولُ رجلٍ قد فتَّتَ الحزنُ والغمُّ والخوف كبده) .

وكان يُحيي الليل كلَّهُ من حين كان غلاماً .

وكان من أصبرِ الناس على الوحدةِ ، لا يراه أحدٌ إلا في مسجدٍ أو جنازة أو عيادة .

وكان يكرهُ المشيَ في الأسواق .

وكان وردُهُ كلَّ يومٍ وليلة ثلاث مئة ركعة ، فلما ضُرب بالسياط ضعف بدنُهُ ، فكان يُصلِّي مئةً وخمسين ركعة كلَّ يومٍ وليلة .

وحجَّ خمس حجَّات ؛ ثلاثاً منها ماشياً ، وكانت نفقتُهُ في كلِّ حجَّةٍ نحو عشرين درهماً .

ولمَّا قُدِّم للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالىٰ برجلٍ يقال له : أبو الهيثم العيَّار ، فوقف عند رأسه وقال : يا أحمد ؛ أنا فلانٌ اللصُّ ، واللهِ ؛ لقد ضربوني ثمانية عشر ألف سوط لأُقِرَّ ، فلم أُقرَّ وأنا على الباطل ، فاحذرْ أن تقلقَ من حرارة الضرب وأنت علىٰ حقٍّ ، فكان أحمدُ كلما أوجعه الضربُ يذكرُ كلام ذلك اللص ، وكان بعد المحنة لم يزلْ يتذكَّرُ كلامَهُ ، ويترحَّمُ عليه .

قال داود : (وكان أحمدُ من أنورِ الناس وجهاً) .

ولما دخلوا به على المتوكِّل بعد أن رفعوا عنه المحنة قال المتوكِّلُ : يا أمَّاه ؛ قد نارتِ الدارُ بهـٰذا الرجل ، ثم أتوه بثيابٍ نفيسة ، فألبسوها له ، فبكىٰ وقال : سلمتُ

منهم عمري كلَّهُ ، حتىٰ إذا دنا أجلي بُليت بهم وبدنياهم ، ثم نزعها لما خرجَ من عنده .

وكان يُواصلُ الصومَ ، ويُفطرُ كلَّ ثلاثة أيام علىٰ تمرٍ وسَويق .

وكان الفُضيل بنُ عياض يقول : حُبس الإمام أحمد ثمانيةَ وعشرين شهراً ، وكان يُضرب فيها كلَّ قليل بالسياط إلىٰ أن يُغمىٰ عليه ، وينخسونه بالسيف ثم يُرمىٰ على الأرض ، ويُداس علىٰ بطنه ، فلم يزلْ كذلك إلىٰ أن مات المعتصم[١] ، وتولىٰ بعده الواثقُ[٢] ، فاشتدَّ الأمرُ علىٰ أحمد ، وقال : لا أسكنُ بلداً فيه الواثق ، فاختفىٰ أحمد ، ولم يخرج لصلاةٍ ولا غيرها حتىٰ مات الواثقُ ، وولي المتوكِّلُ[٣] ، فرفعَ المحنةَ عن أحمد ، وأمرَ بإحضاره وإكرامه وإعزازه ، وكتب إلى الآفاق برفعِ المحنة ، وإظهار السُّنَّة ، وأن القرآنَ غيرُ مخلوق ، وخمدتِ المعتزلة ، وكانوا أشرَّ طوائف المبتدعة .

قال أحمد بن غسان : (ولمَّا حُملتُ مع أحمد إلى المأمون تلقَّانا الخادم وهو يبكي[٤] ، ويمسح دموع عينيه ، وهو يقول : واللهِ ؛ قد عزَّ عليَّ يا أبا عبد الله ما نزلَ بك ، قد جرَّدَ أميرُ المؤمنين سيفاً لم يجرِّدْهُ قطُّ ، وبسط نِطعاً لم يبسطْهُ قطُّ ، ثم حلف وقال : بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رفعتُ السيفَ عن أحمد وصاحبه حتىٰ يقولا القرآن مخلوق ، فجثا أحمد علىٰ ركبتيه ، ورمقَ السماءَ بعينيه ، ودعا ربَّهُ ، فما مضى الثلثُ الأول من الليل إلا ونحن بصيحةٍ وضجَّةٍ ، فأقبل علينا خادمُهُ وهو يقول : صدقتَ يا أحمد ، القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق ، قد مات واللهِ أميرُ المؤمنين) .

وكان قد لقيه رجلٌ من أولياء الله قبل أن يدخلَ المدينة ، فقال : يا أحمد ؛ احذرْ أن يكونَ قدومُك مشؤوماً على المسلمين ؛ فإن الله تعالىٰ قد رضيك لهم وافداً ، وكلُّهم

---

(١) **المعتصم بالله** : محمد بن هارون الخليفة العباسي (١٧٩ـ٢٢٧هـ) .

(٢) **الواثق بالله** : هارون بن محمد الخليفة العباسي (٢٠٠ـ٢٣٢هـ) .

(٣) **المتوكل على الله** : جعفر بن محمد الخليفة العباسي (٢٠٦ـ٢٤٧هـ) .

(٤) **المأمون** : عبد الله بن هارون الرشيد أبو العباس (١٧٠ـ٢١٨هـ) .

ناظرون إلىٰ ما تقول فيقولون به ، فقال أحمد : حسبنا الله ونعم الوكيل .

قال الفُضيل بنُ عياض : (ولمَّا سجنوا أحمد وضعوا في رجليه أَربعةَ قيود) .

وكان ابن أبي دُوَاد هو الذي تولَّىٰ مُناظرةَ أحمد عن الخليفة ، وقال للخليفة : إن أحمدَ ضالٌّ مُبتدع ، ثم يلتفتُ إلىٰ أحمد ، ويقول : قد حلف أميرُ المؤمنين أنه لا يقتلك بالسيف ؛ وإنما يضربُكَ ضرباً بعد ضرب إلىٰ أن تموت .

قال داود : وما زالوا يُناظرون أحمد إلىٰ أن ضجرَ الخليفةُ من ذلك ، فلما طالَ بهم الحال قال ابن أبي دُواد : يا أمير المؤمنين ؛ اقتلْهُ ودمُهُ في أعناقنا ، فرفع الخليفة يدَهُ ، ولطمَ بها وجهَ أحمد ، فخرَّ مَغشيّاً عليه ، فخاف الخليفةُ علىٰ نفسه من أصحاب أحمد وشيعته ، فدعا بماءٍ ، ورشَّ علىٰ وجه أحمد .

ولما قُدِّم أحمد للضرب ، والناسُ بين يدي الخليفة قياماً قال إنسانٌ لأحمد : أمسكْ رأسَ الخشبتين بيديك ، وشدَّ عليهما ، فلم يفهمْ أحمد مقالته ، فخُلعتْ يدا أحمد ، ولم يزلْ يتوجَّعُ منهما إلىٰ أن مات .

ومكث أحمدُ بعد الضربِ يقطعون اللحم والجلدَ من مقاعده سنين إلىٰ أن مات ، رضي الله عنه .

وكان بِشرُ الحافي يقول : (قد امتُحن أحمد بالنارِ فخرج ذهباً إكسيراً ، فمن مثلُ أحمد ؟!) .

وكان الهيثم يقول : (كان أحمد حجَّةَ الله علىٰ أهل زمانه في تحمُّلِ المحنِ والورع ، وكان الفضيل بن عياض حجَّةَ الله علىٰ أهل زمانه في الحزن) .

وكان أحمد يقول : (إذا كان في الرجل مئةُ خصلةٍ من الخير ، ثم شربَ الخمرَ مرةً . . محتِ المرةُ سائرَ الخصال) .

وكان يقول : (لا تأخذوا العلم عمن يشتري به ثمناً قليلاً) .

ومرض جارٌ لأحمد فقال له ولده : ألا تعودُ جارَنا ؟ فقال : يا ولدي ، إنه لم يعدْنا لمَّا امتُحنَّا حتىٰ نعودَهُ .

وسألوه مرَّةً عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : (لم يجئ لنا في

الفضائل لأحدٍ من الصحابة ما جاءَ لعليٍّ بن أبي طالب) .

ولما امتُحن أرسلَ إليه الخضر عليه السلام وقال : (يا أحمد ؛ إنَّ ساكنَ السماء ومَنْ حول العرش راضون عنك بما صبرتْ نفسُك لله عز وجل) .

ومناقبه كثيرة مشهورة .

توفي رضي الله عنه سنة إحدىٰ وأربعين ومئتين ، وقد استكمل سبعاً وسبعين سنة .

ولمَّا مرضَ اجتمعَ الناس و[أصحاب][1] الدولة علىٰ بابه لعيادته حتى امتلأتِ الشوارع والدُّروبُ ، فلما قُبض صاح الناسُ ، وارتفعتِ الأصوات بالبكاء ، وارتجَّتِ الدنيا لموته ، وخرج أهلُ بغداد إلى الصحراء يُصلُّون عليه ، فحزروا من حضر جنازته من الرجال ثمان مئة ألف ، ومن النساء ستين ألفاً ، سوىٰ من كان في الأطراف والسفن والأسطحة ؛ فإنهم بذلك يكونون أكثر من ألف ألف .

وفي روايةٍ : فحزروا من صلَّىٰ عليه فبلغوا ألفي ألف ، وخمس مئة ألف .

وأسلم يومئذٍ عشرون ألفاً من النَّصارىٰ واليهود والمجوس ، وسمعوا الجنَّ تنعيه ليالي وأشهراً في جزائر البحار وغيرها ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٨) عبد العزيز بن أبي رَوَّاد رضي الله عنه[2]

بكىٰ حتىٰ ذهب بصرُهُ مدة عشرين سنة ، لم يعلمْ به أهلُه ولا ولده .

وكان شُعيب بنُ حرب رضي الله عنه يقول : (جالستُ عبد العزيز خمس مئة مجلس فما أظنُّ أنَّ كاتبَ الشِّمال كتبَ عليه لفظةً واحدة) .

وكان يوسف بنُ أسباط يقول : (مكث عبد العزيز أربعين سنة لم يرفعْ طرفَهُ إلى السماء) .

وقيل له : كيف أصبحتَ ؟ فبكىٰ ، فقيل له في ذلك ، فقال : كيف حالُ من

---

(١) انظر (١/٢٤٦) الحاشية رقم (١) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٠) (١٠١) .

أحاطتْ به ذنوبُهُ حتىٰ فجأَهُ الموت ، ولا يدري إلىٰ ماذا يصير إلىٰ جنةٍ أم إلىٰ نار ؟!

توفي بمكة سنة تسع وخمسين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٩٩) أبو العباس بن السَّماك رضي الله عنه[١]

كان من أزهد الناس ، وأورعِ الناس .

وكان يقول : (من علامةِ الزاهد : أن يفرحَ إذا حوَّلَ اللهُ عنه الدنيا) .

وكان يقول : (قد صُمَّتِ الآذانُ في زماننا هـٰذا عن المواعظ ، وذَهَلتِ القلوب عن المنافع ، فلا الموعظةُ تنفع ، ولا الواعظ ينتفع) .

وكان يقول : (هبْ أن الدنيا كلَّها في يديك ، فانظرْ ما في يديك منها عند الموت) .

وكان يقول : (كم من مُذكِّرٍ بالله وهو له ناس ! وكم من داعٍ إلى الله وهو من الله فارٌّ ! وكم من تالٍ لآيات الله وهو منسلخ منها !) .

توفي رضي الله عنه بالكوفة سنة ثلاث وثمانين ومئة .

ومنهم :

(١٠٠) أبو عبد الرحمـٰن بن النضر الحارثي رضي الله عنه[٢]

كان من أعبد الناس ، راقبه إنسان أربعين يوماً بلياليها فما رآه نائماً لا ليلاً ولا نهاراً .

وكان يوسف بنُ أسباط يقول : (شهدتُ غُسل أبي عبد الرحمـٰن حين مات ، فلو جُرِّدَ كلُّ لحمٍ عليه ما بلغ رطلاً) .

وكان قليلَ الرواية لشغله بالعبادة .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٠) (١٠٢) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦١) (١٠٣) .

وكان إذا ذكر الآخرة ارتعدتْ مفاصلُه ، وقال : سلام سلِّمْ[١] .

ومنهم :

(١٠١) محمد بن يوسف الأصبهاني رضي الله عنه[٢]

كان عبدُ الله بنُ المبارك يُسمِّيه عروسَ الزهَّاد والعبَّاد .

وكان يقول لنفسه : (هبي أنك قاض أو عالمٌ أو صالح ، ماذا يكون لك الأمر من وراء ذلك كلِّه ؟! فكان يقطعُ أطماع نفسه عن الوقوف مع مراتب الدنيا) .

وكان إذا وردَ عليه نصرانيٌّ أكرمه وأضافه وأتحفه ، يبتغي بذلك ميلَهُ إلى الإسلام .

وكان يقول : (ذهب أصحابُنا إلىٰ رحمة الله ، وتخلَّفنا نحن في حشوش الدنيا للبول والغائط) .

وبعثوا إليه مرةً مالاً ليُفرِّقَهُ على الفقراء ، فأبىٰ ، وقال : السلامةُ مقدَّمةٌ على الغنيمة ، ومن جمعه فهو أولىٰ بتفرقته .

وكان لا ينام الليل لا صيفاً ولا شتاءً ؛ لـٰكن كان يتمدَّدُ بعد طلوع الفجر ساعةً ، ثم يقومُ للصبح .

وكان إذا أصبح كأن وجهَهُ وجهُ عروسٍ من مناجاةِ الحقِّ جل وعلا .

توفي سنة أربع وثمانين ومئة ، وهو ابن نيِّفٍ وثلاثين سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٢) يوسف بن أسباط رضي الله عنه[٣]

كان يقول : (لا يكملُ الرجل في مقامِ التواضع حتىٰ يخرجَ من بيته ، فلا يرىٰ أحداً إلا رأىٰ نفسَهُ دونه حتىٰ يرجع) .

---

(١) في (أ ، هـ ، و ، ح) : (يا سلام سلِّم) ، وفي (ج) : (سلام سلام) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦١) (١٠٤) .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٢) (١٠٥) .

وكان يقول : (لو أن شخصاً تركَ الدنيا كما تركها أبو ذرٍّ وأبو الدرداء . . ما قلتُ له زاهداً ؛ وذلك لأن الزُّهدَ لا يكونُ إلا في الحلال المحض ، والحلالُ المحض لا نعرفه اليوم) .

وأقام أربعين سنةً ليس له إلا قميصان ؛ إذا غسل أحدَهما لبس الآخر .

وكان يعمل الخُوْصَ بيده ويتقوَّتُ حتىٰ مات .

ومرضَ مرَّةً ، فأتوه بطبيبٍ من أطباء الخليفة ، وهو لم يعلم ، فلما أرادَ الانصرافَ أعلموه ، فقال لهم : ما عادتُهُ[1] ؟ فقالوا : دينار ، فقال : أعطوه هـٰذه الصُّرةَ ، ففتحوها فإذا فيها خمسة عشر ديناراً ، فقال : إنما فعلتُ ذلك لئلا يعتقدَ أحدٌ أن الخليفةَ أكبرُ مروءةً من الفقراء .

وكان يقول : (اصبروا تحت ما قدَّرَ اللهُ عليكم ؛ فإنه قلَّ من فرَّ من شرٍّ إلا وقع في أشرَّ منه ، وانظروا إلى المسيح عليه السلام لمَّا فرَّ من خضوع بني إسرائيل له ، وهرب إلى البراري . . عبدوه من دون الله ، وكان مكثُه بينهم أولىٰ) .

وكان يقول : (من قرأ القرآن ، ثم مال إلىٰ محبَّة الدنيا فقدِ اتخذَ آياتِ الله هزواً ولعباً) .

وكان يقول : (لا يكونُ العالمُ عالماً حتىٰ يكونَ يرىٰ خيرَ أعماله أضرَّ عليه من ذنوبه) .

وكان يقول : (إياكم ولذَّةَ إقبالِ الناس عليكم ؛ فإني دخلتُ المِصِّيصة مرةً ، فأقبلَ أهلُها عليَّ ، فما وجدتُ قلبي إلا بعد سنتين) .

وكان يصوم ويجوعُ حتىٰ مات وليس علىٰ جسمه أوقيةُ لحم .

توفي سنة نيِّفٍ وتسعين ومئة[2] .

---

(١) **ما عادته** : أي : ما أَجْرُهُ .

(٢) في « الوافي بالوفيات » (٢٩/ ٤٥) : (توفي في حدود المئتين رحمه الله) ، وفي « تهذيب التهذيب » (٤/ ٥٨٥) أن وفاته سنة (١٩٥هـ) .

ومنهم :

(١٠٣) حُذيفة المَرْعَشي رضي الله عنه[١]

كان يقول : (والله ؛ لو قال لي إنسانٌ : إن عملَكَ عملُ من لا يؤمن بيوم الحساب لقلتُ له : صدقتَ ، فلا تُكفِّرْ عن يمينك) .

وكان يقول : (إنْ لم يَخفِ العالمُ أن يعذِّبه اللهُ على أفضل أعماله فهو هالك) .

وكان يقول : (ربما أُحبُّ لقاءَ أخي في الله تعالىٰ ، فأخافُ أني إذا لقيته أتصنعُ له ، فأترك لقاءه) .

وكان يقول : (لا أعلمُ شيئاً من أعمال البرِّ أفضلَ من لزوم المرء بيته ، ولو كانت لي حيلةٌ في عدم الخروج إلى الفرائض تُخلِّصني لفعلت) .

توفِّي سنة سبعٍ ومئتين .

ومنهم :

(١٠٤) اليمان أبو معاوية الأسود رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (كلُّ إخواني خيرٌ مني ؛ لأنَّهم كلَّهم يرون لي الفضلَ عليهم) .

وكان يقول : (يقبحُ علىٰ حامل القرآن أن يسعىٰ في تحصيل أقلِّ من جناح بعوضة ، أو يزاحمَ عليها) .

وكان ذهب بصرُهُ ، فكان إذا أرادَ أن يقرأَ في المصحف ردَّ اللهُ عليه بصره ، فإذا ردَّ المصحفَ ذهب بصرُهُ .

واستطال شخصٌ في عِرضه ، فمنعه الناسُ ، فقال : دعوه يشتفي ، ثم قال : (اللهم ؛ اغفرْ لي الذنب الذي سَلَّطتَ عليَّ به هٰذا) .

وكان يلتقطُ الخروقَ من المزابل ، ويغسلُها ، ثم يُطبِّقُها علىٰ بعضها ، ويسترُ بها عورته ، ويقول : أمامنا اللبسُ إن شاء الله في دار البقاء ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٣) (١٠٦) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٢٦٤) (١٠٧) .

ومنهم :

(١٠٥) [سَلْم] بن ميمون الخوَّاص رضي الله عنه[١]

كان من أورعِ الناس ، وأعبدِ الناس ، وأكثرهم خوفاً من الله عز وجل .

وكان يقول : (من طلبَ الحلال في هـٰذا الزمان لم يجدْ رغيفاً يُخرجُهُ لضيفٍ) .

وكان يقول : شكوت لشيخي عدمَ وجودي حلاوة القرآن إذا قرأته ، فقال لي : مثِّل نفسَك كأنك تقرأه عليَّ ، ففعلتُ ، فزدتُ حلاوةً ، فقلتُ له ، فقال : مثِّل نفسَك كأنك تقرأ علىٰ رسول الله ، فوجدتُ حلاوةً ، فقلت له في ذلك ، فقال : مثِّل نفسَك كأنك تقرأه علىٰ جبريل ، ففعلت ، فازددت حلاوة ، فقلت له في ذلك ، فقال : مثِّل نفسَك كأنك تقرأه على الله عز وجل ، فجاءت الحلاوة كلُّها .

وكان يقول : (من أعظمِ أخلاقِ الرجال تحمُّلُ الأذىٰ من الناس إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ومنهم :

(١٠٦) أبو عبيدة الخوَّاص رضي الله عنه[٢]

كان يقول لأصحابه : (عليكم بسيرةِ السلف الصالح فانظروا فيها ، واهتدوا بهديهم ؛ فإنَّكم في زمانٍ قد قلَّ فيه الورعُ ، وحَمَلَ العلمَ فيه مفسدوه ، وأَحبُّوا أن يُعرفوا بحمله ، وكرهوا أن يُعرفوا بإضاعة العمل به ، فنطقوا فيه بالرأي ؛ ليزيِّنوا ما دخلوا فيه من الخطأ ، فذنوبهم ذنوبٌ لا يُستغفر منها) .

ومكث رضي الله عنه سبعين سنةً لا يرفعُ طرفه إلى السماء حتىٰ مات ، حياءً من الله عز وجل .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٤) (١٠٨) ، وفي النسخ : (مسلم) بدل (سلم) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٥) (١٠٩) .

وكان من شدَّة الخوف لا يستطيعُ أن يقرأَ سورة القارعة ، ولا أن تُقرأ عليه ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٧) أبو بكر بن عيَّاش رضي الله عنه[١]

كان يقول : (مسكينٌ ابنُ آدم ؛ يسقطُ منه دينارٌ فيظلُّ نهارَهُ يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ويقع منه دينُهُ ، ويذهب عمرُهُ فلا يحزنُ عليه) .

وكان يقول : (أدنىٰ ضرر المنطق الشهرةُ ، وكفىٰ بها بليَّةً) .

وكان يقول : (رأيتُ عجوزاً مشوَّهةً حدباء ، تُصفِّقُ بيديها ، وحولها خلائقُ يتبعونها ، ويصفِّقون ، فلما حاذتني أقبلت عليَّ وقالت : آهِ لو ظفرتُ بك لصنعتُ بك مثلَ ما صنعتُ بهـٰؤلاء ، فقلت لها : من أنت ؟! فقالت : الدنيا) .

وكان يقول : (ختمتُ القرآن ثمانيةَ عشر ألف مرة ، وأودُّ أن لو كانتْ سبباً للصفح عن زلَّةٍ واحدة وقعتُ فيها) .

توفي سنة ثلاث وتسعين ومئة ، وله ثلاثٌ وتسعون سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٨) أبو علي [الحسن] بنُ يحيى الخُشَني رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (ما في جهنَّمَ من دارٍ ، ولا مغارٍ ، ولا قيد ، ولا غلٍّ ، ولا سلسلة . . إلا واسمُ صاحبها مكتوبٌ عليها) .

وكان يقول : (من حكمة لقمان : أنَّه كان يقول : لا يطأ بساطَكَ إلا راغبٌ أو راهب ؛ فأما الراهبُ منك فأدنِهِ من مجلسك ، وتهلَّلْ في وجهه ، وإياك والغمزَ من

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٥) (١١٠) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٦) (١١١) ، وفي النسخ (الحسين) بدل (الحسن) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

ورائه ، وأما الراغبُ فيك فأظهرْ له البشاشةَ مع صفاء الباطن ، وابذلْ له النَّوالَ قبل السؤال؛ فإنك متىٰ ألجأتَهُ إلى السؤال أخذتَ من حرِّ وجهه ضعفي ما أَعطيته) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٠٩) وكيع بن الجراح رضي الله عنه[١]

كان يقول : (ما بقي اليومَ زهدٌ في الدنيا يصحُّ ؛ وذلك لأنَّ الزهدَ لا يكون إلا في الحلال ، والحلالُ قد فُقد ، فأَنزلوا الدنيا بمنزلةِ الميتةِ ، وخذوا منها ما يُقيمُكم ، فإنْ كانتْ حلالاً كنتم قد زهدتم فيها ، وإن كانتْ حراماً كنتم قد أخذتم منها ما يُقيمكم ؛ لأنه هو الذي يحلُّ لكم منها ، وإن كانت شبهاتٍ كان حسابُها يسيراً) .

قلت : وقوله : (قد فُقِدَ) بالنظر لحاله ومقامه ؛ لأنَّ الله تعالىٰ قد أمرنا بالأكلِ الحلال في كلِّ زمان ، ولولا وجودُهُ ما صحَّ خطابنا بطلبه ، فافهم ، والله أعلم .

وكان يقول : (طريقُ القوم بضاعةٌ لا يرتفعُ فيها إلا صادق) .

وكان يصومُ الدهر ، ويختمُ القرآن في كلِّ ليلةٍ .

وكان إذا شتمه شخصٌ أو آذاه يرفع الترابَ علىٰ رأس نفسه ، ويقول : لولا ذنبي ما سُلِّطَ هـٰذا عليَّ ، ثم يأخذُ في الاستغفار حتىٰ يسكنَ ذلك الذي يؤذيه .

ولد رضي الله عنه سنة تسعٍ وعشرين ومئة ، وتوفي سنة سبعٍ وتسعين ومئة بطريق العراق حين رجعَ من الحجِّ ، وعمرُهُ ستٌّ وستون سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١٠) عبد الرحمـٰن بن مهدي رضي الله عنه[٢]

كان يختمُ القرآنَ كلَّهُ في كلِّ ليلةٍ ، ويتهجَّدُ بنصفه ، وكان له هيبةٌ عظيمة .

وكان إخوانُه إذا جلسوا عنده كأنما علىٰ رؤوسهم الطير ، وضحكَ واحدٌ منهم مرَّةً

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٧) (١١٢) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٧) (١١٣) .

في مجلسه ، فأقامه ، ومنعه من الجلوس معه شهرين ، وقال : يطلبُ أحدُكم العلمَ وهو يضحك ، إنما ينبغي للعبد أن يطلبَهُ وهو يبكي ؛ لأنه يُريدُ به إقامةَ حجَّة الله عليه يومَ القيامة ، مع زيادة تكليفه العمل به في دار الدنيا .

وقام ليلةً إلى الصباح ، ثم رمىٰ بنفسه على الفراش ، فنام من لينِهِ عن صلاة الصبح في الجماعة ، فمنع نفسَه النوم علىٰ ذلك الفراشِ شهرين .

وكان يقول : (لا أغبطُ اليومَ إلا مؤمناً في قبره مُستريحاً فيه) .

ولد سنة خمسٍ وثلاثين ومئة ، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١١) محمد بنُ أسلم الطُّوسي رضي الله عنه[١]

كان يقول : عليكم بالسوادِ الأعظم ، فقالوا : وما السَّوادُ الأعظم ؟ فقال : هو الرجل العالِمُ العامل ، أو الرجلان العاملان بسُنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس المراد به مُطلقَ المسلمين ، فمن كان مع ذلك العالم ، أو مع ذينك الرجلين وتبع . . فهو مع الجماعة ، ومن خالفَ فقد خالفَ أهلَ السُّنة والجماعة .

وكان يُخفي أعماله التي يتطوَّعُ بها ويقول : (لو أمكنني أن أُخفيها عن الملكَيْنِ لفعلت) .

وكان إذا دخلَ دارَه يبكي حتىٰ يرحمَه أولادُه وجيرانه ، فإذا خرج غسلَ وجهَه ، واكتحل .

وكان يَخرجُ بصدقته في الليل وهو متلثِّمٌ ، لا يعرفه أحدٌ .

وكان يأكلُ الشعيرَ العتيق الأسود ، ويقول : إنه يصيرُ إلى الكنيف ؛ يعني : البطن .

وكان يقول : (لو أنَّ أحدَكم اشترىٰ طعاماً ، وبالغ في طيب طعمه ورائحته ، ثم

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٢٦٨) (١١٤) .

ألقاه في الحُشِّ لقلتم : هٰذا مجنون ، وأحدُكم ليلاً ونهاراً يطرحُ ذلك في الحُشِّ ؛ يعني : بطنه) .

توفي سنة ستٍّ وعشرين ومئتين رضي الله عنه[١] .

ومنهم :

(١١٢) محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه[٢]

كان من العلماء العاملين ، وممن تنزلُ الرحمةُ عند ذكرهم ، وكان صائمَ الدهر لا يفطرُ إلا لمرضٍ أو عذرٍ شرعي .

وجاع رضي الله عنه حتى انتهىٰ أكلُهُ كلَّ يومٍ إلىٰ تمرةٍ أو لوزة تورُّعاً ، وحياءً من الله عز وجل أن يراه متردِّداً إلى الخلاء .

ولد ببُخارىٰ سنة أربعٍ وتسعين ومئة ، وتوفي ليلةَ عيد الفطر سنة ستٍّ وخمسين ومئتين ، ودفن بخَرْتَنْك قريةٍ علىٰ فرسخين من سمرقند .

وكان رضي الله عنه كثيرَ الاحتمال للأذىٰ .

وكان يقول : (المادحُ والذامُّ من الناس عندي سواء ؛ اكتفاءً بعلم الله عز وجل) .

وكان يقول : (أرجو أن ألقى اللهَ تعالىٰ ولا يُطالبني بغيبةِ أحدٍ من المسلمين) .

وما باعَ شيئاً ولا اشتراه قطُّ .

وكان زاهداً ورعاً قوَّاماً لليل .

كان ينامُ في الظلامِ لقلَّةِ دراهم من حلالٍ يشتري بها زيتاً .

---

(١) ذكر الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٢٠٤) وفاته سنة (٢٤٢هـ) ، وكذا في « قلادة النحر » (٢/ ٥١٩) ، وذكر الخليلي في « الإرشاد في معرفة علماء الحديث » (٣/ ٨٣١) وفاته سنة (٢٤٥هـ) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٦٩) (١١٥) ، و (٢/ ٥٢٧) (٤٣٨) ، وسترد ترجمته (٤/ ٤٦٦) (٥٧٤) .

وربما كان يقومُ في الليلة الواحدة نحو عشرين مرة يقدحُ الزِّناد ، ويُسرِجُ الفتيلة ، ويكتبُ بعض أحاديث ، ثم يضعُ رأسه ، ثم يقوم .

وكان تهجُّدُه في كلِّ ليلةٍ آخرَ الليل ثلاث عشرة ركعة ، يُوترُ بواحدةٍ منها ، يقرأ فيها بثلث القرآن .

وكان يختمُ القرآنَ في كلِّ ثلاث ليال من رمضان ، ويقول : (بلغنا : أن عند كلِّ ختمٍ دعوةً مُجابة) .

وما وضع حديثاً واحداً في « الصحيح » حتىٰ صلىٰ عقبَهُ ركعتين شكراً لله عز وجل .

وكان رضي الله عنه لا يأكلُ لأحدٍ شيئاً مُطلقاً .

وكان أبوه يُطعمُه من ماله ، ويقول له : يا محمد ؛ كلْ ؛ فإني لا أعلمُ في مالي شيئاً من الحرام ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١٣) يزيد بن هارون الواسطي رضي الله عنه[١]

كان أحسنَ الناس صلاةً ، وكان يقومُ كأنَّه أُسطُوانة .

وكان يقول : (من طلبَ الرئاسةَ قبل أوانها حُرمَها في وقتِ أوانها) .

ومكث نيِّفاً وأربعين سنة إذا صلى العشاء لا يزالُ يُصلِّي حتىٰ يطلعَ الفجر .

وكانت عيناه جميلتين ، فلم يزلْ يبكي حتىٰ ذهبت إحداهما ، وعمشتِ الأخرىٰ .

وقال له إنسان مرة : أين تلك العينان الجميلتان ؟! فقال : ذهب بهما البكاء في الأسحار علىٰ ما فرَّطتُ في جنب الله .

توفي رضي الله عنه سنة ست ومئتين .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٠) (١١٦) .

ومنهم :

(١١٤) يُونس بن عُبيد رضي الله عنه[١]

كان من أكثرِ الناس زهداً وورعاً .

وكان يقول : (يُعرفُ ورعُ الرجل في كلامه إذا تكلَّم ؛ فإنَّ جميعَ البِرِّ قد يَشوبه شيءٌ إلا ما كان من حفظ اللسان فإنه من البِرِّ ، ولا يَشوبه شيءٌ ، وقد يُكثرُ الرجلُ الصلاةَ والصيام ، ويُفطرُ على الحرام ، ويقومُ الليلَ يُرائي بذلك ، ويقعُ في اللغو وشهادة الزور إذا تكلَّم ، وإذا سكتَ فقد برَّ عمله كله) .

وكان يقول : (أودُّ أني وجدتُ درهماً من حلال ، فكنت أشتري به قمحاً وأطحنُهُ ، وأجعله عندي سَوِيقاً للمرضىٰ ؛ فكلُّ مريضٍ تناول منه شيئاً برئ لوقته) .

وكان رضي الله عنه يقول : (خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما عداهما : أمرُ صلاته ، وأمرُ لسانه) .

وكان يقول : (لا يزالُ العبدُ بخيرٍ ما دام يُبصر مُفسداتِ أعماله) .

وكان يقول : (ما لزم أحدٌ السكوتَ إلا صلح حاله) .

وكان إذا مدحَهُ أحدٌ يقول : (واللهِ ؛ إنِّي لأعرفُ نحوَ مئةِ خصلةٍ من البرِّ ، ما فيَّ واحدةٌ منها) .

توفي رضي الله عنه سنة تسع وثلاثين ومئة .

ومنهم :

(١١٥) عبد الله بن عون رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (لا ينبغي لعاقلٍ أن يُعاتبَ أحداً في زماننا هٰذا ؛ لأنه إن عاتبه أعقبَهُ بأشدَّ مما عاتبه عليه) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٨٨ ، ٢٧٠) (١١٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧١) (١١٨) .

وكان يقول : (مِنْ عقلِ الرجلِ : ألا يُكثرَ المزحَ مع أصحابه ، وإن مزحَ لا يقولُ إلا حقاً ؛ لأنَّ العاقلَ في شغلٍ بنفسه ، وبما هو صائرٌ إليه عن المزح والمجون) .

وكان إذا صلى الغداة مكثَ في مُصلاه مستقبلَ القبلة يذكرُ الله عز وجل إلىٰ طلوع الشمس ، فإذا طلعتِ الشمسُ أقبلَ علىٰ أصحابه .

وكان يصومُ يوماً ويُفطر يوماً ، وكان طيِّبَ الريح ، حسنَ الملبس .

وكان إذا دخل بيته يجلسُ صامتاً متفكِّراً .

وما دخل حماماً قطُّ[١] .

وكان يكرهُ أن يطلعَ أحدٌ علىٰ شيءٍ من أعماله وأخلاقه الحسنة .

وكان ابنُ مهدي يقول : (صحبتُ ابنَ عون أربعاً وعشرين سنة ، فما أظنُّ أنَّ الملائكةَ كتبت عليه خطيئةً واحدة) .

وكان بارّاً بوالدته ، ومِنْ برِّه لها : أنه لم يأكلْ معها في وعاءٍ منذ وعىٰ علىٰ نفسه ؛ خوفاً أن يَسبقَ بصرُها إلىٰ لقمةٍ ، فيأخذها من حيث لا يشعر .

ودعته أمُّه يوماً لحاجةٍ ، فأجابها برفعِ صوتٍ ، فأعتق ذلك اليوم رقبتين كفارةً لرفع صوته علىٰ صوتها .

وكان له دُوْرٌ كثيرةٌ يُبيحها للسكَّان ، ولا يكريها لأحدٍ من المسلمين ؛ خوفاً أن يروِّعهم الجابي عند طلب الأجرة .

توفي سنة إحدىٰ وخمسين ومئة .

ومنهم :

(١١٦) [أبو] عبد الله الصُّوري رضي الله عنه[٢]

كان يقول : (أعمالُ الصادقين بالقلوب ، وأعمالُ المرائين بالجوارح) .

---

(١) أي : حماماً عاماً خارج بيته .

(٢) قد تقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٢) (١١٩) .
في النسخ : (عبد الله الصوري) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

وكان يقول : (في القلب وجعٌ لا يُبرئُهُ إلا حبُّ الله عز وجل) .

وكان يقول : (من شغلَ نفسَهُ بما لا حاجةَ له إليه ضيَّعَ من أحواله ما يحتاج إليه) .

وكان يقول : (إذا لم تنتفع بما تقول فكيف ينتفعُ به غيرُك ؟!) .

وكان يقول : (من تهاونَ بالسُّنن ابتُليَ بالبدع) .

وكان يقول : (من زعمَ أنه من أهلِ الطريق فليستعدَّ للبلاء ، ثم لا بدَّ أن يضعفَ عن فعل آدابها ، ولا بدَّ له من أن يفتضحَ ، ومن مُحيَ اسمُه من أهلها لم يمت حتىٰ تُشدَّ إليه الرِّحال) .

وكان يقول : (كم من يدَّعي العبوديةَ ، ويفضحه ظهورُ أوصاف الربوبية !) .

وكان يقول : (من أعظمِ أخلاقك أن يسلمَ المسلمون من سوءِ ظنِّك) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١١٧) عبد الله بن عبد العزيز العُمَري رضي الله عنه[1]

كان من أعبدِ الناس .

وكان يسكنُ المقابر ، فيصفُّ قدميه فيها من العشاء إلى الصباح .

وكان يقول : (ما رأيتُ أوعظَ من قبرٍ ، ولا أسلمَ للدِّين من الوحدة) .

وكان يقول : (من ترك الأمرَ بالمعروف خوفاً من المخلوقين نُزعتْ منه هيبةُ الله عز وجل) .

توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة أربعٍ وثمانين ومئة ، وهو ابنُ ستٍّ وستين سنة .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٣) (١٢٠) .

ومنهم :

(١١٨) أبو إسحاق الهروي رضي الله عنه[١]

صحب إبراهيم بنَ أدهم .

وكان من أهل التوكل والتجريد ، وكان أكثرُ حجِّهِ متجرِّداً .

وكان من دعائه : (اللهم ؛ اقطعْ رزقي من أموال الولاة ، وزهِّدْ أهلَ بلدي فيَّ ، فكان بعد رجوعه من الحجِّ يأتي عليه الأيامُ الكثيرة لا يجدُ فيها شيئاً يأكله) .

وكان إذا مرَّ بسوق هراة سبُّوه وشتموه .

وكان يقول : (أقمتُ في البادية سنةً لا آكلُ ولا أشرب ، ولا أشتهي شيئاً ، فعارضتني نفسي : أنَّ لي مع الله تعالىٰ حالاً ، فلم أشعرْ أن كلَّمني رجلٌ عن يميني وقال : يا إبراهيم ؛ تُرائي الله عز وجل في سرِّك ؟! ثم قال لي : يا إبراهيم ؛ أتدري كم لي ها هنا لم آكل ، ولم أشرب ، ولم أشته شيئاً ، وأنا زَمِنٌ مَطروح ؟ قلت : اللهُ أعلم ، قال : لي ثمانون شهراً ، وأنا أستحي من الله عز وجل أن يقعَ مني خاطرُك هٰذا ، ولو أني أقسمتُ على الله عز وجل أن يجعلَ لي هٰذا الشجر ذهباً لفعل ، قال : فرأيتُ الشجرَ كلَّهُ ذهباً ، فكان ذلك تنبيهاً لي وتأديباً) .

ومنهم :

(١١٩) أبو نُعيم الأصفهاني رضي الله عنه[٢]

صاحبُ كتاب « حلية الأولياء » ، وكتاب « الطبقات »[٣] وغيرِهما .

ولد سنة ستٍّ وثلاثين وثلاث مئة ، وتُوفي بأصفهان سنة ثلاثين وأربع مئة عن أربعٍ وتسعين سنة .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٤) (١٢١) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٤) (١٢٢) .

(٣) هو كتاب : « طبقات المحدثين والرواة » .

أخرجه أهل أصفهان من بلده ، وآذوه أذىً كثيراً ، ومنعوه أن يجلسَ في الجامع ، أو أن يجلسَ أحدٌ إليه ، فتولَّىٰ علىٰ أصفهان السلطانُ محمود بن سُبُكْتِكين ، وولَّىٰ عليهم والياً من قِبَلِهِ ، ورحل عنها ، فوثب عليه أهلُ أصفهان وقتلوه ، فرجع عليهم السُّلطان وأمَّنهم حتى اطمأنُّوا ، ثم قتلهم حتىٰ أتىٰ علىٰ أكثرِ من نصف المدينة ، وكانوا يعدُّون ذلك من كرامة أبي نعيم ، رضي الله عنه .

وكان حافظاً للحديث ، أملىٰ كتابَ « الحلية » كلَّهُ من صدره بعد أن زادَ عمرُهُ على الثمانين سنة ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

ذكر جماعة من عبّاد النساء وزهّادهنّ رضي الله عنهنّ

فمنهن :

(١٢٠) معاذة العدوية رضي الله عنها[١]

كانت إذا جاء النهارُ قالتْ : هـٰذا يومي الذي أَموتُ فيه ، فلا تنامُ حتىٰ تُمسي ، وإذا جاء المساءُ قالت : هـٰذه ليلتي التي أموتُ فيها ، فلا تنام حتىٰ تُصبح .

وكانت إذا غلبها النومُ قامتْ ، فجالت في الدار ، وهي تقول : يا نفس ؛ اصبري عن النوم ؛ فإن النومَ أمامك في القبر ، ثم لا تزالُ تدورُ في الدار إلى الصباح ، تخافُ أن تموتَ علىٰ غفلةٍ أو حالِ النوم .

وكان وردُها في اليوم والليلة ست مئة ركعة .

ولم ترفعْ بصرها إلى السماء أربعين عاماً من منذ تابت إلى الله تعالىٰ عن الغفلة .

ولما ماتَ زوجُها لم تتوسَّدْ فراشاً بعده إلىٰ أن ماتت .

أدركتْ معاذةُ هـٰذه أمَّنا عائشةَ رضي الله عنهما ، وروت عنها .

ومنهن :

(١٢١) رابعةُ العدوية رضي الله عنها[٢]

كانت كثيرةَ البكاء والحزن ، وإذا سمعتْ بذكرِ النار غُشي عليها .

وكانت تقول : (استغفارُنا يحتاجُ إلى استغفار) أي : لعدم الصدق فيه .

---

(١) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٦) (١٢٣) .

(٢) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٧) (١٢٤) .

وكانتْ كلَّ ليلةٍ تتطيَّبُ وتأتي إلىٰ زوجها ، فتقول له : ألك حاجةٌ ؟ فإذا قضت حاجتَهُ تطهَّرتْ ، ونصبتْ أقدامها إلى الصباح حتىٰ مات زوجُها ، فلما ماتَ لم تتزوجْ بعده أحداً شُغلاً بالعبادة .

وكانت تصفُّ قدميها للعبادة من بعد صلاة العشاء ، وتقول : (وعزَّتِك وجلالك ؛ هـٰذا موقفي بين يديك ما عشتُ) .

وكانت لا تقبلُ من أحدٍ شيئاً ، وتقول : (ليس لي بالدنيا حاجةٌ) .

ولما بلغت ثمانين سنة كان جسمُها كالشَّنِّ البالي[1] ، حتىٰ كانت إذا مشتْ تكادُ تقع .

وكان كفنُها لم يزل موضوعاً عندها .

وكانوا يجدون موضعَ سجودها كهيئة الماء المستنقع من كثرةِ دموعها .

وسمعتْ مرَّةً سفيانَ الثوري يقول : وا حزناه ! فقالت له : قلْ وا قلةَ حزناه ! فإنك لو كنتَ حزيناً ما هنَّأكَ عيشٌ ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهن :

(١٢٢) ماجدة القُرشية رضي الله عنها[2]

كان الغالبُ عليها قِصَرَ الأمل .

وكانت تحلفُ : أنها ما رفعتْ قدماً ، ولا لقمتْ لقمةً إلا ظنَّتْ أنها تموتُ في أثرها .

وكانت تقول : (يا لها من عقول ما أنقصها ! سكانُ دارٍ نُودي فيهم بالرحيل ، وهم في لهوهم يلعبون ، كأنَّ المرادَ غيرُهم ، والنداءَ ليس لهم ، والمعنيَّ سواهم) .

وكانت تقول : (واللهِ ؛ ما نال المطيعون ما نالوا من رضا الرحمـٰن ، وحلولِ الجنان إلا بتعبِ الأبدان) ، والله أعلم .

---

(١) الشَّن : القِرْبةُ الخَلَقُ الصغيرة .

(٢) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٧) (١٢٥) .

ومنهن :

(١٢٣) عائشة بنت جعفر الصادق رضي الله عنها[١]

كانت تقول : (وعزَّتك وجلالِك ؛ لئن أدخلتني النارَ لآخذُ توحيدي بيدي ، وأدورُ به علىٰ أهلِ النار ، وأقولُ لهم : وحَّدتُهُ فعذَّبني) .

توفِّيتْ رحمها الله سنة خمسٍ وأربعين ومئة ، ودُفنت قريباً من باب القَرَافة بمصر ، ولمقامها منارٌ رحمها الله .

ومنهن :

(١٢٤) أمةُ الله امرأةُ رياح القيسي رضي الله عنها[٢]

كانت تقوم الليل كلَّه .

وكان إذا مضىٰ ربعُ الليل قالت لزوجها : قمْ يا رياح ، فإذا لم يقمْ قامتْ هي إلىٰ نصف الليل ، ثم تقول له : قم يا رياح ، فإذا لم يقم ، قامتْ ثلاثةَ أرباع الليل ، ثم تقول : قم يا رياح ، فإذا لم يقم ، قامتِ الربعَ الآخر ، ثم تقول : قم يا رياح للصبح ، فقد مضىٰ عسكرُ الليل وأنت نائمٌ ، فليتَ شعري من كان غرَّني بك يا رياح .

وكانت تأخذُ تبنةً من الأرض ، وتقول : (واللهِ ؛ للدنيا وشهواتها أهونُ عليَّ من هـٰذه) .

وكانت إذا صلَّتِ العشاء تلبسُ ثيابها ، وتتطيَّبُ وتتزيَّنُ ، ثم تقول لزوجها : ألك حاجةٌ ؟ فإن قال لا ، نزعت ثيابَ زينتها ، وصلَّت إلى الفجر رحمها الله .

ومنهن :

(١٢٥) فاطمة النيسابورية رضي الله عنها[٣]

كان ذو النُّون المِصري رضي الله عنه يقول : (فاطمةُ النيسابورية أُستاذتي) .

---

(١) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٨) (١٢٦) .

(٢) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٨) (١٢٧) .

(٣) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٩) (١٢٨) .

وكانت تقول : (مَنْ لم يراقبِ الله تعالىٰ في كلِّ حالٍ انحدرَ في كلِّ ميدان ، وتكلَّم بكلِّ لسان ، ومن راقبَ الله في كلِّ حالٍ أخرسه إلا عن الصدق ، وألزمه الحياءَ والإخلاص) .

وكانت تقول : (من عملَ لله تعالىٰ على المشاهدةِ فهو عارفٌ ، ومن عمل علىٰ مشاهدةِ الله له فهو مخلصٌ) .

وكان أبو يزيد البِسطامي يقول : (ما رأيتُ مثلَ فاطمة ، ما فاوضتها في مقامٍ إلا كان الخبرُ لها عياناً) .

ماتت في طريق العُمرة بمكة سنة ثلاثٍ وعشرين ومئتين ، رحمها الله .

ومنهن :

(١٢٦) رابعة بنت إسماعيل رضي الله عنها[1]

كانتْ تقومُ الليل من أوَّله إلىٰ آخره .

وكانت تقولُ : (إذا عمل العبدُ بطاعةِ الله أَطلعَهُ علىٰ مساوي عمله ، فتشاغل بها دون الخلق) .

وكانت تصومُ الدهرَ ، وتقول : (ما مثلي يفطرُ في الدنيا) .

وكانت تقول لزوجها : (لستُ أحبُّك حبَّ الأزواج ؛ وإنما أحبُّك حبَّ الإخوان) .

وكانت تقول : (ما سمعتُ الأذان قطُّ إلا ذكرتُ منادي يوم القيامة ، ولا رأيتُ الثلجَ قطُّ إلا ذكرتُ تطايرَ الصحف ، ولا ذقتُ حرّاً إلا ذكرتُ يوم الحشر) .

وكانت ترى الجنَّ حين يمرُّون عليها .

وكانت تقول : (رأيتُ مرةً الحورَ العين يتستَّرْنَ مني بأكمامهن) ، رضي الله عنها .

---

(١) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٧٩) (١٢٩) .

ومنهن :

(١٢٧) أم هارون رضي الله عنها[١]

كانت من الخائفات العابدات .

وكانت تأكلُ الخبزَ وحده ، وتجلس وحدَها ، وتقول : (ما أفرحُ إلا بدخول الليل ، وإذا طلعَ النهار جاءني الغمُّ) .

وكانت تقومُ الليلَ كلَّه وتقول : (إذا جاء السَّحَرُ دخلَ قلبي الروح) .

وسمعتْ مرَّةً قائلاً يقول : خذوها ، فوقعت مغشيّاً عليها .

وما دهنتْ رأسها قطُّ بدهنٍ منذ عشرين سنة ، وكانت إذا كشفتْ وجهها يكون كالقمر ، وإذا كشفتْ رأسَها يكون أحسنَ من شعورِ النساء اللاتي يَدَّهِنَّ .

وكانت سوَّاحةً ، فكان إذا عرضَ لها الأسدُ في البرية قالت له : (إن كان لك رزقٌ فيَّ فكلني ، فيولي راجعاً عنها) ، رحمها الله .

ومنهن :

(١٢٨) عمرةُ امرأة حبيب رضي الله عنها[٢]

كانت تقوم الليل كلَّه ، وزوجُها نائم ، فتقول له : قم يا رجل ، فقد ذهبَ الليل ، وجاء النهار ، وانفضَّ موكبُ الملأ الأعلىٰ ، وسافرتْ قوافلُ الصالحين والعابدين وأنت راقدٌ .

واشتكت عينَها مرةً ، فقالوا لها : ألا تُداوينَها ؟! فقالت : وجعُ قلبي شغلني عنها ، والله أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٠) (١٣٠) .

(٢) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨١) (١٣١) .

ومنهن :

(١٢٩) أَمَةُ الجليل رضي الله عنها[١]

كانت من العابدات الزاهدات .

وكانوا إذا اختلفوا في شيءٍ من أحوال الصالحين يأتون إليها .

واختلفوا مرَّةً في تعريف الولاية ، فقالوا : امضوا بنا إلىٰ أَمَةِ الجليل ، فقالتْ لهم : (ساعاتُ الولي ساعاتُ شغلٍ عن الدنيا ، ليس لوليٍّ ساعةُ فراغ أبداً) ، ثم قالتْ : (من حدَّثكم أنَّ وليّاً لله شُغِل بغيرِ الله عن الله فلا تصدِّقوه) .

ومنهن :

(١٣٠) عَبيدة بنت أبي كُلاَّب رضي الله عنها[٢]

كانت تتردَّدُ كثيراً إلىٰ مالك بن دينار .

وسمعتْ مرةً شخصاً يذكرُ القدومَ على الله عز وجل ، فخرَّتْ مغشيّاً عليها .

وكانت تقولُ : (بلغتُ من مقام الرِّضا عن الله أنني لا أُبالي علىٰ أيِّ حالٍ أصبحتُ أو أمسيت) .

وكان الناسُ يقدِّمونها علىٰ رابعة العدوية .

ومنهن :

(١٣١) عُفيرة العابدة رضي الله عنها[٣]

كانتْ علىٰ قدمٍ عظيم من الزهد والعبادة .

وكان عُبَّادُ زمانها يزورونها ، فدخلوا عليها يوماً ، فقالت : ما شأنُكم ؟ قالوا :

---

(١) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨١) (١٣٢) .

(٢) في النسخ : (عبدة) ، والمثبت من المصادر ، وتقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨١) (١٣٣) .

(٣) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٢) (١٣٤) .

نسألك الدعاء ، فقالت : لو أن الخاطئين خرسوا لكنتُ أولَ من خرس وصار أبكم ، ولـٰكنَّ الدعاءَ سنةٌ ؛ أسألُ الله أن يجعل قِراكم من بيتي دخولَ الجنة[١] ، وجعل ذكرَ الموت مني ومنكم علىٰ بال ، وحفظَ علينا الإيمان إلى الممات ، آمين .

ومنهن :

(١٣٢) شعوانة رضي الله عنها[٢]

كانت لا تفترُ عن البكاء خوفَ النار ، وتقول : (واللهِ ؛ إني أودُّ لو بكيتُ الدم ولا أشتفي ، ولا يبقىٰ في عروقي دمٌ) .

وكانت تقول : (من لم يستطعِ البكاء فليرحمِ البكائين ؛ فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بذنوبه ، وبما هو صائرٌ إليه) .

وكانت تبكي وتقول : (إلـٰهي ، إنك تعلم أن العطشانَ من حبِّك لا يُروىٰ أبداً) .

وكانت خادمتُها تقول : (من منذ وقع بصري علىٰ شعوانة ما مال قلبي إلى الدنيا ببركتها ، ولا استصغرتُ في عيني أحداً من المسلمين) .

وكان الفضيل يأتيها ويتردَّدُ إليها ، ويسألُها الدعاء ، رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٣٣) آمنةُ الرملية رضي الله عنها[٣]

كان بشر بنُ الحارث يزورُها ويتردَّدُ إليها .

ومرض بشرٌ مرةً ، فعادته آمنة ، وعنده أحمد بنُ حنبل يعودُه ، فقال لبشر : من هـٰذه ؟! فقال له بشر : هـٰذه آمنة الرملية ، جاءتْ من الرملة تعودُني ، فقال أحمد لبشر : فسلها تدعو لنا ، فقال لها بشر : ادعي لنا ، فقالت : اللهم ، إنَّ بشر بنَ

---

(١) في « الطبقات الكبرىٰ » : (من نبق الجنة) .

(٢) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٢) (١٣٥) .

(٣) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٣) (١٣٦) .

الحارث وأحمدَ بن حنبل يَستجيران بك من النار ؛ فأجرْهما ، قال الإمام أحمد : فلما كان من الليل نزلتْ عليَّ رقعةٌ من الهواء مكتوبٌ فيها : بسم الله الرحمـٰن الرحيم قد أجرناكما من النار ، ولدينا مزيد .

ومنهن :

(١٣٤) مَنفوسة بنتُ زيد بن أبي الفوارس رضي الله عنها[١]

كانت من الصابرات على البلاء .

وكانت إذا مات لها ولدٌ تضعُ رأسَهُ في حِجْرها وتقول : واللهِ ؛ لتقدُّمُك أمامي خيرٌ عندي من تأخُّرك بعدي ، ولصبري عليك أولىٰ من جزعي عليك ، ولئن كان في فراقك حسرةٌ فإن في توقُّع أجرك لخيرة ، ثم تُنشد قول عمرو بن معدي كرب[٢] : [من الطويل]

وإنَّـا لَقـومٌ لا تَفيـضُ دمـوعُنـا   علىٰ هالكٍ منَّا وإنْ قُصِم الظَّهرُ

رضي الله عنها .

ومنهن :

(١٣٥) السيدةُ نفيسةُ بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين[٣]

ولدت بمكة سنة خمسٍ وأربعين ومئة ، فهي أسنُّ من الإمام الشافعي بخمس سنين .

---

(١) تقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٣) (١٣٧) .

(٢) انظر « ديوان عمرو بن معدي كرب » رضي الله عنه (ص ٢٠٥) ، ونسبه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/ ٦٣) والقالي في « أماليه » (١/ ٢٦٧) لأبي الهيذام المري .

(٣) وهـٰذه نفيسة الصغرىٰ رضي الله عنها ، وأما نفيسة الكبرىٰ فهي بنت زيد الأبلج ، وهي عمتها رضي الله عنهم أجمعين ، وتقدمت ترجمتها مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٤) (١٣٨) .

ونشأتْ في العبادة ، وتزوَّجتْ إسحاقَ المؤتمن ، ورُزقت منه ولدين ؛ القاسم ، وأم كلثوم ، وأقامت بمصرَ سبع سنين ، ثم توفيت سنة ثمانٍ ومئتين ، ودفنت بالمراغة مكانٍ معروف ، بينه وبين مشهدِها الذي يُزار اليوم مسافةٌ بعيدة ، ثم ظهرتْ في هٰذا المكان ؛ لأن حكمَ باب البرزخ حكمُ الإنسان الذي يُتركُ في تيارٍ جارٍ ، فيطفو بعد ذلك في مكانٍ آخر ، فقد طفتْ في هٰذا المكان الذي فيه الآن ، وخاطبتْ بعضَ الأولياء من هٰذا المكان ، ثم إذا بُعثتْ تخرجُ من المحلِّ الذي دُفنت فيه في المراغة ، هٰكذا قال لي سيدي عليٌّ الخواص رضي الله عنه .

وقد دخلتُ أنا لها مرَّةً ، فوقفتُ علىٰ باب مشهدها الأول ، وقلت : هي حريمٌ ، ودخل أصحابي إلىٰ قبرها ، فلما نمتُ جاءتني وعلىٰ رأسها مئزرُ صوف أبيض ، وقالت لي : أنا نفيسة ، فإذا جئتَ للزيارة فادخلْ إلىٰ قبري ، فقد أذنتُ لك ، فمن ذلك اليوم وأنا أدخل لزيارتها ، وأجلسُ تجاه وجهها رضي الله عنها .

وبلغنا : أنَّ الإمام الشافعيَّ لما دخل مصر كان يزورُها ، ويتردَّدُ إليها ، ويُصلِّي بها التراويح في مكانها التي هي مدفونةٌ فيه الآن .

قال الشيخُ سِراج الدين بن الملقِّن : (ولما ماتت خرجَ زوجُها من مصر بولديها القاسم وأم كلثوم إلى المدينة حتىٰ ماتوا ، ودُفنوا بالبقيع علىٰ خلافٍ في ذلك) انتهىٰ .

ورأيتُ في كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي قال : (رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا محمد ؛ إذا كان لك إلى الله حاجةٌ فانذرْ لنفيسةَ الطاهرةِ ولو بدرهم . . يقضي اللهُ حاجتك) انتهىٰ .

ومناقبها كثيرةٌ مشهورة في مصر وقراها .

وكانت ابنةُ عمِّها السيدةُ سكينة المدفونة قريباً من دار الخلافة بمصر مقيمةً بمصر قبلها ، ولها الشهرة العظيمة ، فلما دخلتِ السيدةُ نفيسة خلعت عليها الشهرة والنذور ، واختفتْ رحمها الله ، والله أعلم .

خاتمة في ذكر :

(١٣٦) (١٣٧) سعدون المجنون وبهلول المجنون رضي الله عنهما[١]

كان سعدون يُجنُّ ستةَ أشهرٍ ، ويفيق ستةَ أشهر .

وكان إذا هاجَ عليه الحالُ صعد إلى السطح ، فينادي في الليل بصوتٍ رفيع : (يا نيام ؛ انتبهوا من رقدةِ الغفلة قبل انقطاع المهلة ؛ فإن الموت يأتيكم بغتة) .

وكان **بُهلول المجنون** مُقيماً في المقابر ليلاً ونهاراً ، وكان الناسُ يزورونه في المقابر .

وزاره مرةً هارونُ الرشيد ، فقال له : كنتُ أشتهي رؤيتك يا بُهلول ، فقال له : لـٰكني لم أشتق إليك يا هارون قطُّ ، فقال له : عظني ، فقال له : بم أعظك ؟! انظرْ إلىٰ هـٰذه القبور ، وانظر إلىٰ قصورِ أهلها ، فها هم أمامك ، ثم قال : يا هارون ؛ تفكَّرْ في مصيرك ، ووقوفِك بين يدي الجبار جلَّ وعلا ، وجميعُ رعيتك يُطالبونك بحقوقهم التي ضيَّعتها ، وأنت جيعان عطشان عريان ، فخنقتْ هارونَ العبرةُ والبكاء ، ثم إنه أمرَ له بصلةٍ ، فردَّها عليه ، وقال : ردَّها إلىٰ من أخذتها منه قبل أن يُطالبَك يومَ القيامة ، فترسله إلى البهلول ، وأنا ما معي شيءٌ ، فبكىٰ هارون وانصرف .

وكان رضي الله عنه مُجابَ الدعوة .

وقالوا له مرةً : لِمَ لا تسكنُ العمران ؟ فقال : هـٰؤلاء القبورُ أصبرُ علىٰ أذايَ ؛ إن بصقتُ عليهم لا يُقابلوني ، وإن غبتُ عنهم لا يَستغيبوني ، وكان ينشد : [من الهزج]

دعِ الحِرصَ على الدُّنيا ... وفي العيشِ فلا تطمَعْ
و[لا] تجمعْ من المالِ[٢] ... فلا تَدري لمن تَجمعْ
فإنَّ الرِّزقَ مَقْسُومٌ ... وسُوءُ الظنِّ لا ينفعْ
فقيرٌ كلُّ ذي حِرصٍ ... غنيٌّ كلُّ مَنْ يقنعْ

رضي الله تبارك وتعالىٰ عنه .

---

(١) تقدمت ترجمتهما مع ذكر مصادرهما في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٥) (١٣٩ ، ١٤٠) .
(٢) في النسخ : (ما) بدل (لا) ، والمثبت من ديوان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ومنهم شيخُ سلسلة القوم :

(١٣٨) معروف بنُ فيروز الكرخي رضي الله عنه[١]

كان من جملة المشايخ المشهورين بالورع والزهد ، وإجابة الدعوة ، والفتوة ، يُستسقىٰ بقبره إلى الآن .

وهو من موالي علي بن موسى الرِّضا .

صحب داودَ الطائي ، وصحبَ الطائيُّ الحسنَ البصري ، والحسن البصريُّ صحب عليَّ بن أبي طالب .

مات رضي الله عنه ببغداد ، ودفن بها سنة مئتين ، وقبره بها ظاهر يزار .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح عليه باب العمل بما علمَ ، وأغلق عليه باب الجدال ، وإذا أراد الله بعبدٍ شرّاً أغلق عليه باب العمل ، وفتح عليه باب الجدال) .

وكان يقول : (ما أكثر الصالحين ! وما أقلَّ الصادقين منهم !) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لولا خروجُ الدنيا من قلوب العارفين ما قدروا علىٰ فعل هٰذه الطاعات ، ولو بقي من حبِّ الدنيا ذرةٌ في قلوبهم لما سلمتْ لهم سجدةٌ واحدة) .

وكان يقول : (العارف يرجع إلى الدنيا اضطراراً ، والمفتونُ يرجع إليها اختياراً)[٢] .

وكان يقول : (إذا عملَ العالم بعلمه استوتْ له قلوب المؤمنين ، فلا يكرهُهُ إلا من في قلبه مرض) .

وكان يقول : (إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً زوى الخذلان عنه ، وأسكنه بين الفقراء

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٩٦) (١٤٤) .

(٢) في (أ) وحدها : (والمتقون يرجعون) بدل (والمفتون يرجع) .

الصادقين ، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شرّاً عطله اللهُ من الأعمال الصالحة ، وأسكنه بين الأغنياء) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٣٩) السَّرِيُّ بنُ المغلِّس السَّقطي رضي الله عنه(١)

خالُ الجنيد ، وأستاذه ، صحب معروفاً الكرخي .

وكان أوحدَ أهل زمانه في الورع والزهد ، والأحوال السنية ، وسائر مقامات الطريق ، وهو أول من تكلَّمَ في علم التوحيد ببغداد ، وإليه انتمىٰ أكثرُ المشايخ ببغداد .

مات رضي الله عنه ببغداد سنة إحدىٰ وخمسين ومئتين ، وقبره بها بالشُّونيزية ظاهرٌ يُزار .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من أراد أن يسلمَ له دينُهُ ، ويستريحَ بدنُهُ ، ويقلَّ غمُّهُ . . فليعتزلِ الناسَ ؛ لأن هـٰذا زمانُ عزلةٍ ووحدة) .

وكان يقول : (من أقوى القوة : أن تغلبَ نفسَك علىٰ تركِ شهواتها ، ومَنْ عجزَ عن أدبِ نفسه فهو عن أدب غيره أعجز) .

وكان يقول : (من علامةِ الاستدراجِ للعبد : عماه عن رؤية عيبِ نفسِه ، واطِّلاعُهُ علىٰ عيوب الناس) .

وكان يقول : (كيف يَستنيرُ قلبُ فقيرٍ ، وهو يأكلُ من طعامِ من يغشُّ في معاملته ، أو من طعام القضاة والظلمة ؟!) .

وأرسل له بعضُ إخوانه مرةً بحبِّ السعال ، وكان به سُعالٌ ، فردَّهُ ، وقال للرسول : قل لأخي : يقولُ لك سريٌّ : نحن نُعلِّمُ الناسَ منذ خمسين سنة ألا يأكلوا بدينهم ، فكيف نأكلُ حَبَّكَ ؟! ولـٰكنْ إن أرادَ أننا ننتفع به فليأخذْ ثمنَهُ ، فقوَّمه بدراهم ، وأرسلها إليه ، ثم أكله .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٠١) (١٤٦) .

وكان يقول : (من صغىٰ بأذنه إلىٰ قولِ الناس عنه أنه وليُّ الله فهو أسيرٌ في يد نفسه ما برح) .

وكان يقول : (لو علمتُ أن جلوسي في بيتي أفضلُ من خروجي إلى المسجد ما خرجت له) .

وكان يقول : (**ثلاثةٌ من علامة سَخَطِ الله على العبد** : كثرةُ الغفلة ، والاستهزاءُ بالناس ، والغيبةُ لهم) .

وكان يقول لإخوانه : (إياكم ومجاورةَ الأغنياء وقُرَّاء الأُمراء ؛ فإنهم يُفسدون كلَّ من جالسهم) .

وكان يقول : (لا تكمل المحبةُ بين اثنين حتىٰ يقولَ أحدُهما لأخيه : يا أنا) .

وكان يقول : (ما رأيتُ شيئاً أحبطَ للأعمال ، ولا أفسدَ للقلوب ، ولا أسرعَ في هلاك العبد ، ولا أدومَ لاضطراره ، ولا أقربَ من المقت ، ولا ألزمَ لطريق الرياء والعُجبِ والرياسة . . من قلّة معرفةِ العبد بذنوبه) .

وكان يقول : (الدنيا أفاعي قلوب العلماء ، وسحَّارةُ قلوب العبَّاد والقراء ، تلعبُ بهم كما يلعبُ الصبيان بالأُكْرَة) .

وكان يقول : (كم من أطبقَ أهلُ بلده على اعتقاده ، وهو من الهالكين) .

وكان يقول : (خصلتان تُباعدان العبدَ من الله تعالىٰ : عملٌ بالجوارح من غير صدقٍ بالقلب ، وأداءُ النوافل مع تضييع الفرائض) .

وكان يبكي ويقول : (قد توعَّرتْ علينا طريقُ الصالحين ، وقلَّ فيها السالكون ، وهُجرتِ الأعمالُ ، وقلَّ فيها الراغبون ، ورُفض الحقُّ ، ودرس هـٰذا الأمرُ ، فلا أراه إلا في لسانِ كلِّ بطَّالٍ ينطقُ بالحكمة ، ويُفارقُ الأعمال ، قد افترش الرُّخَصَ ، وتمهَّد التأويلات ، واقتدىٰ بذلك الهالكون) ، ثم يتأوَّه ويقول : (وا غمَّاه من فتنةِ العلماء ! وا كرباه من حيرةِ الأدلاء !) .

وكان رضي الله عنه يقول : (إني لأنظرُ إلىٰ أنفي في اليومِ كذا كذا مرةً مخافةَ أن يكون قد اسودَّ من سوء ما أصنع) .

وكان إذا قام من النوم يمسحُ وجهَهُ ويقول : (إنما أمسحُهُ مخافةَ أن يكونَ قد مُسخ وجهَ خنزير ، فما أطمئنُّ حتىٰ أمسَّهُ بيدي) .

وكان قد يبس جلدُهُ علىٰ عظمه من الجوع والمجاهدة .

وكان الجُنيد يقول : (ما رأتْ عيني أعبدَ من السَّرِيِّ ، أتت عليه ثمانٌ وتسعون سنة ما رُئي مضطجعاً إلا في علَّةِ الموت) .

قال : وكان يقول لنا : (اعملوا وجدُّوا قبل أن تصيروا عاجزين مثلي) ، قال الجنيد : (وكنَّا لا نُدركُهُ) .

وكان يقول : (من قام بين يدي الله في الظلامِ نُشرتْ له يوم القيامة الأعلام) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤٠) أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه[1]

كان أبوه يبيعُ الزُّجاج ؛ فلذلك كان يُقال له : القواريري .

أصله رضي الله عنه من نهاوند ، ومولده ومنشؤه بالعراق ، وكان فقيهاً يُفتي علىٰ مذهب أبي ثور صاحبِ الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وراوي مذهبِهِ القديم .

صحب خالَهُ السريَّ السقطي ، والحارثَ المُحاسبي ، ومحمد بن علي القصَّاب .

وكان من كبار أئمة القوم ، وكلامُهُ مقبولٌ علىٰ جميع الألسنة ، حتىٰ جعلوا اعتقادَ صحة طريقه من جملة الدِّين .

مات رضي الله عنه يوم السبت سنة سبعٍ وتسعين ومئتين ، وقبره ببغداد ظاهر يُزار ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إنَّ صفاءَ القلوب يكونُ علىٰ حسب صفاء ذكر الله وخلوصه من الشوائب) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٣٠) (١٦٦) .

وكان يقول : (الغفلةُ عن الله تعالىٰ أشدُّ من دخول النار) .

وكان يقول : (إذا لقيتَ الفقيرَ فالقه بالرفق ، ولا تبدأه بالعلم ؛ فإن الرفق يُؤنسه ، والعلمَ يُوحشه) .

وكان يقول : (كلامُ الأنبياء عن حضورٍ ، وكلامُ الصدِّيقين عن مشاهدات) .

وكان يقول : (من زعمَ أنه يعرفُ الله ، وهو كاذبٌ في دعواه ، مساكناً لغيره ابتلاه الله بالمحن ، وحجبَ ذكرَهُ عن قلبه ، وأجراه علىٰ لسانه ، فإن تنبَّهَ وانقطعَ إلى الله وحده كشفَ اللهُ عنه المحنَ ، وإنْ دامَ على السكونِ إلىٰ غيره نزعَ اللهُ من قلوبِ الخلقِ الرحمةَ عليه ، وألبسه لباسَ الطمع فيهم ، فهو لا يرجعُ عن مطالبتهم ، وليس في قلبهم رحمةٌ له ، فتصير حياتُهُ عجزاً ، وموته كمداً ، وآخرتُهُ أسفاً ، فنعوذ بالله من الرُّكون إلىٰ غيرِ الله) .

وكان يقول : (إذا رأيتم الواعظَ أعرفَ الناسِ بالآفات فهو أكثرُهم آفات) .

وسئل مرةً عن العارف ، فقال : لونُ الماء لونُ إنائه ؛ أي : هو بحكم وقته .

وكان يقول : (مكابدةُ العزلة أَيسرُ من مُداراة الخلطة ، فالعاقل من اختار فيه الوحدة) .

وأتاه شخصٌ مرةً بخمس مئة دينار وقال له : فرِّقها على الفقراء ، فقال : أتطلبُ زيادةَ مالِكَ ؟! فقال : نعم ، فردَّها وقال : أنت أحوجُ منَّا إليها ؛ فإنَّا لا نطلب زيادةً عما في يدنا .

وكان يعظِّمُ طريقَ القوم وأهلها .

ودعاهم يوماً تاجرٌ إلىٰ طعامه ، فلما مُدَّتِ المائدة وقف التاجرُ علىٰ رأس الفقراء ، وقال : كلوا واشبعوا ؛ فإنَّ كلَّ لقمة يأكلُها عندي فقيرٌ تُساوي خمس مئة دينار ، فلما سمع الجُنيد منه ذلك قال : لا أحدَ يأكلُ له طعاماً ؛ فإنَّ صاحبكم دنيء الهمَّةِ ، يُعادلُ لقمةَ فقيرٍ بخمس مئة دينار ، ثم خرجوا ، ولم يأكلوا له طعاماً .

وكان رضي الله عنه دائمَ المراقبة لله عز وجل ، حتىٰ إنه بلغنا : أنَّ الشيطانَ خدمه عشر سنين ، فكان يوضِّئُه ويُرسله في حوائجه ، ويترقَّب له ساعةَ غفلةٍ يغويه فيها ، فما

وجدَ ، فلما ضجرَ الشيطانُ منه قال له عند فراقه : ما رأيتُ مثلَ إقبالك على الله تعالىٰ ، لي منذ سنين أخدمُكَ لأجدَ طريقاً أغويك بها فلم أجدْ ، وأنا إبليس ، فقال له الجنيد : قد أعلمني الله تعالىٰ بك ساعةَ دخولك لي ، ولم أزل أستخدمُكَ وأخاطبك ، وأنا أعلمُ أنَّك اللعينُ .

وكان رضي الله عنه يجالسُ الفقراء المقيمين عنده ، ويفلي ثيابهم كأنه واحدٌ منهم .

وقالوا له مرةً : جلوسُ هـٰؤلاء عندك شهرةٌ لك بين الناس ، فقال : إنَّما أقمتُهم عندي لأتذكَّر بهم فاقتي وحاجتي إلى الله كلما احتاجوا إليَّ في شيء .

وكان يقول : (ما دام الشاكرُ يطلبُ من الله المزيدَ بشكره فهو غارقٌ في حظِّ نفسه ما برح ، **إنما الشُّكرُ** : أن يرى العبدُ أنه ليس بأهلٍ أن تنالَهُ رحمةُ الله كالكفَّار ؛ من شهوده كثرة معاصيه ، وإنما اللهُ تعالىٰ هو الذي يتفضَّلُ عليه بالرحمة مع عدم استحقاقه لشيءٍ منها) .

وكان يقول : (إذا صدقَ المريدُ أغناه الله عن حفظ النقول بنورٍ يجعلُهُ في قلبه ، يُفرِّق به بين الحقِّ والباطل) .

وكان يقول : (إذا أراد اللهُ بمريدٍ خيراً أوقعه إلىٰ هـٰؤلاء الصوفية الجامعين بين العلم والعمل ، ومنعه صحبة القراء الذين دأبهم الجدالُ من غير عمل) .

وكان يقول : (أسَّسْتُ لي قاعدةً مع الدنيا حتىٰ صرتُ لا أتأثَّرُ علىٰ شيءٍ فاتني من محبوباتها ، ولا من وقوع شيءٍ من مكروهاتها ؛ وذلك أني علمتُ أن من شأن الدنيا : أن تأتي الإنسان بما يكره بحكم طبعها ، فكلُّ شيءٍ جاءني من ذلك أعلم أنه من طبعها ، فلا أريد أن أغيِّرَ طبعَها الذي خلقها الله عليه لأجل هوىٰ نفسي ، وكلُّ شيءٍ جاءَني من محبوبات النفوس أشكرُ الله الذي عجَّله لي ، وخالفت الدنيا فيه طبعها) .

وكان يقول : (لو جلسَ عن يميني أحبُّ الناس إليَّ يُسمعني أطيبَ الكلام ، ويُشمُّني أطيبَ الطيب ، ويُطعمني ألذَّ الطعام ، وجلس عن يساري أبغضُ الخلق إليَّ ، يقطعُ من لحمي ، ويُطعمني الزقوم ، ويشمُّني أنتنَ الروائح . . ما زاد ذاك عندي ، ولا نقص هـٰذا عندي ؛ لأني مع الله ، لا مع هـٰؤلاء) .

وكان يقول : (الطريقُ مسدودةٌ إلا على المُقتفين آثارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن لم يحفظِ القرآن ، ويكتبِ الحديث لا يُقتدىٰ به في هٰذا الشأن) .

وكان يقول : (طريقُنا هٰذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنة ، فلو رأيتم رجلاً قد تربَّعَ في الهواء فلا تقتدوا به حتىٰ تَنظروه عند الأمرِ والنهي) .

وكان يقول : (**التصوفُ** : عنوةٌ لا صلحَ فيها) .

وسُئل مرةً عن التصوُّف ، فقال : (هم أهل بيتٍ لا يصحُّ أن يدخلَ معهم غيرُهم ، وهم مع الله بلا علاقةٍ في الدنيا والآخرة) .

وكان يقول : (إذا رأيتم الصوفيَّ يعبأُ بظاهره فاعلموا أنَّ باطنه خراب) .

وكان يقول : (لقيتُ إبليسَ وأنا شابٌّ عرياناً ، وبيده كسرةٌ يأكلها ، فقلت له : أما تستحيي من الناس ؟! فقال : وهل بقي أحدٌ من هٰؤلاء يُستحيا منه ، إن الذين يُستحيا منهم تحت التراب) .

وسُئل مرةً عن التوحيد الخالص ، فقال : (أن يرجعَ آخرُ العبد إلىٰ أوَّله ، فيكون كما كان قبل أن يكون) .

وكان يقول : (التوحيدُ الذي انفردَ به الصوفيةُ هو إفرادُ القِدَم من الحَدَث ، والخروجُ عن كلِّ محبوبٍ يقطعهم عن الله ، وتركُ الاعتماد علىٰ كلِّ ما عُلم وجُهل ، وأن يكونَ الحقُّ تعالىٰ مكان الجميع ، لا يعوِّلون إلا عليه) .

وكان يقول : (قد طُويَ علمُ التوحيد ، وطُويَ بساطُهُ من منذ عشرين سنة ، والناس يتكلمون في حواشيه) .

وسُئل عن سبب اضطرابِ قلبِ الفقير وجوارحه عند السماع ، فقال : (سببُ ذلك : أنَّ الله تعالىٰ لما خاطبَ الذرية في الميثاق الأول بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] استفرغتْ عذوبةُ سماعِ كلامه تعالى الأرواحَ ، فإذا سمعوا الأنغامَ الطيبة حرَّكهم ذلك إلىٰ ذكرِ الله) .

وكان يقول : (تنزلُ الرحمةُ على الفقراء في ثلاثة مواطن : عند السماع ، وعند الطعام ، وعند مجاراةِ العلم ؛ وذلك لأنهم لا يسمعون إلا من حقٍّ ، ولا يقومون إلا

عن وجدٍ ، ولا يأكلون إلا عن فاقةٍ ، ولا يتذاكرون إلا في أحوال الأولياء) .

وكان يقول : دخلتُ مرةً على السريِّ السَّقَطي رضي الله عنه ، فرأيتُ عنده شخصاً مَغشيّاً عليه ، فقلتُ : ما بالُهُ ؟! فقال : سمعَ آيةً من كتاب الله عز وجل ، فقلتُ : تُقرأُ عليه الآيةُ ثانياً ، فقُرئتْ ، فأفاق ، فقال السريُّ : من أين علمت هـٰذا يا ولدي ؟! فقلت له : إنَّ قميصَ يوسف ذهبَ بسببه عينا يعقوب ، ثم عاد به بصرُهُ ، فاستحسنَ ذلك مني .

وقيل للجُنيد مرةً : ممن استفدتَ هـٰذا العلم الذي لم يكن مع أشياخك ؟ فقال : استفدتُهُ من جلوسي بين يدي الله تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة ، ثم أَوْمَأ إلىٰ سُلَّمٍ في داره .

وكان يقول : (مبنى التصوفِ علىٰ ثمانيةِ أخلاق لثمانٍ من الأنبياء ؛ وهي : السخاءُ وكان لإبراهيم ، والرِّضا عن الله وكان لإسحاق ، والصبرُ وكان لأيوب ، والإشارةُ وكانت لزكريا ، والعزوبةُ وكانت ليحيىٰ ، ولبسُ الصوف وكان لموسىٰ ، والسياحة وكانت لعيسىٰ ، والفقرُ وكان لمحمدٍ عليه وعليهم الصلاة والسلام) .

وكان يقول : (لا تصفو القلوبُ لعمل الآخرة إلا إذا تجرَّدتْ من حبِّ الدنيا ، فاعملوا في ابتداء أمركم علىٰ إخراج حبِّ الدنيا حتىٰ لا يبقىٰ عليكم منها دقيق هوىً كامن فيكم ، فيوقفكم عن النفاذ والترقِّي ، ولو كان شيخكم من أكبر الأولياء) .

وسُئل مرةً عن المعرفة بالله : هل هي كسبٌ أو ضرورة ؟ فقال : معرفةُ الله لها طريقان ، فما كان منها حاضراً أدركناه بالحسِّ ، وما كان منها غائباً أدركناه بالدليل ، ولما كان الحقُّ تعالىٰ غيرَ بادٍ لحواسِّنا كانتْ معرفته بالدليل والفحص ؛ إذ كنَّا لا نعلمُ الغيب والغائب إلا بالدليل ، ولا نعلمُ الحاضر إلا بالحسِّ) .

وكان يقول : (ما رأيتُ أحداً عظَّمَ الدنيا فقرَّتْ عينه فيها أبداً ، وإنما يقرُّ بها عينُ من حقَّرها وصغَّرها) .

وكان يقول : (إذا فتحَ اللهُ تعالىٰ علىٰ عبدٍ بنيَّةٍ حسنةٍ فقد فتحَ عليه سبعين باباً من التوفيق ، ومن فتح علىٰ نفسه باباً بنيَّةٍ سيئة فتحَ اللهُ عليه سبعين باباً من الخذلان) .

وكان يقول : (ما استحىٰ صاحبٌ أن يطلبَ حاجته من صاحبٍ إلا لنقصٍ في أحدِهما) .

وكان رضي الله عنه ضنيناً بالعلم علىٰ من لا يستحقُّهُ ، ويقول : (إن للعلم ثمناً ، فلا تُعطوه حتىٰ تأخذوا ثمنَهُ) ، قيل : وما ثمنُهُ ؟ قال : (وضعُهُ عند من يعمل به) .

وقيل له مرةً : ما بال أصحابك يأكلون كثيراً ؟! فقال : لأنهم يجوعون كثيراً ، قيل : فما بالهم لا تؤثِّرُ فيهم قوةُ شهوة الجماع ؟! فقال : لأنهم يأكلون الحلالَ[1] ، قيل : فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون ؟! فقال : لأنه كلَّه أحكامٌ ومواعظُ قد كُلِّفوا بالعمل بها ، فلا يخرجون عن العُهدَة إلا بالوفاء بالعمل به ما داموا في هـٰذه الدار ، ومَنْ كُلِّفَ بأمرٍ قد يخلُّ به كيف يطربُ به ؟! ولـٰكن سوف يطربون به في الجنة إذا سمعوه من الله عز وجل .

قيل : فما بالهم يطربون عند سماع القصائد ؟! فقال : لأنها كلامُ جنسهم وممَّا عملتْ أيديهم ، بخلاف القرآن ؛ فإنه حقٌّ صدرَ عن حقٍّ ، لا مُجانسةَ بين صاحبه وبينهم .

قيل : فما بالهم لا يقبلون هدايا الناس ؟! فقال : لأنهم في مقام المُجاهدة وإفرادِ القصد لله تعالىٰ ، وقبولُهم هدايا الناس يُميِّلُ قلوبهم إليهم ، فينقطعون عن الحقِّ تعالىٰ ، فاختار الحقُّ لهم ألا يميلوا لسواه .

ولما حضرته الوفاةُ أوصىٰ أن يُدفن معه جميعُ ما هو منسوبٌ إليه من علمه ، فقيل له : ولم ذلك ؟! فقال : غيرةً علىٰ سُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُتركَ مطالعتُها ويطالعَ الناسُ كلامي .

ودخل عليه أبو محمد الجَريري في مرض موته ، فقال : ألك حاجةٌ ؟ فقال : إذا متُّ فغسِّلني وكفِّني ، وصلِّ عليَّ ، فبكى الجَريريُّ ، وبكى الناس معه ، ثم قال الجُنيد : وحاجةٌ أخرىٰ ، فقال : ما هي ؟ فقال : تصنعُ طعاماً يومَ موتي ، فإذا رجع أصحابُنا من الجنازة تجمعهم عليه ؛ خوفاً من تشتُّت أمرهم ، فبكى الجريري ، ثم

---

(١) في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٣٥) : (لأنهم لم يذوقوا طعم الزنا ، ويأكلون الحلال) .

قال : والله ؛ لئن فقدنا هاتين العينين لا اجتمعَ منَّا اثنان أبداً .

قال أبو جعفر الفرغاني : (فكان والله كذلك الأمرُ بعد وفاةِ الجنيد ، وكنا نعدُّ ذلك الاجتماعَ إنما كان ببركة لحظه ورؤيته) .

قال الجَريري : (وكان في جوار الجنيد رجلٌ مُصابٌ في خربةٍ ، فلما ماتَ الجُنيد ، ورجعنا من دفنه ، تقدَّمَنَا ذلك المصابُ ، فصعِدَ علىٰ موضعٍ عالٍ ، وقال : يا أبا محمد ؛ أتراني أرجعُ إلىٰ تلك الخربة ، وقد فقدتُ ذلك السيد ؟ ثم أنشأ يقول : [من مخلع البسيط]

وَا أسفِي مِنْ فِراقِ قومٍ ... هُمُ المصابيحُ والحصونُ
والمُدْنُ والمُزْنُ والرَّواسِي ... والخيرُ والأمنُ والسُّكونُ
لمْ تتغيَّرْ لنا اللَّيالي ... حتىٰ توفَّتْهُمُ المَنونُ
فكلُّ جَمْرٍ لنا قُلوبٌ ... وكلُّ ماءٍ لنا عيونُ

ثم إن ذلك المُصاب غابَ عنَّا ، فكان ذلك آخرَ العهد به ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(١٤١) أبو علي الفُضيل بنُ عِياض رضي الله تعالىٰ عنه[١]

هو ابن مسعود بن بشر التميمي ، ثم اليربوعي ، خراسانيُّ المنشأ ، من ناحية مرو ، من قريةٍ تُعرف بفُنْدِيْن ، مات في الحرمِ الشريف في شهر الله المحرم سنة سبعٍ وثمانين ومئة رضي الله عنه ، ودفن بجنب سُفيان بنِ عيينة كما مرَّ في ترجمته[٢] .

ومن كلامه رضي الله عنه : (أهلُ الفضل هم أهلُ الفضل ما لم يروا فضلَهم) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يُصغي الناسُ إلىٰ كلامه إذا تكلَّم فليس بزاهدٍ في الدنيا) .

وكان يقول : (إذا اغتابك عدوُّك فهو أنفعُ لك من الصديق ؛ فإنه كلما اغتابك كانَ لك حسناتُهُ ، والصديقُ لا يُعطيك شيئاً من حسناته) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٦) (١٤١) .
(٢) تقدم (٣/ ١٢٣) .

وكان يقول : (سيأتي على الناسِ زمانٌ يسودُ القبيلةَ منافقوها ، وهناك يكون الناسُ داءً لا دواء له) .

وكان يقول : (فرَّ من الناس غيرَ تاركٍ للجماعة) .

وكان يقول : (ليس هـٰذا زمانَ فرحٍ ، وإنما هو زمانُ همومٍ وغموم) .

وكان يقول : (لكلِّ شيءٍ ديباجةٌ ، وديباجة القراء تركُ الغيبة) .

وكان يكره لقاءَ الإخوان خوفاً من وقوع التزيُّنِ منه ومنهم .

وكان يقول : (من أعطاه اللهُ فهمَ القرآن فقد أُعطي علمَ الأولين والآخرين) .

وكان يستقي الماء على الروايا[1] ، ويبيعُ ذلك ، وينفقُ منه على نفسه وعياله .

وكان يقول : (إذا أحبَّ اللهُ عبداً أكثرَ غمَّهُ في الدنيا ، وإذا أبغضَ عبداً وسَّع عليه دنياه) .

وكان يقول : (لو حلفتُ أني مُراءٍ لكان أصدقَ من أن أحلفَ أني لستُ بمراءٍ) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو قيل لي : إنَّ أمير المؤمنين داخلٌ عليك ، فسوَّيتُ لحيتي بيدي .. لخفتُ أن أُكتبَ في جريدة المنافقين) .

وكان يمسكُ لحيته ويقول : (كنتُ في شبيبتي فاسقاً ، وصرتُ في كبر سني مُرائياً ، واللهِ ؛ للمرائي شرٌ من الفاسق) .

وكان يقول : (لا ينبغي لحاملِ القرآن أن يكونَ له إلىٰ أبناء الدنيا حاجةٌ ، إنما ينبغي أن تكونَ حوائجُ الناس إليه ؛ وذلك لزهده) .

وكان يقول : (تباعدْ من القرّاء ما استطعتَ ؛ فإنهم إن أحبُّوك مدحوك بما ليس فيك ، فغطَّوا عليك عيوبَكَ ، وإن أبغضوك جرحوك زوراً وبهتاناً ، وقبل الناسُ منهم ذلك) .

ودخل عليه سفيان بنُ عُيينة مرةً ، فقال : عظني بموعظةٍ يا أبا علي ، فقال : ماذا أقولُ لكم أيُّها العلماء ، كنتم سُرُجاً يُستضاء بكم في البلاد ، فصرتم ظلمةً ، وكنتم

---

(١) **الروايا** : جمع راوية : وهي كل دابة يستقى الماء عليها . « تاج العروس » (ر و ى) .

نجوماً يُقتدىٰ بكم ، فصرتم حيرةً ، يأتي أحدُكم إلىٰ هـٰؤلاء الولاة ، فيأكل من طعامهم ، ويجلسُ علىٰ فُرشهم ، ثم يدخل المسجدَ فيسندُ ظهره إلىٰ ساريةٍ ، ثم يقول : حدَّثني فلانٌ عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واللهِ ؛ ما هـٰكذا كان حملةُ العلم الذين أدركناهم ، فبكىٰ سفيان بنُ عيينة وخرج .

وكان يقول : (قرّاءُ الرحمـٰن أصحابُ خشوعٍ وذبول ، وقرّاءُ الأمراء أصحابُ كبْرٍ وعُجْبٍ ، وازدراء للناس) .

وكان يقول : (إياكم ومجَالسةَ القرّاء ؛ فإن الغيبةَ قد صارت فاكهتَهم) .

واجتمع مرةً هو وشُعيب بن حرب في الطواف ، فقال : يا شعيب ؛ إن كنتَ تظنُّ أنه شهدَ هـٰذا الموقفَ من هو شرٌّ مني ومنك فبئس ما ظننت) .

وكان يقول : (من طلبَ صاحباً بلا عيبٍ بقي بلا أخٍ) .

وكان يقول : (لا تواخِ من إذا غضب منك كذبَ عليك) .

وكان يقول : (أدركنا الإخوانَ وهم يَعُولون أولادَ أخيهم إذا مات حتىٰ يُبلِّغَهم رشدَهم احتساباً لوجه الله ، وقياماً بواجب الأُخوة ، وهـٰذا أمر قد بطلَ من الناس ؛ فكلُّ من لا ينفعك فلا عليك من هجره) .

وكان يقول : (ليس بأخيك من إذا طلبَ منك شيئاً فمنعته . . غضبَ عليك) .

وكان يقول : (إنما كان لقمانُ قاضياً لبني إسرائيل مع كونه كان عبداً حبشيّاً ؛ لكونه كان صادقاً في حديثه ، تاركاً ما لا يعنيه) .

وكان يقول : (بلغنا : أن طولَ الصراطِ خمسةَ عشرَ ألف فرسخ ، فانظرْ يا أخي كيف تكونُ عليه حتىٰ تخلصَ منه) .

وسأله إسحاق بنُ إبراهيم أن يحدِّثَ ، فقال : بذلُ الدنانير أحبُّ إليَّ من بذلِ الحديث ؛ لأن كلَّ حديثٍ يطلب مني أن أعملَ به قبل أن أُحدِّث به الناس) .

وكان يقول : (من حملَ القرآنَ سُئل عن تبليغه يوم القيامة كما يُسألُ الرُّسلُ) .

وكان يقول : (عالِمُ الآخرة علمُهُ مستور ، وعالمُ الدنيا علمُهُ مَنشور ، فاحذروا

عالِمَ الدنيا أن تجالسوه ؛ فإنه يفتنكم بغروره وزخرفته لقوله ودعواه العلم من غير عملٍ ، أو دعواه العلم من غير صدق) .

وكان يقول : (لو أنَّ أهلَ العلم زهدوا في الدنيا لخضعت لهم رقابُ الجبابرة ، وانقادَ لهم أكثرُ الناس ؛ ولكنهم بذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليُصيبوا بذلك مما في أيديهم ، فذلُّوا وهانوا في أعين الناس) .

وكان يقول : (**من علامة إخلاصِ العالم** : أن يفرحَ إذا ذمُّوه عند الأمراء ، ويحزنَ إذا مدحوه عندهم ؛ لأنه هاربٌ مما يقرِّبُهُ منهم) .

وكان يقول : (من عرفَ ما يدخلُ جوفَهُ صار عند الله صدِّيقاً) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٤٢) أبو إسحاق إبراهيم بنُ أدهم بن منصور رضي الله عنه[١]

هو من كورةِ بلخ ، وكان من أولاد الملوك ، وصار من رؤوس الزهاد .

ومن كلامه : (**من علامة نورِ القلب** : أن يكونَ أكبرُ همَّة صاحبِهِ العبادةَ ، وأكثرُ كلامه الثناءَ والمدحةَ ومناقبَ الصالحين) .

وكان رضي الله عنه يتمثّل كثيراً بهـٰذا البيت : [من البسيط]

لَلقمــةٌ بجَــريــشِ الملــحِ آكُلُهــا ... أَلَذُّ منْ تمرةٍ تُحشىٰ بزُنْبُورِ[٢]

أي : فيها شبهة ، أو دخلها علَّةٌ .

وكان رضي الله عنه يقول : (أثقلُ الأعمال في الميزان أثقلُها على الأبدان ، ومن وفَّىٰ بالعملِ وفِّي له بالأجر ، ومن لا عملَ له لا أجرةَ له) .

وصحبه مرةً رجلٌ ، ثم فارقه ، فقال لإبراهيم : يا أخي ، إن كنتَ رأيتَ فيَّ عيباً

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٨٩) (١٤٢) .

(٢) البيت لأبي السري . انظر « حماسة الظرفاء » (١/ ٣١) ، ومعنى **الزنبور** : التين الحلواني . « القاموس المحيط » (ز ن ب ر) .

فنبِّهني عليه ، فقال له : إني لم أرَ فيك عيباً ؛ لكوني لاحظتُك بعينِ الوداد ، فاستحسنتُ كلَّ ما رأيتُهُ فيك ، فسلْ عن ذلك غيري .

وكان رضي الله عنه يقول : (إني لأتمنى المرضَ حتىٰ لا تجبَ عليَّ الصلاةُ في جماعةٍ ، ولا أرى الناسَ ولا يروني) .

وكان يُغلق بابَهُ من خارجٍ ، فيأتي له الرجلُ ، فيظنُّ أن ليس في البيت أحدٌ ، فيرجع .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] (من علوِّكِ في الأرض : أن تستحسنَ شِسع نعلك علىٰ نعل أخيك ، وتأنفَ نفسُك أن تلبسَ نعلاً خَلَقاً مثل أخيك) .

وكان يقول : (**ثلاثةٌ لا يلامون علىٰ ضجرٍ** : المريض ، والمسافر ، والصائم) .

وكان يقول : (بلغنا : أنَّ الرجلَ يُحاسبُ يوم القيامة بحضرةِ أصحابه الذين كانوا يَعتقدون صلاحه ؛ ليكون أبلغَ في توبيخه) .

وكان يقول : (ما صدقَ اللهَ تعالىٰ عبدٌ أحبَّ الشُّهرةَ بعلمٍ أو عمل ، أو كرمٍ أو معروفٍ) .

وكان رضي الله عنه من أورع الناس ، كان إذا لم يجدْ طعاماً حلالاً يأكلُ الترابَ ، حتىٰ إنه مكثَ شهراً يأكلُ الطين ، ويقول : واللهِ ؛ لولا أخافُ أن يُؤتىٰ علىٰ نفسي لأكلتُ الترابَ ما عشت .

وكان يحصدُ بالأُجرة ، ويحرسُ البساتين ، فربما أعطوه الأجرةَ آخرَ اليوم أو آخر السنة ، فينظر إليها ، ثم يتركُها ، ويقول : قد رزقني اللهُ من غيرها ، وأخاف ألا أكونَ نصحتهم في شغلي ، ولا بذلتُ وسعي .

وكان يقلِّلُ الأكل ما استطاع ، ويقول : (ما بقي الحلالُ يحتملُ السرَفَ) .

وربما أكلَ كلَّ خمسةَ عشرَ يوماً أكلةً ، وربما صلاها كلَّها بوضوءٍ واحد .

وكان يقول : (اطلبوا العلمَ للعمل ؛ فإن أكثرَ الناس قد غلطوا ، فصار علمُهم كالجبال وعملُهم كالذرِّ) .

وكان يقول : (مررتُ في سياحتي علىٰ حجرٍ مكتوب عليه : اقلبني تعتبرْ ، فقلبتُهُ ، فوجدتُ فيه مكتوباً : أنت بما تعلمُ لا تعمل ، فكيف تطلبُ علمَ ما لا تعلم ؟!) .

وكان رضي الله عنه قد جفَّ جلدُه علىٰ عظمه ، حتىٰ ربَّما تهيجُ الريح فيكادُ أن يقعَ .

وقال له رجلٌ مرةً : عظني يا أبا إسحاق ، فقال : كنْ ذَنَباً ولا تكن رأساً ؛ فإن الرأسَ يذهب ، والذنبَ ينجو .

وقال له رجلٌ مرةً : أريدُ أن أصحبك ، فقال : بشرطِ أن أكون أحقَّ بمالك منك ، فقال : لا طاقةَ لي بذلك ، فقال : اذهبْ إلىٰ حالِ سبيلك .

وزاره مرةً بعضُ إخوانه ، فمرضَ ، فباع حمارَهُ ، وأنفقَهُ عليه ، فلما تعافى الرجلُ من المرض طلب بلدَهُ ، فحمله إبراهيمُ علىٰ ظهره كذا كذا مرحلة .

وكتبَ إليه الأوزاعي : إني أريدُ أن أصحبَكَ يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : إنَّ الطيرَ إذا طار مع غيرِ شكله كذوات الأربع طارَ الطيرُ وتركه .

ومنهم :

(١٤٣) أبو الفيض ذو النُّون المِصري رضي الله عنه[١]

واسمه ثَوبان بن إبراهيم ، كان أبوه نُوبيّاً[٢] .

توفي سنة خمسٍ وأربعين ومئتين .

وكان نحيفاً ، تعلوه حمرةٌ ، وليس بأبيض اللحية .

ومات بجيزة مصر ، وحملوه في قاربٍ مخافةَ أن ينقطعَ الجسرُ من كثرة الناس مع جنازته ، ورأوا طيوراً خضراً ترفرفُ علىٰ جنازته حتىٰ وصلوا به إلىٰ موضع قبره في القَرَافة .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٩٢) (١٤٣) .

(٢) النوبة : جيل من السودان .

وكان من أورع الناس ، وأزهدِ الناس في زمنه .

وكان يقول : (إياك أن تكونَ للمعرفة مُدَّعياً ، أو بالزهد محترفاً ، أو بالعبادة متعلِّقاً ، وفرَّ من كلِّ شيءٍ إلىٰ ربِّك) .

وكان يقول : (من ادَّعىٰ مقاماً حُجب به عن الله ؛ لأن من كان الحقُّ مشهودَهُ لا يحتاجُ إلىٰ دعوىٰ) .

وكان يقول لعلماء زمانه : (أدركنا الناسَ وأحدُهم كلَّما ازدادَ علماً ازدادَ في الدنيا زهداً ، وأَحدُكم اليوم كلَّما ازدادَ علماً ازدادَ في الدنيا رغبةً ومزاحمةً عليها ، وكانوا يُنفقون الأموالَ في تحصيل العلم ، وأنتم اليوم تُنفقون العلمَ في تحصيل المال) .

وكان يقول لأصحابه : (من أرادَ منكم الطريقَ فليلق العلماء بالجهل ، والزهَّادَ بالرغبة ، والعارفين بالصمت ؛ وذلك ليزيدوه علماً إلىٰ علمه ، وزهداً إلىٰ زهده ، وصمتاً إلىٰ صمته) .

وسُئل مرَّةً عن سفلة الناس من هم ؟ فقال : هم من لا يعرفُ الطريقَ إلى الله تعالىٰ ، ولا يتعرَّفُهُ .

وكان يقول : (سيأتي على الناس زمانٌ تكونُ الدولةُ فيه لأهل الدنيا علىٰ أهل الآخرة) .

وكان يقول : (لم يزلِ المنافقون يَسخرون بالفقراء في كلِّ عصرٍ ؛ ليكون للفقراء أسوة بالأنبياء) .

قال : وقد جاءتني امرأةٌ يوماً ، فقالت : إنَّ التمساحَ أَخذ ولدي ، فلما رأيتُ حرقتَها عليه أتيتُ بحرَ النيل ، وقلت : اللهم ؛ أظهرِ التمساحَ ، فخرج إلى الشطِّ ، فشققنا جوفَه ، وأخرجنا ابنَها حيّاً صحيحاً ، فأخذَتْهُ ومضتْ ، ثم قالت لي : يا ذا النُّون ؛ اجعلني في حلٍّ ؛ فإني كنتُ كلما رأيتُك سخرتُ بك .

وكان يقول : (من علامة سخطِ الله على العبد أن يخافَ من الفقر) .

وكان يقول : (لكلِّ شيءٍ علامةٌ ، وعلامةُ طردِ العارف عن حضرة الله انقطاعُهُ عن ذكره) .

وكان يقول : (إذا تكاملَ حُزنُ المحزونين قلصتْ دمعتُهم ؛ وذلك أن القلبَ إذا رقَّ سلا ، وإذا جمدَ غلظَ وشجا) ، ومنه قول عمرَ بنِ الخطاب لما رأىٰ شخصاً يبكي عند تلاوة القرآن : هـٰكذا كنَّا حتىٰ قستْ قلوبُنا ؛ أي : غلظت وقويتْ علىٰ تحمّل ما تسمعُ وترىٰ .

قلت : فهو وصفٌ لنفسِهِ بالكمال من باب التحدُّث بالنعم ، لا وصف لها بالنقص .

وتذاكر الفقراءُ يوماً عنده في المحبَّة ، فقال : (كفُّوا عن هـٰذه المسألة ؛ خوفاً أن تدَّعيها النفوسُ بغير حقٍّ ؛ فإن من أحبَّ الله لا يحبُّ سواه إلا بإذنه ، وما منَّا أحدٌ إلا وله شهواتٌ يحبُّها) .

قال : (ولقد دخلتُ يوماً إلىٰ مغارةٍ في بعض الجبال ، فوجدتُ هناك شخصاً يعبد الله في تلك المغارة ، فسألتُهُ عن مسألةٍ في المحبة ، فذاب كما يذوبُ الرَّصاص ، ثم صار قدرَ النُّطفة بلا عظمٍ وبلا لحم(١) ، فالتقطتُهُ بقطنةٍ ، ودفنته) .

وكان يقول : (من القلوبِ قلوبٌ تستغفرُ قبل أن تُذنبَ ، فتُثابُ قبل أن تتوبَ وتطيع) .

وكان يقول : (لولا اللِّسانُ لكان الإنسانُ كالبهيمة يُومئ بالرأس ، ويشير باليد) .

وكان يقول : (كنا إذا رأينا شاباً يتكلَّم في مجلسِ الرجال أيسنا من خيره) .

وكان يقول : (كلُّ فقيرٍ لا يفتِّشُ علىٰ رغيفه من جهة الحلِّ لا يفلحُ في الطريق) .

وكان يكرهُ إرسالَ السلام للنساء ، ومن النساء للرجال ، ويقول : شهامةُ الرجل فوق ذلك .

وكان يقول : (لا يُكثرُ من الإخوان إلا قليلُ العقل) .

وكان يقول : (أعربنا في الكلام ولحنَّا في العمل ، فعكسنا الحالَ الذي كان عليه السلف) .

---

(١) في (أ ، هـ ، ز) : (بلا شحم) بدل (بلا لحم) .

وكان يقول : (مَنْ آنسَهُ اللهُ بقربه أعطاه العلمَ بغير تعب) .

وكان يقول : (ليس بعاقلٍ من عُرف بالعلم ، ثم آثر بعد ذلك هواه علىٰ مرضاة الله ، وليس بعاقلٍ من لم يُنصفْ من نفسه ، وطلبَ الإنصافَ من الناس) .

وكان يقول : (لا تتواضعْ للمتكبِّر تذلَّ نفسَكَ في غير محلٍّ ، وتكبر نفسُه بغيرِ حقٍّ) .

وكان يقول : (من عميَ عن عيوب نفسه انكشفتْ له عيوب الناس ، فمقتته القلوب) .

وكان يقول : (من طلب مع الخبزِ ملحاً يأكلُهُ به لم يُفلحْ في طريق الله تعالىٰ أبداً) .

وسئل رضي الله عنه عن كمال العقل ، وعن كمالِ المعرفة ، فقال : إذا كنتَ بالله قائماً بما أُمرتَ ، تاركاً لتكلف ما كُفيت كنتَ كاملَ العقل ، وإذا كنتَ بالله عز وجل مُتعلِّقاً غيرَ ناظرٍ إلىٰ سواه حتىٰ من أعمالك وأحوالك فأنت كاملُ المعرفة) .

وكان يقول : (قد صار عبَّادُ زماننا ونُسَّاكه وقرَّاؤه غارقين في شهوة بطونهم وفروجهم ، أقبلوا علىٰ أكل الحرام والشُّبهات ، ورضوا من العلم بالاسم ، هم عبيدُ الدنيا لا عبيد الله ، لبسوا الثياب علىٰ قلوب الذئاب ، اتخذوا مساجدَ الله للغو والجدال بالعلم من غيرِ عملٍ ، اتخذوا علمهم شبكةً يصطادون بها الدنيا ، فإياكم ومجاورتَهم أو مجالستَهم) .

وكان يقول : (لولا شغلي بنفسي لاشتغلتُ بكتابة الحديث ؛ فإنه من أركان الدين) .

وكان يقول : (لولا نقصٌ دخلَ علىٰ أهل الحديث والفقه لكانوا خيرَ الناس في زمانهم ، ألا تراهم بذلوا علمهم للناس لينالوا من دنياهم ؟! فضلُّوا وأضلوا) .

وسُئل مرةً عن أهل القرآن من هم ؟ فقال : (هم الذين أنصبوا الرُّكَبَ والأبدان حتىٰ نحلتْ أبدانُهم ، وذبلتْ شفاهُهم ، ووبلت دموعُهم) .

وكان يقول : (من علامة إعراض الله عن العبد : أن تراه ساهياً ، لاهياً ، لاغياً ،

مُعرضاً عن ذكر ربِّهِ ، تثقلُ عليه مجالسةُ الذاكرين) .

وكان يقول : (إن الله يغارُ أن يجمعَ بين أحبابه وأعدائه في دارٍ واحدة ؛ فلذلك جعلَ لكلِّ فريقٍ داراً) .

وكان يقول : (العارفُ في هـٰذه الدار مثلُهُ كمثل رجلٍ تُوِّجَ بتاج الكرامة ، وأُجلسَ علىٰ سريرٍ ، وعُلِّق علىٰ رأسه سيفٌ بشعرةٍ ، وأُرسل علىٰ بابه سبعون [ضارياً][1] ، فأنَّىٰ له السرور) .

قال بعضهم : والمرادُ بالسيف المعلَّق : الأحكام التي كُلِّف بها ، [والضاريون] على الباب الأوامر والنواهي[2] .

وكان يقول : (من تقرَّبَ إلى الله تعالىٰ بما فيه تلفُ نفسه حفظَ اللهُ نفسَهُ) .

وكان يقول : (ما شبعتُ قطُّ إلا عصيتُ ، أو هممتُ بمعصيةٍ) .

وكان يقول : (كنْ عارفاً خائفاً ، ولا تكن عارفاً واصفاً) .

وكان يقول : لمَّا حُملتُ من مصر في الحديد والأغلال إلىٰ بغداد ، حين رُميْتُ بالزندقة . . لقيتني امرأةٌ زَمِنَةٌ ، فقالتْ : يا ذا النون ؛ إذا دخلتَ على المتوكل فلا تهبْه ، ولا تَرىٰ أنه فوقك ، ولا تجبْ عن نفسك محقّاً أو متَّهماً ؛ لأنك إنْ هبتَهُ سُلِّط عليك ، وإن حاججتَ عن نفسك بغير حقٍّ لم يزدْك ذلك إلا وبالاً ؛ لأنك باهتَّ الله تعالىٰ ، وإن كنت بريئاً فادعُ اللهَ تعالىٰ أن ينتصرَ لك ، ولا تنتصرْ لنفسك ، فيَكِلك اللهُ إليها ، فقلت : سمعاً وطاعة .

فلما أدخلوني عليه سلَّمتُ عليه بالخلافة ، فقال لي : ما تقولُ فيما يقولون فيك من الكفر والزندقة ؟ فسكتُّ ، فقال وزيرُهُ : هو حقيقٌ عندي بما قيل فيه ، ثم قال لي : لِمَ لا تتكلَّم ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إن قلتُ : لا كذَّبتُ المسلمين فيما قالوا ، وأنا أستحي أن أُكذِّبَ مُسلماً ، وإن قلتُ : نعم كذبتُ علىٰ نفسي بشيءٍ لا يعلمه الله مني ،

---

(١) في النسخ : (ضارباً) ، وفي « مناقب الأبرار » (١/ ١٠١) : (سبعان ضاريان) ، وفي « حلية الأولياء » (٩/ ٣٦١) : (أسدان ضاريان) .

(٢) في النسخ : (والضاربون) بدل (والضاريون) .

فافعلْ أنت ما ترىٰ ؛ فإني غيرُ مُجيبٍ عن نفسي اليومَ ، وقد جعلتُ الله تعالىٰ وليّي ، فقال المتوكلُ : الذي عندي أنه رجلٌ بريء مما قيل فيه ، ثم صنع لي محفَّةً ، وفرشَ تحتي الذهبَ لأُنفقَهُ في الطريق ، وردَّني مُكرَّماً ، فخرجتُ من عنده إلىٰ تلك العجوز ، فقلت لها : جزاكِ الله عني خيراً ، وقد فعلتُ ما أَمرتِني به ، فمن أين لك ذلك ؟ فقالت : من حيث ما خاطب به الهدهدُ سليمانَ عليه السلام .

وكان ذو النون بعد ذلك يقول : (من أراد تجريدَ التوحيد ، وخالصَ التوكل فعليه بالمرأة الزَّمنة ببغداد) .

ومناقبُهُ وحكاياته وسياحته مشهورةٌ مفرَّقةٌ في كتب الرقائق ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤٤) أبو نصر بشر بنُ الحارث الحافي رضي الله عنه[١]

أصله من مرو ، وسكن بغداد ، **ومات بها عاشر المحرَّم سنة سبعٍ وعشرين ومئتين** .

صحب الفُضيل بنَ عياض .

وكان عالماً ورعاً ، كبيرَ الشأن ، أوحدَ أهل زمانه علماً وحالاً .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا يجدُ حلاوةَ أعمال الآخرة رجلٌ يحبُّ أن يعرفه الناس) ؛ يعني : علماً وعملاً وزهداً وخوفاً ، ونحو ذلك .

وكان يقول : (سيأتي على الناس زمانٌ تكون الدولةُ فيه للأراذل علىٰ أهل العقول والأكابر) .

وكان يقول : دخلتُ داري يوماً فإذا رجلٌ جالسٌ في الدار ، فقلت له : كيف دخلتَ الدارَ بغيرِ إذن صاحبها ؟ فقال : أنا أخوك الخضر ، فقلت له : ادعُ الله لي ، فقال : هوَّنَ اللهُ عليك طاعته ، فقلت : زدني ، فقال : وسترها عليك .

قال : ودخلتُ مرةً أُخرىٰ داري ، فرأيتُ رجلاً طويلاً قائماً يُصلِّي ، فراعني ذلك ؛

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٢٩٧) (١٤٥) .

لأن المفتاحَ كان معي ، فلما سلَّمَ من صلاته قال لي : لا تفزعْ ، أنا أخوك الخضر ، فقلت له : علِّمني شيئاً يَنفعني اللهُ به ، فقال : قل : أستغفرُ الله من كلِّ عهدٍ نقضتُهُ ، ومن كلِّ نعمةٍ استعنتُ بها على معصية .

وكان يقول : قال لي رجلٌ من المتصوفة : يا أبا نصر ؛ قد انقبضتَ عن أخذ البرِّ من أيدي الناس لإقامة الجاه ، فإن كنتَ متحقِّقاً بالزهد ، مُنصرفاً عن الدنيا . . فخذْ من أيديهم لتمحو جاهك عندهم ، ثم أخرجْ ما يعطوك إلى الفقراء سرّاً ، ولا تذقْ منه شيئاً ، فاشتدَّ هـٰذا القولُ على أصحابي ، فقلت له : جزاك اللهُ من أخٍ خيراً ، ولـٰكن اسمعْ جوابي ، فقال : نعم ، فقلتُ له : اعلمْ أن الفقراءَ على ثلاثة أقسام : فقيرٌ لا يسأل ، وإن أُعطي لا يأخذ ، فذاك من الرُّوحانيين ، وفقيرٌ لا يسأل ، وإن أُعطي قبلَ ، فذاك من أوسطِ القوم ، وفقيرٌ اعتقدَ الصبر ومدافعة الوقت ، فإذا طرقَتْهُ الحاجةُ خرجَ إلى إخوانه ، وقلبُهُ إلى الله بالسؤال ، فكفارةُ مسألته صدقُهُ في السؤال ، فقال الصوفي : رضيتُ ، رضي الله عنك .

وكان يقول : (حسبك أقوامٌ موتى تحيا بذكرهم القلوب ، وأقوامٌ أحياءٌ تُقَسَّى برؤيتهم القلوب)[1] .

وكان يقول : (طلبةُ العلم في زمننا هـٰذا إنما هم متلذِّذون متفكِّهون بالعلم ، يسمعونه ويحكونه لا غير ، ولو عملوا بما علموا لتجرَّعوا مرارةَ العلم ، ويحهم ! إنما يُراد بالعلم العمل ، فاسمعوا يا إخواننا ، وتعلَّموا ، ثم اعملوا واهربوا ، ألا ترون إلى سفيان الثوريِّ كيف طلبَ العلم وتعلَّم ، ثم عمل وهرب ؟!) .

وكان يقول : (كلِّ حرفٍ من العلم يدلُّ صاحبه على الهرب من الدنيا ، فإذا أقبلَ الناسُ على عالمٍ فإنما ذلك بواسطةِ ميل نفسه إلى الدنيا ، ومداهنته لأهلها) .

وكان يقول : (أفضلُ الصدقة ما كان سرّاً ، وهي أفضلُ من الحجِّ والجهاد والعمرة ؛ لأن الحاجَّ والمجاهد يراه الناس ، والمتصدِّقَ سرّاً لا يراه إلا الله) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إني لأُجلُّ اللهَ عز وجل أن أذكرَهُ عند من لا يُجلُّهُ) .

---

(١) في (أ ، ز ، ح) : (تفنى) بدل (تقسى) .

وكان يقول : (أمس قد مات ، واليوم في النزع ، وغداً لم يُولد ، فبادروا بالأعمال الصالحة وقتكم) .

وكان يقول : (إذا أرسلتَ لأخيك كتاباً فلا تزخرفْه بحسنِ الألفاظ ؛ فإني كتبتُ مرةً كتاباً ، فعرض لي كلامٌ إن كتبتُهُ حَسُنَ الكتاب وكان كذباً ، وإن تركتُهُ سمجَ الكتاب وكان صدقاً ، فعزمتُ على ذكر الكلام السمج الصدق ، فناداني هاتفٌ من جانب البيت : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من طلبَ أن يكونَ عزيزاً في الدنيا ، سليماً في الآخرة . . فلا يُحدِّثْ ، ولا يشهد ، ولا يؤم ، ولا يأكل لأحدٍ طعاماً) .

ولما تركَ بشرُ الحافي الحديثَ طلب منه ذلك الناسُ ، وألحُّوا عليه ، فأبى أن يجلسَ له ، فقالوا له : ما تقول لربِّك يا بشرُ يومَ القيامة إذا قال لك : لِمَ لا تحدِّثْ عبادي بحديث نبيِّي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أقولُ له : يا رب ، قد أمرتني بمخالفةِ نفسي عن هواها ، وإنَّ نفسي كانتْ تحبُّ الحديثَ والرياسة ، فخالفتها ، ولم أُعطها سؤلها .

وفي رواية : فقال بشر : أقولُ له : يا رب ، إنك أمرتني في علمي بالإخلاص فيه ، ولم أجدْ عندي إخلاصاً في الجلوس للعلم .

وكان يقول لإخوانه : (لا تُؤثروا على حذفِ العلائق شيئاً ؛ فإني لو أَجبتُ نفسي إلى كلِّ ما تشتهي لخفتُ أن أكونَ مكَّاساً أو شرطيّاً) .

وكان يقول : (من لم يحتجْ إلى النساء فليتق الله ، ولا يألفْ أفخاذهنَّ ، ولو أنَّ رجلاً جمع بين أربع نسوة يحتاجُ إليهنَّ ما كان مسرفاً) .

وقيل له مرةً : لِمَ لا تتزوَّجُ ؟ فقال : (واللهِ ؛ لو أمكنني طلاق نفسي لطلقتها) .

وفي روايةٍ أخرى : فقال : أنا مشغولٌ بالفرض عن هذه السنة ، فقيل له : وما هو الفرض ؟ فقال : مجاهدةُ نفسي ، وتصفيتُها من الأخلاق الرديئة .

وكان يقول : (صحبةُ الأشرار تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيار ، وصحبةُ الأخيار تورثُ

حسنَ الظنِّ بالأشرار ، وإن الله عز وجل لا يسألُ قطُّ عبداً في الآخرة : لِمَ حسَّنْتَ ظنَّك بعبادي ؟) .

وكان رضي الله عنه يقول في مرض موته : (إلـٰهي ، رفعتني فوق قدري ، وشهرتني بين الناس بالصلاح ، ولست صالحاً ؛ فأسألك بوجهك الكريم ألا تفضحني يومَ الحساب) .

وكان إذا رأىٰ أحداً يضحك غافلاً يقول له : احذر أن يأخذَكَ اللهُ علىٰ هـٰذا الحال .

وكان يقول : (غنيمةُ المؤمن في هـٰذا الزمان غفلةُ الناس عنه ؛ فإن لقاءَ غالب الناس اليوم خسران) .

وكان يقول : (لا يفلحُ مريدٌ يقول : بأيِّ شيءٍ آكلُ خبزي) .

وكان يقول : (سكونُ النفس إلىٰ قبول مدحها من الناس أشدُّ من ارتكاب المعاصي الظاهرة ؛ لأنه لا يكادُ يتوب من محبَّةِ حمد الناس له ، فيهلك ولا يشعر) .

وكان لا يعبأُ بعلماء زمانه إلا إن رآهم عاملين بما علموا ، فقيل له في ذلك ، فقال : كيفَ أعبأُ بهم واللهُ ساخطٌ عليهم ، وقد أدركنا العلماءَ وفيهم ثلاثُ خصال : صدقُ الحديث ، والزهدُ في الدنيا ، وأكلُ الحلال ، ولا نرىٰ فيهم اليومَ واحدةً من هـٰذه الثلاث .

وكان يقول : (كيف يدَّعي هـٰؤلاء العلمَ وهم يتحاسدون على الدنيا ، ويتغايرون على القرب من الأمراء ، وينقصون أقرانَهم عندهم حتىٰ لا يَميلوا إلىٰ غيرهم ، كلُّ ذلك من حرصهم على الدنيا التي زهَّدهم اللهُ فيها) .

ودخل عليه مرةً جماعةٌ من العلماء ، فقال : (ويحكم ! أنتم ورثةُ الأنبياء في زعمكم ، والأنبياءُ لم يورِّثوا إلا العلم ، فحملتموه ، وزُغتم عن العمل به ، وجعلتموه حرفةً تكتسبون بها معاشكم ، واللهِ ؛ إني أخافُ عليكم أن تكونوا من أول مَنْ تُسعَّرُ بهم النار) .

وكان يقول : (مثلُ الذي يأكلُ الدنيا بالعلم والدين كمثل الذي يغسل بدنه من الزهومة بماءِ تنظيف السمك القديد) .

وكان يقول : (إذا قصَّر العبدُ في العمل فيما بينه وبين الله سلبَهُ من كان يؤنسه ؛ من أخٍ أو علمٍ أو حال) .

وسئل مرَّةً عن التصوف ، فقال : (هو اسمٌ لثلاث معان : ألا يطفىءَ نورُ عرفانه نورَ ورعه ، وألا يتكلَّمَ بباطنٍ ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ، وألا تحمله الكراماتُ علىٰ هتك أستارِ محارم الله عز وجل) والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٤٥) أبو عبد الله الحارثُ بنُ أسد المحاسبي رضي الله عنه[(١)]

كان من أجلِّ علماء القوم في علوم الشريعة ، وعلم الأصول والمعاملات ، وله التصانيفُ المشهورة ، وهو أستاذُ أكثرِ البغداديين ، وهو بصريُّ الأصل .

مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله تعالىٰ عنه : (من صحح باطنَهُ بالمراقبة والإخلاص زيَّنَ اللهُ ظاهره بالمجاهدة واتِّباعه السُّنة)[(٢)] .

وكان يقول : (خيارُ هـٰذه الأمة هم الذين لا تشغلهم آخرتُهم عن دنياهم ، ولا دنياهم عن آخرتهم) .

وسمع مرةً شخصاً ينشد : [من مجزوء الرمل]

أنَـا فـي الغُـربـةِ أبكـي ... مَـا بكـتْ عيـنُ غـريـبِ
لـمْ أكـنْ حيـنَ خُـروجِـي ... عـنْ مكـانِـي بمُصيـبِ
عجبـاً لـي ولتـركِـي ... وطنـاً فيـهِ حبيبِـي

فقام وتواجدَ حتىٰ رَثىٰ له الحاضرون .

قلتُ : وقد خمَّس هـٰذه الأبيات سيِّدي علي بنُ وفا رضي الله عنه بقوله :

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٠٤) (١٤٧) .

(٢) في (ز) وحدها : (زيَّن) بدل (صحح) .

قَـدْ سمعـتُ الـرُّوحَ تحكـي　　أنَّ نفـسَ المتـزكِّـي
أنشـدَتْ كـالمتشكِّـي　　أنَـا فـي الغُـربـةِ أبكـي
مـا بكـتْ عيـنُ غـريـبِ

بعْـدَ روضِـي ومُـروجِـي　　وارتفـاعِـي وعُـروجِـي
صرتُ في الضيقِ الحريجِي　　لـمْ أكـنْ حيـنَ خـروجِـي
عـنْ مكـانِـي بمصيـبِ

كنـتُ حقّـاً روحَ ملكِـي　　فتغـرَّبْـتُ بـدركِـي
مَـعَ وهـمٍ خلـفَ إفـكِ　　فـاعجبُـوا لـي ولتـركِـي
وطنـاً فيـهِ حبيبِـي

وسئل مرةً عن المتوكل : هل يلحقه طمع ؟ فقال : نعم ، يلحقه طمعٌ من طريق الطباع ، خطراتٌ لا تضرُّهُ شيئاً .

وكان يقول : (بليةُ طالب الدنيا : تعطيلُ قلبه من ذكر الآخرة ، وحينئذٍ تحدثُ الغفلةُ في قلبه) .

وقيل للإمام أحمد بنِ حنبل : إنَّ الحارث المحاسبيَّ يتكلَّمُ في علوم الصوفية ، ويحتجُّ عليها بالآي والحديث ، فهل لك أن تسمعَ كلامه من حيث لا يشعر ؟! فقال : نعم ، فحضر معه ليلاً من أول الليل إلىٰ آخره ، فقال : لم أنكرْ من أحواله ولا أحوال أصحابه شيئاً ، واعترفَ بفضله وقال : كنتُ أسمع عن الصوفية خلافَ هٰذا ، فأستغفرُ اللهَ وأتوب إليه .

وكان الحارث يقول : عملتُ كتاباً في المعرفة ، وأعجبتُ به ، فبينا أنا أنظرُ فيه مُستحسناً له إذ دخل عليَّ شابٌّ نحيفُ البدن ، رثُّ الهيئة ، فسلَّم عليَّ وقال : يا أبا عبد الله ؛ هل المعرفة حقٌّ للحقِّ في الخلق ، أو حقٌّ للخلق على الحقِّ ؟ فقلت له : حقٌّ للحقِّ على الخلق ، فقال : هو أولىٰ أن يكشفَها لمستحقِّها ، فقلت : بل حقٌّ للخلق على الحقِّ[1] ، فقال : هو أعدلُ من أن يظلمَهم ، ثم سلَّم عليَّ وخرج ،

(١) في (ب ، ج ، هـ ، و ، ح ، ي ، ك) : (بلىٰ) بدل (بل) ، والمثبت من (أ ، ز ، ط) .

فأخذتُ الكتاب وغسلتُهُ ، وقلتُ : لا عدتُ أتكلَّمُ في المعرفة بعد ذلك أبداً ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٤٦) أبو سليمان داود بنُ نُصير الطائي رضي الله عنه(١)

كان كبيرَ الشأن في العلم والزهد والورع ، حتىٰ إنهم دخلوا عليه في مرضِ موته فلم يجدوا في بيته شيئاً غيرَ دنٍّ مزفَّتٍ فيه خبزٌ يابس ، ومطهرةٍ ، ولَبِنَةٍ من التراب يضعُها تحت رأسه وسادةً .

وكان يقول لأصحابه : (إياكم أن يتَّخذَ أحدُكم في داره شيئاً زائداً علىٰ زاد الراكب) .

وقيل له مرةً : دُلَّنا علىٰ شخصٍ نجلسُ إليه لنربحَ بمجالسته ، فقال : تلك ضالةٌ لا توجد .

وكان يقول : (إنما شُرع تعلُّمُ العلم ليَعْمَلَ به الطالب أولاً فأولاً ، وأما إذا قَطَع عمرَهُ في تحصيله فمتىٰ يعمل ؟!) .

ومكث رضي الله عنه أربعاً وستين سنة أعزب ، فقيل له : كيف صبرتَ على النساء ؟! فقال : كابدتُ ردَّ شهوتي إليهنَّ أول شبابي سنةً ، ثم ذهبت شهوتُهنَّ من قلبي .

وكان لا يتجرَّأ يسألُ اللهَ الجنةَ ، ويقول : (وددتُ أني أنجو من النار ، وأصيرُ تراباً) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ قد مللنا حياتنا لكثرةِ ما نقعُ فيه من الذنوب) .

وكان يقول : (من علامةِ كمالِ الزهد في الدنيا تركُ مُجالسة أهلها ، وتركُ عيادتهم إذا مرضوا ، إلا بنيةٍ خالصة عن العلل) .

ودخلوا عليه مرةً ، فرأوا في داره جرَّةً فيها ماءٌ قدِ انبسطتْ عليها الشمسُ ، فقالوا

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٠٥) (١٤٨) .

له : ألا تُحوِّلُها ؟ فقال : حين وضعتُها لم يكن عليها شمسٌ ، وأنا أستحي من الله أن يَراني أمشي في شهوة نفسي ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٤٧) شقيق بن إبراهيم البلخي رضي الله عنه(١)

كان من أجلِّ مشايخ خراسان ، وله لسانٌ حسنٌ في التوكُّل .

وقيل : إنَّه أولُ من تكلَّمَ في علم الأحوال بكُورةِ خراسان .

صحب إبراهيم بن أدهم ، وأخذ عنه الطريقةَ ، وهو أستاذُ حاتم الأصم .

وكان رضي الله عنه يقول : (عملتُ بالقرآن عشرين سنة حتىٰ ميَّزتُ أعمال الدنيا من أعمال الآخرة ، ووجدتُها في حرفين ، وهما قوله : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ ﴾ [القصص : ٦٠]) .

وكان يقول : (الزاهدُ يُقيمُ زهدَهُ بفعله لا بلسانه) .

وكان يقول : (الفقراءُ إذا طمعوا في الأغنياء فقد اتَّخذوهم أرباباً من دون الله) .

وكان يقـول : (إذا صارَ الفقيرُ يخافُ من الغِنىٰ مثلما يخافُ من الفقر فقد تمَّ زهدُهُ) .

وكان يقول : (مثلُ المؤمن في هـٰذه الدار كمثل رجلٍ غرسَ نخلةً ، وهو يخافُ أن تحملَ شوكاً ، ومثلُ المنافقِ مثلُ رجلٍ غرسَ شوكاً وهو يطمع أن يجتني رُطباً) .

وكان يقول : لقيتُ إبراهيم بنَ أدهم بمكة ، فقال لي : اجتمعتُ بالخَضِرِ عليه السلام ، فقدَّم لي قدحاً أخضر ، فيه رائحةُ السِّكباج(٢) ، فقال لي : كُلْ يا إبراهيم ، فرددتُه عليه ، فقال : إني سمعتُ الملائكة تقول : من أعطي(٣) فلم يأخذ ، سألَ ولم يُعطَ .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٠٦) (١٤٩) .

(٢) **السِّكباج** : طعام يعمل من اللحم والخلِّ وأفاويه . « المعجم الوسيط » (س ك ب ج) ، **والأفاويه** : التوابل التي يعالج بها الطعام .

(٣) في النسخ : (سئل) ، والمثبت من « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٠٧) .

وكان يقول : (الرعاةُ في كلِّ عصرٍ العلماءُ والصوفية ، ولـٰكن إذا صارت الرعاةُ للغنم هم الذئابَ فمن يحفظ الغنم ؟!) واللهُ تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٤٨) أبو يزيد طيفور بنُ عيسى البِسطامي رضي الله عنه[١]

مات سنة إحدىٰ وستين ومئتين .

وكان من أكابر المشايخ .

وكتبَ إليه ذو النُّون المصري : إلىٰ متى الدَّعةُ والراحة وقد سارتِ القافلة ؟! فقال له أبو يزيد : ليس الرجلُ من يسيرُ مع القافلة ، وإنما الرجلُ من ينامُ إلى الصباح ، فيصبح أمامَ القافلة في المنزل .

وكان رضي الله عنه يقول : (مددتُ رجلي ليلةً في الظلام في محرابي ، فهتفَ بي هاتفٌ : من يُجالس الملوك ينبغي أنْ يُجالسهم بالأدب) .

وكان رضي الله عنه يقول : (اختلافُ العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد ، ولقد عملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدتُ شيئاً أشقَّ على العبد من العمل بما علم) .

وكان يقول : (عرفتُ الله بالله ، وعرفتُ ما دون الله بنور الله) .

وكان يقول : (إنما خلعَ اللهُ تعالىٰ على العبادِ النِّعمَ ليرجعوا بها إليه ، فعكسوا الأمر ، واشتغلوا بها عنه) .

وكان يقول في مُناجاته : (إلـٰهي ، إنك خلقتنا بغيرِ علمنا ، وقلَّدتنا أمانةً بغير إرادتنا ، فإن لم تُعنَّا فمن يُعيننا ؟!) .

وسُئل مرةً عن الفرضِ والسُّنة ، فقال : (الفرضُ الاعتمادُ على الله ، والسُّنةُ تركُ الدنيا) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٠٨) (١٥٠) .

وكان يقولُ : (رأيتُ ربَّ العزة جلَّ وعلا ، فقلت : يا ربِّ ؛ كيفَ أجدُك ؟ فقال : اتركْ نفسَك وتعال) .

وسئل عن صفة العارف ، فقال : صفتُهُ صفةُ أهلِ النار ، لا يموتُ ولا يحيا .

وقيل له : متىٰ يكون الرجلُ متواضعاً ؟ فقال : إذا لم يرَ بعينه أحداً شرّاً منه .

وكان يقول : (أولياءُ الله عرائسُ في الدنيا والآخرة ، لا يراهم إلا من كان منهم) .

وكان يقول : (كراماتُ الأولياء على اختلاف طبقاتهم من حضرة أربعة أسماء : الأول والآخر ، والظاهر والباطن) .

وكان يقول : (إنما لم يكنِ العارفُ صاحبَ حالٍ ؛ لأن هويَّتَهُ فنيتْ في هوية غيره ، وآثارُهُ غُيِّبتْ في آثار غيره ، فالعارفُ طيَّار ، والزاهدُ سيَّار) .

وكتب يحيى بن معاذ إلىٰ أبي يزيد : إنني سكرتُ من كثرةِ ما شربتُ من كأسِ محبَّته ، فكتب إليه أبو يزيد : ها هنا رجلٌ ـ يعني : نفسَهُ ـ شربَ بحارَ السماوات والأرض وما رويَ بعدُ ، ولسانُهُ خارجٌ يقول : هل من مزيد .

وكان يقول : (لو شفَّعني اللهُ تعالىٰ في جميعِ أهل عصري لم يكن ذلك عندي بكبير ؛ لأنه شفَّعني في قطعةِ طين) .

ودخل عليه فقيهُ بلده وعالمُها إبراهيمُ بنُ [استنبه] الهَرَوي[1] ، فقال : يا أبا يزيد ، علمُكَ هـٰذا أخذتَهُ عمَّن ؟ فقال أبو يزيد : علمي من عطاء الله ، وعن الله ، ومن حيث قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « منْ عملَ بما عَلِمَ ورَّثَهُ اللهُ علمَ ما لمْ يعلمْ »[2] ، فسكتَ الفقيه .

وسئل أبو علي الجوزجاني عن الكلام المنقول عن أبي يزيد مما لا يُفهم ، فقال : يُسلَّمُ لأبي يزيد حالُهُ ، وأيُّكم جاهدَ نفسَهُ كما جاهد أبو يزيد ؟! دعا نفسَهُ يوماً إلىٰ عبادةٍ ، فأبت ، فمنعها الماءَ سنةً ، فجاهدوا تفهموا إشاراته) ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) في النسخ (شيبة) بدل (استنبه) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٥) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ١٣٠) .

ومنهم :

(١٤٩) أبو محمد سهل بن عبد الله التُّستري رضي الله عنه[(١)]

هو أحدُ أئمة القوم ، وأكابر علمائهم في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال .

صحب خالَهُ محمد بنَ سوار ، وشاهد ذا النُّون سنةَ خروجه إلىٰ مكة في سنة ثلاثٍ وسبعين ومئتين .

مات سهلٌ سنة ثلاث وثمانين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الناسُ نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا انتبهوا نَدموا ، وإذا ندموا لم تنفعْهم ندامتُهم) .

وكان يقول : (ما طلعتْ شمسٌ ولا غربت علىٰ أهلِ الأرض إلا وهم جهَّالٌ بالله عز وجل ، إلا من آثرَهُ علىٰ نفسه ، وولده ، وزوجته ، ودنياه وآخرته) .

وكان يقول : (إن الله تعالىٰ مُطَّلعٌ على القلوب في ساعات الليل والنهار ، فأيُّما قلبٍ رأىٰ فيه حاجةً إلىٰ سواه سلَّط عليه إبليس) .

وكان يقول : (مما يلزمُ الفقير ثلاثةُ أشياء : حفظُ سرِّه ، وصيانةُ فقره ، وأداء فرضه) .

وكان يقول : (اللهُ تعالىٰ قبلةُ النية ، والنية قبلة القلب ، والقلب قبلةُ البدن ، والبدن قبلة الجوارح ، والجوارح قبلة الدنيا) .

وكان يقول : (من سلمَ من سوءِ الظنِّ سلمَ من التجسُّسِ ، ومن سلم من التجسسِ سلم من الغيبة ، ومن سلم من الغيبة سلم من الزُّور ، ومن سلم من الزور سلم من البهتان) .

وكان يقول : (لا يستحقُّ الإنسانُ الرئاسةَ على الناس إلا إن احتملَ أذاهم ، وبذلَ لهم ما في يديه ، وزهد فيما في أيديهم) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣١٠) (١٥١) .

وكان يقول : (من أخلاقِ الصدِّيقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين ، ولا يغتابون أحداً ، ولا يُغتاب عندهم أحدٌ ، ولا يشبعون قطُّ ، ولا يُخلفون عهداً) .

وكان يقول : (دخلتِ الغيبةُ على الخاصَّةِ من الرُّخص والتأويلات ، ودخلتِ الفتنةُ على العارفين من تأخيرِ الحقِّ الواجب إلىٰ وقتٍ آخر) .

وكان يقول : (**أصولُ طريقنا هـٰذا سبعةُ أشياء** : التمسُّكُ بكتاب الله ، والاقتداءُ بسُنَّة رسول الله ، وأكلُ الحلال ، وكفُّ الأذىٰ ، واجتنابُ المعاصي ، والتوبةُ ، وأداءُ الحقوق) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يطَّلعَ الناسُ علىٰ ما بينه وبين الله عز وجل فهو جاهلٌ بالله) .

وكان يقول : (قد أيس علماؤنا عن هـٰذه الثلاث خلال : ملازمة التوبة ، ومعانقة السنة ، وترك الأذىٰ للناس) .

وكان يقول : (**العيشُ علىٰ أربعة أقسام** : عيشُ الملائكة في الطاعة ، وعيشُ الأنبياء في العلمِ وانتظارِ الوحي ، وعيشُ الصدِّيقين في الاقتداء ، وعيشُ سائر الناس في الأكل والشرب كالبهائم) .

وكان يقول : (ما عمل عبدٌ بما أمره الله عند فساد الزمان إلا جعله الله إماماً يُقتدىٰ به ، وصار غريباً في زمانه) .

وسئل مرةً عن الولي ، فقال : (هو من توالتْ أفعالُهُ على الموافقة) .

وسئل مرةً عن ذات الله عز وجل ، فقال : ذاتُ الله غيرُ مُدْرَكَةٍ بالإحاطة ، ولا مرئيّة بالأبصار في دار الدنيا ، وهي موصوفةٌ بالعلم ، موجودةٌ بحقائق الإيمان من غير حدٍّ ولا حلول ، وتراه العيون في العُقبىٰ ظاهراً في مُلكه وقدرته ؛ فإن الله تعالىٰ قد حجبَ الخلقَ في الدنيا والآخرة عن كُنْهِ ذاته ، ودلَّهم عليه بآياته ، فالقلوبُ تعرفُهُ ، والأبصارُ لا تُدركه ، ينظرُ إليه المؤمنون في الآخرة بالأبصار من غير إحاطةٍ ولا إدراك نهاية) .

وكان يقول : (قد خلقَ اللهُ الخلقَ ولم يحجبْهم عنه ، فجاءهم الحجابُ من تدبيرهم واختيارهم مع الله ؛ وذلك هو الذي كدَّرَ على الخلق عيشهم) .

وكان يقول : (مُخالطةُ الفقير للناس ذلٌّ ، وبُعده عنهم عزٌّ ، وقلَّ ما رأيتَ وليّاً لله عز وجل إلا مُنفرداً عن الناس) .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما من وليٍّ لله صحَّتْ ولايتُهُ إلا ويحضر إلىٰ مكة في كلِّ ليلةِ جمعة ، لا يتأخَّرُ عن ذلك) .

وكان يقول : أنا حجَّةُ الله على الخلق ، وأنا حجَّةٌ علىٰ أولياء زماني[1] ، فبلغ ذلك أبا زكريا السَّاجي ، وأبا عبد الله الزُّبيري ، فذهبا إليه ، فقال له أبو عبد الله الزبيري ، وكان جسوراً ؛ لأنه ضريرٌ ، فقال : بلغنا عنك أنك تقولُ : أنا حجَّةُ الله على الخلق ، فبماذا صرتَ حجَّةً ولستَ بنبيٍّ ولا صدِّيق ؟! فقال سهل : لم أذهبْ حيث ظننتَ ، ولستُ بنبيٍّ ، وإنما قلتُ ما قلتُ ؛ لأني صحَّحتُ أكلَ الحلال دون غيري ، فقال له : كيف صحَّحتَ أكله ؟ فقال : لأني لا آكلُ دائماً إلا حلالاً ؛ وذلك لأني قسمتُ عقلي ومعرفتي وقُوَّتي علىٰ سبعةِ أقسام ، فأتركُ الأكلَ حتىٰ يذهبَ منها ستةُ أقسام ويبقىٰ جزءٌ واحد ، فإذا خفتُ أن يذهبَ ذلك الجزءُ الواحد ، وتتلف معه نفسي أكلتُ بقدر البُلغة ؛ خوفاً أن أكونَ أعنتُ علىٰ نفسي ، ولتُردَّ عليَّ الستةُ أقسام ، فبهـٰذا صحَّ لي الحلال ؛ لأني كالمضطرِّ ، فقال الزبيري : صدقت حينئذ في كونك حجَّةً علىٰ أهل زمانك ، لأنا لا نُطيق المداومةَ علىٰ ذلك ، ولا نعرفُ نقسِّم عقلَنا ومعرفتنا وقوَّتنا علىٰ سبعةِ أجزاء ، واعترفَ بفضله وانصرف .

وكان يقول : (سيأتي على الناس زمانٌ يذهبُ الحلالُ من أيدي الأغنياء ، وتكون أموالُهم من غير حلٍّ ، فيسلِّطُ الله بعضَهم علىٰ بعض بالأذىٰ والمرافعات عند الحكام ، فتذهبُ لذَّةُ عيشهم ، ويلزمُ خوفُ الفقر قلوبَهم ، وتشمتُ بهم الأعداء ، فلا يَهْنَؤُهُمُ العيشُ ، ولا يجدُ لذَّةَ العيش إلا غلمانُهم ومماليكهم ، وأما السادةُ فهم في بلاءٍ وعناء ، وشقاء وخوفٍ من الظلمة ، وهناك لا يلذُّ بالعيش إلا المنافقُ الذي لا يُبالي من أين أخذ ، ولا فيم أنفقَ ، ولا كيف يُهلك نفسَهُ ، وهنا تكون رتبةُ القراء رتبةَ الجهال ، وعيشُهم عيشَ الفجَّار ، وموتُهم موت أهل الحيرَة والضلال) .

---

(١) في (أ) وحدها : (أهل) بدل (أولياء) .

وكان رضي الله عنه يقول : اجتمعتُ بشخصٍ من أصحاب المسيح عليه السلام في ديارِ قوم عاد ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلامَ ، ورأيتُ عليه جبةَ صوف فيها طراوةٌ ، فقال : إن لها عليَّ من أيام المسيح ، فتعجَّبتُ من ذلك ، فقال : يا سهل ، إن الأبدال لا تَخلُقُ ثيابُهم ، وإنما يُخلِقُها رائحةُ الذنوب ، ومطاعمُ السُّحت ، فقلت له : فكم لهـٰذه الجبة عليك ؟ فقال : لها عليَّ سبع مئة سنة ، فقلت له : هل اجتمعت بنبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم ، وآمنت به حين آمن به الجنُّ الذين أوحي إليه في حقهم : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن : ١] .

قلت : ومن هـٰذه القصة يُعلم صحةُ قول من قال عن الخضر عليه السلام : إن عليه إزاراً ورداءً من صوف لا يخلقان ، ولا يبليان ؛ لأنه عليه السلام معصومٌ من الذنوب ، ولأكلِهِ من الحلال .

وقد وقع لجدي الأدنى الشيخ عليٍّ الشعراني : أنهم وضعوا والدي عنده بعد إحدىٰ وعشرين سنة ، فوجدوه كما وضعوه طريّاً لم يتغيَّرْ منه شيءٌ ؛ لأنه كان لا يأكلُ إلا حلالاً من شدَّة ورعه ، حتىٰ كان لا يأكلُ من فراخِ الحمام ، ولا من عسلِ النحل ؛ لأكله من زهر فواكه الناس ، رضي الله عنه .

وكان سهل رضي الله عنه يقول : (إياكم ومعاداةَ من شهره الله تعالىٰ بولايةٍ ؛ فإنَّه كان بالبصرة وليٌّ لله ، فعاداه أهلُ البصرة وآذوه ، فغضب الله عليهم ، وأهلكهم أجمعين في ليلةٍ) .

وكان يقول : (طوبىٰ لمن تعرَّف بالأولياء ؛ وذلك لأنه إذا تعرَّف بهم ربَّما استدركَ ما فاته من الطاعات ، وإن لم يستدركْ شفعوا فيه عند الله تعالىٰ ؛ لأنهم أهلُ الفتوة) .

وكان يقول : (الدنيا حرامٌ على الصفوة من خلق الله ، فلا يتناولون منها إلا بقدر الضرورة) .

وكان يقول : (إذا قامَ العبدُ بما يجبُ لله تعالىٰ عليه قام الله بما يجب عليه من الحقوق ، ومن طلبَ من الله كثيراً من الدنيا طالبه بكثيرٍ من العمل ، ومن قنعَ من الدنيا باليسير رضيَ الله منه بقليل العمل) .

وكان يقول : (من لم يكن مطعمُهُ حلالاً لم يُكشف عنه حجابٌ ، وترادفت عليه العقوباتُ ، ولم تنفعه صلاةٌ ولا صيام ولا صدقة) .

وكان يقول : (أعظمُ ما يحجبُ به العبدُ عن مشاهدة الملكوت ، وعن دخول حضرة الله عز وجل . . سوءُ المطعم ، وأذى الخلق) .

وكان يقول : (ما دامتِ النفسُ تشتهي المعصيةَ فلا يصلُ إلى القلب شيءٌ من نور الطاعات ، فأدِّبوا نفوسَكم بالجوع والعطش ، فإذا صارتْ لا تُريد منكم معصيةً فأطعموها ما شاءت ، ودعوها تنامُ من الليل ما أحبَّت) .

وسئل مرةً عن الذي يجوع أياماً ولا يأكلُ طعاماً أين يذهبُ لهبُ جوعه ؟ فقال : يُطفئه نورُ القلب .

وكان يقول : (حياةُ القلوب التي تموتُ بذكر الحيِّ الذي لا يموت) .

وكان يقول : (من علامةِ المؤمن الكامل ألا يخافَ من أحدٍ دون الله) .

وكان يقول : (خيارُ الناس العلماءُ العاملون المخلصون إلى الموت) .

وكان يقول : (سامحوا الكفارَ وفسقة المسلمين الذين يقعون في غيبةِ الناس ما استطعتم ؛ فإنهم ليس لهم أعمالٌ تخلص إلى الآخرةِ[١] ، أو تكفي أخصامَهم حتىٰ يفضلَ لكم شيءٌ من أعمالهم تأخذوه ، وأمسكوا على العلماء العاملين وصالحي المؤمنين ، ولا تسامحوهم في كلمةٍ واحدة تنفعهم في دار الدنيا ، وإن لم تسامحوهم وجدتم معهم في الآخرة أعمالاً تأخذوا منها حقَّكم) ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٥٠) أبو سليمان عبد الرحمـٰن بن عَطية الدَّاراني رضي الله عنه[٢]

وداريا قريةٌ من قرىٰ دمشق ، من بني عنس .

وكان كبيرَ الشأن في علوم الحقائق ، وفي شدَّةِ الورع .

---

(١) في (أ ، ز) : (تصلح) بدل (تخلص) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣١٥) (١٥٢) .

مات سنة خمسَ عشرة ومئتين .

وكان رضي الله عنه يقول : (لا ينبغي لفقيرٍ أن يزيدَ في نظافة ثوبه على نظافة قلبه ؛ ليشاكلَ ظاهرُهُ باطنَهُ) .

وكان يقول : (ليتَ قلبي في القلوب مثلُ ثوبي في الثياب) ، قال ابن أبي الحواري : (وكانت ثيابُهُ وسطاً) .

وكان يقول : (من صارعَ الدنيا صرعته ، وإذا سكنتِ الدنيا في قلبٍ ترحَّلتْ منه الآخرةُ) .

وقال أحمد بن أبي الحواري : قلتُ لأبي سُليمان الداراني : إني صلَّيت أمس صلاةً في خلوةٍ ، فرأيت لها لذَّةً ، فقال : وأيُّ شيءٍ ألذَّك منها ؟ فقلت : كونه لم يرني أحد ، فقال : يا أحمد ، إنك لضعيف حيث خطرَ بقلبك ذكرُ الخلق .

وكان أبو سليمان يقول : (أقربُ ما يتقرَّبُ به العبد إلى الله أن يطَّلعَ تعالى على قلبه ، فيراه لا يُريدُ أحداً غيرَهُ في الدارين) .

وكان يقول : (الدنيا تطلبُ الهاربَ منها ، وتهربُ من الطالب لها ، فإن أدركتِ الهاربَ منها جرحته ، وإن أدركها الطالبُ لها قتلته) .

وكان يقول : (إنما يُعجَبُ بعمله الذي يرى له شركةً حقيقةً مع الله في الفعل ، أما الذي يرى نفسَهُ مستعملاً بقدرة الله لا بقدرته فلا عُجْبَ عنده) .

وكان يقول : (لو اجتمعَ الناسُ على أن يضعوني كاتِّضاعي عند نفسي ما قدروا عليه ، ومن رأى لنفسِهِ قيمةً لم يجدْ حلاوةَ الخدمة) .

وكان يقول : (إنِّي لآكلُ من الشُّبهة ، فأجدُ راناً على قلبي من الجمعة إلى الجمعة ، فكيف بفقراءِ زماننا هـٰذا الذين يعدُّون شبعَ بطونهم من أيِّ شيءٍ وجدوه غنيمة ؟!) .

وكان يقول : (إن اللهَ ربَّما يفتحُ على العارف من الأخلاق المحمودة على فراشه ما لا يفتحه عليه وهو قائمٌ يُصلي) .

وكان أحمد بنُ أبي الحواري يقول : قال لي أبو سليمان : يا أحمد ؛ من أكل طعامَ

أخيه ليسرَّهُ بأكله لم يضرُّهُ ؛ وذلك لأن لكلِّ شيءٍ أُريدَ به وجهُ اللهِ عاقبةً حميدةً) .

وكان يقول : (من صَغُرَ المؤمنُ في عينه استخفَّ بحرمته ، ومن لم ينسَ ذكرَ كلِّ شيءٍ في حال ذكره لله لم يجد لذكرِه صفوةً) .

وكان يقول : (إذا أردتَ قضاءَ حاجةٍ من حوائج الدنيا أو الآخرة فعليك بالجوع ، ثم اسأل ؛ فإن الأكلَ يغيِّرُ العقل ، ويحجبُ القلبَ عن مشاهدة الربِّ) .

ورئي رضي الله عنه بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، وما كان عليَّ شيءٌ أضرَّ من إشارات القوم ؛ أي : لما فيها من الانفرادِ عن الأقران ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٥١) الفتح بنُ سعيد الموصلي رضي الله عنه[١]

كان من أقران بشر بنِ الحارث ، والسَّري السَّقَطي .

وكان كبيرَ الشأن في باب الورع والمعاملات .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من لازمَ ذكرَ الله تعالىٰ بقلبه أورثَهُ ذلك الفرحَ بالمحبوب ، ومن آثره علىٰ سواه وهواه أورثه ذلك حبَّهُ إياه ، ومن اشتاق إلى الله لا تقرُّ عينُهُ بسواه) .

وكان يقول : (إذا مُنع القلبُ الذكر مات ، كما أنَّ من مُنع من الطعام والشراب مات) .

وقيل للمُعافى بن عمران : هل كان الفتحُ الموصلي كثيرَ عملٍ ؟ فقال : كفاك من عمله تركُهُ للدنيا ؛ فإن من أحبَّ الدنيا لا ينفعه كثيرُ عملٍ ، ولو صار علىٰ عبادة الثقلين .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣١٧) (١٥٣) .

ومنهم :

(١٥٢) أبو عبد الرحمـٰن حاتم بن عُنْوان الأصم رضي الله عنه[١]

كان من قدماء المشايخ بخراسان ، وأصله من بلخ .

صحب شقيقاً البلخي ، وهو أستاذُ أحمد بن خضرويه .

مات بواشَجَرْد سنة سبعٍ وثلاثين ومئتين ، ودفن عند رِباط يقال له : سَرُوند[٢] ، فوق جبل فوق واشَجَرْد ، بالجيم .

وكان يقول : (إذا رأيتَ المريد أظهرَ غيرَ مُرادِ شيخه فقد أظهرَ نذالتَهُ[٣] ، وقد مُكر به) .

وكان يقول : (من ادَّعىٰ ثلاثاً بغير ثلاثٍ فهو كذاب : من ادَّعىٰ خشيةَ الله من غير تورُّعٍ عن محارمه فهو كذاب ، ومن ادَّعىٰ حبَّ الجنة من غير إنفاق ماله في طاعة الله فهو كذاب ، ومن ادَّعىٰ محبَّة النبيِّ صلى الله عليه وسلم من غير محبَّة الفقراء فهو كذاب) .

وأرسل عصام بن يوسف مرةً إلىٰ حاتم شيئاً ، فقبله علىٰ خلاف عادته ، وعدم قبول ما يأتي من الولاة ، فقيل له في ذلك ، فقال : رأيتُ في قبوله ذلَّ نفسي ، وفي ردِّه عزَّها .

وكان يقول : مررتُ براهبٍ ، فقال : من أين أنت ؟ فقلت : من بلخ ، فقال : من كنتَ تُجالس ؟ فقلتُ : كنتُ أجالس شقيقاً البلخي ، فقال : أيش سمعته يقول ؟ فقلت : سمعته يقول : لو أنَّ السماءَ كانت من نحاس ، والأرضَ من حديد ، فلا السماءُ تمطر قطرةً ، ولا الأرضُ تنبت حبةً ، وكان عيالي ملءَ ما بين الخافقين. . لم أُبالِ ، فقال الراهب : هـٰذا رجلُ سوء ، لا ينبغي الجلوس إليه ، قلت له : لِمَ ؟!

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣١٧) (١٥٤) .

(٢) في « طبقات الصوفية » (ص٩١) : (رأس سروند) .

(٣) في (أ ، ج ، ز ، ي ، ك) : (بذالته) .

فقال : لأنه تفكَّر فيما لم يكن كيف لو كان ، إنما ينبغي له أن يفكِّر فيما كان كيف كان ؛ لا تجالسْهُ ؛ فإنه فاسدُ الفكر .

ودخل حاتمٌ مرةً علىٰ عالمِ بلده[١] ، فرأىٰ داراً واسعة ، وأمتعةً كثيرة ، وغلماناً واقفين بين يديه ، فقال : لا فرقَ بينكم يا علماء السوء وبين أهل الدنيا المُتكالبين عليها ، واللهِ ؛ إنكم فتنةٌ وفساد لمن اقتدىٰ بكم من العامة ، ثم قال حاتم لذلك العالم : أريدُ أن تعلِّمني الوضوء ، فقال له العالم : توضَّأْ وأنا أنظر ، فغسلَ حاتمٌ ثلاثاً في المضمضة والاستنشاق ، فلما جاءَ إلىٰ غسلِ اليد اليسرىٰ غسلها أربعاً ، فقال العالم : أسرفتَ في غسل ذراعك أربعاً ؛ واللهُ لا يحبُّ المسرفين ، فقال حاتم : سبحان الله ! تُنكر عليَّ الإسراف في كفِّ ماءٍ ، ولا تُنكر علىٰ نفسك في هٰذه الدور والمساكن والفُرش والأطعمة والملابس ؟! فعلم العالمُ أنَّ حاتماً إنما قصد بتعليمه الوضوء هٰذه القضية ، فتنبَّه العالمُ لنقص حاله ، وتاب إلى الله تعالىٰ ، وخرج من داره ، وتصدَّق بجميع أمتعته ، ولحق بالفقراء .

ومنهم :

(١٥٣) أبو زكريا يحيى بنُ معاذ الواعظُ الرازي رضي الله عنه[٢]

كان أوحدَ وقته في زمانه ، وله كلامٌ عالٍ في الرَّجاء وفي المعرفة .

أقام ببلخ مدَّةً ، ثم عادَ إلىٰ نيسابور ، **ومات بها سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين** .

ومن كلامه رضي الله عنه : (كيف يكونُ زاهداً من لا ورع عنده ؟! تورَّعْ عمَّا ليس لك ، ثم ازهدْ فيما هو لك) .

وكان يقول : (علىٰ قدر شغلك بالله يشتغلُ في أمرك الخلقُ ، وإذا اشتغلوا بذمِّك فإنما ذلك تنبيهٌ لك من الله ؛ لترجع إليه) .

وكان يقول : (جميعُ نعيم الدنيا من أولها إلىٰ آخرها لا يُساوي غمَّ ساعة ،

---

(١) هو محمد بن مقاتل . انظر « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٨) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣١٩) (١٥٥) .

فكيف تغتمُّ عمرك فيها مع قلَّة نصيبك منها ؟!) .

وكان يقول : (الزاهدون غرباءُ في الدنيا ، والعارفون غرباءُ في الآخرة) .

وكان يقول : (اجتنبوا معاشرةَ ثلاث : العلماء الغافلين ، والقراء المُداهنين ، والمتصوفة الجاهلين) .

وكان يقول : (من لم ينتفعْ بأفعال شيخه لم ينتفعْ بأقواله) .

وكان يقول : (لا يزال العبدُ متمزِّقاً ما دام قلبه بالدنيا متعلقاً) .

وكان يقول : (الجوعُ نورٌ ، والشبعُ نار ، والشهوةُ الحطبُ يتولَّدُ منه الإحراقُ ، فلا ينطفئ حتىٰ يحرقَ صاحبه) .

وكان يقول : (لبس الصوف حانوتٌ ، والكلام في الزهد حرفة) .

وكان يقول : (**من شرط الولي** : ألا يُرائي ، ولا يُداهن ، ولا ينافق ، وما أقلَّ صديق مَنْ كان هـٰذا خلقه) .

وكان يقول : (الوليُّ ريحانُ الله في الأرض ، يشمُّهُ الصدِّيقون ، فتصل رائحتُهُ إلىٰ قلوبهم ، فيشتاقون به إلىٰ مولاهم ، ويزدادون به إقبالاً على الله) .

وكان يقول : (بئس الأخُ أخ يَحتاجُ أن يَقولَ له أخوه : ادعُ لي ، وبئس الأخُ أخٌ تحتاج أن تعتذرَ إليه عند زلَّتك أو إخلالك بحقِّه) .

وكان يقول : (العلماءُ العاملون أرأفُ بأمَّة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتِهم ؛ وذلك لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا ، والعلماءُ يحفظونهم من نار الآخرة) .

وكان يقول : (من صحبَ الأولياء بصدقٍ ألهاه ذلك عن أهله وماله ، وعن جميع أشغاله ، فإذا صحَّ له هـٰذا المقام فهناك يترقَّىٰ إلىٰ مقام الاشتغال بالله عز وجل ، ومن لم يصحَّ له هـٰذا الاشتغال مع الأولياء لا يَشَمُّ من الاشتغال بالله رائحةً) .

وكان يقول : (الناسُ يحتاجون إلى العلماء في الجنة كما يحتاجونُ إليهم في الدنيا ؛ وذلك أنه يقال للعامة : تمنَّوا ، فلا يَدرون ما يتمنون ، فيقولون : ارجعوا بنا

إلىٰ أهل العلم فنسألهم ، فيكون ذلك من تمامِ مكرمةِ أهل العلم في الجنة) .

وكان يقول : (إياكم والركونَ إلى الإقامة في دار الدنيا ؛ فإنها دارُ ممرٌ لا دار مقر ، الزادُ منها ، والمقيلُ في غيرها) .

وكان يقول : (لو أن شخصاً بلغ من العلم كما بلغَ ابنُ عباس ، وهو محبٌّ للدنيا . . لنَهينا الناسَ عن مجالسته ؛ فإنه لا ينصحُكَ من خان نفسَهُ) .

وكان يقول : (مثلُ العلماء العاملين مثلُ الصياد ؛ لأنهم يصطادون المريدين من أفواه الشياطين ، ولو لم يصدِ العالمُ منهم طولَ عمره إلا واحداً لكان خيراً كثيراً) .

وكان يقول : (طلب الزهد فراراً من مشقة الأعمال الشاقة بطالةٌ ، ولبس الصوف من غير إماتة النفس جهالةٌ ، وترك المكاسب مع الحاجة إليها كسلٌ ، والكسبُ مع وجود الاستغناء عنه كلفةٌ ، والصبرُ على العزلة وقلَّة الاشتياق إلىٰ لقاء الناس من علامة سلوك الطريق ، والتعبُّدُ مع تضييع العيال جهلٌ) .

وكان يقول : (كم بين من يُريد الحضور للوليمة لأجلِ الطعام وبين من يُريد الوليمة لأجل لقاء الحبيب في الوليمة !) .

وكان يقول : (**من شرط الصدِّيقين** : محاربتُهم لنفوسهم مع الخطرات ، ومن شرط الأبدال : محاربتُهم لنفوسهم مع الفكرات ، ومن شرط الزهَّادِ : محاربتهم لنفوسهم عند كلِّ شهوةٍ ، ومن شرط التائب : محاربتُهُ لنفسه عند كلِّ زلَّةٍ) .

وكان يقول في مناجاته : (إلـٰهي ، إني لا أقوىٰ علىٰ شروط التوبة التي أَمرتني بها ؛ فاغفرْ لي بلا توبة) .

وكان يقول : (لا يكونُ العالمُ حكيماً حتىٰ يلحظَ النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة) .

وكان يقول : (جالسوا الذاكرين ؛ فإنهم ملازمون بابَ الملك) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٥٤) أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي رضي الله عنه[١]

هو من كبار مشايخ خراسان .

صحب أبا تراب النَّخْشَبي ، وحاتماً الأصم ، ورحلَ إلىٰ أبي يزيد البِسطامي ، ورأىٰ أبا حفص الحداد ، وهو من المشهورين بالفتوة .

مات سنة أربعين ومئتين ، رضي الله عنه .

ومن كلامه : (الوليُّ لا يُوسم نفسَهُ بسيما ، ولا يكون له اسمٌ يتسمَّىٰ به غير العبد) .

وكان يقول : (من صبرَ على الصبر فهو الصابر) .

وكان يقول : (بلغني أنَّ شخصاً من الأغنياء طلبَ زيارةَ شخصٍ من الزهاد ، فدخل عليه ، فرآه يفطرُ علىٰ خبزِ الشعير والملح في رمضان ، فرجع التاجر إلىٰ داره ، وأرسل للزاهدِ ألفَ دينار ، فردَّها ، وقال لغلامه : هـٰذا جزاءُ من أفشىٰ سرَّهُ علىٰ مثلك ، الفقراءُ إنما يزهدون في مطاعم الدنيا اختياراً لما يجدونه في قلوبهم من الرقَّة والنور عند عدم الشهوات) ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٥٥) أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه[٢]

واسم أبي الحواري ميمون ، من أهل دمشق .

صحب أبا سليمان الداراني ، وسُفيان بن عُيينة ، وجماعةً من المشايخ .

مات سنة ثلاث ومئتين[٣] .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٢) (١٥٦) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٢) (١٥٧) .

(٣) كذا في النسخ ، وعند القشيري في « رسالته » (ص ١٤٢) أنه توفي سنة (٢٣٠هـ) ، وقال=

وكان الجُنيد يقول : (أحمد بن أبي الحواري ريحانةُ الشام) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الدنيا مزبلةٌ ومجمعُ الكلاب ، وأقلُّ من الكلاب من عكف عليها وخاصمَ الناس عليها ؛ فإن الكلبَ يأخذ منها حاجته وينصرف ، والمحبُّ للدنيا لا يتركها بحالٍ ، وكلما ازداد منها ازدادَ فقراً إليها) .

وكان يقول : (علَّمني الخضر عليه السلام رقيةً للوجع ، فقال : إذا أصابك وجعٌ ، فضعْ يدك على الموضع ، وقل : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء : ١٠٥] فلم أزلْ أقولُها على الوجع ، فيذهب لساعته) .

وكان إذا اطَّلع أحدٌ علىٰ أخلاقه الحسنة لغيرِ اقتداءٍ يلومُ نفسه ويقول : (إنما ظهرتْ محاسنك للناس ؛ لكثرةِ غفلتك عن نفسك بالدنيا) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٥٦) أبو حفص عمر بنُ سالم الحداد النيسابوري رضي الله عنه[(١)]

من قرية يقال لها كُورْداباذ بباب مدينة نيسابور علىٰ طريق بُخارىٰ .

صحب عُبيد الله المهدي ، والنَّصراباذي[(٢)] ، ورافق أحمد بن خضرويه البلخي ، وإليه ينتمي شاه بنُ شجاع الكرماني .

وكان أحدَ الأئمة السادة ومن كبار المشايخ المُشار إليهم .

مات سنة سبعين ومئتين .

وكان إذا ذُكر الله يتغيَّر عليه الحالُ حتىٰ لا يكادُ يَعرفُ أحداً من الخلق .

= المزي في « تهذيب الكمال » (١/ ٣٧٤) : قال أبو زرعة : (ومات أحمد بن أبي الحواري مدخل رجب سنة ست وأربعين ومئتين) .

(١) كذا في النسخ : (عمر بن سالم) ، وعند السلمي في « طبقاته » (ص ١١٥) : (**واسمه** : عمرو بن سلم ، ويقال : عمر بن سلمة ، وهو الأصح إن شاء الله) ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٣) (١٥٨) .

(٢) **والمراد به** : علياً النصراباذي ، كما ذكر ذلك السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ١١٥) .

وكان من أكرم الصوفية ، فقيل له في ذلك ، فقال : من هوانِ الدنيا عندي : أني لا أبخلُ بها على أحدٍ .

وقيل له مرةً : إن فلاناً من أصحابك يدورُ حول السماع ، فإذا سمع بكى وصاح ومزَّقَ ثيابه ، فقال : أيشٍ يعملُ الضعيف ؟! هو مثلُ الغريق يتعلَّقُ بكلِّ شيءٍ يظنُّ فيه نجاته .

وكان يقول : (حرستُ قلبي عشرين سنة ، [ثم حرسني قلبي عشرين سنة][1] ثم وردَ عليَّ بعد ذلك حالةٌ أخرى صرنا جميعاً محروسَيْنِ .

وكان يقول : (ما استحقَّ اسم السخي من ذكر العطاءَ ، ولمَحَهُ بقلبه) .

وسئل مرة : ما علامة الولي ؟ قال : هو أن يؤيَّد بالكرامات ، ويغيبُ عن البدع .

وسئل مرَّةً عن أدب الفقير ، فقال : أدبُهُ حفظُ حرمات المشايخ ، وحسنُ العشرة مع الإخوان ، والنصيحةُ للأصاغر ، وتركُ الخصومات في الإرفاق ، وملازمةُ الإيثار ، ومجانبةُ الادِّخار ، وتركُ صحبة من لا يحبُّ طريق الفقراء ، ومعاونةُ الإخوان في أمرِ دنياهم وآخرتهم ، فكلُّ من ادَّعى أنه فقيرٌ فليعرضْ هذه الصفات على نفسه ، فإن وفى بها فهو فقير .

وكان يقول : (قد دخل فسادُ الأحوال من ثلاثة أشياء : تبسُّطُ[2] العارفين في المآكل والملابس والمناكح ، وخيانةُ المحبِّين ، وكذب المريدين) .

وقال أبو عثمان الحيري في شرح ذلك : (فسق العارفين : إطلاقُ الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ولذَّاتها ، وكذب المريدين : أن يكونَ ذكرُ الخلق وشهودُهم أغلبَ على قلوبهم من ذكر الله ومشاهدته ، وخيانة المحبين : اختيارُ أهوائهم على مرضات الله عز وجل) .

وكان يقول : (إذا رأيت ضوءَ الفقير في ثيابه فلا ترجُ خيرَه) والله أعلم .

---

(١) ما بين معقوفين ليس في النسخ ، وأثبت من « طبقات الصوفية » (ص ١١٩) .

(٢) كذا في النسخ (تبسط) وفي « الكبرى » (١/ ٣٢٤) : (فسق) ، وهو الأنسب ليوافق ما بعده .

ومنهم :

(١٥٧) أبو تُراب عسكر بن الحسين النَّخْشبي رضي الله عنه[١]

صحب حاتماً الأصم ، وأبا حاتم العطار .

وهو من جملة مشايخ خراسان وكبارهم المشهورين بالعلم والزهد والفتوة والتوكل .

مات رضي الله عنه بالبادية ، فنهشته السباعُ سنة خمسٍ وأربعين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إن الله تعالىٰ ينطقُ علىٰ لسان علماء كلِّ زمان بما يُشاكلُ حال أهل ذلك الزمان وعملهم) .

وكان يقول : (من أشغلَ مشغولاً بالله عن الله أدركه المقتُ في الوقت) .

وكان يقول : (لا أعلمُ شيئاً أضرَّ على المريد من مسافرته في هوىٰ نفسه بغير إذنِ أستاذه ، وعشرته للأضداد) .

وكان يقول : (من أدبِ العارف : ألا يضيفَ إلىٰ نفسه شيئاً من المال ، ألا ترىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام حيث قال : ﴿ هِىَ عَصَاىَ ﴾ [طه : ١٨] وادَّعى الملكَ لها كيف قال له الحق : ﴿ أَلْقِهَا ﴾ ؟! فلما قلبتْ عينُها لجأ وهرب ، فقيل له : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ [طه : ٢١]) .

وكان رضي الله عنه يقول : رأيتُ رجلاً بالبادية ، فقلتُ له : من أنت ؟ فقال : أنا الخضرُ الموكَّل بالأولياء ، أردُّ قلوبَهم إذا شردتْ عن حضرةِ الله تعالىٰ ، يا أبا تراب ، التلفُ في أول قدمٍ ، والنجاةُ في آخر قدم .

وكان أبو تراب يقول : (إذا ألفَ القلبُ الإعراضَ عن الله صحبته الوقيعةُ في أولياء الله ؛ لأن العبدَ إذا أقبل على الله عرفَ أهلَ حضرته ، وإذا أدبرَ عنها جهلهم) ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) كذا في النسخ : (عسكر بن الحسين) ، وفي مصادر ترجمته : (عسكر بن الحصين) ، وقد تقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٥) (١٥٩) .

ومنهم :

(١٥٨) أبو محمد عبد الله بن خُبَيْق الأنطاكي رضي الله عنه[١]

صحب يوسف بنَ أسباط .

وهو من زهَّاد الصوفية الأكياس في أكل الحلال ، وتحقيق المقامات .

أصله من الكوفة .

وطريقُهُ في التصوف طريقةُ سفيان الثوري ؛ فإنه صحب أصحابه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا دنا حاملُ القرآن من المعصية ناداه القرآنُ من صدره : واللهِ ؛ ما لهـٰذا حملتني ، فلو أنَّ العاصي سمعَ ذلك الصوت لخرَّ مغشياً عليه ، وترك المعصية) .

وكان يقول : (بلغنا : أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان يقول : يا ربِّ ؛ كم أعصيك ولا تعاقبني ؟! فأوحى الله إلىٰ نبيِّ ذلك الزمان : قل لفلان : كم أُعاقبُك وأنت لا تدري ؟! ألم أسلبْك حلاوةَ مناجاتي ؟! ألم أجعلْك لا ترجو إجابةَ دعائك ؟! ألم ، ألم . . . إلىٰ آخره) .

وكان يقول : (أنت لا تُطيع من يُحسن إليك وهو الله ، فكيف تطلبُ طاعةَ من لا تُحسن إليه ، فضلاً عن كونك تسيءُ إليه ؟!) .

ومنهم :

(١٥٩) أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي رضي الله عنه[٢]

هو من أقران بشر بن الحارث الحافي ، والسريِّ السقطي ، والحارثِ المحاسبي .

وكان أبو سليمان الداراني يُسمِّيه جاسوسَ القلوب ؛ لحدَّةِ فِراسته .

---

(١) ترددت النسخ بين (جنيق) وبين (جبيق) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وقد تقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٦) (١٦٠) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٧) (١٦١) .

وكان يقول : واللهِ ؛ ما كنتُ أظنُّ أني أعيش إلىٰ زمانٍ يصيرُ فيه الإسلام غريباً عند العلماء فضلاً عن العامة ، فقيل له : وما ذاك ؟ فقال : لا ترغبُ في محبة عالمٍ إلا وتجدُهُ مفتوناً بحبِّ الدنيا[1] ، وحبِّ الرئاسة والتعظيم ، آكلاً بعلمه الدنيا ، ولا ترغبُ في محبَّة عابدٍ معتزلٍ في جبل إلا وتجدُه مفتوناً جاهلاً بالله ، مغترّاً به ، معتمداً علىٰ أعماله ، مخدوعاً لنفسه أو لإبليس ، واللهِ ؛ إن علماءَ زماننا وعُبَّادَهُ قد صاروا سباعاً ضاريةً ، وذئاباً مختلسة . فهٰذا وصفُ عُبَّاد ذلك الزمان وعلمائه .

وكان يقول : إذا جالستم الفقراء من أهلِ الصدق فجالسوهم بالصدق ؛ فإنهم جواسيسُ القلوب ، يدخلون في قلوبكم ويخرجون وأنتم لا تشعرون ، فقيل له : ومن هم أهل الصدق : فقال : مَنْ آثرَ الخمول على الصيت ، وأحبَّ ألا يُعرف ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٦٠) منصور بن عمَّار الواعظ رضي الله عنه[2]

هو من أهل مرو ، أقام بالبصرة .

وكان من كُمَّل العارفين ، كبيرَ الشأن في باب التقلُّل والورع .

وكان يقول : (إذا أراد الشيطانُ أن يسخرَ برجلٍ جعله ينقلُ النميمة ؛ فإنه لو كان يهابُهُ ما جعله يحملُ هٰذه القاذورات التي تُسخط الله عليه) .

وكان يقول : (سبحان مَنْ جعلَ قلوب العارفين أوعيةً للذكر ، وقلوبَ أهل الدنيا أوعيةً للطمع ، وقلوب الفقراء أوعيةً للقناعة !) .

وكان يقول : (عجباً لهٰؤلاء القراء كيف يَهجرون أخاهم بسبب زلَّةٍ وقع فيها سنين كثيرة ! ولا يرون أنه تابَ عقبها ، ثم إنهم إذا رأوا ظالماً يأخذُ مالاً بغيرِ حقٍّ ثم يَتوارىٰ

---

(١) في (ز) : (في صحبة) بدل (في محبة) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٧) (١٦٢) .

بجدارٍ ، ثم يُعطيه لهم . . يقولون : هو حلال ، ويحتملُ أن يكونَ أبدله بغيره ، فلا يقولون إنَّ صاحب تلك الزلَّة تابَ بعد ذلك ، والقاعدةُ واحدة) ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٦١) حمدون بن أحمد القصار النيسابوري رضي الله عنه[١]

هو شيخُ الملامتية بنيسابور ، ومنه انتشر مذهبُهم .

وصحب أبا تُراب النَّخْشبي ، والنصراباذي .

وكان فقيهاً عالماً يذهبُ مذهبَ سفيان الثوري .

وكان عبد الله بنُ مبارك من أجلِّ أصحابه في أخذ طريقته على التمام .

مات حمدون سنة إحدىٰ وسبعين ومئتين بنيسابور ، ودفن في مقبرةِ الحيرة .

وكان يقول : (من ظنَّ أنَّ نفسه خيرٌ من فرعون فقد أظهرَ الكِبر) .

وكان يقول : (لا تخلُّوا أنفسَكم من مطالعة أحوال السلف ؛ فإنكم لا تعرفون تقصيركم إلا بذلك) .

وقيل له مرةً : ما لنا نرىٰ كلامَ السلف يؤثِّر فينا أكثرَ من كلام أهل زماننا ؟ فقال : لأنَّ السلفَ إنما تكلَّموا لعزِّ الإسلام ، ونجاةِ النفوس ، ورضا الرحمـٰن ، ونحن نتكلَّمُ لعزِّ النفوس ، وطلبِ الدنيا ، وحبِّ الرئاسة على العباد .

وكان يقول لعلماء زمانه : أنتم نقلةُ العلم لا واعوه ، فإذا أشكلَ عليكم شيءٌ منه فاسألوا عنه واعوه ، وهم الصوفية ، يُزيلوا عنكم إشكاله ، لـٰكن لا تسألوهم إلا بذلِّ النفس ، والاعترافِ بالجهل ، واعتقادِ أنهم أعلمُ منكم ؛ فإنهم أهلُ الحكمة ، ومن لم يتأدَّبْ معهم لا يُعلِّمونه الحكمة ، وإنما يكتمونها عنه خوفاً أن يظلموها) .

وكان يقول : (جمالُ الفقراء في التواضع ، فإذا تكبَّروا صاروا أسوأَ حالاً من الأغنياء) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٨) (١٦٣) .

وكان يقول : (أحسنُ الصحابة صحابةُ الصوفية ؛ لأن للقبيح عندهم وجوهاً من المعاذير ، وليس للحَسَنِ عندهم كبيرُ موقعٍ يعظِّمون العبد به) ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٦٢) أبو الحسن المقرئ رضي الله عنه[١]

كان يقول : (لو أنَّ حامل القرآن عمل بالقرآن ما أحرقتْهُ نارُ الدنيا أبداً ، فمن ادَّعىٰ أنه قد عمل بالقرآن فأمروه أن يجلسَ في النار ؛ فإن لم تحرقْه فهو صادقٌ) .

وكان يقول : (يقبحُ علىٰ قارئ القرآن أن يَعصي الله مرةً في عمره كلِّهِ ، فكيف بمن تتكرَّرُ منه المعاصي كلَّ يوم ؟!) .

وكان يقول : (من أعظم الكبائر فسادُ العلماء ، ومن أعظمِ المصائب زنى القراء) .

وكان يقول : (يأتي القرآن يوم القيامة في أحسنِ صورة ، وحوله المخلصون كأنهم الجمال البُخت ، ويدور حوله قومٌ آخرون ، فيقول لهم : سحقاً سحقاً ، أضعتموني في الدنيا ، فلا تصحبوني في الآخرة) والله أعلم .

ومنهم :

(١٦٣) أبو عثمان الحيري النيسابوري رضي الله عنه[٢]

أصله من الرَّي .

صحب قديماً يحيى بنَ معاذ الرازي ، وشاه بنَ شجاع الكرماني ، ثم رحل إلىٰ نيسابور قاصداً أبا حفص الحداد ، فزوَّجه ابنتَهُ ، وأخذ عنه طريقته .

وكان أوحدَ أهل زمانه في سيرته ، ومنه انتشرتْ طريقة التصوف بنيسابور .

مات سنة ثمانٍ وتسعين ومئتين بنيسابور .

---

(١) تقدمت ترجمته في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٢٩) (١٦٤) ، و(٢/٥٣١) (٤٥٥) ، (٤) (٤٧٤) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٣٦) (١٦٧) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا يكملُ الرجلُ عندنا حتىٰ يستوي في قلبه أربعةُ أشياء : المنعُ ، والعطاءُ ، والذلُّ ، والعزُّ) .

وكان يقول : (صحبتُ أبا حفص الحداد وأنا شابٌّ فطردني مرة وقال : لا تجلسْ عندي ، فقمت ، ولم أولِّ ظهري أدباً معه ، وانصرفتُ إلىٰ ورائي ، ووجهي إلىٰ وجهه حتىٰ غبتُ عنه ، وعزمت أني أحفرُ لي علىٰ بابه حُفيرةً لا أخرج منها إلا بأمره ، فلما رأىٰ مني رائحةَ هـٰذا الأدب أدناني ، وجعلني من خواصِّ أصحابه) .

وكان يقول : (أصلُ العداوة ثلاثةُ أشياء : الطمعُ في مال الناس ، وفي إكرامهم ، وفي قبولهم) .

وكان يقول : (الخوفُ من الله يُوصلك إلى الله ، والكِبر والعُجْب في نفسك يقطعانك عن الله تعالىٰ ، واحتقارُك للناس مرضٌ عظيم لا يكادُ يبرأُ منه إلا الخواص) .

وكان يقول : (أنت في سجنٍ ما تبعتَ مُرادك ، فإذا فوَّضتَ أمرك إلى الله استرحتَ من السجن) .

وكان يقول : (من شرطِ الفقير أن يصحبَ الأغنياء بالتعزُّز ، والفقراءَ بالتذلُّل) .

وقيل له : ما طريقُ الفقير في أن يقيمَ العذرَ لمن ظلمه ؟ فقال : طريقُهُ : أن يعلمَ أنَّ الله هو الذي سلَّطه عليه بذنوبه .

وكان يقول : (من صحبَ أولياء الله بالأدب أوصلوه إلى الله وإلىٰ طريقه ، ومن صحبهم بغير أدبٍ لم يوصلوه إلىٰ شيءٍ ؛ بل ربَّما طُرد إلىٰ مزابل الكلاب ، وهي الدنيا) .

وكان يقول : (لا يرىٰ أحدٌ عيبَ نفسه ، وهو يستحسنُ منها شيئاً ، وإنما يرىٰ عيبَ نفسه مَنْ يَستقبح أفعالَها ، ويتَّهمُها في سائر أحوالها) .

وكان يقول : (من علامة الزاهد في الدنيا : ألا يُبالي بمن أخذ الدنيا بحذافيرها ، ولا يحسده) .

وكان يقول : (إن الله يُعطي الزاهدَ فوق ما يُريد ، ويُعطي المستقيمَ موافقةَ ما يريد من الخير) .

وكان يقول : (من لم تصحَّ إرادتُهُ لا تزيده الأيامُ إلا إدباراً عن طريق الله ، شاء أم أبىٰ) .

وكان يقول : (إذا صحَّتِ المحبةُ تأكَّدَ عليك ملازمةُ الأدب) .

وكان يقول : (السماعُ علىٰ ثلاثة أقسام :

الأول منها : للمُريدين والمبتدئين يَستدعون بذلك الأحوالَ الشريفة ، ولـٰكن يُخشىٰ عليهم مع ذلك الفتنة والمراءاة .

الثاني : للصادقين يَطلبون به الزيادةَ في أحوالهم ، ويسمعون من ذلك ما وافقَ أوقاتهم .

الثالث : لأهلِ الاستقامة من العارفين ، وهو حقٌّ في حقٍّ) والله أعلم .

ومنهم :

(١٦٤) أبو الحسين أحمد بن محمد النُّوري رضي الله عنه[١]

بغداديُّ المولد والمنشأ ، يُعرف بابن البغوي .

وكان من جلَّة المشايخ وعلماء القوم ، لم يكن في وقته أحدٌ أحسنَ طريقةً منه ، ولا ألطف كلاماً منه .

صحب السَّريَّ السَّقطي ، وحمدونَ القصار ، وكان من أقران الجُنيد .

مات سنة خمسٍ وتسعين ومئتين .

وكان رضي الله عنه يقول : (أعزُّ الأشياء في زماننا هـٰذا شيئان : عالمٌ يعملُ بعلمه ، وعارفٌ ينطق عن حقيقةٍ) .

وكان يقول : (الجمعُ بالحقِّ تفرقةٌ عن غيره ، والتفرقةُ عن غيره جمعٌ به) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٣٨) (١٦٨) .

وكان يقول : (ليس التصوفُ رسوماً ولا علوماً ، وإنما هو أخلاقٌ) .

وكان يقول : (من لم يعرفِ الله تعالىٰ في الدنيا لم يعرفْهُ في الآخرة) .

وكان يقول : (منذ عرفتُ ربِّي ما اشتهيتُ شيئاً قطُّ ، ولا تمنَّيته ، ولا استحسنتُهُ) .

وكان يقول : (من رأيتَهُ يركنُ إلىٰ غير أبناء جنسه فلا تقربنَّ منه ، ومن رأيته يسمعُ القصائدَ ، ويحبُّ الرفاهية فلا ترجُ خيرَهُ ، ومن رأيته غافلَ القلب عند السماع فاتَّهمه في دعواه الفقر) .

وكان يقول : (لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ ، وعقوبةُ العارف انقطاعُهُ عن الذكر) .

وكان يقول : (قد صارتِ المعرفةُ في هـٰذا الزمان زللاً ، والمعروفُ دَغَلاً[1] ، والصوابُ خطأً ، والودادُ دَخَلاً)[2] .

ومرَّ على النوريِّ يوماً أدنانُ خمرٍ للمعتضد ، فكسرها ، فحملوه إلى المعتضد ببغداد ، فقال له المعتضد : من أنت ؟ وكان سيفُهُ قبل كلامه ، فقال : محتسبٌ ، فقال له : من ولاك الحسبة ؟ فقال : الذي ولاك الخلافة ، فأغلظَ القولَ عليه ، وتوعَّده ، فأشاروا على النوريِّ أن يخرجَ إلى البصرة ، فيقيم بها ، فأقام بها إلىٰ أن تُوفي المعتضدُ .

وكان يقول : وقفتُ مرةً علىٰ شيخٍ يُضرب بالسياط ، فعددتُ عليه ألفاً ، وهو ساكتٌ ، فاستحسنتُ صبرَهُ مع كبر سنه ، فلما أُدخل الحبسَ بعد الضرب دخلت عليه ، فسألتُهُ عن صبره مع كِبَر سنِّه ، فقال : يا أخي ، إنما يحملُ البلاء الهممُ لا الأجسام .

فقال بعضُهم : وسبب تسمية أحمد بالنُّوريِّ : أنه كان إذا دخلَ مسجدَ الشُّونيزية بطلَ ضوءُ السراج من ضياءِ وجهه ؛ فلذلك سُمِّي النُّوري .

وكان إذا حضرَ مع الفقراء في مكان فيه براغيثُ لا تؤذي البراغيثُ أحداً ببركته رضي الله عنه .

---

(١) **الدَّغَل** : العيب المفسد للأمر .

(٢) **الدَّخَل** : الريبة ، والغدر ، والمكر ، والخديعة .

ومنهم :

(١٦٥) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن الجلاَّ رضي الله عنه[١]

ويقال : أحمد ، وهو الأصحُّ .

بغداديُّ الأصل ، أقام بالرملةِ ودمشق ، وكان من جلَّةِ المشايخ بالشام .

صحب أباه ، وذا النُّون المصري ، وأبا عُبيد البُسري[٢] .

وكان عالماً عاملاً ، كريماً عفيفاً ، وهو أستاذُ محمد بن داود الدُّقِّي .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من استوىٰ عنده المدحُ والذم فهو زاهد ، ومن حافظَ على الفرائض في أوَّل وقتها فهو عابد ، ومن رأى الأفعال كلَّها من الله فهو موحِّد) .

وكان يقول : (من غيرةِ الحقِّ : أنه جعلَ الخلق في مفاوز التحيُّرِ في عظمته يركضون ، وفي بحارِ الظنِّ يغرقون ، فمن ظنَّ أنَّه واصلٌ فاصَلَهُ ، ومن ظنَّ أنه فاصلٌ واصَلَهُ ، فلا وصولَ إليه ، ولا مهرب عنه ، ولا بدَّ منه) .

وكان يقول : (من علت هِمَّتُهُ عن الأكوان وصل إلىٰ معرفة مكوِّنها ، ومن التفتَ إلىٰ شيءٍ سوى الحقِّ فاته الحقُّ ؛ لأنه تعالىٰ أعزُّ من أن يَرْضىٰ معه شريكاً) .

وكان يقول : (لو أنَّ رجلاً عصى الله بحضرتي ، ثم توارىٰ عني بجدارٍ . . لم يسعْني من الله أن أعتقدَ عدمَ توبته) .

وهٰذا نظيرُ ما قالوا فيمن أخذ مالاً حراماً ، ثم توارىٰ بجدارٍ ؛ فإنهم قالوا : يحتمل أنه بدَّله ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) كذا (الجلاَّ) بالقصر ، وفي « القاموس » (ج ل و) : (وابن الجلاَّ : مشددة مقصورة) ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤٠) (١٦٩) .

(٢) في النسخ : (أبا عبد الله) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

ومنهم :

(١٦٦) أبو محمد رُويم بنُ أحمد رضي الله عنه[١]

هو بغداديُّ الأصل ، من جلَّة مشايخ بغداد ، وكان فقيهاً علىٰ مذهب داود الأصفهاني ، رضي الله عنه .

مات رضي الله عنه سنة ثلاث وثلاث مئة ، ودفن بالشُّونيزية قريباً من أبي القاسم الجُنيد رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من عقلِ العاقل ، وحكمةِ الحكيم : أن يوسِّعَ العبدُ علىٰ إخوانه في الأحكام علىٰ حسب ما ورد من التخفيف ، ويضيِّقَ علىٰ نفسه ؛ فإنَّ التوسعةَ على الناس من اتِّباع العلم ، والتضييقَ علىٰ نفسه من حكم الورع) .

وكان لا يعبأُ بالمريد إذا لم يبذلْ روحَه في الطريق ، ويقول : (لا يُنالُ طريقُ أهل الله عز وجل إلا ببذلِ الأرواح ، فمن لم يُمكنْهُ الدخولُ في طريق الله علىٰ هـٰذا الشرط فليس له نصيبٌ ، وغايتُهُ زخرفةُ كلام الناس نقلاً بغير ذوق) .

وكان يقول : (من جلسَ مع القومِ وخالفهم في شيءٍ مما يتحقَّقون به نزعَ اللهُ منه نورَ الإيمان) .

وكان يقول : (لا يزالُ الصوفية بخيرٍ ما تنافروا ، فإذا اصطلحوا هلكوا ، وفترتْ همَّتُهم) .

وسئل عن المحبَّة، فقال: هي الموافقةُ في سائر ما يحبُّ المحبوب ، وأنشد : [من الطويل]

ولوْ قلتَ لي متْ متُّ سمعاً وطاعةً وقلتُ لداعي الموتِ أهلاً ومرحبا

وقيل له مرة : كيف حالُكَ ؟ فقال : كيف حال من دينُهُ هواه ، وهمَّتُهُ شقاه ، ليس بصالحِ تقيٍّ ، ولا بعارفٍ نقي .

وكان يقول : (لكلِّ عارفٍ مرآةٌ إذا نظر فيها تجلَّىٰ له مولاه جل وعلا) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤١) (١٧٠) .

وكان يقول : (لي منذ عشرين سنة لم يخطرْ في قلبي ذكرُ الطعام حتىٰ يحضر ، ولي منذ عشرين سنة أُصلِّي الغداةَ بوضوء العشاء الآخرة) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٦٧) أبو عبد الله محمد بنُ الفضل البلخي رضي الله عنه[١]

أصلُه من بلخ ، ولـٰكنه أُخرجَ منها بسبب مذهبه من إجراء آيات الصفات علىٰ ظاهرها من غير تأويلٍ .

وأقامَ بسمرقند ، واستوطنها حتىٰ مات بها سنة تسعَ عشرة وثلاث مئة .

كان من كبار مشايخ خُراسان .

وصحب أحمد بنَ خضرويه وغيرَه من المشايخ .

ولم يكن أبو عثمان الحيري يميلُ إلىٰ أحدٍ من المشايخ ميلَهُ إليه ، وكان يقول : لو وجدتُ في نفسي قوةً لرحلتُ إلىٰ أخي محمد بنُ الفضل سمسار الرجال .

وكان يقول : (الدنيا هي بطنُك ، فبقدر زهدك في بطنك يكون زهدُك في الدنيا) .

وكان يقول : (العجبُ ممن يقطعُ المفاوزَ والبراري حتىٰ يصلَ إلىٰ مكة ؛ لأن فيها آثارَ الأنبياء كيف لا يقطع نفسَه وهواه ليصلَ إلىٰ قلبه ؛ لأن فيه آثارَ مولاه؟!) .

وكان يقول : (إذا رأيتَ المريدَ في زيادةٍ من أمتعة الدنيا وملابسها . . فذلك من علامة إدباره عن الطريق) .

وكان يقول : (من الشقاء : أن يُرزق العبدُ صحبةَ الصالحين ولا يحترمهم) .

ولمَّا أخرجه أهلُ بلخ منها قال لهم : لا أَخرجُ حتىٰ تضعوا في عُنقي حبلاً ، وتُنادوا عليَّ في أزقَّة البلد : إنَّ هـٰذا رجلٌ مبتدعٌ ، نُريد أن نخرجَه من بلدنا ، فلما فعلوا به ذلك ، وخرجَ التفت إليهم وقال : اللهم ؛ امنعْ أهلَ بلخ الصدقَ في حبِّ الطريق ، قالوا : فلم يخرجْ من بلخ بعده صدِّيقٌ أبداً ، مع أنها كانت أكثرَ بلادِ الله صوفيةً ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤٢) (١٧١) .

ومنهم :

(١٦٨) أبو بكر أحمد بنُ نصر الزقّاق الكبير رضي الله عنه[١]

كان من أقران الجنيد ، ومن كبار مشايخ مصر .

وكان الكتاني يقول : (منذ مات الزَّقاق انقطعتْ حجَّةُ الفقراء في دخولهم مصر) .

وكان رضي الله عنه يقول : (**آفةُ المريد في ثلاثةِ أشياء** : في التزويج ، وفي كتابةِ العلم بغيرِ فهمٍ ، وفي معاشرة الضدِّ) .

وكان يقول : (لا تصلحُ هـٰذه الطريق إلا لأقوامٍ كنسوا بأرواحهم المزابلَ رضاً منهم واختياراً) .

وكان من أكابرِ المتورِّعين ، حتىٰ قيل مرةً : إنه عطشَ عطشاً شديداً ، فاستقبله جنديٌّ ، فسقاه شربةً من ركوته ، فعادت قساوتُها علىٰ قلبه ثلاثين سنة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٦٩) أبو عبد الله عمرو بنُ عثمان المكي رضي الله عنه[٢]

كان يُنسب إلى الجُنيد في الصحبة .

ولقي أبا عبد الله النِّباجي ، وأبا سعيد الخراز ، وغيرَهما من المشايخ .

وكان شيخَ القوم في وقته وإمامَهم في الأصول والطريقة .

وله كلامٌ حسنٌ ، وروى الحديثَ عن محمد بن إسماعيل البخاري وغيرِهِ .

مات سنة إحدىٰ وتسعين ومئتين .

وكان رضي الله عنه يقول : (التوبةُ فرضٌ علىٰ جميع المذنبينِ والعاصين ، صَغُرَ الذنبُ أو كبر ، وليس لأحدٍ عذرٌ في تركه التوبةَ) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤٣) (١٧٢) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤٤) (١٧٣) .

وكان يقول : (كلَّ ما توهَّمَه قلبُك ، أو سبحَ في مجاري فكرتك ، أو خطر في نفسِك من حسنٍ أو بهاء ، أو نورٍ أو جمال أو أنس ، أو شبحٍ أو شخصٍ أو خيال . . فاللهُ عز وجل بخلاف ذلك كلِّه ، هو أجلُّ وأعظمُ وأكبرُ مما تصل إليه العقولُ السليمة فضلاً عن غيرها) .

وكان يقول في قول الله تعالىٰ عن الكفار : ﴿ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ [ص : ٦] : (إن في هٰذه الآية توبيخاً عظيماً لنا إذا تركنا الصبرَ علىٰ مُهمات ديننا ، والصبر على الشدائد التي تَنُوبُنا ؛ أي : فنحن أولىٰ بالصبرِ علىٰ ديننا) .

وحُكي : أنَّ عمرو بنَ عثمان المكيَّ دخل يوماً على الحلاج ، فرآه يكتبُ شيئاً ، فقال : ما هٰذا ؟ فقال : هٰذا كلامٌ نزل علىٰ قلبي من الله ، فدعا عليه عمرو بن عثمان بالبلاء ، وهجره . قال الأشياخ : الذي نراه : أنَّ جميعَ ما حلَّ بالحلاج من البلاء كان من دعاءِ عمرو بنِ عثمان عليه ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٧٠) أبو الحسن سمنون بنُ حمزة الخوَّاص رضي الله عنه[(١)]

ابتُليَ بعلَّةِ أسرِ البول ، فلم يصبرْ ، فكان يدورُ على الأطفال في المكاتب ويقول : (ادعوا لِعَمِّكم الكذاب الذي كان يدَّعي الصبرَ على البلاء ، فلم يصبر) .

صحب رضي الله عنه السَّريَّ السَّقَطي وغيرَهُ .

وكان يتكلَّمُ في المحبَّة أحسنَ كلام .

مات بعد الجُنيد علىٰ ما قيل[(٢)] .

وسُئل مرَّةً عن المحبة : ما هي ؟ فقال : (لا يُعبَّرُ عن شيءٍ إلا بما هو أرقُّ منه ، ولا شيءَ أرقَّ من المحبة ، فبم يُعبَّرُ عنها ؟!) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤٥) (١٧٤) .

(٢) كذا في « طبقات السلمي » (ص ١٩٥) ، وعند القشيري في « رسالته » (ص ١٧٠) : (مات قبل الجنيد) ، وكانت وفاة الجنيد سنة (٢٩٧هـ) .

وقال علي بنُ الحسين : (رأيتُ سمنون يوماً جالساً علىٰ شاطئ الدجلة ، وبيده قضيب يضربُ به ساقَه وفخذه ، حتىٰ تبدَّد لحمُه وتناثر ، وهو ينشدُ بصوتٍ شجيٍّ ويقول : [من المديد]

كـانَ لـي قلـبٌ أعيشُ بـهِ ... ضـاعَ منِّـي فـي تقلُّبِـهِ
ربِّ فـارددْهُ علَّـيَّ فقـدْ ... عيـلَ صبـرِي فـي تطلُّبِـهِ
وأغِـثْ مـا دامَ لـي رمـقٌ ... يـا غيـاثَ المُستغيـثِ بـهِ

وسُئل مرةً عن التصوف ، فقال : هو ألا تملك شيئاً ، ولا يملكك شيءٌ .

وكان يقول : اجتمعتُ برجلٍ قد نقرَ له خشبةً ، ودار بها في البحر منذ ثلاثين سنة فِراراً من الناس أن يشغلوه عن ربِّهِ عز وجل ، فقلت له : حدِّثني بأعجب ما رأيتَ في البحر ، فقال : هبَّتْ عليَّ في بعض الليالي ريحٌ عظيمة حتىٰ أظلمَ البحرُ ، فداخلني من ذلك وحشةٌ عظيمة ، فطلبتُ من الله شيئاً يُزيلُ تلك الوحشةَ ، وإذا بتنِّينٍ عظيمٍ فاتحٍ فاه ، فألقتني الخشبةُ نحوه ، فدخلتُ في فيه ، وجلستُ علىٰ نابٍ من أنيابه ، وصلَّيتُ ركعتين ، فزالتِ الوحشةُ من قلبي ، وحصل لي أُنسٌ عظيم ، قال : وكان طولُ ذلك التنين مسيرةَ يوم ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٧١) ومنهم أبو عُبيد البُسري رضي الله عنه[١]

هو من كبار المشايخ وقدمائهم ، صحب أبا تُراب النَّخشبي وغيرَه .

وكان له كلامٌ في الحقائق .

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا تدخلُ العلَّةُ إلا من الأمْن ، ولا يوجد المزيدُ إلا من الحذر ؛ فإن أقواماً حذروا فسلموا ، وأمِن أقوامٌ فعطبوا) .

وكان يقول : (ذكرُ الله باللِّسان مع الغفلة رياءٌ ، وذكرُهُ مع الحضور إخلاص) .

---

(١) في النسخ : (أبو عبد الله) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وقد تقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٤٦) (١٧٥) .

وكان يقول : (لا يزالُ الذاكرُ يذكرُ اسمَ الله حتىٰ يغلبَ عليه شهودُ أنَّ اللهَ يراه ، ويستصحبُ ذلك على الدوام أبداً ما عاش ، وهـٰذا هو الذكرُ الحقيقي) والله أعلم .

ومنهم :

(١٧٢) أبو علي الحسن بنُ علي الجُوزجاني رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان من أكابر مشايخ خراسان ، وله التصانيفُ المشهورة في علوم الطريق والرياضات والمجاهدات والمعارف .

صحب محمد بنَ علي التِّرمذي الحكيم ، ومحمد بن الفضل البلخي ، وغيرَهما ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (**من علامة سعادةِ العبدِ** : تيسيرُ الطاعات عليه ، وموافقةُ السُّنة في أفعاله وأقواله وعقائده ، ومحبتُهُ لأهل الصلاح ، وحفظُ أخلاقه مع الإخوان ، وبذلُ معروفه للخلق ، واهتمامُهُ بأمر المسلمين ، ومراعاتُهُ لأوقاته ، **ومن علامة شقاءِ العبد** : أن يكونَ بالضدِّ من ذلك) .

وكان يقول : أصحُّ الطُّرق إلى الله تعالىٰ وأَعمرُها وأبعدُها عن التشبيه : اتِّباعُ السُّنة قولاً وفعلاً ، وعزماً وعقداً ونية ؛ لأن الله تعالىٰ قال : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ يعني : رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ﴿تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور : ٥٤] ، فقيل له : كيف الطريقُ إلى اتِّباع السنة ؟ فقال : مجانبةُ البدع ، واتِّباعُ ما أجمع عليه أهلُ الصدرِ الأول من علماء الإسلام ، والتباعدُ عن مجالس أهل الكلام ، ولزومُ طريقة الاقتداء لمن سبق ، قال الله تعالىٰ : ﴿أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النحل : ١٢٣] .

وكان يقول : (الخلقُ كلُّهم في ميادين الغفلة يركضون ، وعلى الظُّنون يعتمدون ، وعندهم أنهم على الحقيقة يتقلَّبون ، وعن المكاشفة يَنطقون) ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٤٦) (١٧٦) .

ومنهم :

(١٧٣) أبو الفوارس شاه بن شجاع الكَرماني رضي الله عنه[١]

كان من أولاد الملوك .

صحب أبا تُراب النَّخْشبي ، وأبا عُبيد البُسري .

وكان من أجلِّ الفتيان ، وعلماء هٰذه الطبقة ، وله رسالاتٌ كثيرة مشهورة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من صحبك ووافقك علىٰ ما تحبُّ ، وخالفك فيما تكره . . فإنما صحبك لهواه ، فهو طالبٌ بصحبتك راحةَ الدنيا لا غير ، فلا ترجُ خيرَهُ) .

وكان يقول : (لأهل الفضل فضلٌ ما لم يروه ، فإذا رأوه فلا فضلَ لهم ، ولأهل الولاية ولايةٌ ما لم يَروها ، فإذا رأوها فلا ولايةَ لهم) .

وكان يقول : (من أعظم نتيجة المريد : التحببُ إلىٰ شيخه ؛ فإنه إذا أحبَّ شيخَهُ فقد أحبَّ الله ، وإذا أحبَّهُ الوليُّ فقد أحبَّهُ الله) .

وكان يقول : (علامةُ المحجوب عن ربِّه أن يُعجبَ بشيءٍ من أحواله) .

وكان يقول : (إذا كان علماءُ زماننا قد صاروا في ظُلمة علمهم ، فكيف بالجاهلين المُقيمين في ظلمة جهلهم ؟! وذلك لأن ظلمةَ العلمِ أشدُّ من ظلمة الجهل ؛ لأنها غلبتْ نورَ العلم) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٧٤) أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه[٢]

كان شيخَ بلاد الرَّيِّ والجبال في وقته ، وكان عالماً أديباً ظريفاً .

وكان من خُلُقِهِ إسقاطُ الجاه ، وتركُ التصنُّع ، واستعمال الإخلاص .

صحب ذا النُّون المصري ، وأبا تُراب النَّخشبي .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤٧) (١٧٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤٨) (١٧٨) .

مات سنة أربعٍ وثلاث مئة .

وكان يقول : (لما علمَ القومُ أن الله تعالىٰ يراهم على الدوام ، وهم بين يديه ، شعروا أو لم يشعروا . . استحيوا أن يُراعوا شيئاً سواه) .

وكان يقول في مُناجاته : (اللهم ، إننا نباتُ زرائع نعمتك ؛ فلا تجعلْنا حصائدَ نقمتك يا أرحم الراحمين) .

وكان يقول : (أرغبُ الناس في الدنيا : أكثرُهم ذمّاً لها عند أبنائها ؛ لأن ذمَّها عندهم حرفةٌ ، وما أقبحها حرفة ! يزهِّدُهم فيها ، فإذا زهدوا فيها أخذها هو منهم ، وربما وقع ذلك في مجلسٍ وعظه ، وأزهدُ الناس في الدنيا أَقلُّهم ذكراً لها ، إنما الغالبُ عليه ذكرُ الآخرة ، وتشويقُ الناس لأعمالها) .

وكان يقول : (نظرتُ[1] في آفات الصوفية فرأيتها في معاشرةِ الأضداد ، وتتبُّعِ الرُّخص ، والميل إلى النسوان) .

وكان يقول : (للدنيا طغيانٌ ، وللعلم طغيان ، فمن أرادَ النجاةَ من طغيان العلم فعليه بالعبادة ، ومن أراد النجاة من طغيان المال فعليه بالزهد فيه) .

وكان يقول : (بالأدب يُفهم العلم ، وبالعلم يصحُّ لك العمل ، وبالعمل تنالُ الحكمةَ ، وبالحكمة تقيم الزهد وتُوفَّق له ، وبالزهد تتركُ الدنيا ، وبتركِ الدنيا ترغبُ في الآخرة ، وبالرغبة في الآخرة تنال رضا الله عز وجل) .

وكان يقول في حديث : « أرحْنا بهَا يا بلالُ »[2] : (يعني بالصلاة ، ويؤيدُه حديثُ : « وجُعلتْ قرَّةُ عينِي في الصلاةِ »[3] .

وكان يقول : (إن أردتَ أن تعرف العاقل من الأحمق فحدِّثه بالمحالات ، فإن قبلها فاعلمْ أنه أحمق) .

---

(١) في النسخ (رأيت) ، والمثبت من « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٤٩) .

(٢) رواه أبو داود في « سننه » (٤٩٨٥) عن سلم بن أبي الجعد رحمه الله تعالىٰ ، وتقدم تخريجه (١/ ٣٤٩) ، و(٢/ ٢١٦) .

(٣) رواه النسائي (٧/ ٦١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (٢/ ١١٥) .

وكان يقول : (إذا رأيتَ المُريدَ يشتغلُ بالرُّخصِ فاعلم أنه لا يجيءُ منه شيء) .

وكان يقول : (من غرقَ في بحارِ التوحيد لم يزددْ على ممرِّ الأيام إلا عطشاً) .

وكان يقول : (**توحيد الخاصةِ** : هو أن يكون بسرِّه ووجده وقلبه كأنه قائمٌ بين يدي الله ، تجري عليه تصاريفُ تدبيره ، وأحكامُ قدرته في بحار توحيده بالفناء عن نفسه ، وذهاب حسِّهِ بقيام الحقِّ تعالىٰ له في مُراده منه ، فيكون كما هو قبل أن يكون في جَريان حكمه عليه) .

وكان يقول : (لله تعالىٰ في كلِّ أمةٍ ذخيرةٌ ووديعة أخفاهم عن خلقه ، فإن يكنْ منهم أحدٌ في هٰذه الأمة فهم الصوفية) .

وكان رضي الله عنه إذا سمع القرآنَ لا تقطرُ له دمعةٌ ، وإذا سمعَ شعراً قامتْ قيامته ، ثم يلتفتُ إلى الحاضرين ويقول لهم : (أتلومون أهل الراز في قولهم[١] : يوسف بنُ الحسين زنديق ، هم مَعذورون ؛ وذلك لأنَّ القرآن ليس هو من جنسِ كلامنا حتىٰ نطربَ له ، وكلُّه تكاليفُ ، بخلاف رقيقِ الشعر) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٧٥) أبو عبد الله محمدُ بن علي بن الحسين الترمذيُّ الحكيمُ رضي الله عنه[٢]

لقي أبا تُراب النَّخْشي ، وصحب أحمد بنَ الجلا وابن خضرويه .

وهو من كبار مشايخ خراسان ، وله التصانيفُ المشهورة في الحديث والتصوف وغيرهما .

وكان يقول : (ما صنَّفتُ قطُّ حرفاً عن تدبيرٍ ، ولا ليُنسب إليَّ شيءٌ من المؤلفات ، وإنما كان إذا اشتدَّ عليَّ وقتي أتسلَّىٰ بذلك) .

وسئل مرةً عن حقيقة الخلق ، فقال : (ضعفٌ ظاهرٌ ، ودعوىٰ عريضة) .

---

(١) أي : أهل الرَّيِّ .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٥٠) (١٧٩) .

وكان يقول : (من شرائطِ الخدَّام : التواضعُ والاستسلام) .

وكان يقول : (كفىٰ بالرجلِ عيباً أن يسرَّهُ ما يضرُّهُ) .

وكان يقول : (إنما دعا الله الموحِّدين للصلاة رحمةً منه عليهم ، وإنما نوَّعَ لهم فيها الأقوال والأفعال ؛ لينالَ العبدُ من كلِّ قولٍ وفعل شيئاً من عطاياه تعالىٰ ؛ فالأفعالُ كالأطعمة للضيف ، والأقوالُ كالأشربة له ، فالموحِّدون عرشُ الوحدانية) .

وكان يقول : (صلاحُ الصبيان في المكاتب ، وصلاحُ قطاع الطريق في السجن ، وصلاحُ النساء في البيوت) .

وكان يقول : (المحدَّثون من أهل الله والمكلَّمون إذا تحقَّقوا في درجتهم . . لم يخافوا حديثَ النفس ، فكما أنَّ النبوة محفوظةٌ من إلقاء الشيطان بالنسخ الإلـٰهي ، فكذلك محلُّ المكالمة والمُحادثة محفوظٌ عن إلقاء النفسِ ، محروسٌ بالحق) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٧٦) أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق رضي الله عنه[١]

أصلُهُ من ترمذ ، وأقام ببلخ .

لقي أحمد بن خَضرويه ، وصحب محمد بنَ سعد الزاهد[٢] ، ومحمد بن عمر البلخي .

وله التصانيفُ المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات .

وكان يقول : (لو قيلَ للطمعِ : من أبوك ؟ لقال : الشكُّ في المقدور ، ولو قيل له : ما حرفتُكَ ؟ قال : اكتسابُ الذلِّ ، ولو قيل له : ما غايتُك ؟ لقال : الحرمان) .

وكان رضي الله عنه يمنعُ أصحابَه من السفر والسياحات ، ويقول : (مفتاحُ كلِّ

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٥١) (١٨٠) .

(٢) في النسخ : (أحمد بن سعد) . والمثبت من مصادر ترجمته .

بركةِ التصبُّرُ في موضع إرادتك إلىٰ أن تصحَّ لك الإرادة ، فإذا صحَّت لك الإرادة فقد ظهرتْ عليك أوائلُ البركة) .

وكان يقول : (**الناسُ ثلاثة** : العلماء ، والفقراء ، والأمراء ، فإذا فسدَ الأُمراء فسدَ معاشُ الناس ، وإذا فسد العلماء فسدتِ الطاعات ، وإذا فسدتِ الفقراءُ فسدتِ الأخلاق) .

وكان يقول : (من اكتفىٰ بالكلامِ من العلم دون الزهد والفقه تزندقَ ، ومن اكتفىٰ بالزُّهد دون الكلامِ والفقه ابتدعَ ، ومن اكتفىٰ بالفقهِ دون الزُّهد والورع تفسَّق ، ومن جمع هـٰذه الأمور كلَّها أخلصَ وتخلَّص) .

وكان يقول : (خضوعُ العصاة ، وانكسارُ قلوبهم أفضلُ من صولة المطيعين) .

وسئلَ مرةً عن عوامِّ أهل الطريق ، فقال : (هم الذين سلمتْ صدورُهم ، وحَسُنتْ أعمالُهم ، وطهرت ألسنتُهم وفروجُهم ، فإذا خلوا من هـٰذه الصفات فهم من قسم الفراعنة ، لا من عوام الفقراء) .

وكان يقول : (إذا فسدتِ العلماء غلبَ الفسقةُ علىٰ أهل الصلاح ، وغلب الكفار على المسلمين ، وغلب الكذبةُ على الصادقين ، وغلبَ المراؤون على المُخلصين ، وتلف الدينُ كلُّهُ ، فإنَّ العلماءَ هم الزِّمامُ) .

وكان يقول : (إذا غلبَ الهوىٰ أَظلم القلبُ ، وإذا أظلمَ القلبُ ضاقَ الصدر ، وإذا ضاق الصدرُ ساءَ الخُلُق ، وإذا ساءَ الخلقُ أبغضه الخَلقُ ، وبغضَهم الآخرُ كذلك وجفاهم ، وهناك يصيرُ شيطاناً)[١] .

وكان يقول : (الخلافُ يهيجُ العداوةَ ، والعداوةُ تجلبُ البلاء) .

وكان يقول : (ما أحبَّ أحدٌ نفسَهُ إلا عشقه الكِبرُ والحسدُ ، والذلُّ والمهانة) .

---

(١) في « طبقات الصوفية » (ص ٢٢٦) : (أصل غلبة الهوىٰ مقارفة الشهوات ، فإذا غلب الهوىٰ ساء الخلق ، وإذا ساء الخُلق أبغضه الخَلق ، وإذا أبغضه الخلق أبغضهم ، وإذا أبغضهم جفاهم ، وإذا جفاهم صار شيطاناً) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يذوقَ شيئاً من طريق الزاهدين فليزهدْ في حبِّ الرئاسة ، والعلوِّ على الإخوان) .

وكان يقول : (راعِ اللهَ تعالىٰ بقلبك إن أردتَ أن تكونَ عنده صدِّيقاً ، فلو أنَّ أحداً علِمَ علمَ العلماء ، وفهم فهمَ الفهماء ، وعرفَ سحرَ كلِّ ساحرٍ لم يستطعْ أن يسترَ عورة نفسه التي وقعَ فيها بينه وبين ربِّهِ إلا بالصدق مع الله تعالىٰ) .

ومنهم :

(١٧٧) أبو سعيد أحمد بنُ عيسى الخرَّاز رضي الله تعالىٰ عنه[(١)]

هو من أهل بغداد .

وصحب ذا النُّون المِصري ، وسَري السَّقطي ، وبشرَ الحافي ، وغيرَهم .

وهو من أئمة القوم ، وجِلَّة المشايخ .

قيل : إنه أولُ من تكلَّم في علم البقاء والفناء .

توفي سنة تسعٍ وسبعين ومئتين .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إن الله عز وجل عجَّل لأرواح أوليائه التلذُّذَ بذكره ، والوصولَ إلىٰ قربه ، وعجَّلَ لأبدانهم النعمةَ بما نالوه من مصالحهم ؛ فعيشُ أبدانهم عيشُ الجسمانيين ، وعيشُ قلوبهم عيشُ الروحانيين ، ولهم لسانان : ظاهرٌ وباطن ؛ فلسانُ الظاهر يُكلِّم أجسامَهم ، ولسانُ الباطن يُناجي أرواحهم) .

وكان يقول : (العارفُ يستعينُ بكلِّ شيءٍ ، فإذا وصلَ استغنىٰ بالله ، وارتفعتْ همَّتُهُ عن الوقوف علىٰ أحدٍ سواه ، وافتقرَ الناسُ إليه) .

وكان يقول : (مثلُ النفس في الصفات كمثلِ ماءٍ واقفٍ طاهر صافٍ ، فإذا حرَّكتَهُ ظهرَ ما تحته من الحَمْأَة ، وكذلك النفس تظهرُ مرتبتُها عند المحنِ والفاقة والمخالفة لأهوائها ، ومن لم يعرفْ ما طُوي عنه من صفات نفسه كيفَ يدَّعي معرفةَ صفات ربِّهِ ؟!) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٥٣) (١٨١) .

وكان يقول : (العارفون خزائنُ الله تعالىٰ ، أودعَ فيها علوماً غريبة ، وأخباراً عجيبةً ، يتكلَّمون فيها بلسان الأبدية ، ويُخبرون عنها بعبارة الأزلية) .

وكان يقول : (لولا أنَّ الله أدخلَ موسىٰ في كنفه لأصابه عليه السلام ما أصابَ الجبل) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] : (المتوسِّمُ : هو العارفُ بما في سُويداء القلوب بالاستدلال والعلامات ، فيميِّزُ أولياء الله من أعداء الله) .

وكان يقول : (إذا أرادَ الحقُّ تعالىٰ أن يفتحَ علىٰ عبدٍ الطريقَ إليه حبَّبه في ذكره ليلاً ونهاراً ، فإذا استلذَّ بالذكرِ فتح عليه بابَ القرب ، ثم رفعه إلىٰ مجلسِ الأنس ، ثم أجلسَهُ علىٰ كرسيِّ التوحيد ، ثم رفعَ عنه الحُجُبَ ، وأدخله دارَ الفردانية ، وكشفَ له عن الجلالِ والعظمة ، فإذا وقع بصرُهُ على الجلال والعظمة بقي بلا هو ، وفني عن نفسه ، فإذا فني عن نفسه وقعَ في حفظ الله ، وبرئَ من دعاوي نفسه) .

وكان يقول : (أولُ مقامٍ في التوحيد : فناءُ ذكر الأشياء عن قلب الذاكر ، وانفرادُه بالله وحده) .

وسئل رضي الله عنه : هل يصل العارفُ إلىٰ حالٍ يرتفعُ منه البكاء ؟ قال : نعم ، إنما البكاءُ في وقت سيرهم إلى الله عز وجل ، فإذا نزلوا إلىٰ حقائقِ القرب ، وذاقوا طعمَ الوصول من برِّهِ تعالىٰ . زال عنهم البكاءُ ؛ ولذلك ورد : « فإنْ لمْ تبكُوا » يعني : حالَ انتهاء سيركم « فتباكوا »[1] أي : تنزَّلوا في المقام ليَقتدي بكم السائرون .

وكان لأبي سعيد الخرّاز ولدٌ صالح ، فمات ، فرآه في المنام ، فقال : يا ولدي ؛ أوصني ، قال : لا تجعلْ بينك وبين الله قميصاً ، فما لبسَ أبو سعيد قميصاً بعد ذلك ثلاثين سنة .

وكان يقول : (ينبغي للصوفي أن يكونَ لطيفَ اللبسة ، ملازماً للخلوة ، حسنَ

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٧) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وابن المبارك في « الزهد » (٢٩٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ٣٥٤) .

الصيانة ، مطلوباً عند وجود الفاقات ، فإن لم يكن كذلك فهو كاذبٌ) .

وكان يقول : (أبعدُ الناس من الله عز وجل مَنْ يدَّعي المعرفةَ والقرب ، وأكثرُهم إليه إشارةً أمقتهم عنده) .

وكان يقول : (المجنونُ من الناس من ينسىٰ ذكرَ ربه نَفَساً واحداً) .

وكان يقول : (لا يتَّصفُ عبدٌ بالشرف حتىٰ تصيرَ الأذكار غذاءه ، والتراب فراشه) .

وكان يقول : لا تفرحْ بصفاء العبودية ؛ فإن فيه نسيان الربوبية ، فقيل له : فما الخلاص ؟ قال : أن تشهدَ صنعَ الربوبية في إقامة العبودية ، فتنقطعَ عن نفسك ، وتسكنَ إلىٰ ربِّك ، وهناك تسلم من الاستدراج .

وسُئل عن الوقفة التي تكونُ بين بعض الفقراء من بعضهم بعضاً ، فقال : إنما قدَّرَ اللهُ ذلك عليهم غيرةً منه عليهم أن يسكنَ بعضُهم إلىٰ بعض ، ولٰكن إذا وقعَ لهم كمالُ السير ذهبت الوقفةُ ؛ فإنَّ الكاملَ لا يرىٰ إذْ ذاك من يرسلُ غضبه عليه من الخلق إلا والحقُّ تعالىٰ معه ، فيستحي أن ينتهكَ جنابَ من رأى الحقَّ معه أدباً مع الله تعالىٰ .

ومنهم :

(١٧٨) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي رضي الله عنه[١]

كان أستاذَ إبراهيم الخوَّاص ، وإبراهيم بن شيبان ، صحب عليَّ بنَ رزين .

وعاش مئةً وعشرين سنة ، ودُفن علىٰ جبلِ طُور سَيناء مع أستاذه علي بنِ رزين ، **وكانت وفاته سنة تسع وسبعين ومئتين**[٢] .

وكان يأكلُ من أصول الحشيش دون ما وصلتْ إليه يدُ بني آدم ، رضي الله عنه .

ومن كلامه رضي الله عنه : (الفقيرُ المجرَّدُ من الدنيا ـ وإن لم يعملْ شيئاً من أعمالِ

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٥٦) (١٨٢) .

(٢) كذا في « طبقات الصوفية » (ص ٢٤٤) ، للسلمي ، وعند القشيري في « رسالته » (ص ١٧٧) أن وفاته ، (٢٩٩هـ) .

الفضائل ـ أفضلُ من هؤلاء المتعبِّدين ومعهم الدنيا ؛ بل ذرةٌ من عمل الفقير المجرَّدِ أفضلُ من الجبال من أعمال أهل الدنيا) .

وكان يقول : (لله تعالىٰ عبادٌ أَسبغَ عليهم باطنَ العلوم وظاهرها ، وأخملَ ذكرهم ، فلا يعدُّون قطُّ مع العلماء : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢]) .

وكان يقول : (ما فطنتْ للأمرِ إلا هـٰذه الطائفة ، لـٰكنها احترقتْ بما فطنت ، فلا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

وكان يقول : اجتمعتُ بشخصٍ من أصحاب أبينا إبراهيم الخليل ، فقلت له : أين مَسكنُك ؟ فقال : في الهواء من منذ رُمي إبراهيم في المنجنيق ، فقلت له : ما حملك في الهواء وأنت من بني آدم ؟! فقال : توكُّلي على الله عز وجل ، فقلت له : وما التوكلُ ؟ فقال : النظرُ إلى الله تعالىٰ دائماً بلا عين تطرف ، والذِّكرُ له بلسانٍ لا يتحرَّك ، والجولانُ في مصنوعاته بلا قلب يغفُلُ ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٧٩) أبو العباس أحمد ابن مسروق رضي الله عنه[١]

هو من أهل طُوس ، وسكن بغداد ، ومات بها سنة تسعٍ وتسعين ومئتين .

صحب الحارثَ المحاسبي ، والسريَّ السَّقطي ، وغيرهما .

وكان من كبار مشايخ القوم وعلمائهم .

وكان ينهى المريدين عن سماع التغزلات ويقول : (لا ينبغي لفقيرٍ سماعُ شيءٍ من التغزلات ، إلا إنْ كان مُستقيماً في الظاهر والباطن ، قويَّ الحال ، تامّاً في العلم ، وأما الضعفاءُ فلا يليقُ بهم سماعُها ؛ لأن قلوبهم لم تألفِ الطاعات إلا تكلُّفاً أو لعلَّةٍ ، ونخشىٰ إنْ سامحنا في رخصةٍ أن تتعدَّىٰ ذلك إلى ارتكاب عدَّة رُخصٍ) .

وكان يقول : (من لم يحترزْ بعقله من عقله لعقله هلكَ بعقله) .

وكان يقول : (من كان مؤدِّبُهُ ربَّهُ لم يغلبه أحدٌ من الخلق) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٥٧) (١٨٣) .

وكان يقول : (الزاهدُ هو الذي لا يملكُهُ دون الله سبب) .

وكان يقول : (لا أزال أحنُّ إلىٰ بدء إرادتي ، وقوةِ همَّتي ، وركوبي الأهوال طمعاً في الوصول ، وها أنا اليوم في أيام الفترة أتأسَّفُ علىٰ أوقاتي الماضية ، وأتمنَّىٰ صفاءَ وقتٍ كما كنتُ فلا أجده ، علىٰ أنه ما ثَمَّ إلا بدايةٌ ما دام وراء مقام العبد مقامٌ ، وذلك شأنه أبداً ما عاش ، فلا يظنَّ بعارفٍ إذا قال : وقعَ لي كذا في بدايتي أنه يظنُّ بنفسه النهاية ، حاشا العارفين من ذلك) .

وكان يقول : (من شكا لكم الضعفَ في بدنه فقولوا له يُكثر من ذكر الله ، كما وصفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذلك لفاطمةَ لما شكتْ من الرَّحىٰ ، فأمرها أن تُسبِّحَ اللهَ عند النوم ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدَهُ ثلاثاً وثلاثين ، وتكبِّرَ ثلاثاً وثلاثين ، وتختم المئة بلا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علىٰ كلِّ شيء قدير ، وقال : « هي لكِ خيرٌ منْ خادمٍ »[1] فما شكتْ بعد ذلك تعباً ، فعُلمَ أنَّ كلَّ من تقوَّىٰ بالطعامِ والشراب فهو في طبع البهائم ، إلا أن يضمَّ إليه كثرة ذكرَ الله عز وجل) .

وكان يقول : (ما سُرَّ أحدٌ بغير الحقِّ تعالىٰ إلا أورثه ذلك السرورُ طولَ الهموم والأحزان) .

وعمل أبو العباس مرَّةً وليمةً ، فجاء شخصٌ ، فدخل بلا دعوةٍ ، فمنعه بعضُ الناس ، فقال أبو العباس : لله عليَّ ألا أدعَهُ يمشي إلا علىٰ خدِّي حتىٰ يجلس موضع الأكل ، فوضع خدَّه على الأرض ، ومشىٰ عليه ذلك الرجلُ إلىٰ أن بلغ موضع جلوسه على المائدة ، وقال : مثلُ هـٰذا الرجل يتواضعُ لي ويحضرُ وليمتي بلا دعوةٍ ، بأيِّ شيءٍ أُكافيه ؟ فقام القومُ ، وقبَّلوا رأسَ أبي العباس لأجل هـٰذا الخُلق العظيم .

وكان يقول : رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامت ، ورأيتُ موائدَ قد نُصبت ، فأردت أن أجلسَ عليها ، فمُنعتُ ، وقالوا : هـٰذه للصوفية ، فقلت : ألستُ منهم ؟! فقالوا :

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٥) ، ومسلم (٢٧٢٧) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/٣٥٧) .

بلىٰ ، ولـٰكنك اشتغلتَ عن الله بكثرة كتابة الحديث ، وحبك التميُّز بذلك على الأقران ، قال : فمن ذلك اليوم تبتُ إلى الله تعالىٰ عما كنتُ فيه ، وقلتُ : للحديثِ رجالٌ غيري ، وأقبلتُ على الاشتغالِ بالله وحده .

وكان يقول لأصحابه : (عليكم بالتقلُّلِ من المأكل والملبس والنوم ما أمكن إنْ أردتمُ اللُّحوقَ بالقوم ، فواللهِ ؛ لقد كنتُ أطوي الأيامَ ، وألبسُ المسوحَ والليفَ في بداية أمري ، وكنت لا أجتمع بشيوخي إلا يوم الجمعة في الجامع ، فكنت أنصرف من عندهم فلا أحتاج إلىٰ طعام ولا شراب إلى الجمعة الآتية ؛ ببركة لحظهم) .

وكان يقول : (كنت في بداية أمري آوي إلىٰ مسجدٍ فيه سدرةٌ ، فيأوي إليها بُلبلان في الليل لا ينامان الليل ، فكنت أقولُ في نفسي : كيف تنامين والبلبلُ سهران لا ينام ؟! ثم إن أحدَهما فقدَ صاحبه ، فكان يصيحُ صياحَ الحزين علىٰ صاحبه ثلاثةَ أيام علىٰ غصنٍ ، لا يلتقطُ شيئاً ولا يشربُ حزناً علىٰ صاحبه ، فمرَّ به بلبلٌ ، فصاحَ ، فذكَّره بصاحبه ، فوقع ميتاً من على الغصن) .

قال بعضهم : ولما حكىٰ أبو العباس هـٰذه الحكاية لتلامذته خرَّ منهم أربعةٌ موتىٰ أثَّرتْ فيهم هـٰذه الحكاية ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٠) أبو الحسن علي بنُ سهل الأصفهاني رضي الله عنه[١]

هو من قدماء مشايخ أصفهان ، وكان يُكاتبُ الجُنيد ويُراسلُهُ ، وكان من أقرانه .

صحب ابنَ مَعْدان رضي الله عنه ، ولقي أبا تراب النَّخشبي .

وكان من أكرمِ الناس وأشفقِهم على المسلمين .

وكان إذا بلغه عن أحدٍ : أنَّ عليه ديناً . . يُرسل يُوفي عنه الدَّين من غيرِ علمِ المديون ، فيأتي صاحبُ الدين ويقول : قد وفَّى اللهُ دينَك يا أخي ، وقد برئتْ ذمَّتُك ،

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٥٩) (١٨٤) و(١/ ٣٨٢) (٢٠٠) وسيذكرها ثانية (٣/ ٢٦٦) (٢٠٠) .

فيقول المديون : ومن أوفىٰ عني ديني ؟! فيقول : ما معي إِذْنٌ أنْ أتكلَّم ؛ لأنه كان يُوصي صاحبَ الدين ألا يعيِّنَ اسمَهُ ، فما علم بذلك الناسُ إلا بعد موت أبي الحسن رضي الله عنه .

وكان يقول : (من لم تصحَّ مبادئُ إرادته لا يسلمُ في مُنتهىٰ عاقبته) .

وكان يقول : (حرامٌ علىٰ قلبٍ عرف الله أن يسكنَ إلىٰ سواه ، فإنْ سكنَ استحقَّ العقوبةَ) .

وسأله رجلٌ عن القلب : ما هو ؟ فقال : يا أخي ، أسمعُ الناسَ يقولون : القلب القلب ، وما رأيت أحداً منهم يقدرُ علىٰ وصفه .

وكان يقول : (الفقيهُ هو الذي لا يدخلُ تحت المنسوبات إليه) .

وكان يقول : (تعوَّذوا بالله من غرورِ حُسنِ الأعمال مع قسوةِ القلوب ، وفساد الأسرار) .

وكان يقول : لا تصحبوا من ليس عنده شوقٌ للطريق ؛ فإنه لا يزداد علىٰ ممرِّ الأيام إلا إدباراً ، فقيل له : وما علامةُ الشوق إلى الطريقِ ؟ فقال : أن يُلهيَهُ شوقُه عن الطعام والشراب والمنام ، كما ذقتُ ذلك في بدايتي .

وكان يقول : (حقيقةُ التوحيد أنه بعيدٌ من الحقائق ، قريبٌ من الطرائق) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٨١) أبو محمد أحمدُ بنُ محمد بن الحُسين الجَريري رضي الله عنه[١]

كان من أكابر أصحابِ الجُنيد ، وصحب سهل بنَ عبد الله التُّستري .

وأُقعد[٢] بعد موت الجُنيد في موضعه لتمامِ حاله ، وصحةِ طريقته ، وغزارة علمه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٦٠) (١٨٥) .

(٢) في (ز) وحدها : (وأجلس) .

مات سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة[1] .

وكان يقول : (من استولتْ عليه نفسُهُ صار أسيراً في حكم الشهوات ، محصوراً في سجن الهوىٰ ، وحرَّمَ اللهُ علىٰ قلبه الفوائد ، فلا يستلذُّ بكلام الله تعالىٰ ، ولا يستحليه ؛ لأنه تعالىٰ يقول : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] يعني : أحجبُهم عن فهمها ، وعن التلذُّذ بها ؛ وذلك لأنهم تكبَّروا بأحوال النفسِ والدنيا ، فصرفَ الله تعالىٰ عن قلوبهم فَهْمَ مخاطباته ، وسدَّ عليهم طريق فهم كتابه ، وسلبهم الانتفاعَ بمواعظه ، وحبسهم في سجنِ عقولهم وآرائهم ، فلا يعرفون طريقَ الحقِّ ولا يتعرَّفونه ؛ بل تراهم يُنكرون علىٰ أهل الحقِّ ، ويحرِّفون كلامهم إلىٰ معانٍ لم يقصدوها) .

وكان يقول : (من لم يُحكِّم بينه وبين الله التقوىٰ والمراقبة لم يصلْ إلى الكشف والمشاهدة ؛ فإن من لا تقوىٰ عنده لوحُ قلبهْ مطموس ، ومن لا مراقبةَ عنده فحالُهُ معكوس) .

وكان يقول : لما قدمتُ من مكةَ بدأتُ بأبي القاسم الجنيد لئلا يتعنَّىٰ بالمجيءِ إليَّ ، فسلَّمت عليه ، ثم مضيتُ إلىٰ منزلي ، فلما صلَّيتُ الصبحَ إذا أنا به خلفي في الصف ، فقلتُ له : إنما جئتُكَ أمس لئلا تتعنَّىٰ بالمجيءِ ، فقال لي : ذلك فضلُك ، وهـٰذا حقُّكَ .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] : (أي : سامعين من الله ، قائلين بالله) .

وكان يقول : (لو رأيتُ من يهجرني لله تعالىٰ لوضعتُ له خدِّي ، إنما يَهجروني لحظوظِ نفوسهم) .

وكان يقول : (من رضي بالدرجات في الجنة في نظيرِ قراءته القرآن فقد رضي بالقليل بدلاً عن الكثير ؛ لأن الجنةَ مخلوقة ، والقرآنُ غيرُ مخلوق ، ومعظمُ الفائدة في قراءة القرآن إنما هي مُجالسته تعالىٰ ، وفهمُ مخاطباته) .

---

(١) كذا في « طبقات الصوفية » (ص ٢٥٩) ، و« الرسالة القشيرية » (ص ١٨٠) .

وكان يقول : (انكسفَ القمرُ ليلةَ الجمعة وأنا في مدينةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا به أسودُ مكتوبٌ في وسطه بالنور : أنا وحدي ، فغُشيَ عليَّ إلى الصباح) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ حكايةً عن مريم : ﴿ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٣] : (إنما قالتْ ذلك ؛ لأن اللهَ تعالىٰ كان قد أَطلعها علىٰ أنَّ ولدها عيسىٰ يُعبدُ من دون الله ، فساءها ذلك ، وغمَّها ، ومعنى الآية : يا ليتني متُّ قبل أن أحملَ بمن يُتَّخذُ إلـٰهاً من دون الله ؛ فلذلك أنطق الله تعالىٰ لها عيسىٰ عليه السلام بقوله : ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم : ٣٠] فلا يضرُّني ما يدعونه فيَّ من الألوهية جهلاً بالله وكفراً) والله أعلم .

ومنهم :

(١٨٢) أبو العباس أحمد بنُ محمد بنِ سهل بن عطاء الأَدَميُّ رضي الله عنه[1]

كان من ظِراف مشايخ الصوفية وعلمائهم ، له لسانٌ عظيمٌ في فهم القرآن يختصُّ

صحب الجُنيد ، وإبراهيم المارستاني ، ومن فوقهم من المشايخ[2] .

وكان أبو سعيد الخرّاز يعظِّم شأنه ، حتىٰ قال يوماً : (التصوّفُ إنما هو خُلُقٌ ، وما رأيتُ من أهله إلا الجُنيَد وابنَ عطاء) .

مات سنة تسعٍ وثلاث مئة .

وسُئل مرةً عن المروءة ، فقال : (هي ألا تستكثر لله تعالىٰ عملاً) .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (خلقَ اللهُ تعالى الأنبياءَ للمشاهدة لقوله تعالىٰ : ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [قٓ : ٣٧] وخلقَ الأولياء للمجاورة لقوله صلى الله عليه

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٦٢) (١٨٦) .

(٢) كذا في النسخ ، وفي « طبقات الصوفية » (ص ٢٦٥) : (فوقهما) بدل (فوقهم) .

وسلم : « عزَّ جارُكَ »[1] وخلقَ الصالحين للمُداومة على كلمة التقوى ، قال تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح : ٢٦] وهي تكرارُ « لا إلـه إلا الله » ، وخلق العوام للمجاهدة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩]) .

وكان يقول : (من تأدَّبَ بآدابِ الصالحين صلحَ لبساطِ الكرامة ، ومن تأدَّبَ بآداب الأولياء صلح لبساط القُربة ، ومن تأدَّب بآداب الصدِّيقين صلحَ لبساط المشاهدة ، ومن تأدب بآداب الأنبياء صلح لبساط الأنس والانبساط) .

وكان يقول : (لما عصى آدم عليه السلام بكى عليه كلُّ شيءٍ في الجنة إلا الذهب والفضة ، فأوحى الله تعالى إليهما : لِمَ لا تَبكيان على آدم ؟! فقالا : لا نبكي على أحدٍ عصاك ، فقال الله تعالى : وعزّتي وجلالي ؛ لأجعلنَّ قيمةَ كلِّ شيءٍ بكما ، ولأجعلنَّ بني آدم خدماً لكما ؛ يعني بهم خدام الدنيا لا خدام الله تعالى ؛ لقوله تعالى في حديث آخر : « يا دنيا ؛ منْ خدمَني فاخدمِيهِ ، ومنْ خدمَكِ فاستخدمِيهِ »)[2] ، والله أعلم .

وكان يقول : (السكونُ إلى مألوفات النفوسِ يقطعُها عن بلوغ درجات الحقائق) .

وكان يقول : (أدنوا قلوبَكم من مجالس الذاكرين ، لعلها تنتبه من غفلتها ، وإياكم أن تحضروا مع الذاكرين ولا تذكرون الله معهم ، فتُمقتوا) .

وكان يقول : (المحبُّ يُقيمُ العتاب على نفسه على الدوام ، لا يرى أنه وفَّى بحقِّ محبوبه) .

وكان يقول في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ [التوبة : ١١٨] : (أي لم يخلق لهم المعصيةَ ؛ فإن الحقَّ تعالى ما دام يخلقُ لهم المعصيةَ لا يصحُّ لهم أن يتوبوا ، فإذا تركَ تعالى خلقَ المعصية تابَ الخلقُ لا محالة ؛ يعني : فما لم يتعطَّفِ الحقُّ تعالى على عبيده بالرحمة ، لا ينعطفون على الله بالطاعة) .

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (٣٥٢٣) عن سيدنا بريدة رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ٣٦٢) .

(٢) أخرج الحديث ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٥١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٩٤) ، والشهاب القضاعي في « مسنده » (١٤٥٣) ، وأورده الماوردي في « أدب الدنيا والدين » (ص ١٨٤) عن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] : إن آدم عليه السلام قال : يا ربِّ ؛ لم أدَّبتني ، وإنما أكلتُ من الشجرة طمعاً للخلود في جوارك ؟! فقال : يا آدم ؛ طلبتَ الخلودَ من الشجرة لا مني ، وليس الخلودُ إلا بيدي ، فأشركتَ بي من حيث لا تشعرُ ، فنبَّهتُك بالخروج من الجنة حتىٰ لا تنساني في عمرك .

وكان يقول : (رأيتُ في بعض الكتب الإلـٰهية : يا بن آدم ؛ إنْ أعطيتُكَ الدنيا اشتغلتَ بها عني ، وإن منعتُكها اشتغلت بطلبها ، فمتىٰ تتفرَّغُ لي ؟!) .

وكان يقول : (من شرطِ المبتدئ : أن يجدَّ في العمل بما علم ، ولا يقفَ ولا يلتفت) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] : (أي : في الظواهر من الأخلاق الشريفة ، والعبارات المرضية دون البواطن والأسرار والإشارات ؛ فإنه لا طاقةَ لأحدٍ من الأمة بالتأسِّي به صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل[1] . . . .

إشارةً إلى الكون ، وإلىٰ ما يليقُ بالكون الذي باين أُمَّته ، من حيث شهوده خلاف شهودهم منه) .

وكان يقول : (من لم يتنعَّمْ بذكر ربِّه في الدنيا لا يتنعَّمُ برؤيته في الآخرة) .

وكان يقول : (من قلَّ ورعه قلَّتْ هيبتُه في قلوب الناس ، ومن هنا كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه من لا يعرفه ـ فضلاً عمَّن يعرفه ـ هابَهُ وارتعدَ من رؤيته ؛ لكونه أكثرَ الخلقِ ورعاً) .

وكان يقول : (من كانتْ ذنوبُهُ دائماً نُصبَ عينيه فهي أفضلُ من كثيرٍ من طاعاته ؛ لأن الطاعات ربما أورثته العُجْبَ بنفسه) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١) ، ومسلم (٢٢٥٦/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وهـٰذا صدر بيت للبيد بن ربيعة تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ، وعجزه : وكل نعيم لا محالة زائل . ولم يكن هـٰذا في يوم الخندق ، وإنما ذكر أنه في يوم الخندق ابن خميس الموصلي في « مناقب الأبرار » (٢/ ٥٣٠) ، وتقدم تخريجه (١/ ٣٦٤) .

وكان يقول : (لما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر يَسوسُ الخلقَ بقضيبٍ مع قوة نسيم النبوة ، فلما تُوفي أبو بكر أقام عمرُ حدودَ الله بِدِرَّته ، ولم يقدرْ عثمان علىٰ سياسة الناسِ بالدِّرةِ ، فأخرج السَّوطَ ، فلم يستقمْ له الأمر كما استقام لصاحبيه ، فلما قُتل عثمان رضي الله عنه لم يقدرْ عليٌّ رضي الله عنه علىٰ شيءٍ يسوس به الناس غير السيف ؛ إذ رأىٰ ذلك صواباً) .

وكان يقول : (ما ارتفعَ منِ ارتفعَ بكثرةِ صومٍ ولا صلاة ولا مجاهدة ، وإنما ارتفعَ بالخُلُقِ الحسن) .

وكان يقول : (ليس مهرٌ من مُهور الجنة أحبَّ إلى الحور العين من إعراضِ العبد عن الدنيا ، وليس للعبدِ وسيلةٌ عند الله أعظمَ من إعراضه عن نفسه) .

وكان يقول : (إنما ابتُلي الخلقُ بالفراق لئلا يكونَ لأحدٍ سكونٌ مع غير الله عز وجل) .

وكان يقول : (قوامُ الإسلام وقوامُ شرائعه بالمنافقين ، وقوامُ الإيمان وشرائعه بالعارفين بالله عز وجل) .

وكان يقول : (العارفُ سكوتُهُ تسبيحٌ ، وكلامُهُ تقديسٌ ، ونومُهُ ذكرٌ ، ويقظتُهُ صلاة ؛ وذلك لأنَّ أنفاسَهُ تخرجُ علىٰ ضربٍ من المشاهدة والمعاينة) .

وكان يقول : (العارف لا يتكلَّفُ لعبادة ، كما لا يتكلَّفُ لدخول النَّفَسِ وخروجه ؛ لكون العبادةِ هي سببَ مجالسته لله تعالىٰ ، فلا تَعَبَ عنده ولا نَصَبَ بالأفعال الشاقة علىٰ غيره) .

وهو معنىٰ قول بعضهم : العارف لا تكليفَ عليه ، فافهم .

وكان يقول : (ورعُ الورعين يتولَّدُ من كثرة الخوفِ علىٰ مؤاخذتهم بالذرة والخطرة ، ولولا ذلك الخوفُ ما صحَّ لهم ورعٌ) .

وكان يقول : (كيف يزكِّي أحدُنا نفسَهُ وهو لا ينفكُّ عن الخسران ، ويخالطُ أهل العصيان ، وهي نفسه ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [النجم : ٣٢] أي : لأنها لا تنفكُّ عن معصيةٍ ، أو تقصيرٍ في طاعة) .

وكان يقول : (علامةُ الوليِّ ثلاثٌ : يصونُ سرَّهُ فيما بينه وبين الله ، ويحفظُ جوارحَهُ فيما بينه وبين الناس ، ويُداوي الخلقَ علىٰ تفاوت عقولهم) .

وكان يقول : تاه مريدٌ لبعض الإخوان في البادية ، فورد علىٰ عينِ ماءٍ ، فإذا عليها جاريةٌ كالقمر ، فوقف عندها يتعجَّبُ من حُسنها ، فقالت : إليك عنِّي ، فقال : قد اشتغلَ كلِّي بك ، فقالت له : فلو رأيتَ الجاريةَ التي علىٰ تلك العين ؛ فإني لا أصلحُ أن أكونَ خادمةً لها ، فالتفتَ إلىٰ ورائه ، فقالت له : ما أقبح الكذب ! تقول : اشتغل كلِّي بكِ ، ثم تلتفتُ إلىٰ غيري ، ثم اختفت ، فلم يَدرِ أين ذهبت .

وكان يقول : (القرآنُ كلُّه يرجع إلىٰ شيئين : مراعاةِ أدب العبودية ، وتعظيمِ حقِّ الرُّبوبية) .

ومنهم :

(١٨٣) أبو إسحاق إبراهيم الخوَّاص رضي الله عنه[1]

هو من أجلِّ أصحاب التوكُّل .

وكان أوحدَ المشايخ في وقته ، وهو من أقران الجُنيد وأبي الحُسين النُّوري .

وله في الرياضات والسياحات مقامٌ يطول شرحه .

مات بجامع الرَّيِّ سنة إحدىٰ وتسعين ومئتين ، ومات بعلَّةِ البطن ، فكان كلَّما أخذته البطنةُ قام وتوضَّأ ، وصلَّىٰ ركعتين ، فدخل الماءَ يوماً ، فمات وسط الماء .

وكان يقول : (العالِمُ : هو من عَملَ بعلمه ، وإن كان علمه قليلاً) .

وكان يقول : (التاجرُ برأس مالِ غيره حكمُهُ حكمُ المفلس) .

وكان يقول : (علىٰ قدرِ إعزاز المؤمن أمرَ الله عز وجل يُلبسُهُ اللهُ من عزِّهِ ، ويُقيم له العزَّ في قلوب المؤمنين) .

وكان يقول : (من شرط الفقير : أن تكونَ أوقاتُه مستويةً في الانبساط ، صابراً علىٰ فقره وقناعته ، مستوحشاً من الرفاهيات ، متنعِّماً بالخشونات ، يُعزُّ الفقر

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٦٧) (١٨٧) .

ويعظِّمُهُ ، ويعظِّمُ أهله ، أقل ما يعظِّم الفقير كالأمير ، لا يرىٰ لله تعالىٰ عليه منَّةً أعظمَ من الضرِّ وخلوِّ اليد من الدنيا) .

وكان يقول : (**شيئان عزيزان** : عالمٌ يعملُ بعلمه ، ومريدٌ لا طمعَ عنده) .

وكان يقول : (لقيتُ الخَضِرَ عليه السلام في باديةٍ ، فسألني الصحبةَ ، فخشيت أن يُفسدَ عليَّ توكُّلي بالسكون إليه ، ففارقته) .

وكان يقول : (المفاخرةُ والمكاثرةُ يمنعان الراحة ، والعُجْبُ يمنع من معرفة عيوبِ النفس ، والتكبُّرُ يمنعُ من معرفة الصواب ، والبخلُ يمنع من الورع) .

وكان يقول : (ليس من صفةِ الفقراء مؤالفةُ الأغنياء ولا أهل الغفلة) .

وكان يقول : (من ذمَّ الدُّنيا في العلانية ، واعتنقَها في السرِّ فقد كمل مقتُهُ) .

وكان يقول : (الهالكُ : هو من ضلَّ أواخر عمره حين قارب المنزل) .

وكان يقول : (يجبُ على المريد صحبةُ من يكشف له عن عيوبه ، ويدلُّهُ علىٰ مواضع الزيادة ، ويهيج حاله) .

وكان يقول : (أعظمُ ما يؤتىٰ على المريد النقصُ من قلة الوفاء بالعهد) .

قال أبو الحسن البحراني صاحبُ إبراهيم الخواص : (كنت من أشدِّ المُنكرين على الطائفة ، وكنتُ أبغضُ كلَّ من يجتمع عليهم ، وكنت مشغولاً بكتابة الحديث ، حتىٰ كتبتُ قدر وِقْرَيْ بعيرين ، فألقتني المقاديرُ إلىٰ بغداد ، فجلستُ في حَلْقَةِ إبراهيم الخوَّاص ، وصغيتُ إلىٰ كلامه ، فرأيتُهُ علماً صحيحاً لا بدَّ للخلقِ من استعماله ، فلزمتُهُ من ذلك المجلس ، ومكثتُ أياماً كثيرةً لم يلتفتْ إليَّ ، فلما عرفَ صدقي قرَّبني وأدناني ، ولم أفارقْهُ حتىٰ مات ، وفرَّقتُ جميعَ كتبي استغناءً بكلامه الذي كنتُ أسمعه منه) .

وكان رضي الله عنه إذا دُعي إلىٰ وليمةٍ فرأىٰ فيها خبزاً يابساً لم يأكل منه ويقول : (هـٰذا خبزٌ مُنع حقُّ الفقراء منه حتىٰ بات ولم يُؤكلْ من يومه) .

وكان يقول : (التسليمُ لله : هو أن تعلمَ أنه تعالىٰ أشفقُ عليك من نفسك) .

وكان يقول : (أشدُّ ما يُعذِّبُ اللهُ به عباده مفارقةُ حضرته) .

وكان يقول : (**آفةُ المؤمن ثلاثٌ** : حبُّ الدِّرْهَم ، وحبُّ النساء ، وحبُّ الرئاسة ؛ فيُدفعُ حبُّ الدرهم بالورع ، وحبُّ النساء بترك الشهوات وترك الشِّبعِ ، ويُدفعُ حبُّ الرئاسة بملازمةِ الخمول وعدم إظهار الكمالات) .

وكان يقول : (إذا تحرَّكَ العبدُ لإزالة منكرٍ ، فحالتْ دونه الموانعُ ، فإنما ذلك لفسادِ العقدِ بينه وبين الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (من شربَ من كأس حبِّ الرئاسة فقد خرجَ من إخلاص العبودية) .

وكان يقول : عطشتُ في طريق الحجاز لمَّا تهتُ ، فإذا أنا بفارسٍ حسنِ الوجه ، فسقاني الماءَ ، وأردفني خلفه ، ثم قال : انظرْ نخيلَ المدينة ، وانزل وأقرئ صاحبَها مني السلام ، وقل : أخوك الخَضِرُ يُقرئُك السلام .

ومنهم :

(١٨٤) أبو محمد عبد الله بنُ محمد الخرَّاز رضي الله تعالىٰ عنه[١]

كان من كبار مشايخ الرَّاز[٢] ، جاور بالحرم المكي سنين كثيرة ، وكان من الورعين .

صحب أبا عمران الكبير ، ولقي أبا حفص النيسابوري ، وأصحابَ أبي يزيد .

وكان جميعُ الأولياء في عصره يُعظِّمونه .

وكان يقول : (الجوعُ طعام الزاهدين ، والذِّكرُ طعام العارفين) .

وكان يقول : (من لم يتَّهمْ نفسَهُ في سائر كمالاتها لم يُكتب في ديوان الرجال) .

وكان يقول : (من ادَّعىٰ أنه برٌّ ، فلا يؤذي الذرَّ) .

وكان يقول : (من نقضَ عهدَهُ مع شيخه فليجدِّدِ الصحبةَ ، وإلا فلا تزيدُهُ الصحبةُ إلا إدباراً ، وقلَّ مريدٌ نقضَ عهده فعادَ إلىٰ حالته الأولىٰ) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٠) (١٨٨) .

(٢) أي : الرازيين ، نسبة إلى الري. انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٨٨) .

وحُكي عن أبي حفص النيسابوري : أنه رأى الخرَّازَ وهو فتىً ، فقال : إن عاشَ هـٰذا الفتىٰ ، وبقي علىٰ طريقته صارَ أحدَ الرجال .

مات قبل العشر والثلاث مئة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٥) أبو الحسن بُنان بنُ محمد الحمَّال رضي الله عنه[1]

كان أصلُه من واسط ، وسكن مصر واستوطنها ، ومات بها ، ودفن بالقرافة بالقرب من الجبل المقطَّم ، تجاه جامع محمود سنة ستَّ عشرة وثلاث مئة .

وكان من أكابر المشايخ القائلين بالحقِّ .

صحب الجُنيد وغيرَه من مشايخ الوقتِ ، وكان أستاذَ أبي الحسين النُّوري .

ومن كلامه رضي الله عنه : (من أجلِّ أحوال الصوفية : الثقةُ بالمضمونِ ، والقيامُ بالأمر ، والمراعاةُ للسرِّ ، والتخلِّي عن الكونين ، والتعلُّقُ بالحقِّ وحده) .

وكان يقول : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : يا بُنان ، من أكلَ بشَرَهِ نفسٍ أعمى الله عينَ قلبه ، فانتبهتُ ، وعقدتُ مع الله تعالىٰ أني لا أشبعُ بعدها أبداً ، قال : وكنتُ أكلتُ تلك الليلة رغيفين وقصعةَ عدس .

وكان يقول : (من رضي من الدنيا بالقليلِ مع ذلِّ النفس ، فقد أصابَ الطريقَ) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٨٦) محمد بن أبي الورد رضي الله عنه[2]

كان من كبار مشايخ العراقيين ، ومن أقاربِ الجُنيد ، ومن جلسائه .

صحب السَّريَّ السَّقطي ، والحارثَ المُحاسبي ، وبشر الحافي ، وأبا الفتح الحمَّال .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٠) (١٨٩) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧١) (١٩٠) .

وطريقُهُ في الورع طريقُ بشر .

وكان يقول : (الغفلةُ عن طاعة الله نقمةٌ) .

وكان يقول : (**من علامة الولي** : أن يُوالي أولياءَ الله ، ويُعادي أعداءه) .

وكان يقول : (من كانت نفسُهُ لا تحبُّ الدنيا فأهلُ الدنيا يحبُّونه ، ومن كان قلبُهُ لا يحبُّ الدنيا فأهلُ السماء يحبُّونه) .

وكان يقول : (**من شرطِ الفقير** : عدمُ اللَّوم علىٰ مُحبِّي الدنيا تعييراً لهم واحتقاراً ، إنما الواجبُ الدُّعاءُ لهم بالرحمة ، وكشفِ الحجاب) .

وكان يقول : (إنما منعَ الناسَ من الوصول لتضييعهم الأصول) .

ومنهم :

(١٨٧) أخوه أحمدُ بنُ أبي الورد رضي الله عنه[١]

صحب السريَّ السقطيَّ وغيره ، وكان من كبار مشايخ الوقت .

وكان يقول : (إنما بُسطَ بساطُ المجد للأولياء ليأنسوا به ، ويُرفع به عنهم حشمةُ بديهة المشاهدة ، وإنما بُسط بساطُ الهيبة للأعداء ليستوحشوا من قبائح أفعالهم لعلهم يرجعون عنها) .

وكان يقول : (**من علامة الوليِّ** : أنه كلما زاد خلُقُهُ زاد تواضعه ، وكُلَّما زاد مالُهُ زاد سخاؤه ، وكلَّما زاد عمرُهُ زاد اجتهادُه) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٨٨) أبو حمزة محمد بنُ إبراهيم البغدادي رضي الله عنه[٢]

صحب سريّاً السَّقطي ، وحسناً المُسُوحي .

وكان فقيهاً عالماً بالقراءات ، وكان ينتمي إلى المُسُوحي أكثر من السَّريِّ .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧١) (١٩١) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٣) (١٩٢) .

وكان يتكلَّم ببغداد في مسجد الرُّصافة قبل كلامه في مسجد المدينة .

وكان سببُ موته : أنه تكلَّم في المحبة ، فتغيَّرَ عليه الحالُ ، وسقط من الكرسيِّ ، فمات بعد جمعةٍ ، وكان موتُه قبل الجنيد ، وكان من رفقاء أبي تراب النخشبي في أسفاره .

وكان الإمام أحمد بنُ حنبل إذا وقعَ في مجلسه شيءٌ من كلام القوم يقول لأبي حمزة : ما تقولُ في هـٰذا يا صوفي ؟

ودخل البصرة مراراً ، وصحب بشر الحافي .

ومات سنة تسع وثمانين ومئتين[1] .

وكان يقول : (من المحال أن تدَّعي محبَّةَ الله وأنت لا تذكرُهُ ، ومن المحال أن تذكرَهُ ثم لا يُوجدك طعمَ ذكره ، ومن المحال أن يُوجدك طعمَ ذكره ثم يُشغلك بغيره) .

وكان يقول : وقفتُ علىٰ راهبٍ في طريق الروم ، فقلت له : هل عندك شيءٌ من خبر من مضىٰ ؟ فقال : نعم ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورىٰ : ٧] .

وكان يقول : (لا يصبرُ علىٰ حبِّ ضيق العيش إلا صدِّيق) .

وكان يقول : (إذا فتحَ اللهُ عليك بشيءٍ من المقامات فإيَّاك أن تنظرَ إليه علىٰ وجه الافتخار ، بل اشتغل بذكرِ المُنعم بذلك[2] ؛ فإنَّ الحقَّ تعالىٰ غيورٌ لا يحبُّ أن يرىٰ عبدَهُ محبّاً لغيره إلا بإذنه ، وكذلك إذا ابتلاكَ بمرضٍ فإياك أن تشتغلَ بالمرض عن المُمْرِض ، بل ارجعْ في البلاء إلىٰ من أنزله ، فهو أولىٰ) .

وكان يقول : (قد يُقطعُ بقوم في الجنة ، كما وقع لآدم عليه السلام ، وهم الذين يُقال لهم : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤] فإنه شغلهم عنه بالأكل والشرب ، ولو كانوا يقدرون على الجمعِ بين شهودِهِ تعالىٰ حالَ الأكل ما نُهينا عن الأكل حالَ الصلاة في دار الدنيا) .

---

(١) طبقات الصوفية (ص ٢٩٦) ، الرسالة القشيرية (ص ١٨٦) .

(٢) في « طبقات الصوفية » (ص ٢٩٨) : (ولـٰكن اشتغل بشكر من وفَّقك لذلك) .

وسئل مرةً : هل يتفرَّغُ المحبُّ لشيءٍ سوىٰ محبوبه ؟ فقال : لا ؛ لأنه في بلاءٍ دائم ، وأوجاعٍ مُتَّصلةٍ ، وغُصصٍ يتجرَّعُها لا يعرفها إلا من باشرها .

ورُوي أنه تكلَّم يوماً على الناس ، فأحسن ، فهتف به هاتفٌ : تكلَّمتَ فأحسنتَ ، بقي عليك أن تسكتَ فتُحسن ، فما تكلَّمَ على الناس بعد ذلك حتىٰ مات ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٨٩) أبو بكر محمد بنُ موسى الواسطي رضي الله عنه[(١)]

أصلُه من فرغانة .

وكان من قدماءِ أصحاب الجُنيد والنُّوري ، ومن مشايخ القوم الكبار .

لم يتكلَّم أحدٌ مثله في أصول التصوف ، وكان عالماً بأصول الدين .

دخل خُراسان ، واستوطن كورة مرو ، ومات بها بعد العشرين والثلاث مئة .

وكلامُه عند أهل مرو ليس بالعراق منه شيءٌ ؛ لأنه خرجَ منها وهو شابٌّ ومشايخُهُ أحياء .

وكان يقول : (قد ابتُلينا بزمانٍ ليس فيه آدابُ الإسلام ، ولا أخلاقُ الجاهلية ، ولا أحلامُ ذوي المروءة) .

وكان يقول : (إن خفتَ منَ الله نسبتَهُ إلى البخل ، وإن رجوتَهُ اتَّهمته ، ولا بدَّ لك منهما ، فلذلك كان النقصُ من لازمِكَ) .

وكان يقول : (ربما كان الذاكرُ في ذكره أشدَّ غفلةً من الناسي لذكره) .

وكان يقول : (**التقوىٰ** : أن يتقي العبدُ رؤيةَ تقواه) .

وكان يقول : (إذا تجلَّى الحقُّ على السرائر ذهب الخوفُ والرجاء) .

وكان يقول : (احذروا من لذَّةِ العطاء ؛ فإنها غطاءٌ ، ولولا شهودُ الحقِّ ما هنئ لعارف عيش) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٤) (١٩٣) .

وكان يقول : (قد ذهبتِ الطريقُ وأهلُها ، ولم يبق إلا حسرات) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٩٠) أبو عبد الله السِّجْزي رضي الله عنه[١]

صحب أبا حفص الحداد .

وكان من أكابر مشايخ خراسان ، قطع الباديةَ مراراً على التوكُّل .

ومن كلامه : (من لم يقدِّسْ علمَهُ عن الشوائب لم يُقدِّس عملَهُ ، ومن لم يقدِّس عمَلَهُ لم يقدِّس بدنَهُ ، ومن لم يقدِّس بدنه لم يُقدِّس قلبَهُ ، ومن لم يقدِّسْ قلبه لم يقدِّسْ نيَّتَهُ ، فرجعتِ الأمورُ كلُّها إلى النية ، فلذلك ورد : « إنما الأعمال بالنيات »[٢] .

وكان يقول : (من علامة الولي ثلاث : تواضعٌ عن رفعةٍ ، وزهدٌ عن قدرة ، وإنصافٌ عن قوة) .

وكان يقول : (من عصىٰ بقلبه وجوارحه لا يكفيه إلا التوبةُ بقلبه وجوارحه ، ولا يكفيه لسانُهُ فقط) .

وكان يقول : (لا تُعيِّرْ أحداً إلا إن تيقَّنتَ أن جميعَ ذنوبك مغفورةٌ ، وهـٰذا أمرٌ لا يصحُّ لك علمُهُ في هـٰذه الدار) .

وكان يقول : (أنفعُ شيءٍ للمُريد : صحبةُ الصالحين ، وزيارةُ قبور الأولياء ، وخدمةُ الأصحاب والرفقاء) .

وكان يقول : (لا ينبغي لبس المرقعة إلا لمن لا يشغلُهم شيءٌ عن الله ، أولـٰئك هم الفتيان) ، والله أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٦) (١٩٤) .

(٢) رواه البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (٢/ ٢٠) .

ومنهم :

(١٩١) محفوظ بنُ محمود النيسابوري رضي الله عنه(١)

هو من أصحاب أبي حفص النيسابوري ، وكان من قدماء مشايخ نيسابور وجِلَّتهم .

وصحب أبا عثمان الحيري إلىٰ أن مات ، وكذلك صحب حمدون القصار ، وسَلْم الباروسي(٢) ، وعليَّ النَّصراباذي ، وغيرهم .

وكان من أورع المشايخ ، وألزمِهم لطريقة المتقدِّمين .

مات سنة ثلاثٍ أو أربع وثلاث مئة بنيسابور ، ودفن بجوار قبر أبي حفص .

وكان يقول : (التائبُ عندنا قد قطعَ بحار الذنوب المحضة ؛ وإنما يتوبُ من نقص طاعاته) .

وكان يقول : (من ظنَّ بمسلمٍ فتنةً فهو مفتون) .

وكان يقول : (من أراد أن يُبصرَ عيوبَ نفسه فليتَّهمْها في فعل الطاعات ، ويرىٰ أنها كلَّها محشوةٌ من الآفات) .

ومنهم :

(١٩٢) طاهر المقدسي رضي الله عنه(٣)

هو من جلَّة مشايخ الشام وقدمائهم ، رأىٰ ذا النُّون المصري ، وصحب يحيى الجلاَّ .

وكان عالماً عاملاً ، وسمَّاه الشبليُّ حَبْر الشام .

ومن كلامه : (لا يطيبُ العيشُ إلا لمن وطئ علىٰ بساط الأنس ، وعلا علىٰ سرير القدس ، وغيَّبه الأُنسُ بالقدس ، والقدسُ بالأنس ، ثم غاب عن مشاهدتهما بمشاهدة القدُّوس) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٧) (١٩٥) .

(٢) في (أ ، ز) : (حامد) بدل (سلم) ، وفي باقي النسخ : (سالم) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٨) (١٩٦) .

وكان يقول : (المفاوزُ إليه منقطعةٌ ، والطرقُ إليه مُنطمسة ، والعاقل من وقفَ حيث وقف العوام والسلام) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٩٣) أبو عمرو الدمشقيُّ رضي الله عنه[١]

هو أحدُ مشايخ الشام ، كان علماءُ الشام يذعنون له في سائر العلوم ، لا سيما في علوم الحقائق .

صحب أبا عبد الله محمد بن الجلاَّ ، وأصحاب ذي النُّون المصري .

وله كتابٌ في الردِّ علىٰ من قال بقِدَمِ الأرواح .

مات سنة عشرين وثلاث مئة .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إن الله قد افترضَ على الأولياء كتمانَ الكرامات لئلا يُفتتنَ بهم الخلقُ ، وأوجب على الأنبياء إظهارَها بياناً وبرهاناً للحقِّ) .

وكان يقول : (**التصوف** : غضُّ الطرف عن كلِّ شيءٍ ناقص ، ومشاهدةُ من هو منزَّهٌ عن كلِّ نقص) .

وكان يقول : (استحسانُ الكون على العموم دليلٌ علىٰ صحة المحبة ، واستحسانُهُ على الخصوص يؤدي إلى الفتنة والظلمة) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(١٩٤) أبو بكر محمد بنُ حامد الترمذي رضي الله عنه[٢]

هو من أعلمِ مشايخ خُراسان ، وأطهرِهم خلقاً ، وأحسنهم سياسة .

لقي قدماء المشايخ ؛ مثل أحمد بن خضرويه ومَنْ دونه .

وله أصحابٌ ينتمون إليه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٨) (١٩٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٧٩) (١٩٨) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا مكثتِ الأنوارُ في السرِّ نطقتِ الجوارحُ بالبر) .

وكان يقول : (لا يقعُ إنكارُ الكرامات إلا من القلوبِ المحجوبة عن ربِّها ؛ فإن الكراماتِ إنما هي صنعُ الحقِّ جلَّ وعلا) .

وكان يقول : (الوليُّ دائماً في سَتْرِ حاله ، والأكوانُ ناطقةٌ بولايته ، والمدَّعي للولاية ناطقٌ بولاية نفسه ، والكونُ كلُّه يكذِّبُهُ) .

وكان يقول : (الاستهانةُ بأولياء الله من قلَّة المعرفة بالله ، وما وصل عبدٌ إلىٰ مقامٍ إلا وهو محترمٌ أهل ذلك المقام ؛ إذِ الإخلالُ بواجبِ حقوقهم يطردُهُ عن حضرتهم) .

وكان يقول : (لا يُسمَّىٰ عالماً إلا من لم يتعدَّ حدودَ الله مرةً في عمره) .

وكان يقول : (ما استصغرتُ أحداً من المسلمين في عيني إلا وجدتُ نقصاً في إيماني ومعرفتي) .

وكان يقول : (ما مُنِعَ القومُ من الوصول إلا لركضهم في الطريق بغير دليل ، وأكلهم الشهوات ، وارتكابِ الرُّخص) .

وكان يقول : (رأسُ مالك قلبُك ووقتك ، وقد شغلتَ قلبَك بهواجس الظنون ، وضيَّعتَ أوقاتك باشتغالك بما لا يعنيك ، ومتىٰ يربحُ من يخسرُ رأسَ ماله ؟!) .

ومنهم :

(١٩٥) أبو الحسين محمد بنُ سعد الورَّاق رضي الله تعالىٰ عنه[١]

هو من كبار المشايخ ، وقدماء أصحاب أبي عثمان رضي الله عنه ، وله كلام علىٰ سَنَن كلامه .

وكان عالماً بعلوم النقل ، ودقائق المعاملات ، وعيوبِ الأفعال .

مات قبل العشرين والثلاث مئة .

---

(١) في النسخ : (أبو الحسن محمد بن سعيد) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وتقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٨٠) (١٩٩) .

وكان يقول : (من تمامِ العفو : ألا تذكرَ جنايةَ صاحبك بعد أن عفوتَ عنه) .

وكان يقول : (اللئيمُ لا ينفكُّ عن ضيق الصدر أبداً) .

وكان يقول : (أهنأُ العيش المعيشةُ مع شهود الحقِّ) .

وكان يقول : (كانت أحكامُنا في مبادئ أمرنا ونحن بمسجد أبي عثمان الحيري الإيثارَ بما يفتحُ اللهُ علينا ، وألا نبيتَ علىٰ معلومٍ ، وكلُّ من استقبلنا بمكروهٍ لا ننتقمُ لأنفسنا منه ، بل نعتذرُ إليه ، ونتواضعُ له ، وإذا وقعَ في قلبنا حقارةٌ لأحدٍ من المسلمين قمنا بواجبِ خدمته والإحسان إليه حتىٰ يزولَ ذلك) .

ووجد مرةً في نفسه ثقلاً من شخصٍ ، فأقسم باللهِ أن ذلك الشخصَ يدوسُ بنعله علىٰ خدَّيه ، ولا يرفعهما حتىٰ يزولَ ذلك الثقلُ .

وكان يقول : (أنفعُ العلومِ : العلمُ بأحكام الشريعة ، وأعلا العلوم العلمُ بالله وأسمائه ، وصفاته ، وآداب حضرته) .

وكان يقول : (خوفُ القطيعة أذبلَ قلوبَ المحبِّين ، وأحرقَ أكبادَ العارفين) .

وكان يقول : (الأنسُ بالخلق وحشةٌ ، والطمأنينةُ إليهم والسكون إليهم عجزٌ ، والاعتماد عليهم ضعفٌ ، والثقةُ بهم ضياعٌ) ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٩٦) ممشاذ الدينوري رضي الله عنه[١]

كان من كبار مشايخ القوم ، صحب ابن الجلاَّ ومَنْ فوقه من المشايخ .

وكان عظيم المرمىٰ في علومِ القوم ، كبيرَ الحال ، ظاهرَ الفتوَّة .

مات سنة سبع وتسعين ومئتين ، ودُفن بقَرَافة مصر تحت الجبل المقطَّم .

كانت النُّسورُ تُظلُّه في الهجير إذا وقف يُصلِّي في البرية .

(١) كذا في (ز) ، وفي سائر النسخ : (أبو الحسن الصائغ) بدل (ممشاذ) ، وفي (ك) : (أبو الحسن علي بن سهل الصائغ) ، والمثبت موافق لما في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٨٣) (٢٠٢) ، ولـ « مناقب الأبرار » (٢/ ٦١٤) (٦٠) ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها .

وكان يقول : (طريقُ الحقِّ بعيد ، والصبرُ علىٰ مقدور الله شديدٌ ، والصبرُ مع الله يُذيب الجليد) .

وكان يقول : (لو أنك جمعتَ علمَ الأولين والآخرين ، وحصل لك أحوالُ الأولياء والمقرَّبين لا تصلُ إلىٰ درجاتِ العارفين حتىٰ يسكنَ سرُّك إلى الله ، وتثقَ بضمانه فيما وعدك وقَسَمَ لك) .

وكان يقول : (من كان الحقُّ همَّتَهُ ، لم تستطعْهُ الأقدار ، ولم تملكْهُ الأخطار) .

وكان يقول : (ما دخلتُ قطُّ علىٰ فقيرٍ إلا وأنا فارغٌ من جميع العلوم والمعارف والآداب ، أنتظرُ بركات ما يردُ عليَّ من رؤيته وكلامِه ؛ لأن من دخل على الشيوخِ بحظٍّ نفسٍ انقطعَ عنه الإمدادُ ، وربما مُقت) .

وكان يقول : (أحسنُ الناس حالاً : من أسقطَ عن نفسه رؤيةَ مراعاة الخلق ، وراعىٰ سرَّهُ مع الله تعالىٰ ، واعتمدَ عليه في جميعِ أموره) .

وكان يقول : (أرواحُ الأنبياء لا تزالُ في حضرة المكاشفة والمشاهدة ، وأرواحُ الأولياء لم تزلْ في القُرب والاطِّلاع) .

وكان يقول : (تناولتُ مرَّةً شهوةً ، ففقدتُ قلبي عشرين سنة ، ثم جمعتُهُ على الحقِّ عشرين سنة ، ثم تركتُ قولي للشيءِ « كنْ » فيكون عشرين سنة أدباً مع الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (كان عندي مريدٌ أخذ في تقليل الأكل حتىٰ وقفَ علىٰ نواةٍ ، ثم تركَ النواةَ ، واكتفىٰ بالماء إلىٰ أن مات) .

وقيل له مرةً : إذا جاعَ الفقيرُ أَيش يعمل ؟ قال : يصلي ، قيل : فإن لم يقدر ؟ قال : ينامُ ، قيل : فإن لم يقدر ؟ قال : إن الله تعالىٰ لا يُخلِّي فقيراً عند هٰذه الثلاث من ثلاث : إما يقوِّيه ، وإما يغذِّيه ، وإما يأخذه إليه ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٩٧) أبو الحسن خير النسَّاج رضي الله عنه[١]

أصلُه من سُرَّ من رأىٰ ، إلا أنه أقام ببغداد .

وصحب أبا حمزة البغدادي ، ولقي السريَّ السقطي ، وهو من أقران أبي الحسين النُّوري .

وعُمِّرَ مئةً وعشرين سنة علىٰ ما قيل .

وتاب في مجلسه الخوَّاصُ ، والشِّبليُّ ، وكان أستاذَ الجماعة .

وكان يقول : (الصبرُ من أخلاق الرجال ، والرضا من أخلاق الكرام) .

وكان يقول : (العملُ الذي يصلُ العبدُ به إلى الدرجات العُلىٰ هو رؤيةُ التقصير والعجز والضعف) .

وكان يقول : (قصَّ موسىٰ عليه السلام يوماً في بني إسرائيل ، فزعقَ واحدٌ من القوم ، فانتهره موسىٰ ، فأوحى اللهُ إليه : يا موسىٰ ، بطيبي باحوا ، وبوجدي صاحوا ، فلِمَ تُنكر علىٰ عبادي ؟!) .

ولما حضرتْ خيرَ النساج الوفاةُ رأىٰ مَلَكَ الموت ، وقال له : قف عافاك الله ، حتىٰ أُؤدِّي فريضةَ العصر ؛ فإنَّكَ عبدٌ مأمور ، وأنا عبدٌ مأمور ، وما أُمرتَ به أنت لا يفوتك ، وما أُمرتُ أنا به يفوتني ، ثم تشهَّدَ ومات ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(١٩٨) أبو حمزة الخراساني رضي الله عنه[٢]

يقال : إن أصله من نيسابور ، من محلَّة مَلْقَاباذ .

صحب مشايخ بغداد ، وهو من أقرانِ الجُنيد ، وسافر مع أبي تراب النَّخشبي وأبي سعيد الخراز ، وكان من أورع المشايخ .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٨٥) (٢٠٣) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٨٥) (٢٠٤) .

مات سنة تسع وثلاث مئة .

وكان الإمامُ أحمد يُكرمه ويُجلُّه .

وكان يقول : (بقيتُ في بداية أمري مُحرماً في عباءةٍ أسافرُ ألفَ فرسخٍ كلَّ سنةٍ ، كلَّما تحلَّلْتُ أحرمتُ جديداً سنين عديدة) .

قلت : ولعل المراد بالتحلُّل إتيانُ شهوةٍ من الشهوات ، والمراد بالإحرام التوبةُ منها ، والله أعلم .

ومنهم :

(١٩٩) أبو إسحاق إبراهيم بن داود القصار الرقي رضي الله عنه[١]

من كبار مشايخ الشام ، من أقران الجنيد وابن الجلاَّ ، إلا أنه عَمَّر طويلاً ، وصحب أكثر المشايخ من الشام .

وكان ملازماً للفقر ، مجرداً فيه ، محبّاً لأهله .

مات سنة ست وعشرين وثلاث مئة .

وكان يقول : (حسبك من الدنيا شيئان : صحبة فقير ، وحرمة وليٍّ) .

وكان يقول : (الأبصار قوية ، والبصائر ضعيفة) .

ومنهم :

(٢٠٠) أبو الحسن بن سهل الصائغ الدينوري[٢]

من كبار المشايخ ، **أقام بمصر ، ومات بها في سنة ثلاثين وثلاث مئة .**

وكان كبيرَ الهيبة ، يهابه كل من رآه ، وكان من المخلصين في المعاملة مع الله .

كان رضي الله عنه يقول : (ينبغي للمريد أن يتركَ الدنيا مرتين : الأول : يتركها

---

(١) انفردت بهـٰذه الترجمة النسخة (ز) ، وذلك موافق لما في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٨٣) (٢٠١) .

(٢) انفردت بهـٰذه الترجمة النسخة (ز) ، وذلك موافق لما في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٥٩، ٣٨٢) ، و(٣/ ٢٤٥، ٢٦٦) .

بمناصبها ونعيمها ، وألوان مطاعمها ومشاربها ، وجميع ما فيها ، ثم إذا عرف بترك الدنيا وعُظِّم وبُجِّل ، وأكرم بسبب تركها . . ينبغي له إذ ذاك أن يستر حاله بالإقبال على أهلها ؛ لئلا يكون تركه للدنيا هو أعظم من الإقبال عليها ، وطلبها فتنة أعظم منها) .

وكان يقول إذا سئل عن الاستدلال بالشاهد عن الغائب يقول : (كيف يُستدلُّ بصفات من [يُشاهَد][1] ويُعايَنُ وذي مثلٍ على صفات من لا يُشاهَدُ ولا يُعايَنُ، ولا مثلَ له ولا نظير) .

وكان يقول : (من تعرض لمحبة الله جاءته المحن والبلايا والآفات من سائر الأقطار) .

وكان يقول : (يجب على الإخوان كلما اجتمعوا أن يتواصوا بالحق ، ويتواصوا بالصبر ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣]) .

وكان يقول : (محبتك لنفسك هي التي أهلكتك) ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٠١) أبو عبد الله الحسين بنُ عبد الله بن بكر الصُّبَيْحي رضي الله عنه[2]

كان من أكابر مشايخ أهل البصرة .

وكان مُعتزلَ الناس ، مكثَ في سَرَبٍ في داره لم يخرج ثلاثين سنة[3] .

وكان اجتهادُهُ فوق الحدِّ ، لا يفترُ عن العبادةِ ، حتىٰ أخرجَهُ أهلُ البصرة منها إلى السُّوس[4] ، فمكثَ بها حتىٰ ماتَ ، وقبرُهُ بها ظاهر .

---

(١) في (الأصل) : (لا يشاهد) ، والتصحيح من « الكبرىٰ » ، « ومناقب الأبرار » (٢/٦٠٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٣٨٦) (٢٠٥) .

(٣) السَّرَب : البيت ، أو الحُفير تحت الأرض .

(٤) السُّوس : مدينة الأهواز في القديم . انظر « الروض المعطار » : (ص ٣٢٩) .

وكان عالماً بالكتاب والسُّنة ، وصاحبَ ورعٍ ولسانٍ في الطريق .

وكان يقول : (السماعُ بالتصريح جفاء ، والسماعُ بالإشارة تكليف ، وألطفُ السماع ما جلا بلا تكلُّف)[١] .

وكان يقول : (علامةُ من يحبُّ الدنيا : أن تقطعَهُ عن الآخرة ؛ فإن الحكمَ للأغلب) .

وكانوا إذا اجتمعوا يكونُ هو المشارَ إليه دونهم .

وكان يقول : (ابتُلِيَ الخلائقُ بالدعاوى العريضة في المغيب ، فإذا أظلَّتْهُم هيبةُ المشهد خرسوا وانقمعوا ، وصاروا لا شيءَ ، ولو صدقوا في دعاويهم لثبتوا عند المشاهدةِ ، كما برزَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للشفاعة دون غيره ، ويقول : « أنَا لهَا أنَا لهَا »[٢] ولم ترعْهُ هيبةُ الموقف ؛ لما كان عليه من قدم الصدق) .

وكان يقول : (ليس الغريبُ الذي بَعُدَ عن وطنه ، وإنما الغريبُ الذي قلَّ جنسُهُ ، وقلَّتْ أشكالُه) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٠٢) أبو جعفر أحمد بنُ حمدان بن علي بن سِنان رضي الله عنه[٣]

كان من كبار المشايخ بنيسابور .

صحب أبا عثمان الحيري ، ولقي أبا حفص الحداد .

وكان من أورعِ الناس ، وأخوفِهم من الله عز وجل ، جاور في مكَّة آخرَ عمره عشرين سنة متوالية .

---

(١) في « طبقات الصوفية » (ص٣٢٩) : (وألطف السماع ما يُشكل إلا علىٰ مستمعه) .

(٢) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣/٣٢٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهـٰذه الكلمة يقولها صلى الله عليه وسلم عندما تتوجه إليه الخلائق كافة يوم الحشر طالبة منه الشفاعة ؛ وذلك بعد أن سألوا سيدنا آدم ، وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ عليهم الصلاة والسلام وكلهم يقول : لست لها ، وتقدم تخريجه (١/ ٣٨٩) .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٨٧) (٢٠٦) .

وكان أوحدَ مشايخ الحرم في وقته .

مات رضي الله عنه سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة .

وكان يقول : (تكبُّرُ المطيعين على العصاة بطاعتهم شرٌّ من معاصيهم ، وأضرُّ عليهم منها ، كما أن التهاون بالتوبةِ عن الذنب شرٌّ من الذنب) .

وكان يقول : (كيف يُبغض أحدُكم أخاه بذنبٍ واحدٍ ارتكبه ولا يبغض نفسه بذنوبٍ كثيرةٍ ارتكبها وتيقنها ؟!) .

وكان يقول : (من سكنتْ عظمةُ الله قلبَهُ عظَّم كلَّ من انتسب إلى الله بالعبودية) .

وكان يقول : (من علامة صدقِ من انقطع إلى الله تعالىٰ ألا يشغلَه عن الله شيءٌ في الكونين) والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٠٣) أبو بكر دُلَفُ بنُ جَحْدر الشبلي رضي الله عنه[١]

خراسانيُّ الأصل ، بغداديُّ المولد والمنشأ ، تابَ في مجلس خيرِ النسَّاج .

وصحب أبا القاسم الجُنيد ومن في عصره من المشايخ ، وصار أوحدَ أهل الوقت علماً وحالاً وظرفاً .

تفقَّه علىٰ مذهب الإمام مالك ، وكتبَ الحديث الكثير .

عاش سبعاً وثمانين سنة ، **ومات سنة أربعٍ وثلاثين وثلاث مئة** ، ودفن ببغداد بمقبرة الخيزران ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

وكانت مُجاهداتُهُ في بدايته فوقَ الحدِّ .

وكان يقول : (اكتحلتُ بالملح كذا كذا ليلةً لأعتادَ السهر ، فلا يأخذني النومُ ، فلما قوي عليَّ الحالُ حمَّيتُ المِيلَ ، واكتحلتُ به) .

وكان والياً بالبصرة ، فلما تابَ كان يقول : (أَرْضيْتُ بحمدِ الله سائرَ أخصامي ،

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٨٨) (٢٠٧) .

إلا درهم واحد لبقَّال لم أجدْه ، فتصدَّقتُ عنه بألوفٍ ، وما على قلبي أثقلُ منه) .

وكان يقولُ في علمِ القوم : (ما ظنُّك بعلمٍ كان علمُ العلماء فيه تهمةً ؟!) .

وقيل له مرةً : إن أبا تُراب النَّخْشبي جاعَ في البادية ، فرأى الباديةَ كلَّها طعاماً ، فقال : هـٰذا عبدٌ رُفِقَ به ، ولو بلغ إلىٰ محلِّ التحقيق لظلَّ يُطعمُهُ ربُّهُ ويسقيه ، كما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل له : متىٰ يكملُ حالُ المريد ؟ فقال : إذا استوتْ حالاتُهُ في السفر والحضر ، والمشهد والمغيب .

وسئل مرةً عن الدنيا : ما هي ؟ فقال : (قِدْرٌ يغلي ، وكنيفٌ يُملأُ) .

وكان يقول في مناجاته : (الخلقُ يحبُّونك لنعمائك ، وأنا أحبُّك لبلائك) .

وكان يقول : (رفع اللهُ العبادَ علىٰ قدرِ علوِّ هممهم ، ولو أنه أجرىٰ على الأولياء ذرَّةً مما أجراه على الأنبياء لذابوا وتقطَّعوا) .

ووقع له مرةً أنَّه أخَّرَ العصرَ حتىٰ دنتِ الشمسُ إلى الغروب ، فقام وصلَّىٰ ، وأنشأ مداعباً متبسماً : [من الوافر]

نسيتُ اليومَ منْ عِشقِي صلاتِي ... فلا أدري عشائِي من غدائِي

وكان يقول : كلُّ صدِّيقٍ لا يكون له كرامةٌ فهو كذَّاب ، فلما أدخلوه البيمارستان دخلَ عليه الوزيرُ ، فقال له : أين قولُك : كلُّ صدِّيقٍ لا يكون له كرامةٌ فهو كذَّاب ؟! فما كرامتك أنت ؟ فقال : كرامتي موافقةُ الله في أوامره ونواهيه .

وكان يقول : (ليس للمريد فترةٌ ، ولا للعارف علاقةٌ ، ولا للمحبِّ سكونٌ ، ولا للصادق دعوىٰ ، ولا للخائف قرارٌ ، ولا للخلقِ من الله فرارٌ) .

وكان يقول : (العارفون نيامٌ ، والجاهلون أموات) .

ومزَّقَ مرةً ثيابَهُ على العيد ، فقالوا له : كيف تمزِّقُ ثيابك والعيدُ قد أقبل ؟! فقال : زينةُ الفقير فقرُهُ وصبرُهُ علىٰ فقره .

وكان يقول : (إنما تصفرُّ الشمسُ عند الغروب ؛ لأنها عُزلتْ عن مكانِ التمام ،

فاصفرَّتْ لخوفِ المقام ، وهـٰكذا المؤمن إذا قاربَ خروجُهُ من الدنيا اصفرَّ لونُهُ ؛ لأنه يخافُ المقام ، وإذا طلعتِ الشمسُ طلعتْ مضيئةً منيرة ، وكذلك المؤمن إذا خرجَ من قبره خرجَ ووجهُهُ مشرقٌ مُضيءٌ) .

وكان يقول : (بلغتُ من مقام الذُّلِّ إلىٰ أن صار ذُلِّي قد عطَّل ذُلَّ اليهود) .

وجاءه رجلٌ فقال : يا سيدي ، كثرتْ عيالي ، وقَلَّتْ حيلي ، فقال له : ادخلْ دارك ، فكلُّ من رأيتَ رزقَهُ عليك دونَ الله فأخرجْه من الدار .

وكان من شأنه : أنه إذا أعجبه صوفٌ نفيس ، أو قلنسوةٌ نفيسة ، أو عِمامة . . لفَّها وأدخلها النار فحرقها .

ووقع له : أنه لبس يومَ عيدٍ ثوبين جديدين ، فرأى الناسَ يُسلِّم بعضُهم علىٰ بعضٍ لأجل الثياب ، فطرح ثوبيه في التنُّور ، فقيل له في ذلك ، فقال : أردتُ أن أحرقَ ما يعبدُ هـٰؤلاء ، ثم لبسَ ثياباً زرقاء سوداء .

قلت : وهـٰذا مما تُنكره ظواهرُ الشريعة ، **والجواب** : أن ذلك من قاعدة إذا تعارضَ مفسدتان ارتكبنا الأخفَّ منهما ، ولا شكَّ أنَّ العاقلَ إذا نظرَ إلىٰ عظمة الله عز وجل استصغرَ إتلافَ الدنيا كلِّها لو كانت بيده إذا شغلتْهُ عن الله عز وجل ، والله تعالىٰ أعلم .

وقيل له مرَّةً : متىٰ تستريح ؟ فقال : إذا لم أرَ للهِ ذاكراً .

يعني به : أني لا أستريحُ إلا إذا دخلتُ حضرةَ الشهود ؛ لأن حضرةَ الشهود لا ذكرَ فيها استغناءً بالشهود عن الذِّكر ؛ لأن الذكرَ إنما هو للغائب .

وقيل له مرةً : لِمَ سُمِّيتِ الصوفيةُ بهـٰذا الاسم ؟ فقال : لبقيَّةٍ بقيتْ عليهم ، ولولا ذلك ما تعلَّقتْ بهم تسميةٌ .

وكان يقول : (من ذاقَ ذرَّةً من التوحيد عجزَ عن حمل بقَّةٍ ؛ لثقلِ ما حُمِّلَ) .

وسُئل مرةً عن المعرفة ، فقال : (بدايتها الله ، وآخرُها ما لا نهاية له) .

وكان يقول : (العارفُ لا يكون لكلامِ غيره لاقطاً ، ولا للغيرِ لاحظاً ، ولا يرىٰ لنفسه غيرَ الله حافظاً) .

وكان يقول : (المحبُّ إذا لم يتكلَّم هلك ، والعارفُ إذا تكلَّم هلك) .

وفي رواية عنه : (إذا تكلَّمَ العارفُ أهلك نفسه ، وإن سكتَ أهلك غيره[1] ، فنجاةُ نفسه أولىٰ ، والسلام) .

وصلىٰ مرَّةً خلفَ إمامٍ فقرأ : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ . . . ﴾ الآية [الإسراء : ٨٦] ، فزعق زعقةً كادت روحُهُ تزهقُ ، فقال : هـٰذا خطابُهُ لأحبابه ، فكيف خطابُهُ لأعدائه كأمثالنا ؟!) .

وكان يقول : (سمعتُ الحقَّ تعالىٰ يقول : من نامَ غَفَلَ ، ومن غفَلَ حُجب ، وهـٰذا كان سببَ اكتحالي بالملح حتىٰ لا أنام) .

وقال مرةً لتلميذه الحصْري في بداية أمره : (يا حُصْريُّ ؛ إنْ خطرَ في بالك من الجمعةِ إلى الجمعة الثانية غيرُ الله فلا تعدْ تحضرني ؛ فإنك لا يجيءُ منك شيءٌ) .

وكان يقول : (في البيت الحرام آثارُ خليله عليه السلام ، وفي القلبِ آثارُ الحقِّ جلَّ وعلا ، وللبيت أركانٌ ، وللقلب أركانٌ ، فأركانُ البيتِ من الصخر ، وأركانُ القلب من معادن أنوار معرفته) .

وكان يقول : قيل لمجنون ليلىٰ : أتحبُّ ليلىٰ ؟ قال : لا ، قيل : ولِمَ ؟ قال : المحبةُ ذريعةٌ إلى الوصلة ، وقد سقطتِ الذريعةُ ؛ فليلىٰ أنا وأنا ليلىٰ .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] قال : (أبصارُ الرُّؤوس عمَّا حرَّم الله ، وأبصارُ القلوب عمَّا سوى الله) .

وكان يقول : (أهلُ البلاء : هم أهلُ الغفلة عن الله) .

وكان إذا دخل عليه فقيرٌ يقول : أعندك خبرٌ من ليلىٰ ، ثم ينشد : [من الطويل]

أسائلُ عنْ ليلىٰ فهلْ منْ مُخبرٍ ... يُخبِّرُنا عِلماً بها أينَ تَنزلُ

ثم يقول : وعزَّتك ؛ ما عنها في الدَّارين مخبرٌ .

---

(١) في (هـ ، ح ، ط ، ك) : (إذا تكلم العارف أهلك نفسه وغيره ، وإن سكت أهلك غيره) .

وكان يقول : ما ظنُّك بمن جميعُ الشموسِ فيه ظُلمةٌ ، ثم ينشد[١] : [من الخفيف]

أيُّهـا المُنكـحُ الثُّـريـا سُهيـلاً عمـرُكَ اللهُ كيـفَ يلتقيـانِ
هـيَ شـاميَّـةٌ إذا مـا استهلَّـتْ وسهيـلٌ إذا استهـلَّ يمـانِـي

وتواجد شخصٌ في مجلسه بغير صدقٍ ، فأمرَ برميه في الدجلة ، وقال : إن كان صادقاً نجَّاه الله كما نجَّىٰ موسىٰ ، وإن كان كاذباً أغرقَهُ الله كما أغرقَ فرعون .

ومناقبه كثيرة مشهورة ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٠٤) أبو محمد عبدُ الله بنُ محمد المُرتعش النيسابوري رضي الله عنه[٢]

صحب أبا حفص ، وأبا عثمان ، والجُنيد ، وأقام ببغداد حتىٰ صارَ أوحدَ مشايخ العراق .

وكانوا يقولون : عجائبُ بغداد في التصوف ثلاثةٌ : الشبليُّ في الإشارات ، والمُرتعش في النُّكت ، وجعفر الخلدي في الحكايات .

وكان مقيماً في جامع الشُّونيزية إلىٰ أن مات ببغداد سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة .

وكان يقول : (سكونُ القلب إلىٰ غير الله عقوبةٌ عجَّلها الله للعبد في الدنيا) .

وكان يقول : (قد ذهبتْ حقائقُ الأمورِ في عصرنا هـٰذا ، وما بقي منها إلا الأسماء ؛ فالحقائقُ مفقودةٌ ، والدَّعاوي الكاذبةُ موجودةٌ ، وفي السرائر مكتوبة) .

وكان يقول : (من كَمُلَ إسلامُه أحبَّهُ الخلق ، ومن كمل إيمانُهُ استغنىٰ عن الخلق) .

ودخل المسجدَ مرَّةً يعتكفُ في رمضان ، فرأى المتعبِّدين يتهجَّدون ، والقرَّاء يقرؤون ، فقطعَ الاعتكافَ وخرج ، فقيل له في ذلك ، فقال : لما رأيتُ تعظيمهم

---

(١) البيتان لعمر بن أبي ربيعة . انظر « ديوانه » (ص ٤٩٥) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٩٤) (٣٠٨) .

لعباداتهم ، واعتمادَهم عليها دون الله . . لم يسعني إلا الخروج ؛ خوفاً من نزولِ البلاء عليهم ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٠٥) أبو علي الرُّوْذْباري رضي الله عنه(١)

واسمه : أحمد بن محمد ، من ذرِّيةِ كسرىٰ ، وهو من أهل بغداد .

سكن مصرَ ، وكان شيخَها ، **وبها مات رضي الله عنه سنة اثنين وعشرين وثلاث مئة** ، ودُفن بالقَرَافة بجوار ذي النُّون المصري .

صحب الجُنيد ، والنُّوري ، وأبا حمزة البغدادي .

وكان حافظاً للحديث ، ظريفاً ، عارفاً بالطريقة .

وكان يفتخرُ بمشايخه ويقول : (شيخي في التصوف الجُنيد ، وفي الفقهِ أبو العباس ابنُ سريج ، وفي الأدب ثعلب ، وفي الحديث إبراهيم الحربي ، رحمهم الله) .

وكان يقول : (الإشارةُ تصحبها العلل ، والعللُ بعيدةٌ من الحقائق) .

وسئل عمن يسمعُ الملاهي ويقول : إنها لا تؤثِّرُ فيَّ ؛ لأني وصلتُ إلىٰ مقامٍ لا يؤثِّرُ فيَّ الاختلافُ ، فقال : قد وصلَ ، ولـٰكن إلىٰ سَقَر .

وكان يقول : (لو تكلَّم أهلُ التوحيد بلسان التجريد لم يبق محبٌّ إلا مات لوقته) .

وكان يقول : (سبحان من لا يَشهدُهُ شيءٌ ، ولا يغيبُ عنه شيء) .

وكان يقول : (لمَّا تشوَّقتِ القلوبُ إلىٰ مشاهدة ذات الحقِّ ألقىٰ إليها الأَسامي ، فسكنتْ وركنت إليها ، والذات مستترة إلى التجلِّي الأُخروي ، وذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] أي : قفوا معها عن إدراك الحقائق) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٩٥) (٢٠٩) .

وكان يقول : (المشاهداتُ للقلوب ، والمكاشفاتُ للأسرار ، والمعايناتُ للبصائر ، والمرئيات للأبصار) .

وكان يقول : (من نظرَ إلىٰ كمالِ نفسه مرةً عمي قلبُهُ عن النظرِ إلىٰ شيءٍ من الأكوان علىٰ وجه الاعتبار) .

وكان يقول : (ما ادَّعىٰ أحدٌ قطُّ دعوةً إلا لخلوِّهِ عن الحقائق ؛ إذ لو تحقَّقَ بشيءٍ لنطقتْ عنه الحقيقةُ ، وأغنته عن الدعاوىٰ) .

وكان يقول : (**التصوفُ** : هو الإناخةُ علىٰ باب الحقِّ ، وإن طردوه) .

وكان يقول : (أدركنا الناسَ وهم يجتمعون لا عن مواعدةٍ ، وإذا شاورهم فقيرٌ في الذهاب يُعرضون عنه بعدمِ الجواب) .

وكان يقول : (من علامةِ مقتِ الله للعبد : أن يضجرَ من طولِ مجالسِ الذكر ؛ لأنه لو أحبَّ الحقَّ تعالىٰ لكان مجالستُهُ له ألفَ سنةٍ كلمحةٍ) .

وكان يقول : (لا ينبغي أن يتصدَّىٰ لتربية الأحداث إلا الكُمَّلُ ، لعظم سياستهم ؛ لأن الأحداث شعبةٌ من الجنون وقد كان أحدهم يربي الحدث حتىٰ تطلع لحيته ، لا يعلم بذلك إلا من الناس) .

قال : وكان عندنا ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث ؛ كل واحد منهم معه حدث ، وكانوا مجتمعين في موضع ، فوجهوا واحداً من الأحداث ليأخذ لهم حاجة ، فأبطأ عليهم ، فغضبوا لتأخره عنهم ، ثم أقبل وهو يضحك وبيده بطيخة يُقلِّبها ، فقالوا له : بكم اشتريتها ؟ فقال : بعشرين درهماً ، فقالوا له : ما السبب في غلوها ؟! فقال رأيت فقيراً وضع يده عليها ، فالتمست لكم البركة بوضع يده عليها ، فرضوا منه ذلك وتقاسموها ، وقالوا : زادك الله تعظيماً لأهل الطريق ، فما مات الحدث حتىٰ صار من أكابر أهل الطريق][1]) .

وكان يُطعم الفقراءَ الحلوىٰ ، حتى اتَّخذَ مرَّةً أَحمالاً من السُّكَّر الأبيض ، ودعا

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٩٧) .

جماعةً ممن يعمل الحلاوة ، فعملوا من ذلك السُّكَّر جداراً ، وعليه شرافاتٌ ومحاريبُ علىٰ أعمدةٍ مَنقوشة ، كلُّها من السكر ، ثم دعا الفقراءَ ، فهدموها وكسروها وانتهبوها ، وهو يتبسم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٠٦) أبو علي محمد بنُ عبد الوهاب الثقفي رضي الله عنه(١)

لقي أبا حفص الحداد ، وحَمدون القصَّار .

وكان إماماً في علوم الشريعة ، مقدَّماً في كلِّ فنٍّ ، ثم ترك ذلك كلَّهُ ، واشتغل بعلمِ الطريق فقط ، فتكلَّمَ فيها أحسنَ كلامٍ ، وبه ظهرَ التصوفُ بنيسابور .

مات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة .

وكان يقول : (من صحبَ المشايخ من غير طريقِ الحُرمةِ حُرم فوائدَهم وبركاتِ نظرهم ، ولم يظهرْ عليه من أنوارِهم شيءٌ) .

وكان يقول : (من غلبتْهُ شهوتُهُ فهو حمار ، ومن غلبه هواه تَوارىٰ عنه عقلُهُ) .

وكان يقول : (قد وسَّعَ اللهُ عز وجل علىٰ عباده بالغفلة عنه ، ولولا هي ما هنَّأَهم العيشُ من عظيم ما كانوا يشاهدون) .

وكان يقول : (لو أنَّ رجلاً جمعَ العلوم كلَّها ، وصحب طوائفَ الناس ، لا يبلغُ مبالغ الرجال إلا بالتأدُّبِ علىٰ يدِ شيخٍ ناصح ، فإنْ لم يلقَ شيخاً ناصحاً ، وادَّعى الطريقَ . فكلُّ دعاويه رعوناتُ نفسٍ ، ولا يجوز لأحدٍ الاقتداء به في تصحيح المعاملات) .

وكان يقول : (يأتي علىٰ هـٰذه الأمة زمانٌ لا تطيبُ فيه المعيشةُ لمؤمنٍ إلا بعد استناده لمنافقٍ يحميه) .

وكان يقول لأصحابه : (قد بعتم كلَّ شيءٍ بلا شيء ، واشتريتم لا شيءَ بكلِّ شيءٍ) ، والله أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٩٨) (٢١٠) .

ومنهم :

(٢٠٧) [عبد الله] بن محمد بن مُنازل النيسابوري رضي الله عنه(١)

كان شيخَ الملامتية ، وأوحدَ وقته بنيسابور ، وله طريقةٌ تفرَّد بها .

صحب حمدونَ القصَّار ، وأخذَ طريقه .

وكان عالماً بالشريعة ، كتبَ الحديث الكثير .

مات بنيسابور سنة تسعٍ وعشرين وثلاث مئة .

وكان يقول : (مَنْ مقتَ نفسَهُ عند نفسه عاشَ الناسُ في ظلِّه) .

وكان يقول : (لا تُعبِّروا إلا عن أحوالكم ، وإياكم أن تكونوا حاكين أحوالَ غيركم ؛ فإن الطريقَ إنما هي ذوقٌ) .

وكان يقول : (إذا لم ينتفعِ الإنسانُ بعلمِ نفسه فكيف ينتفع به غيرُهُ ؟!) .

وكان يقول : (ما تهاون أحدٌ بالسُّنن إلا ابتُلي بالوقوع في البدع) .

وكان يقول : (لا يجتمعُ التسليمُ والدَّعاوىٰ لأحدٍ بحال) .

وكان يقول : (لو صحَّ لأحدٍ نَفَسٌ من أنفاسه خالياً من الرياء والنِّفاق لعادَ عليه بركةُ ذلك إلىٰ آخر عمره) .

وكان يقول : (لا تنظر إلىٰ عيوبِ من أنتَ محتاجٌ إلىٰ علمه ؛ فإن نظرَك إلىٰ عيوبه يحرمُكَ بركةَ الانتفاع بعلمه) .

وكان يقول : (من أفضلِ أوقاتك وقتٌ يسلمُ الناسُ فيه من سوء ظنِّك) ، والله أعلم .

---

(١) في النسخ : (أبو عبد الله) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وتقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٩٩) (٢١١) .

ومنهم :

(٢٠٨) أبو مُغيث الحسين بنُ منصور الحلاج رضي الله عنه[١]

كان من أهل بيضاء فارس ، ونشأ بواسط العراق .

وصحب الجُنيد ، والنُّوري ، وعَمرو بن عثمان المكي ، والفُوطي ، وغيرَهم .

وقد اختلف المشايخُ في أمره ؛ فمنهم من ردَّهُ ، ومنهم من قبله ، وهم الجمُّ الغفير[٢] .

فممَّن قبله : أبو العباس بنُ عطاء ، ومحمد بنُ خفيف ، وأبو القاسم النَّصراباذي ، وأثنوا عليه ، وصحَّحوا حالَهُ ، وحكوا عنه كلامَهُ في الطريق وعقائده ، وجعلوه من المحقِّقين ، حتىٰ كان محمد بنُ خفيف يقول : (الحسين بنُ منصور عالمٌ ربَّانيٌّ) .

قُتل رضي الله عنه بباب الطَّاق ببغداد يوم الثلاثاء لستٍّ بقين من ذي القعدة سنة تسعٍ وثلاث مئة .

قال ابن خلكان[٣] : الذي اطَّلعتُ عليه من طبقات الأشياخ المحقِّقين : أنَّ الحلاجَ قُتل ، ولم يثبتْ عنه ما يُوجبُ القتل ؛ وذلك أنه لمَّا وقع في المحنة قام معه غالبُ العامة ، فخاف الخليفةُ منهم ، فجعلَ الأمرَ للوزير ، فلما عقدوا المجلسَ قال القاضي للحلاج : من أين لك ما تقول يا مُراقَ الدم ؟! فحفظها الوزيرُ ، وذهب إلى الخليفة ، فقال : قد حكمَ القاضي بكفرِهِ ، فقال : اصلبوه ، فما وسعه إلا التسليمُ لأمرِ الله عز وجل ، ولم يتَّفقْ مراجعةُ القاضي في قوله : يا مراق الدم إلا بعد الصلب ، ثم راجعوا القاضي بعد ذلك ، فقال : إنَّما قصدتُ بقولي : مراقَ الدم الشَّتمَ له لا غير .

وكان من جملة من أثبتَ للحلاجِ الصلاح الإمامُ أبو القاسم القشيري ، ولـٰكن لما

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٠٠) (٢١٢) .

(٢) الكلام من « طبقات الصوفية » (ص ٣٠٧) ، وفيه : (ردَّه أكثر المشايخ ، ونفوه ، وأبوا أن يكون له قدم في التصوف ، وقبله آخرون ، من جملتهم) .

(٣) لم أجد قوله هـٰذا في المطبوع من « وفيات الأعيان » .

كان إماماً مُتَّبعاً سترَ أمرَهُ عن العامة ، فذكره أولَ « رسالته »[١] وزكّىٰ عقيدته فتحاً لبابِ إحسان الظنِّ به ، ولما ذكرَ مناقبَ الرجال ذكره في أواخرهم[٢] ؛ لئلا تتطرَّقُ التهمةُ إلىٰ أهل الله ؛ لما قيل فيه .

وكان أبو العباس الرازي يقول : كان أخي خادماً للحُسين بن منصور ، قال : فسمعتُهُ يقول : لما كان الليلةُ التي وُعِدَ من الغد بقتله ، وأُخرج للقتل . . قال : حسبُ الواحدَ إفرادُ الواحد ، ثم إنه خرج يتبخترُ في قيده ويقول[٣] : [من الهزج]

نَـديمِـي غيـرُ مَنسـوبٍ إلـىٰ شـيءٍ مـنَ الحَيْـفِ
سقـانِـي مثـلَ مـا يشـر بُ فِعلَ الضيفِ بالضيفِ
فلمَّـــا دارتِ الكـــاسُ دَعـا بـالنِّطـعِ والسيـفِ
كـذا مَـنْ يشـربُ الـرَّاحَ مـعَ التِّنيـنِ فـي الصيـفِ

قال القُضاعي : وكان قتلُه في خلافة جعفر بن المُعتضد ، وقطعوا يديه ورجليه أولاً ، ثم حزُّوا رأسه ، وأحرقوه بالنار .

وكان من شأن الحلاجِ كثرةُ التطوُّر في أغلب أحواله ، ولما طلبوه للقتل كان مُتطوِّراً في بيته ، حتىٰ ملأ البيتَ ، فلم يقدرْ أحدٌ علىٰ إخراجه ، فذكروا ذلك للجُنيد ، فأتىٰ إليه ، وقال : يا حسين ، فتحتَ في الإسلام ثغرةً لا يسدُّها إلا رأسُك ، فاخرجْ وسلِّمْ ، فانفشَّ بدنُهُ ، وخرج مُستسلماً .

ومن كلامه رضي الله عنه : (حجبهم بالاسم فعاشوا ، ولو أبرزَ لهم علوم القدرة لطاشوا ، ولو كشفَ لهم عن الحقيقةِ لماتوا) .

وكان يقول : (إذا تخلَّصَ العبدُ إلىٰ مقام المعرفة أوحي إليه بخواطره ، وحرسَ سرَّه أن يسبحَ فيه غيرُ خاطر الحق) .

---

(١) الرسالة القشيرية (ص ٨٦ ، ٩٦) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص ٦٢٢) .

(٣) انظر « ديوانه » (ص ١٤٩) ، وهـٰذه من الأبيات المنسوبة إليه ، وهي للحسين بن الضحاك الخليع ، **والتنين** : ضرب من الحيات السود العظيمة ، وهو لقب إبراهيم بن المهدي الأمير العباسي ، لقب به لسواد لونه وسمنه .

ثم قال : (ومن علامة العارف : أن يكونَ فارغاً من أمور الدنيا والآخرةِ ، مُشتغلاً بالله) .

وسئل مرةً عن صفة المريد الصادق ، فقال : (هو الرامي بأولِ قصده إلى الله تعالىٰ ، فلا يعرجُ حتىٰ يصلَ) .

وسئل عن التصوف ، وهو مصلوبٌ ، فقال : أهونُهُ ما ترىٰ .

وكان يقول : (من لاحظَ الأعمال حُجبَ عن المعمول له ، ومن لاحظَ المعمول له حُجب عن الأعمال) .

وكان يقول : (لا يجوزُ لمن يرىٰ غيرَ الله أن يدَّعي أنّه عرفَ الله عز وجل) .

وكان يقول : (من أسكرته أنوارُ التوحيد حجبتْهُ عن عبارة التجريد) .

وكان يقول : (من طلبَ الحقَّ بنورِ الإيمان كان كمن يطلبُ الشمسَ بنور الكواكب) .

وكان يقول : (ما انفصلَ الخلقُ عنه ، ولا اتَّصلوا به) .

وكان يقول : (من شرط المتوكِّلِ : ألا يأكل شيئاً وهو يعلمُ أن في بلده من هو أحوجُ منه) .

وكان يقول : (لما تجلَّى الحقُّ لموسىٰ عليه السلام بدا له من الحقِّ بادٍ ، فلم يبق لموسىٰ أثرٌ ، وفني موسىٰ عن موسىٰ ، فلم يكنْ عند موسىٰ خبرٌ من موسىٰ ، ثم لما كُلِّم كان المكلم هو المتكلم بحضور موسىٰ في حالِ الجمع وفنائه عنه ، فبالله قام موسىٰ ، وبه سمعَ) .

وكان يقول : (إذا دامَ البلاءُ بالعبد أَلِفَهُ ؛ وذلك من رحمة الله بأهل النار من حيث لا يشعرون) .

وقال القنَّاد رضي الله عنه : لقيت الحلاج ، فأنشدني : [من الوافر]

ولي نفسٌ ستُتلَفُ أو سترقىٰ لَعمرُكَ بي إلىٰ أمرٍ عظيمِ

فما مضىٰ أيامٌ إلا وقد قُتل .

وكتب إلىٰ أبي العباس بن عطاء : (أطالَ الله في حياتك ، وأعدمني وفاتَك علىٰ أحسن ما جرىٰ به قدرٌ ، أو نطقَ به خبرٌ ، مع ما لَكَ في قلبي من لواعجِ أسرار محبَّتك ، وأفانين ذخائر مودَّتك ما لا يُترجمُهُ كتابٌ ، ولا يحصيه حسابٌ ، ولا يفنيه عتاب) .

ثم كتب تحت ذلك : [من الطويل]

كتبتُ ولمْ أكتبْ إليكَ وإنما ... كتبتُ إلىٰ روحِي بغيرِ كتابِ
وذلكَ أنَّ الرُّوحَ لا فرقَ بينَها ... وبينَ محبِّيها بفَصْلِ خطابِ
وكلُّ كتابٍ صادرٌ منكَ واردٌ ... إليكَ بلا ردِّ الجوابِ جوابِي

ولما ضربوه بالسيف اكتتب دمُهُ على الأرض : الله ، الله ، إشارةً لتوحيده .

فإن قيل : إن دمَ الحسين بنِ علي لم يبلغنا أن دمَهُ اكتتبَ على الأرض كما وقع للحلاج ، مع أنَّ الحسين بنَ علي كان أعْلىٰ مقاماً من الحلاج ؟

فالجواب : أن الحسين بنَ علي لم يُقتل من جهة دينِهِ ، وإنما قُتل من جهة المُلك والخلافة ، فلم يحتجْ إلىٰ من يزكِّيه ، بخلاف الحلاج ؛ فإنه قُتل من جهة قولهم بكفره ، فكان دمُهُ شاهداً له بالتوحيد ، رحمه الله تعالىٰ .

ومنهم :

(٢٠٩) أبو الخير الأقطع التِّيناتي رضي الله عنه[١]

وتينات : قريةٌ من بلاد المشرق ، وكان أصله من المغرب ، وله آياتٌ وكرامات .

صحب أبا عبد الله بن الجلاَّ ، وغيرَهُ من المشايخ .

وكان أوحدَ أهلِ زمانه في التوكل .

وكانت السِّباعُ والهوامُّ تأنسُ به ، وله فِراسة حادَّةٌ .

مات بمصر سنة نيِّفٍ وأربعين وثلاث مئة ، ودفن بالقَرافة علىٰ باب تربة سيدي مسلم

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٠٤) (٢١٣) .

السُّلمي بجنب منارةِ الديلمية بالقَرَافة الصغرىٰ قريباً من ذي النُّون المصري .

وكان يقول : (أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فوقفتُ تجاه قبره ، وقلت : يا رسول الله ؛ أنا جائعٌ ، وتنحَّيت ، ونمتُ خلف المنبر ، فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقبَّلتُ بين عينيه ، فدفع لي رغيفاً ، فأكلتُ نصفَهُ ، وانتبهت وبيدي النصفُ الآخر) .

وكان يقول : (لا يجوز التصدُّرُ للمشيخة إلا لمن فرغَ من تهذيب نفسه ؛ وذلك ليتفرَّغ للمريد ، ومن بقي عليه بقيَّةٌ فهو مُريد ، والمريدُ لا يكون له مريد) .

ودخل عليه جماعةٌ من البغداديين ، فادَّعوا دعاوىٰ عريضة ، ثم خرجوا ، فلقيهم السَّبُعُ ، فرجعوا هاربين ، فقال لهم : أين تلك الدعاوىٰ ؟! فافتضحوا .

وكان إبراهيم الرقِّي يقول : قصدتُ أبا الخير التيناتي زائراً ، فلما صلَّى المغربَ قرأ الفاتحة ، قرأها غيرَ مستوٍ ، فقلت : ضاعتْ سفرتي ، فلما سلَّمْتُ خرجتُ للطهارة ، فقصدني السَّبُعُ ، فعدتُ إليه ، وقلت : إنَّ الأسدَ قصدني ، فخرج وصاحَ عليه ، وقال : ألم أقلْ لك : لا تتعرَّضْ لضيفاني ؟! فتنحَّى الأسدُ ، ومضيتُ أنا وتطهَّرتُ ، فلما رجعتُ قال لي : (اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسدَ ، واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسدُ) .

وكان يقول : (لا تسألوا الله أن يصبِّرَكم ، واسألوه اللطفَ بكم ؛ فهو أولىٰ ؛ لأن تجرُّعَ مرارات الصبر شديدةٌ علىٰ أمثالنا ؛ فإن زكريا عليه الصلاة والسلام لما نَشروه ، وبلغ المنشارُ إلىٰ رأسه . . أنَّ أنَّةً من شدَّةِ الوجع ، فأوحى الله إليه : يا زكريا ، وعزَّتي وجلالي ؛ لئن صعدتْ منك أنَّةٌ ثانيةٌ لأمحونَّ اسمَك من ديوان النبوَّة ، فعضَّ زكريا على الصبر حتىٰ قُطِعَ شطرين) .

وكان سببُ قطع يده : أنه كان عَقَدَ مع الله تعالىٰ عقداً ألا يمدَّ يده إلىٰ شيءٍ مما تنبت الأرضُ لشهوةٍ ، فنسي وتناول عنقوداً من شجرِ البطم ، فبينما هو يلوكُهُ إذ تذكَّر العَقد ، فرمىٰ بالعنقودِ ، وبصق ما في فمه ، وجلس نادماً ، فما استقرَّ فيَّ الجلوس حتىٰ دارَ به فرسانٌ ورجَّالة وقالوا : قمْ .

قال : فساقوني إلىٰ أن أخرجوني إلىٰ ساحل بحر إسكندرية[١] ، فرأيتُ هناك أميراً ، وبين يديه سودان كانوا قد قطعوا الطريق ، فوجدوني أسود اللون ، ومعي ترسٌ وحربةٌ وسيف ، فقالوا : هـٰذا منهم بلا شكٍّ ، فقطع أيديهم وأرجلهم حتى انتهىٰ إليَّ ، فقال لي : قدِّم يدك ، فمددتُها فقطعَها ، فقال : مدَّ رجلك ، فمددتُها ، ثم رفعتُ رأسي وقلت : إلـٰهي وسيدي ومولاي ، يدي جنتْ ، فما بالُ رجلي ؟! فدخل علينا فارسٌ ، وألقىٰ نفسَهُ على الأمير ، وقال : هـٰذا رجلٌ صالحٌ يُعرف بأبي الخير التيناتي ، فرمى الأميرُ بنفسه إلى الأرض ، وأخذ يدي المقطوعة من الأرض وقبَّلها ، وتعلَّق بي يبكي ويعتذر إليَّ ، فقلتُ له : جعلتك في حلٍّ من أوَّل ما قطعتها ، وقلتُ : يدٌ خانتْ عهدَ الله ، فقُطعت ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢١٠) أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني رضي الله عنه[٢]

أصلُه من بغداد .

صحب الجُنيد ، والنُّوري ، وأبا سعيد الخراز .

وأقام بمكة ، وجاور بها إلىٰ أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة .

وكان أحدَ الأئمة في علم الطريق .

وكان المُرتعشُ يقول : (الكتاني سراجُ الحرم) .

وكان يقول : (كنْ في الدنيا ببدنك ، وفي الآخرة بقلبك) .

وكان يقول : (خوفُ القطيعة أفضلُ من عبادة الثقلين) .

ورأىٰ مرةً رجلاً يَسألُ الناس آخرَ عمره ، فقال : (هـٰذا رجلٌ ضيَّعَ حقَّ الله في صغره ، فضيَّعَهُ اللهُ في كِبَرِه) .

---

(١) كذا في النسخ : (إسكندرية) ، والذي ورد في المصادر : أنه دخل أنطاكية ، وإسكندرونة مدينة في شرقي أنطاكية ، فلعلها صحفت إلىٰ (إسكندرية) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٤٠٦) (٢١٤) .

وكان يقول : (الشهوةُ زِمامُ الشيطان[1] ، ومن أخذ الشيطانُ بزمامه كان عبدَهُ) .

وقال : (ثلاثٌ لا يُنازِعُ أحدٌ في صحَّتها : الزهد في الدنيا ، وسخاوةُ النفس ، والنصيحة للخلق) .

وكان يقول : (من علامةِ الزهدِ في شيءٍ من الدنيا : سرورُ القلب بفقده ، وتحمُّلُ الأذىٰ من جميع الخلائق) .

وكان يقول : (الصوفيةُ عبيدُ الظواهر ، أحرارُ البواطن) .

وكان يقول : (إن الله نظرَ إلىٰ بعضِ عبيده ، فرآهم لا يصلحون لمجالستِهِ[2] ، فشغلهم بخدمته) .

وكان يقول : (كنا في بداية أمرنا نصلِّي الصبحَ بوضوء العشاء ، فإذا وقعَ أنَّ أحداً منَّا ينامُ ، نراه أفضلَ منَّا) .

وكان يهجرُ المريدَ إذا رآه مشىٰ خطوةً في طلب الرزق[3] ، ويقول : (هـٰذا خروجٌ عن سياج الطريق ، وإنما شأنُ الفقير أنَّ الدنيا تتبعُهُ) .

وكان يقول : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ؛ ادعُ الله لي ألا يميت قلبي ، فقال : قل في كلِّ يومٍ أربعين مرة : يا حيُّ يا قيوم ، لا إلـٰه إلا أنت .

وكان يقول : رأيت مرة حوراء ، فقلت لها : لمن أنت ؟ فقالت : لمن يحبسُ نفسَهُ عن مألوفاتها .

وكان يقول : (النقباء ثلاث مئة ، والنجباء سبعون ، والأبدالُ أربعون ، والأخيار سبعة ، والعُمُد أربعةٌ ، والغوثُ واحدٌ ؛ فمسكنُ النقباءُ بلاد المغرب ، ومسكن النُّجباءُ مصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سيَّاحون في الأرض ، والعُمُدُ في زوايا الأرض ، والغوثُ مسكنه بمكة ، فإذا عرضت حاجةٌ من أمر العامَّةِ ابتهل فيها النقباء ،

---

(١) في (ز) : (الشهرة) بدل (الشهوة) .

(٢) في « طبقات الصوفية » (ص ٣٧٤) : (أهلاً لمعرفته) .

(٣) في (ب ، ج ، د ، هـ ، ك) : (الرزق)، وفي « الطبقات الكبرىٰ » (١/٤٠٨): (الدنيا) .

ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العُمُد ، ثم الغوث ، فلا يفرغ الغوثُ من مسألته حتىٰ تُجاب دعوته) .

وكان يقول : (الأُنسُ بالمخلوقين عقوبةٌ ، والقربُ من الدنيا وأبنائها معصيةٌ ، والرُّكون إليهم مذلَّةٌ) .

وكان يقول : (العبادةُ اثنان وسبعون باباً ، إحدىٰ وسبعون منها في الحياء من الله تعالىٰ ، وواحدٌ في جميع أنواع البرِّ) .

وكان يقول : (من أصبحَ وعنده همَّان : همُّ المعاصي وهمُّ جمع المال فاللهُ تعالىٰ منه بريء) والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومنهم :

(٢١١) أبو يعقوب إسحاق بنُ محمد النَّهْرَجُوري رضي الله عنه[١]

كان من أكابر المشايخ .

صحب الجُنيد ، وعمرو بن عثمان المكِّي ، وأبا يعقوب السُّوسي ، وغيرَهم .

جاور بالحرم سنين ، **ومات سنة ثلاثين وثلاث مئة** .

وكان يقول في معنىٰ حديث : « احترسُوا منَ الناسِ بسوءِ الظنِّ »[٢] أي : (بسوء الظنِّ بأنفسكم لا بالناس) .

وكان يقول : (من كان شبعُهُ بالطعام لم يزل جائعاً ، ومن كان غناه بالمال لم يزل فقيراً ، ومن طمعَ في الخلق لم يزلْ محروماً ، ومن استعانَ علىٰ أمرٍ بغيرِ الله لم يزل مخذولاً) .

وكان يقول : (إنما ساد أهلُ الله الخلائق لطلبهم الحقائق) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٠٩) (٢١٥) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص ٢٤٢) ، والطبراني في « الأوسط » (٥٩٨) مرفوعاً عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٨٩) : (فيه بقية بن الوليد ، وهو مدلس) ، وتقدم تخريجه (١/ ٤٠٩) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [يوسف : ٢٠] : (لو جعلوا ثمنه الكونين فهو بخسٌ في نظير مشاهدته وما خُصَّ به) .

وكان يقول : (مشاهدةُ القلوب تعريفٌ ، ومشاهدةُ الأرواح تحقيقٌ) .

وسئل مرةً عن التصوف ، فقال : (﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة : ١٣٤]) .

وكان يقول : (ما رأته العيونُ يُنسب إلى العلم ، وما شاهدته القلوبُ يُنسب إلى اليقين) .

وسأله إنسانٌ عن الطريق ، فقال : (استعملِ العلمَ ، وداومِ الذكرَ ، وأنت إذاً من أهل الطريق) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢١٢) علي بن محمد المزيِّنُ رضي الله عنه[١]

هو من أهل بغداد .

صحب سهل بن عبد الله ، والجُنيد ، ومن في طبقتهما من البغداديين .

أقام بمكة مجاوراً ، **ومات بها سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة** .

وكان من أورع المشايخ ، وأحسنِهم حالاً) .

وكان يقول : (إذا غلبَ ذكرُ الله فنيتْ فيه الدنيا والآخرةُ) .

وسئل مرة عن التوحيد ، فقال : (هو أن ترجعَ إلى الله وحده في جميعِ أمورك ، وتعلمَ أن ما حصلَ في قلبك فاللهُ بخلافه ، وأنه تعالىٰ مُباينٌ لأوصاف خلقه) .

وكان يقول : (كانتِ الطرقُ إلى الله تعالىٰ بعددِ النجوم ، فلم يبقَ منها إلا طريقٌ واحد ، وهو الفقرُ إلى الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (من طلبَ الطريقَ إلى الله تعالىٰ بنفسِهِ تاه في أولِ قدمٍ) .

وكان يقول : (من لم يصلحْ لمشاهدته شغلَهُ بخدمته) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤١٠) (٢١٦) .

وكان يقول : (لو كان الإنسانُ علىٰ عبادةِ الثقلين ، وهو يساكنُ الدنيا بقلبه . . لا يعبأ اللهُ به ، وكلٌّ من أبقىٰ عنده قوتَ غدٍ فهو مساكنٌ للدنيا) .

وكان يقول : (العُجبُ في العبد مقتٌ ، وربما أدَّىٰ إلىٰ مقتِ الأبد) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢١٣) أبو علي [الحسن] بنُ أحمد الكاتب رضي الله عنه[١]

كان من أكابر مشايخ المصريين .

صحب أبا بكر المصري ، وأبا علي الرُّوذْباري وغيرَهما .

وكان أوحدَ مشايخ وقته ، وكان أبو عثمان المغربي يعظِّمُهُ ويعظِّمُ شأنه .

مات سنة نيّفٍ وأربعين وثلاث مئة .

وكان يقول : (المعتزلةُ نزَّهوا اللهَ عز وجل من حيث العقول فأخطؤوا ، والصوفيةُ نزَّهوا الله من حيث العلم فأصابوا) .

وكان يقول : (من سمعَ الحكمةَ ، ولم يعملْ بها . . فهو منافق) .

وكان يقول : (صحبةُ الفسَّاقِ داءٌ ، ودواؤها مفارقتُهم) .

وكان يقول : (إن الله تعالىٰ يقول : من صبرَ علينا وصلَ إلينا) .

وكان يقول : (روائحُ نسيمِ المحبَّة تفوحُ من المحبِّين وإن كتموها) .

وكان يقول : (إن اللهَ تعالىٰ يرزقُ العبدَ حلاوةَ ذكره ، فإن فرحَ به وشكرَهُ آنسه بقربه ، وإن لم يشكرِ اللهَ علىٰ ذلك أجرى الذِّكرَ علىٰ لسانه ، وسلبه حلاوته) والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

---

(١) في النسخ : (الحسين) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وتقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤١٢) (٢١٧) .

ومنهم :

(٢١٤) أبو الحسين بن بُنان الحمَّال رضي الله عنه[١]

كان من كبار مشايخ مصر ، صحب الخرَّازَ ، وغيره .

ومات في التِّيه ، وسببُ ذلك : أنه وردَ علىٰ قلبه شيءٌ ، فهام علىٰ وجهه ، فلحقوه في وسط التيه في الرمل ملقىً ، ففتح عينيه وقال : [من مشطور الرجز]

اربعْ فهـٰذا مربعُ الأحباب

وكان يقول : (الناسُ يعطشون في البراري ، وأنا عطشانُ علىٰ شاطئ النيل) .

وكان يقول : (كلُّ فقيرٍ قام في قلبه همُّ الرزق فلزومُ الكسبِ والحرفة له أَوْلىٰ) .

وكان يقول : (من علامة سكونِ القلب إلى الله عز وجل : انشراحُهُ إذا زالتْ عنه الدنيا) .

وكان يقول : (اجتنبوا دناءةَ الأخلاق كما تَجتنبون الحرام) .

وكان يقول : (ذكرُ الله باللسان يورثُ الدرجات ، وذكرُهُ تعالىٰ بالقلبِ يُورث القربات) .

وكان يقول : (الإكثارُ من الوحدةِ ، وقلَّة مجالسةِ الناس من علامة الصديقين) .

وكان يقول : (لا يُعظِّم قدرَ الأولياء إلا من عظَّمه الله عنده) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢١٥) أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري رضي الله عنه[٢]

هو من كبار مشايخ الجبلِ ، ومن أقران الشِّبلي .

صحب يوسف بنَ الحسين الرازي ، [ومظفَّر] القَرْمِيسيني[٣] ، وغيرَهما .

وكان عالماً ورعاً .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١ / ٤١٣) (٢١٨) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١ / ٤١٤) (٢١٩) .

(٣) في النسخ : (أبا مظفر) ، والمثبت من مصادر الترجمة .

مات قريباً من الثلاثين وثلاث مئة .

وكان يقول : (من كان من أهلِ الجمعِ فلا يشهدْ إلا الله ، وحُجب عنه الكونان ، فلا يَراهما) .

وكان يقول : (سببُ استغفار نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو لأجل أنَّ الله أطلعه على ما يقعُ من أمته من الاختلاف والفتن في الدنيا ، فكان إذا تذكَّر ذلك استغفرَ اللهَ لهم) .

وقيل مرةً له : ما بالُ الإنسان يحتملُ من معلِّمه ما لا يحتمله من أبويه ؟! فقال : لأن أبويه كانا سببَ حياته الفانية ، ومعلِّمَه كان سبباً لحياته الباقية ، وتصديقُ ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أُغدُ عالماً أو متعلِّماً ، ولا تكنْ فيما بينَ ذلكَ فتهلِكَ »[1]) .

وكان يقول : (في الوقوعِ في المحن [ثلاثة] أمور : التطهير ، والتكفير ، والتذكير ؛ فالتطهيرُ من الكبائر ، والتكفير من الصغائر ، والتذكير لأهلِ الصفا) .

وكان يقول : (همَّةُ الصالحين الطاعةُ بلا معصية ، وهمَّةُ العلماء المزيدُ في الصواب ، وهمَّةُ العارفين زيادةُ تعظيم الله في قلوبهم ، وهمَّةُ أهل الشوقِ سرعةُ الموت ، وهمَّةُ المقرَّبين سكونُ القلب إلى الله عز وجل) والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومنهم :

(٢١٦) مظفر القَرْمِيسِيني رضي الله عنه[2]

كان من كبارِ مشايخ الجبل وجلَّتِهم ، ومن الفقراءِ الصَّادقين .

صحب عبد الله الخرَّاز ، ومن فوقه من المشايخ .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٩/ ١٥٠) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٢٦٦٤٤) بلفظ : « اغدُ عالماً أو مُتعلماً ، ولا تَغْدُ بين ذلك » ، وروى الطبراني في « الأوسط » (٥١٦٧) ، و« الصغير » (٧٧٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٣٧) عن أبي بكرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اغدُ عالماً ، أو متعلماً ، أو مستمعاً ، أو محبّاً ، ولا تكن الخامسة فتهلك » ، والخامسة : ألا يكون من هؤلاء ، وتقدم تخريجه (١/ ٤١٥) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرى » (١/ ٤١٥) (٢٢٠) .

وكان واحداً في طريقته .

وكان يقول : (الصومُ علىٰ ثلاثة أوجه : صومُ الروح بقصرِ الأمل ، وصومُ العقل بخلاف الهوىٰ ، وصومُ النفس بالإمساك عن الطعام والشراب والمحارم) .

وكان يقول : (إياكم وصحبةَ الأحداث ؛ فإنه إذا كان من يَصحبهم علىٰ شروطِ السلامة يعطبُ ، فكيف بمنْ يصحبهم علىٰ هوىٰ نفس ؟!)

وكان يقول : (أخسُّ الفقراء قيمةً من يقبل رفقَ النسوان والظَّلَمَةِ ، فمن قَبِلَ ذلك فلا مروءةَ له ولا دين) .

وكان يقول : (خيرُ الأرزاق ما جاءَكَ من غيرِ سعيٍ ولا طلبٍ) .

وكان يقول : (ليس لك من عمرك إلا نَفَسٌ واحد ، فإياك أن يكون نَفَسٌ من أنفاسك عليك) .

وكان يقول : (من تأدَّبَ بآداب الشريعة تأدَّبَ به أتباعُه ، ومن تهاون بالآداب هلَكَ وأهلك ، ومن لم يأخذِ الأدبَ عن حكيمٍ لا يتأدَّبُ به مُريد) .

وكان يقول : (يبلغُ الفقيرُ إلىٰ مقامٍ لا يصيرُ يحتاجُ إلىٰ سؤال الحق في شيءٍ ؛ لفناء مرادِه في مرادِه) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢١٧) أبو الحسين علي بن هند القُرشي الفارسي رضي الله عنه[١]

من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم .

صحب جعفرَ الحذَّاء ، وعمرو بن عثمان المكيَّ ، ومن فوقهم .

وله الأحوالُ العالية ، والمقامات الزكية .

وكان رضي الله عنه يقول : (شرطُ المستمسك بكتاب الله ألا يخفىٰ عليه شيءٌ من أمر دينه ودنياه علىٰ ممرِّ الأوقات) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع مصادرها ذكر في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤١٧) (٢٢١) .

وكان يقول : استرح مع الله ، ولا تسترحْ عن الله ؛ فإن من استراحَ مع الله نجا ، ومن استراحَ عن الله هلك ، فقيل : كيف الاستراحةُ مع الله ؟ قال : تروّحُ القلب بذكره ، وأما الاستراحةُ عن الله فهي المداومةُ على الغفلة .

وكان يقول : (من رزقَهُ اللهُ حرمةَ الأكابر جعل اللهُ حرمته في قلوب الخلق ، ومن حُرم ذلك نزعَ الله حرمتَهُ من قلوب الخلق ، فلا تراه إلا ممقوتاً ، ولو كان علىٰ عبادة الثقلين ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ منْ إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشيبةِ المسلمِ »)[1] والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢١٨) أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ شيبان القَرْمِيسِيني رضي الله عنه[2]

كان شيخَ الجبل في وقته ، له المقاماتُ في الورع والتقوىٰ ، يعجزُ عنها غالبُ الناس .

صحب أبا عبد الله المغربي ، وإبراهيمَ الخوَّاص .

وكان شديداً على المدَّعين ، متمسِّكاً بالكتاب والسنة ، ملازماً لطريقة المشايخ والأئمة ، حتىٰ قال فيه عبد الله بن مُنازل : إبراهيم بن شيبان حجَّةُ الله على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات .

وكان يقول : (من أرادَ أن يتعطلَ عن السير فليلزمِ الرُّخص) .

وكان يقول : (ما قطع الفقراءَ عن الطريق وأهلكهم إلا ميلُهم إلىٰ ما عليه أبناءُ الدنيا) .

وكان يقول : (علمُ البقاء والفناء يدورُ على الإخلاص للوحدانية ، وصحة العبودية ، وما كان غيرُ ذلك فهو المغاليطُ والزندقة) .

وكان يقول : (من علامة السفلة : أن يخطرَ العطاءُ علىٰ بالهم علىٰ وجهِ المنَّةِ به) .

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٤٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٤١٨) (٢٢٢) .

وكان يقول : (من تركَ حرمةَ المشايخ ابتُلي بالدعاوى الباطلة ، وافتضح) .

وكان يقول : (من تكلَّمَ في الإخلاص ، ولم يطالبْ نفسَه بذلك . . ابتلاه اللهُ بهتك ستره عند الأقران والإخوان) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢١٩) أبو بكر الحسينُ بنُ علي بن يَزْدَانيار رضي الله عنه[١]

كان من أهل أرمينية[٢] ، وله طريقةٌ في التصوف يختصُّ بها .

وكان يُنكر على بعض مشايخ العراق أقاويلهم الفاضحة لأسرارِ الطريق .

وقال [علي بن إبراهيم الأُرْموي][٣] : سمعتُ ابنَ يَزْدَانيار يقول : (تروني تكلَّمتُ في الصوفية بما تكلَّمتُ إنكاراً على الطريق ، لا واللهِ ، إنما تكلَّمتُ في الجُنيد وأمثاله غَيرةً على الطريق ، حيث أفشوها لعامَّةِ المريدين ، وأظهروها لغير أهلها ، وإلا فهم السادةُ ، وبمحبَّتهم أتقرَّبُ إلى الله تعالى) .

وكان يقول : (رضا الخلقِ عن الله تعالى رضاهم بما يفعلُ ، ورضاه عنهم أن يوفِّقهم للرِّضا عنه) .

وكان يقول : (من استغفرَ اللهَ تعالى وهو ملازمٌ لشهوة الذنب حرَّمَ الله عليه التوبةَ والإنابة إليه) .

وكان يقول : **الحياءُ على ثلاثين قسماً ؛ منها** : حياء الخيانة[٤] ؛ كما رُوي أن آدم عليه السلام لما أكلَ من الشجرة هامَ على وجههِ في الجنان ، فأوحى الله إليه : أَفراراً مني يا آدم ؟! قال : لا يا ربِّ ، بل حياءً منك ، **ومنها** : حياءُ التَّقصير ؛ كقول

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر في مصادرها « الطبقات الكبرى » (١/٤١٩) (٢٢٣) .

(٢) كذا في النسخ ، وفي « طبقات الصوفية » (ص ٤٠٦) : (أُرْمِية) ، وأرمية : اسم مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان ، وقد أخرجت كثيراً من العلماء ، والنسبة إليها : أرموي .

(٣) في النسخ : (وقال إبراهيم الأموي) ، والمثبت من « طبقات الصوفية » (ص ٤٠٨) .

(٤) كذا في النسخ ، وفي « الرسالة القشيرية » (ص ٤٩١) و« الطبقات الكبرى » (١/٤١٩) : (حياء الجناية) .

الملائكة : سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك ، ومنها : حياءُ الإجلال ؛ كما رُوي أن إسرافيلَ تسربلَ بجناحه حياءً من ربِّهِ ، وقد ذكرنا بقيَّةَ الأقسام في « الطبقات الكبرىٰ »[١] ، فراجعها .

وكان يقول : (إذا ابتُليتَ بمعاشرة الناس فالزمِ الأدبَ ، لا تفعلْ بحضرتهم فعلاً يزدرونك به ، فتسقط من عينهم) .

وكان يقول : (بابُ التوبة مفتوحٌ حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربها ، فمن وقعَ في هفوةٍ فليتبْ إلى الله ، وليؤمِّل أنه يَقْبَلُ توبته بفضله ، وإياه وسوءَ الظنِّ بالله تعالىٰ) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٢٠) أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ أحمد بن المُولَّد رضي الله عنه[٢]

هو من كبار مشايخ الرَّقَّةِ وفتيانهم ، ومن أحسنهم سيرةً .

صحب أبا عبد الله بن الجلا الدمشقي ، وإبراهيم بن داود القصَّار الرقِّي .

وكان يقول : (من تولَّتْهُ رعايةُ الحقِّ تعالىٰ فهو أجلُّ ممن تولَّته رعايةُ العلم) .

وكان يقول : (خُلقتِ الأرواحُ في الأفراح ، فهي تعلو أبداً إلىٰ محلِّ الفرح من المشاهدة ، وخلقتِ الأجسادُ من الأكماد ، فهي لا تزالُ ترجعِ إلىٰ كمدها من طلب الشهوات الفانية ، والاهتمام بها) .

وكان يقول : (من أدب الفقير : ألا يمدَّ يدَهُ إلى الإرفاق من النسوان والإخوان ، إلا في وقتِ الضرورة ، ثم إذا أكلوا فهو بقدر سدِّ الرمق ، ولو كان بين يديهم طعامٌ كأمثال الجبال ؛ وذلك ليبقوا لغيرهم شيئاً منه) .

وكان يقول : (من قامَ إلىٰ أوامرِ الله بالله كان مقبولاً بلا شكٍّ ، ومن قام بنفسه كان بين قبولٍ وردٍّ) .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ : (١/ ٤١٩) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٢٥) (٢٢٤) .

وكان يقول : (الفترةُ بعد المجاهدة من فسادِ الابتداء ، والحجبُ بعد الكشف من السكونِ إلى الأحوال) .

وكان يقول : (نفسُكَ سائرةٌ بك ، وقلبُك طائرٌ بك ، فكنْ مع أسرعِهما وصولاً) .

ومنهم :

(٢٢١) أبو عبد الله محمد ابن سالم البصري رضي الله عنه(١)

هو صاحب سهل بنِ عبد الله التُّستري ، وراوي كلامه ، لا ينتمي إلىٰ غيرِه من المشايخ .

وكان من أهل الاجتهاد ، وطريقتُهُ طريقةُ أستاذه سهل رضي الله عنه .

وله بالبصرة أصحابٌ ينتمون إليه ، وإلىٰ ولده أبي الحسن أيضاً .

وكان يقول : (من أطاقَ التوكُّلَ فالكسبُ له غيرُ مباح ، إلا علىٰ وجه المعاونة دون الاعتماد ؛ فإن التوكُّلَ حالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكسب سُنَّتُهُ ، ومن ضعفَ عن حالِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فليكتسب ؛ لئلا يسقطَ من درجة سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سقطَ عن درجة حاله) .

وكان يقول : (يُعرفُ الأولياء في كلِّ عصرٍ بقبولهم عذرَ كلِّ من اعتذر إليهم ، وكمالِ شفقتهم علىٰ جميع الخلق ؛ برِّهم وفاجرهم) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يسترَ اللهُ عورته عن الناس . . فليحلمْ علىٰ من جنىٰ عليه ، وليتكرَّمْ على الناس بما في يديه) .

وكان يقول : (من شأنِ كلِّ عاقلٍ الزهدُ في مصاحبة أبناء الدنيا ؛ وذلك لأنهم يشغلوه بذكرِها عما هو متوجِّه إليه من مصالح دينه ودنياه) ، والله أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٤٢٦) (٢٢٥) .

ومنهم :

(٢٢٢) محمد بن عَلْيَان النسوي رضي الله عنه[١]

هو من كبار مشايخ نَسا ، ومن أصحاب أبي عثمان الحيري ، الذي قيل فيه : إنه إمامُ أهل المعارف .

وكان يخرج من نسا قاصداً إلىٰ أبي عثمان في مسائلَ تقعُ له ، فلا يأكلُ ولا يشرب في الطريق حتىٰ يدخلَ نيسابور ويسألَهُ عن تلك المسائل .

وكان من أعلا المشايخ همَّةً ، وله الكرامات الظاهرة .

وكان يقول : (الزهدُ في الدنيا مفتاحُ الرغبة في الآخرة) .

وكان يقول : (آياتُ الأولياء وكراماتهم رضاهم بما يسخطُ العوام من مجاري المقدور) .

وكان يقول : (لا يصفو للسخيِّ سخاؤه إلا بتصغير ما أعطاه ، وتعجيله ، وتستيره ، ورؤية الفضل لمن أخذه منه) .

وكان يقول : (من خدمَ الله تعالىٰ لطلبِ ثوابٍ ، أو خوف عقاب فقد أظهرَ خسَّته ، وأبدىٰ طمعَهُ ؛ فإنه قبيحٌ بالعبد أن يخدمَ سيِّدَه لغرضٍ دنيوي أو أخروي) .

وكان يقول : (من أظهر كراماتِه فهو مدَّعٍ ، ومن أخفاها فظهرت بغيرِ اختياره فهو وليٌّ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٣) أبو بكر أحمد بنُ محمد بن [أبي] سعدان رضي الله عنه[٢]

بغداديُّ الأصل .

صحب الجُنيد ، والنُّوري .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٢٧) (٢٢٦) .

(٢) في النسخ : (أحمد بن محمد بن سعدان) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وتقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٢٨) (٢٢٧) .

وهو من أعلم شيوخ وقته بعلومِ هٰذه الطائفة .

وكان عالماً بمذهب الإمام الشافعي ، وكان ذا لسانٍ وبيان .

وطلب الخليفةُ من يُرسلُه إلى الروم ، فلم يجدوا في طَرَسوس أحداً أعلمَ منه ولا أفصح .

وكان الناس يقولون : ما بقي في الطائفة علىٰ وجه الأرض إلا رجلان أبو علي الرُّوذْباري بمصر ، وأبو بكر بن أبي سعدان بالعراق ، وأبو بكر أفهمُ الرجلين .

وكان يقول : (من أراد صحبةَ الصوفية فليصحبْهم بلا نفْسٍ ولا ملك) .

وكان يقول : (لا يكملُ حالُ الفقير حتىٰ يعلمَ علم الرواية ، ثم علمَ الدِّراية ، ثم علم الرعاية ، وهناك يهتدي إلىٰ سبيل الحقِّ) .

وكان يقول : (إذا بدتْ علومُ الحقائق طمستْ آثار الفهوم والعلوم) .

وكان يقول : (الصوفي لا يقفُ مع النعوت ، ولا مع الرسوم) .

ومنهم :

(٢٢٤) أبو سعيد أحمد بنُ محمد ابن الأعرابي الأدمي رضي الله عنه[1]

هو بصريُّ الأصل ، وسكن مكة ، وكان أوحدَ وقته في مكة ، وكانوا يلقِّبونه : شيخ الحرم .

مات بمكة سنة إحدىٰ وأربعين وثلاث مئة .

وصنَّفَ في الطريق كتباً كثيرة .

وصحب النُّوري ، والجُنيد ، وعمرو المكي ، والمسوحي ، وأبا جعفر الحفار .

وكان يقول : (قد ثبت الوعدُ والوعيد عن الله عز وجل ، فإذا كان الوعدُ قبلَ الوعيد فالوعيدُ تهديدٌ ، وإذا كان الوعيد قبل الوعد فالوعيدُ منسوخ ، فإذا اجتمعا معاً

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٢٩) (٢٢٨) .

فالغلبةُ والثبات للوعد ؛ إذِ الوعدُ حقُّ العبد ، والوعيدُ حقُّ الله ، والكريمُ يتفضَّلُ بترك حقِّه) .

وكان يقول : (قلَّ من ادَّعى القوةَ في أمرٍ إلا وخُذل ، ووكِلَ إلىٰ نفسه) .

وكان يقول : (لو قيل للعارف : إنك تبقىٰ في الدنيا لماتَ كَمَداً ، ولو قيل لأهل الجنة : إنكم تخرجون منها لماتوا كمداً ، فما طابتِ الدنيا للعارفين إلا مع ذكرهم الخروج منها ، وما طابتِ الجنةُ لأهلها إلا بذكرهم الإقامة فيها) .

وكان يقول : (مدارجُ العلوم تكون بالوسائط ، وأما مدارجُ الحقائقِ فلا تكون إلا بالمكاشفة) .

وقيل له : ما أفضلُ أوقاتك ؟ فقال : وقتٌ يكونُ الحقُّ عني راضياً .

وكان يقول : (من أخلاقِ الفقراء : السكون عند الفقد ، والاضطرابُ عند الوجود ، والأنسُ بالهموم ، والوحشةُ عند فرح الناس بالدنيا) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٢٥) أبو عمرو محمد بنُ إبراهيم الزُّجَاجيُّ رضي الله عنه[١]

نيسابوريُّ الأصل .

صحب الجُنيد ، والنُّوري ، وأبا عثمان ، ورُويماً ، والخوَّاص .

ودخل مكة ، وأقام بها ، وصار شيخَها والمنظورَ إليه فيها ، وحج قريباً من ستين حجة .

ومات في المحرَّم سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة .

وكان يجتمعُ هو والكتاني ، والنَّهرجوري ، والمرتعش ، وغيرهم ، فيكون صدرَ الحلقة ، وإذا تكلَّم في شيءٍ رجعوا كلُّهم إلىٰ كلامه .

ومكث بمكة أربعين سنة لم يبل قطُّ ، ولم يتغوَّطْ في الحرم ، بل كان يخرجُ إلى الحلِّ كلما بال .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٣٠) (٢٢٩) .

وكان يقول : (من تكلَّم علىٰ حالٍ لم يصل إليه كان كلامُهُ فتنةً لمن يسمعه ، وحرَّم الله تعالىٰ عليه الوصولَ إلىٰ ذلك الحال) .

وكان يقول : (من جاورَ بالحرم وقلبُهُ معلَّقٌ بشيءٍ سوى الله فقد أظهرَ خسارتَهُ) .

وكان يشدِّدُ النَّكير علىٰ من سرقَ بالحرم شيئاً ، ويقول : (من سرقَ من الحُجَّاج شيئاً أبعدَهُ الله ، ووكل قلبَهُ بالشحِّ ، وأطلق لسانَه بالشكوىٰ ، ومسح قلبَهُ من المعارف ، وخرجت منه أنوارَ اليقين ، ومقته بين خليقته) .

وكان يقول : (مما جرَّبناه لردِّ الضالة : اللهم ، يا جامعَ الناسِ ليومٍ لا ريب فيه ؛ اجمعْ عليَّ ضالَّتي ، ويقرأ قبله سورةَ « والضحىٰ » ثلاث مرات) .

قال : (وقد وقعَ مني فصٌّ في دجلة ، فدعوتُ به ، فوجدتُ الفصَّ في وسط أوراقٍ كنتُ أتصفَّحُها) .

وسئل عن حديثِ : « تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ منْ عبادةِ سنةٍ »[1] . . فقال : المرادُ بالتفكر هنا : هو نسيان النفس ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٢٦) جعفرُ بن محمد بن نصير الخوَّاص رضي الله عنه[2]

ويعرف بالخُلْدي ، بغداديُّ المولد والمنشأ .

صحب الجُنيد ، وعُرف بصحبته ، وإليه كان ينتمي ، وصحب النُّوري ، ورُويماً ، وسمنون ، والجريريَّ ، وغيرَهم من المشايخ .

وكان المرجعُ إليه في فهم كلام القوم وحكاياتهم وسيرهم ، حتىٰ قال يوماً : (عندي مئةٌ ونيِّفٌ وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية) .

حجَّ قريباً من ستين حجة .

ومات ببغداد سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة ، وقبره بالشُّونيزية عند قبر سريِّ السَّقطي ، والجنيد .

---

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (٤/ ٤٢٣) ، وانظر كلام العراقي عليه (ص ١٧٩٨) ، وتقدم تخريجه (١/ ٤٣٢) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٣٢) (٢٣٠) .

وكان يقول : (لا يقدحُ في الإخلاص كونُ المريد يعملُ ليصل إلى المقامات العالية) .

وكان يقول : (ينبغي أن يكونَ معظمُ سعي الأحرار لإخوانهم لا لأنفسهم ؛ وذلك ليكونَ الحقُّ تعالىٰ في حاجتهم كما ورد)[١] .

وكان يقول : (من أخلصَ لله في المعاملة أراحَهُ الله من الدعاوى الكاذبة) .

وكان يقول : (جعتُ مرةً في الحجر ، فسألتُ الله في الحجر أن يرزقني شيئاً ، فوقع عليَّ مسمارُ فضةٍ من مسامير الميزاب ، فقضيتُ به حاجتي) .

وكان يقول : (لا أعلمُ شيئاً أفضلَ من الاشتغال بالعلم والعمل علىٰ وجه الإخلاص ؛ فإن بالعلم عُرف الله ، وبه أُطيع ، وبه استحى المستحيون ، وإنما كره بعضُهم العلم إذا لم يكن صاحبُهُ يعملُ به) .

وكان يقول : (عليكم بصحبة الفقراء ؛ فإنهم كنوزُ الدنيا ، ومفاتيحُ الآخرة) .

وكان يقول : (الفقيرُ لا يأكل إلا عند وجودِ جوع ، أو لوقت يريد أن يجوع فيه) .

ومنهم :

(٢٢٧) أبو العباس بنُ القاسم بن مهدي ابن بنت أحمد بن سيار رضي الله عنه[٢]

كان من أهل مرو ، وهو شيخُهم ، وأوَّلُ من تكلَّم عندهم في بلدهم في حقائق الأحوال ، وكان فقيهاً محدِّثاً .

صحب أبا بكر الواسطي ، وإليه كان ينتمي في علوم هٰذه الطائفة .

وكان من أحسن المشايخ لساناً في علوم التوحيد ، وجميعِ مَنْ بكورتِهِ من أهل السُّنَّة والجماعة .

مات سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة .

---

(١) وهو الحديث الذي رواه مسلم (٢٦٩٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٣٥) (٢٣١) .

وكان يقول : (كيف السبيلُ إلىٰ ترك ذنبٍ كان عليك في اللوح محفوظاً ؟! وإلىٰ صرفِ قضاءٍ كان به العبد مربوطاً ؟!) .

وكان يقول : (من أعظمِ ما يروِّضُ به المريدُ نفسَهُ الصبرُ علىٰ فعل الأوامر ، واجتنابُ المناهي ، وصحبة الصالحين ، وخدمةُ الإخوان ، ومجالسةُ الفقراء) .

وكان يقول : (حقيقةُ المعرفة الخروجُ عن المعارف) .

وكان يقول : (ما التذَّ عاقلٌ بمشاهدة الحقِّ قطُّ ؛ لأن مشاهدته تعالىٰ فناءٌ ، ليس فيه لذَّةٌ ولا التذاذٌ ولا حظٌّ ولا احتظاظ ؛ وذلك لأنه لا مجانسة بينه تعالىٰ وبين خلقه ، ومعلومٌ : أن الالتذاذ لا يكونُ إلا بالمجانس ؛ ولذلك كان الإنسانُ ينفرُ من رؤية الجنِّ لعدم المجانسة) .

وكان يقول : (ما أخبر أحدٌ عن الحقِّ إلا وهو محجوبٌ عن الحقِّ) ؛ أي : عن الإحاطة به .

وكان يقول : (ظلمةُ الأطماع تمنعُ أنواع المشاهدات) .

وكان يقول : (لباسُ الهيبة للعارفين ، ولباس التقوىٰ للمقربين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦]) .

وكان يقول : (من دقَّقَ الورعَ هنا اتَّسع عليه الصراطُ هناك ، ومن وسَّع علىٰ نفسه هنا ضَيَّقَ عليه الصراط هناك) .

ومنهم :

(٢٢٨) أبو بكر بن داود الدينوري الدُّقِّي رضي الله عنه(١)

أقامَ بالشام ، وكان من أقران أبي علي الرُّوذباري .

وعُمِّرَ زيادةً عن مئة سنة .

وصحب أبا عبد الله بنَ الجلاَّ ، وأبا بكر الزقَّاق الكبير ، وأبا بكر المصري .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٣٦) (٢٣٢) .

وكان من أجلِّ مشايخ وقته ، وأحسنهم حالاً ، وأقدمهم صحبةً للمشايخ .

مات بعد الخمسين وثلاث مئة .

وكان يقول : (من علامةِ الصوفي : أن يكون مشغولاً بما هو أولىٰ في كلِّ وقتٍ) .

وكان يقول : (إذا انحطَّ الفقيرُ من حقيقة العلم إلىٰ ظاهره فقد أساءَ الأدبَ مع الله تعالىٰ في حاله ، بخلاف الفقهاء) .

وكان يقول : (أهلُ المعرفة أحياء ؛ لحياةِ معروفِهم ، فلا حياةَ حقيقةً إلا لهم ، وحياةُ غيرهم مجاز) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٢٩) أبو محمد عبدُ الله بن عبد الرحمـٰن الرَّازي رضي الله عنه[١]

أصله من الراز[٢] ، ومولده ومنشؤه بنيسابور .

وكان يعرف : بالشَّعراني .

صحب : الجُنيد ، وأبا عثمان الحِيري ، ورُويماً ، ومحمد بنَ الفضل ، وسمنوناً ، والجوزجاني ، ومحمدَ بنَ حامد وغيرهم .

وهو أجلُّ أصحاب أبي عثمان ، وكان أبو عثمان يُكرمه ويبجِّله[٣] .

وكان من كبار مشايخ نيسابور في وقته ، وله من الرياضات ما تعجزُ عنه الأسماع .

وكان عالماً بعلوم هـٰذه الطائفة ، وكتب الحديثَ الكثير ، وكان ثقةً تقيّاً .

مات سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مئة .

---

(١) في « طبقات الصوفية » (ص ٤٥١) : (أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن الرازي) ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٣٧) (٢٣٣) .

(٢) الراز : أي الري .

(٣) في « طبقات الصوفية » (ص ٥٥١) : (ويُجلُّه) .

وكان يقول : (المعرفةُ تهتكُ الحجبَ بين العبد وبين مولاه) .

وقيل له مرةً : ما بالُ الناس يعرفون عيوبهم ، ويحبُّون ما هم فيه ، ولا ينتقلون عن ذلك ، ولا يرجعون إلىٰ طريق الصواب ؟! فقال : لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم دون استعماله ، واشتغلوا بأبحاث الظواهرِ دون البواطن ، فأعمى اللهُ قلوبهم عن النظر إلى الصواب ، وقيَّدَ جوارحَهم عن العبادة ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٣٠) أبو عمرو إسماعيل بنُ نُجيد السُّلمي رضي الله عنه[١]

هو جدُّ الشيخ أبي عبد الرحمـٰن السُّلمي ، شيخ أبي القاسم القُشيري .

صحب أبا عثمان ، وكان من أكبر أصحابه ، ولقي الجُنيد .

وكان من أكبرِ مشايخ وقته ، وله طريقةٌ ينفردُ بها من صحة الحال وصون الوقت .

وهو آخرُ من مات من أصحاب أبي عثمان في سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة .

وسمع الحديث ورواه ، وكان عالماً صالحاً .

وكان يقول : (كلُّ حالٍ لا يكون نتيجةَ علمٍ فضررُهُ علىٰ صاحبه أكثرُ من نفعه) .

وكان يقول : (من كرمتْ عليه نفسُهُ هان عليه دينُهُ) .

وكان يقول : (كل من لم تهذِّبْك رؤيتُهُ فهو غيرُ مهذَّبٍ) .

وكان يقول : (لا يصفو لأحدٍ قدمٌ في العبودية حتىٰ يشهدَ أفعالَهُ كلَّها رياءً ، وأحوالَهُ كلَّها دعاوىٰ) .

وكان يقول : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً رزقَهُ صحبةَ الصالحين ، والعملَ بما يُشيرون به عليه) .

وكان يقول : (الدعاوىٰ من أحوال المغترِّين بالله ، وأصلُ الدعاوىٰ من فساد الابتداء) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٣٨) (٢٣٤) .

وكان يقول : (الموحِّدُ لا يدَّعي قطُّ ؛ لأنه يرى الأمورَ كلَّها لله دون نفسه) .

وكان يقول : (بقدرِ ما تشتغلُ بالناس بقدر ما تضيِّعُ من حقِّ ربِّك وأوامره) .

وكان يقول : (من الجهل إظهارُ العبد محاسنَهُ لمن لا يملك نفعَهُ ولا ضرَّه) .

وكان يقول : (من استقامَ لا يعوجُّ به أحدٌ اقتدىٰ به ، ومن اعوجَّ لا يستقيمُ به أحدٌ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣١) أبو الحسن بن أحمد بن سهل البُوشَنْجي رضي الله عنه[١]

كان من أوحدِ فتيان خراسان .

لقي أبا عثمان ، وصحب بالعراق ابنَ عطاء ، والجَريري ، وبالشام طاهرَ المقدسي ، وأبا عمرو الدمشقي ، وتكلَّمَ مع الشِّبليِّ في مسائل .

وهو من أعلم المشايخ بعلوم التوحيد وعلومِ المعاملات ، ومن أحسنِ الناس طريقةً في الفتوة والتجريد .

وكان معظِّماً للفقراء ، حسنَ الخُلق جدّاً .

مات سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة .

سئل رضي الله عنه عن التصوف ، فقال : كان حقيقةً ولا اسمٌ ، وهو الآن اسمٌ ولا حقيقة .

وكان يقول : (من شرطِ الوليِّ : أن يكونَ باطنُهُ أفضلَ من ظاهره ، ومن شرط العالم : استواءُ ظاهره وباطنه ، ومن علامةِ الجاهل : أن يكونَ ظاهرُهُ أفضلَ من باطنه ؛ وكذلك لا ينصفُ من نفسه ويطلبُ الإنصافَ من غيره) .

وكان يحطُّ علىٰ نفسه ، ويبكي ، ويقول : (واللهِ ؛ إن الخيرَ منَّا زلَّةٌ ، والشرَّ لنا صفةٌ) ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٤٠) (٢٣٥) .

ومنهم :

(٢٣٢) أبو عبد الله محمد بنُ خفيف الضَّبيُّ الشِّيرازي رضي الله عنه[(١)]

هو شيخُ المشايخ ، وأوحدُهم في وقته ، وكان عالماً بالشريعة والحقائق ، حسن الأحوال في المقامات ، وجميل الأخلاق .

مات سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة .

وكان يقول : (**التصوفُ** : إخمادُ صفات البشرية ، ومُجانبةُ الدعاوى النفسانية ، ومنازلةُ صفات الروحانية ، والتعلُّقُ بعلوم الحقائق ، والنُّصحُ بالشريعة لجميع الأمة) .

وكان يقول : (ليس شيءٌ أضرَّ على المريد من مسامحة نفسه بالرُّخص والتأويلات) .

وكان يقول : (**الذكرُ علىٰ قسمين** : ذكرُ الله بأسمائه ، وذلك هو الذكرُ الظاهر ، وذكرُ الله بأنه يراهُ على الدوام وهو بين يديه ، فذلك هو الذكرُ الباطن) .

وكان يقول : (رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول : من عرفَ طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجعَ عنه عذَّبَهُ الله عذاباً لم يعذِّبْ به أحداً من العالمين) .

وكان يقول : (عليك بمن يعظُكَ بلسانِ فعله لا بلسان قوله) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٣) أبو الحسينُ بُندار بن الحسين الشيرازي رضي الله عنه[(٢)]

سكنَ أرَّجان[(٣)] ، وكان عالماً بالأصول ، وله اللسانُ المشهور في علم الحقائق .

كان الشبليُّ يعظِّمه ، ويُعظِّم قدره .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٤١) (٢٣٦) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٤٢) (٢٣٧) .

(٣) في النسخ : (أذربيجان) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

مات سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مئة ، وغسَّله أبو زُرعة الطبري .

وسُئل عن الفرقِ بين الصوفيِّ والمتصوف ، فقال : (الصوفيُّ : من صافاه الحقُّ تعالىٰ ، واختارَهُ من غير تكلُّفٍ ولا اجتهاد ، والمتصوِّفُ : هو المزاحمُ على الرتبة مع تكلُّفٍ ، وكون رغبتِهِ في الدنيا[١] ، خلافَ ما يظهره من الزهد) .

وكان يقول : (يصلُ العبد إلىٰ مقامٍ لا يُخاصم فيه نفسه ؛ لأنه يراها مُلكاً لله لا له) .

وكان يقول : (ليس من أدبِ المريد أن يسألَ رفيقَهُ إلىٰ أين ؟ أو في أَيش ؟) .

وكان يقول : (من لم يجعلْ قبلتَهُ ربَّهُ فسدتْ صلاته) .

وكان يقول : رأيتُ مجنونَ بني عامر بعد موته ، فقلت له : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : غفرَ لي ، وجعلني حجَّةً على المحبِّين .

وقيل له مرةً : ما هي الدنيا ؟ فقال : الدنيا ما دنا من القلب ، وشغلَهُ عن الحقِّ تعالىٰ .

وكان يقول : (من أقبلَ على الآخرة أحرقته بنورِها ، فصار سبيكةَ ذهبٍ يُنتفع به ، ومن أقبل على الله أحرقَهُ بنورِ التوحيد ، وصار جوهراً لا يقابل بثمن) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهم :

(٢٣٤) أبو بكر الطَّمَسْتاني رضي الله عنه[٢]

كان من أجلِّ مشايخ الصوفية ، وأعلاهم حالاً ، منفرداً بحاله ، لا يُشاركُهُ فيه أحدٌ ولا يُدانيه ، وكان الشبليُّ يُجلُّه ويُكرمه .

صحب إبراهيم الفارسي وغيرَه من مشايخ الفرس[٣] ، وكانوا جميعاً يحترمونه .

---

(١) في (ج ، ط ، ك) : (وكمون رغبة) بدل (وكون رغبته) .
(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٤٣) (٢٣٨) .
(٣) في « طبقات الصوفية » (ص ٤٧١) ، و« الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٤٣) : (صحب إبراهيم الدباغ وغيره من مشايخ الفرس) .

وورد نيسابور ، **ومات بها سنة أربعين وثلاث مئة** .

وكان يحثُّ أصحابَهُ على العزلةِ والجوعِ والسهرِ ، وقلَّةِ الكلام ، ويقول : (مرجعُ أركان الطريق كلِّها إلى الجوع ؛ فإن العبدَ إذا جاعَ قلَّ كلامُهُ ونومُهُ ، وأحبَّ العزلةَ عن الناس ، وإذا شبع فبالعكس) .

وكان يقول : (خيرُ الناس من رأى الخيرَ في غيره ، ورأىٰ نفسَهُ دون إخوانه ، ولو ارتفعَ في الرتبة ؛ وذلك ليرىٰ تقصيره عن القيام بما كُلِّفَ به) .

وكان يقول : (من اتَّبعَ الكتابَ والسنة ، وهاجر إلى الله بقلبه ، واتَّبع آثارَ الصحابة . . لم تسبقْهُ الصحابة إلا بكونهم رأوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لا غير) .

وكان يقول : (يقظةُ أهل الآخرة لعمارة الآخرة ، ويقظةُ أهل الدنيا لعمارةِ الدنيا)[1] .

وكان يقول : (من صدقَ في إقباله على الله لم يشغله الخلقُ عن الله) .

وكان يقول : (النفسُ كالنار ؛ إذا طُفئتْ في موضعٍ تأجَّجت في موضعٍ آخرَ ، وكذلك النفس إذا هدأتْ من جانب ثارت من جانب) .

وكان يقول : (إذا لم تقدروا علىٰ أن تصحبوا اللهَ تعالىٰ بالأدب . . فاصحبوا مَنْ يصحبُهُ ؛ لتوصلكم بركاتُ صحبته إلىٰ صحبة الله تعالىٰ) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٣٥) أبو العباس أحمد بنُ محمد الدِّينوري رضي الله عنه[2]

صحب يوسف بنَ الحسين ، وعبد الله الخرَّاز ، وأبا محمد الجَريري ، وأبا العباس ابن عطاء ، ولقي رُويماً .

---

(١) قال الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٤١) معقباً علىٰ هـٰذه المقولة : (هـٰذا إذا لم يقصد المحترف بحرفته نفع العباد ، واقتصر علىٰ جمع الدنيا فقط ، فإذا نوىٰ بحرفته نفع العباد فقد عمر الدنيا والآخرة ، والله أعلم) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٤٥) (٢٣٩) .

وورد نيسابور ، وأقام بها مدَّةً ، وكان يعظُ الناس ، ويتكلَّمُ علىٰ لسان المعرفة بأحسنِ كلام ، ثم رحل من نيسابور إلىٰ سَمَرْقَند ، **ومات بها بعد الأربعين وثلاث مئة** .

وكان يقول : (العلماءُ متفاوتون في ترتيب مشاهداتِ الأشياء ؛ فقومٌ رجعوا من الأشياء إلى الله ، فشاهدوا الأشياءَ حيثُ الأشياء ، ثم رجعوا منها إلى الله ، وقومٌ رجعوا من الله إلى الأشياء من غيرِ غيبتهم عنه ، فلم يروا شيئاً إلا ورأوا الحقَّ قبله ، وقوم بقوا مع الأشياء ؛ لأنهم لم يكن لهم طريقٌ منهم إلى الله) .

وكان يقول عن أهل زمانه : إن هٰؤلاء نقضوا أركانَ التصوف ، وهدموا سبيلها ، وغيَّروا معانيها بأسامٍ أحدثوها ، فسمُّوا الطمعَ زيادةً ، وسوءَ الأدب إخلاصاً ، والخروجَ عن طريق الحقِّ شطحاً ، وسوءَ الخُلق حالاً ، والسؤالَ عملاً ، وما هٰكذا كان القوم ، إنما درجوا على الحياءِ والأدب ، والعفَّة والزهد في الحظوظ ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٣٦) أبو عثمان سعيد بن سلاَّم المغربيُّ رضي الله عنه[١]

أصلُه من القيروان ، من قرية يقال لها : كَرْكِنْت[٢] ، أقام بالحرمِ المكي مدةً ، وكان شيخها .

وصحب أبا علي الرُّوذْبادي ، وابن الكاتب ، وحبيباً المغربي ، وأبا عَمرو الزُّجاجي ، ولقي النَّهْرَجوري ، وأبا الحسن بن الصائغ الدينوري ، وغيرهم .

ولم يُرَ مثلُهُ في علوِّ الحال ، وصونِ الوقت ، وصحة الحكم بالفِراسة ، وعظمِ الهيبة .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٤٤٦) (٢٤٠) .

(٢) في النسخ : (كوكب) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، **وكَرْكِنْت** : كذا ضبطها ياقوت في « معجم البلدان » (٤/٤٥٣) ، وأما ابن الأثير فضبطها في « اللباب » (٣/٩٣) بكسر الكافين ؛ وهي قرية من قرى القيروان ، علىٰ ساحل البحر في جزيرة صقلية .

ورد نيسابور ، **ومات بها سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاث مئة** ، وأوصىٰ أن يُصلي عليه الإمام أبو بكر بن فُورك .

وكان يقول : (من حفظَ جوارحَهُ تحت الأوامر فهو في اعتكافٍ على الدوام) .

وكان يقول : (أبى الملكُ الجبَّارُ إلا أن يختبرَ أولياءه بتسليط عدوِّهم عليهم ؛ ليرىٰ كيف صبرُهم علىٰ أعدائهم ، فمن صبرَ صار إماماً يُقتدىٰ به ، ومن لم يصبرْ نكصَ علىٰ عقبيه) .

وكان يقول : (إن الله جعل أنسَ الناس في رؤية الأولياء) .

وكان يقول في معنىٰ حديث : « أكثرُ أهلِ الجنةِ البُلْهُ »[١] : (المراد بهم : البله في دنياهم ، الفقهاء في دينهم) .

وكان يقول : (من آثرَ صحبةَ الأغنياء علىٰ صحبة الفقراء ابتلاه الله بموتِ القلب) .

وكان يقول : (العاصي النادمُ خيرٌ من الطائع المُدَّعي ؛ لأن العاصي يطلبُ أبداً طريقَ توبته ، ويعترفُ بنقصه ، والمدَّعي يتخبَّطُ في خيال دعواه)[٢] .

وكان يقول : (أفواهُ العارفين لم تزلْ فاغرةً لمناجاة القدرة) .

وكان يقول : (قد يكون الوليُّ مستوراً ، ولـٰكن لا يكون مَفتوناً) .

وكان يقول : (من لم يسمعْ من نهيقِ الحمار كما يسمعُ من أصواتِ العود ودواخل المغنِّين فسماعه معلول) .

---

(١) رواه البزار في « مسنده » (٦٣٣٩) والطحاوي في « مشكل الآثار » (٢٩٨٢) ، والشهاب القضاعي في « مسنده » (٩٨٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٣٦٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، قال ابن الأثير في « النهاية » (ب ل هـ) : (**الأبله** : هو الغافل عن الشر ، المطبوع على الخير) . وتقدم (١/ ٤٤٧) .

(٢) في (أ) : (خبال) بدل (خيال) ، وفي (ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ك) : (حبال) ، وفي (ي) : (حال) ، والمثبت من (ط) .

ومنهم :

(٢٣٧) أبو القاسم إبراهيم بنُ محمد النَّصْرَاباذِي رضي الله عنه[١]

كان شيخَ خراسان في وقته ، نيسابوريُّ الأصل والمولد والمنشأ .

وكان مُفنَّناً في العلوم ، وكان أوحدَ المشايخ في وقته علماً وحالاً .

صحب أبا بكر الشِّبليَّ ، وأبا علي الرُّوذْباري ، وأبا محمد المُرتعش ، وغيرهم .

أقام بنيسابور ، ثم خرج أواخر عمره إلىٰ مكة ، وحجَّ سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة وكتب الحديث ورواه .

مات مجاوراً بمكة سنة سبع وستين وثلاث مئة .

وكان يقول : (من عقلِ الفقير إذا اشتهرَ بالزهد في الدنيا : أن يتظاهرَ بإمساكها بين الناس ؛ ليقطعَ عنه نسبةَ الزهد ، والمدارُ على القلب ، إلا أن يكونَ له أتباعٌ يتبعونه في إمساك الدنيا ، فليس له إمساكُها خوفاً أن يبلغهم) .

وكان يقول : (من أدبِ العارف : أن يعظِّمَ ما عظَّم الله من أمور الكون) .

وسُئل عن فقيرٍ يُجالس النساءَ ، وينظرُ إليهن ، ويقول : أنا محفوظ ، فقال : (ما دامتِ الأشباحُ باقيةً فالعبدُ مخاطبٌ بالأمر والنهي على العموم) .

وكان يقول : (من عملَ علىٰ رؤية الجزاء كانت أعمالُه بالعددِ والإحصاء ، ومن عمل على المشاهدة أذهلته المشاهدةُ عن التعداد والعدد ، وكان أجرُهُ بلا عدد) .

وكان يقول : (دماءُ المحبِّين تجيشُ وتغلي ، وهم واقفون مع الحقِّ في مقامٍ إن تقدَّموا غرقوا ، وإن تأخَّروا حُجبوا) .

وكان يقول : (الجذبُ أسرعُ في الوصول من السلوك ؛ فإن كلَّ جذبةٍ من الحقِّ تُغني العبدَ عن أعمال الثقلين) .

وكان يقول : (أصلُ التصوف : ملازمةُ الكتاب والسُّنة ، وتركُ الأهواء والبدع ،

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٤٤٧) (٢٤١) .

وتعظيمُ حرمات المشايخ ، وإقامةُ المعاذير للخلق إذا جنوا عليه ، والمداومةُ على الأوراد ، وتركُ ارتكاب الرُّخص والتأويلات ، وما خالف أحدٌ ما قلناه إلا انحطَّ عن مقام الرجال) .

وكان يقول : (الزاهدُ غريبٌ في الدنيا ، والعارفُ غريبٌ في الآخرة) .

وكان يقول : (إنما سمَّى اللهُ تعالىٰ أهلَ الكهف ﴿فِتْيَةٌ﴾ [الكهف : ١٣] لأنهم آمنوا بلا واسطة) .

وكان يقول : (نهاياتُ الأولياء بدايةُ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) .

ومنهم :

(٢٣٨) أبو الحسن علي بنُ إبراهيم الحُصْرِي رضي الله عنه[١]

هو بصريُّ الأصل ، وسكن بغداد ، ومات بها يوم الجمعة سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة .

وكان شيخَ العراق في وقته ، وهو أستاذُ العراقيين ، وبه تأدَّبَ من تأدَّبَ منهم .

صحبه الشبليُّ ، وإليه كان ينتمي ، وصحبَ غيرَهُ من المشايخ كالجُنيد والنُّوري .

وكان يقول : (مكثتُ زماناً لا أستعيذُ بالله من الشيطان إذا قرأتُ القرآن في بداية أمري ، وأقول : مَنِ الشيطانُ حتىٰ يحضرَ كلامَ الحقِّ ؟! حتىٰ منَّ الله عليَّ ، فعلمتُ أن الشيطان لا يفارقُ مستقيماً ولا أعوجَ) .

وكان يقول : (عرِّضوا للإخوان بالأمور ولا تصرِّحوا ؛ فإن ذلك أسترُ لهم) .

وكان يقول : (من علامة الحاسدِ لك : ألا يقدرَ يصوِّرُ عليك دعوىٰ صحيحةً عند حاكمٍ ولا عند الله يوم القيامة ، ومثلُ ذلك لا ينبغي لعاقلٍ أن يلتفتَ إليه) ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٤٩) (٢٤٢) .

ومنهم :

(٢٣٩) أبو عبد الله أحمد بنُ عطاء ابن أخت أبي علي الرُّوذْباري[١]

كان شيخَ الشام في وقته ، يرجعُ إلىٰ أحوالٍ يختصُّ بها ، مُفنَّناً في علوم الشريعة وتوابعها ، عابداً زاهداً .

مات بصور سنة تسع وستين وثلاث مئة .

وكان يقول : (أهلُ الغَيبة عن الله إذا شربوا طاشوا ، وأهلُ الحضور إذا شربوا عاشوا) .

وكان يقول : (أقبحُ من كلِّ قبيح صوفيٌّ شحيح) .

وكان يقول : (من اتَّبعَ طريقَ القوم انتفىٰ عنه البخل ، ومَنْ كتبَ الحديث انتفىٰ عنه الجهل ، ومن اجتمعَ فيه الكرمُ والعلمُ كان إماماً) .

وكان يقول : (من خدم الأولياء بلا أدبٍ هلك) .

وكان يقول : (ليس كلُّ من يصلحُ للمجالسة يصلحُ للمؤانسة ، ولا كلُّ من يصلح للمؤانسة يُؤتمن على الأسرار) .

وكان من شأنه رضي الله عنه إذا خرج إلىٰ مكانٍ أن يمشي علىٰ أثر الفقراء ، لا يتقدَّمهم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤٠) أبو عبد الله محمد بن محمد التُّرُوغْبَذِيُّ رضي الله عنه[٢]

هو من جِلَّة مشايخ طُوس .

صحب أبا عثمان الحيري ، وطائفةً من المشايخ ، وتخلَّف بعدهم حتىٰ صار أوحدَ أهل زمانه ، وظهرتْ له كرامات .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٥٠) (٢٤٣) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٥١) (٢٤٤) .

وكان متجرِّداً من الدنيا عالي الهمَّةِ والحال .

مات بعد الخمسين وثلاث مئة .

وكان يقول : (من طلبَ الدنيا للدنيا فذلك من علامة حبِّهِ لجمعِ الدنيا) .

وكان يقول : (من ضيَّعَ حقَّ الله في صغره أذلَّهُ الله بالحاجةِ إلى الناسِ في كبره) .

وكان يقول : (ما رأينا أحداً خدمَ الفقراء بصدقٍ إلا وحصل له العزُّ في الدنيا قبل الآخرة) .

وكان يقول : (الزاهدُ في حظِّ نفسه غارق ، والعارفُ في رضا ربِّهِ) .

وكان يقول : (يُنزلُ الله تعالىٰ علىٰ كلِّ عبدٍ من البلاء بقدرِ ما وهبه من المعرفة ؛ وذلك لتكون معرفتُه عوناً له علىٰ بلائه) .

وكان يقول : (ما جزعَ صلى الله عليه وسلم قطُّ من أمرٍ يتعلَّق به ؛ وإنما كان يجزعُ علىٰ ما يتعلَّقُ بأمَّتِهِ) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤١) أبو الحسن علي بن بُندار الصَّيْرفي رضي الله عنه[١]

كان من جلَّة مشايخ نيسابور .

رُزق من صحبةِ المشايخ ما لم يُرزقْهُ غيرُهُ ، صحب بنيسابور أبا عثمان ، ومحفوظاً ، وببغداد الجُنيد ، ورُويماً ، وسمنونَ ، وابنَ عطاء ، والجريري ، وبالشام طاهرَ المقدسي وابن الجلاَّ ، وبمصر أبا بكر المصري ، والزقَّاق ، والرُّوذْباري ، وكتبَ الحديث ورواه .

وكان يقول : (إذا دخلتم بلداً فابدؤوا بالصوفية قبل المحدِّثين ؛ ليعلِّموكم الأدبَ مع المحدِّثين) .

---

(١) في النسخ : (الصوفي) ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وتقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٥٣) (٢٤٥) .

وسئل عن التصوف ، فقال : (هو عدمُ الوقوف مع الخلقِ ظاهراً وباطناً) .

وكان يقول : (تفسدُ القلوبُ علىٰ حسب فسادِ الزمان) .

وكان يقول : (لا يكملُ حالُ الفقير حتىٰ يكتمَ فقرَهُ عن إخوانه ، ويكتمَ رضاه به وفرحَهُ به) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إن زماناً يُذكر فيه أمثالُنا بالصلاح لا يُرجىٰ فيه الصلاح) .

وكان إذا لقي فقيراً قد لقي أحداً من الأولياء ، وهو لم يلقه ، يُقبِّلُ يدَهُ ، ويُركبُهُ دابَّتَهُ ، ويمشي خلفه ، ويقول : إنك لقيتَ فلاناً ، وأنا لم ألقَهُ ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٤٢) أبو بكر محمد بنُ أحمد بن جعفر النيسابوري رضي الله عنه[١]

كان من أعلم مشايخ نيسابور في وقته ، وأكثرِهم فتيا .

صحب أبا عثمان الحيري .

ومات قبل الستين وثلاث مئة .

وكان يقول : (**الفتوةُ** : بذلُ المعروف إلىٰ كلِّ برٍّ وفاجر ، وحسنُ الخُلق مع سائرِ الناس) .

كان يقول : (إذا شهدَ أحدٌ من المسلمين فيكم بشرٍّ . . فخافوا ، ولو كانَ عدوّاً لكم ؛ فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين : « أنتمْ شهداءُ اللهِ في الأرضِ »[٢] ، فيجبُ علىٰ كلِّ عاقلٍ أن يتفقَّدَ ما انطوىٰ عليه من الشرِّ ، ويتوبَ منه ؛ فإن شهادة الناس عندَ الله تعالىٰ مقبولةٌ ، وإذا أُقيمت البيِّنةُ عند الحاكم ، وهي عادلة . . حكمَ بها لا محالةَ ، إلا أن يكونَ الشاهدون من المجرمين ؛ فإنهم لا يُقبلون لعداوتهم للمؤمنين) ، والله تعالىٰ أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٥٤) (٢٤٦) .

(٢) رواه البخاري (١٣٦٧) ، ومسلم (٩٤٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ٤٥٤) .

ومنهم :

(٢٤٣) أبو بكر محمد بنُ أحمد بن حَمْدون الفرَّاء رضي الله عنه[(١)]

كان من كبار مشايخ نيسابور .

صحب : أبا علي الثقفي ، وعبد الله بن مُنازل ، والشِّبلي ، وأبا بكر بن طاهر ، وغيرَهم .

وكان أوحدَ وقته في طريقته .

مات سنة سبعين وثلاث مئة .

وكان يقول : (مِنْ شرطِ العاقل : أن يكتمَ حسناتِهِ أكثرَ مما يكتمُ سيئاته ؛ فإنه بذلك يرجو النجاةَ) .

وكان يقول : (لا يدخلُ نورُ المعرفة قلباً من القلوب حتىٰ يُؤثرَ صاحبُهُ الحقَّ علىٰ كلِّ شيءٍ) .

وكان يقول : (لا تتواضعْ لمن لا يكرمُكَ تَظلمْ نفسك ، ومَنْ زهدَ فيك فازهدْ فيه ، ومن أتىٰ إليك فاذهبْ إليه ، ومن ذكرَكَ فاذكرْهُ ، ومن نسيك فانسَهُ ، وعاملِ الوجود بحسب ما يعاملُكَ ، إلا أن تُريدَ الفضلَ فلا حرج) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٤٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المقرئ رضي الله عنه[(٢)]

صحب يوسف بن الحسين الرَّازي ، وعبد الله الخرَّاز ، ومظفَّرَ القَرْمِيسيني ، ورُويماً ، والجريري ، وابن عطاء ، وغيرَهم .

---

(١) في (أ ، ز ، ط) : (عبد الله) بدل (أبو بكر) ، وفي (ج ، د ، هـ ، ح ، ي) : (أبو عبد الله) ، والمثبت من « طبقات الصوفية » (ص ٥٠٧) ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٥٥) (٢٤٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٥٥) (٢٤٨) .

وكان من أسخى المشايخ ، وأعلاهم همَّةً .

مات سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة .

وكان يقول : (إذا ظنَّ الناسُ فيك الخوفَ من الله ، أو قيامَ الليل ، أو الورعَ ، أو الزهدَ في الدنيا . . فحقِّقْ ظنَّهم فيك ، وإياك أن يظنوا فيك خيراً وأنت مُتمادٍ على ضدِّه ؛ فإنَّ ذلك خسرانٌ ونفاق) .

وكان يقول : (إن الله يسوقُ إلى العبد أرزاقَ الخلائق بقدرِ ما في قلبه من الكرم والجود) .

وكان يقول : (إذا استرعاك اللهُ أحداً من الفقراء في زاويتك فلا تغفلْ عن تربيته وتأديبه ، ولا تخصَّ نفسَك عنه بشيءٍ إلا لعذرٍ ؛ فإن الله قد وصَّاك عليه ، ولو أن أحداً من الملوك وصَّاك على غلامِهِ لقمتَ بواجبِ حقِّهِ كما ينبغي ، فاللهُ أحقُّ أن تَعتني بمن وصَّاك عليه) ، والله اعلم .

ومنهم :

(٢٤٥) أخوه أبو القاسم بن أحمد بن محمد المقرئ رضي الله عنه[١]

كان أوحدَ المشايخ بخُراسان في وقته وطريقته ، عالي الحال ، شريفَ الهمَّة ، حسنَ السَّمت والوقار .

صحب ابن عطاء ، والجريري ، وابن [أبي] سعدان[٢] ، وابن مُمْشاذ الدِّينوري ، والرُّوذْباري .

مات سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مئة بنيسابور .

وكان يقول : (من كمال خُلق الفقير : أن يُحَسِّنَ خُلقه مع عدوِّه ، ويبذلَ له المال ، ويوافقَ إخوانه في كلِّ مباح طلبوه منه) .

---

(١) واسمه : جعفر بن أحمد ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرى » (١/ ٤٥٥) (٢٤٩) .

(٢) في النسخ : (وابن سعدان) ، والمثبت من مصادر ترجمته .

وكان يقول : (من أدبِ الفقير : تصديقُ المشايخ في جميعِ ما يُخبرون به من كراماتهم ، فإن لم يصدِّقْهم حُرم بركتهم) .

وكان يقول : (من تعزَّز عن خدمة الإخوان ابتلاه اللهُ بذُلٍّ لا ينفكُّ عنه حتىٰ يموت) .

وكان يقول : (السماعُ علىٰ ما فيه من اللطافة فيه خطرٌ عظيم ، إلا لمن سمعَهُ بغيرِ هوىٰ نفسٍ ، وكان له حالٌ صحيح ، بحيث لو أراد قلعَ شجرةٍ كبيرةٍ من الأرض لقدرَ ، وقد وقعَ للشِّبلي : أنَّه ملخَ شجرةَ جميز تظلُّ نحو خمس مئة فارس ، فقام شخصٌ يتشبَّه به ، فأشارَ إليه الأشياخ ، فجلسَ ؛ خوفاً منهم أن يفتضحَ ، فيُسيء الحاضرون ظنَّهم به) .

ومنهم :

(٢٤٦) أبو محمد عبد الله الرَّاسِبي رضي الله عنه[1]

هو بغداديُّ الأصل ، من جِلَّة المشايخ .

صحب ابنَ عطاء ، والجريري .

ورحل إلى الشام ، ثم عادَ إلىٰ بغداد ، **ومات بها سنة سبعٍ وستين وثلاث مئة** .

وكان يقول : (إذا امتحنَ اللهُ تعالىٰ قلبَ العبدِ بالتقوىٰ . . ترحَّلَ منه حبُّ الدنيا وشهواتُها ، واطَّلعَ على المغيَّبات ، ومن لم يصحَّ له التقوىٰ فهو غارقٌ في حبِّ الدنيا ، محجوبٌ عن كلِّ غيبٍ) .

وكان يقول : (المحبَّةُ إذا ظهرتْ فضحتِ المحبَّ ، وإذا كتمت قتلتْهُ كمداً) .

وكان يقول : (ما طلبَ أحدٌ الدنيا إلا دعاه اللهُ إلى الآخرة ، ولا طلبَ أحدٌ الآخرةَ إلا دعاه الحقُّ إلىٰ قربه) .

وكان يقول : (من البلاء العظيم صحبتُكَ لمن لا يُوافقُك ولا يُفارقك) ، والله أعلم .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٥٧) (٢٥٠) .

ومنهم :

(٢٤٧) أبو عبد الله الدِّينوري رضي الله عنه[١]

هو من جِلَّة المشايخ ، وأعلاهم حالاً وهمَّةً ، وأفصحهم في علومهم .

أقام بوادي القُرىٰ سنين ، ثم عاد إلىٰ دِيْنَور ، ومات بها سنة نيِّفٍ وسبعين وثلاث مئة .

وكان يقولُ : (صحبةُ الأصاغر للأكابر من التوفيق والفطنة ، ورغبةُ الأكابر في صحبة الأصاغر من الخذلان والحمق) .

وكان يقول : (لا يغرنَّكَ ما ترىٰ من الفقراء من اللباس الظاهر ؛ فإنهم ما زيَّنوا الظواهر وعَمَروها إلا بعد أن خربوا البواطنَ من حظوظ النفوس) .

وكان يقول : (تعبُ الزاهد في بدنه ، وتعبُ العارف في قلبه) .

وكان يقول : (أَرفعُ العلوم قدراً علومُ هٰذه الطائفة) .

وكان يقول : رأيتُ في بعض أسفاري رجلاً يقفزُ بإحدىٰ رجليه ، فقلتُ له : ما لَكَ وللسفرِ مع فقدان كمال الآلة ؟ فقال : أمسلمٌ أنت ؟ فقلت : نعم ، فقال : أما تقرأُ قوله تعالىٰ : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٠] ؟! فإذا كان هو الحاملَ حَمَلَ بلا آلةٍ .

وكان يقول : (إن كثرة الكلام ينشِّفُ البدن من الحسنات ، كما تُنشَّفُ الأرضُ إذا بعد عنها الماء) ، رضي الله عنه .

---

(١) هو محمد بن عبد الخالق ، تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٤٥٨/١) (٢٥١) .

ومنهم :

(٢٤٨) الشيخُ الكاملُ القطبُ الغوث أبو صالح[(١)] عبد القادر الجيلاني الشريف الحسيب رضي الله عنه[(٢)]

وهو ابن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين .

ولد رضي الله عنه سنة سبعين وأربع مئة ، وتوفي سنة إحدىٰ وستين وخمس مئة ، ودفن ببغداد .

وأفرده الناسُ بالكرامات في عدَّةِ مؤلفات ، آخرُهم الشيخ سراجُ الدين ابن الملقن الشافعي رضي الله عنه[(٣)] .

وها نحن نُلخِّصُ لك عيونَ جميعِ ما قالوه فيه ، ونقلوه عنه ، وإذا نطقوا ظهرت مراتبهم ، فأقول وبالله التوفيق :

كان رضي الله عنه يقول : (عثر الحسينُ الحلاج عثرةً ، فلم يكن في زمنه من يأخذُ بيده ، وأنا لكلِّ من عثرَ مركوبُهُ من جميع أصحابي ومريدي ومحبِّي إلىٰ يوم القيامة . . آخذٌ بيده كلما عثر حيّاً وميتاً ؛ فإن فرسي مسرج ، ورمحي منصوبٌ ، وسيفي مشهور ، وقوسي موتور لحفظ مريدي وهو غافل) .

وكانت والدةُ الشيخ عبد القادر تقول : لما وضعت ولدي عبد القادر كان لا يرضعُ ثديه في نهار رمضان ، فكان الناسُ إذا شكُّوا في هلالِ رمضان بعد أن كبر . . يرجعونَ إليه ، فإذا صامَ صاموا ، وإن أفطر أفطروا ؛ لِما رأوا من حفظه واعتناء الحقِّ به حال رضاعه .

---

(١) كذا في النسخ ، وقد أجمعت المصادر أن كنيته : (أبو محمد) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٥٩) (٢٥٢) .

(٣) واسم كتابه : « درر الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر » .

وكان رضي الله عنه يلبسُ لباسَ العلماء ، ويتطيلسُ ، ويركب البغلة ، وتُرفع الغاشيةُ بين يديه ، وإذا تكلَّم جلسَ علىٰ كرسيٍّ عالٍ ، وربما خطا في الهواء علىٰ رؤوس الأشهاد ، ثم يرجعُ إلىٰ جلوسه على الكرسيِّ .

وكان يقول : (بقيت في بداية أمري أياماً لم أستطعمْ فيها طعاماً ، فلقيني إنسانٌ ، فأعطاني صُرَّةً فيها دراهم ، فأخذتُ منها خبز سميذٍ وخبيصاً ، فلما جلستُ آكل ، وإذا برقعةٍ مكتوب فيها : إنما جعلتُ الشهواتِ لضعفاء عبادي ، ليستعينوا بها على الطاعات ، أما الأقوياءُ فما لهم وللشهوات ، فتركتُ الأكل ، وانصرفتُ) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إنه ليَرِدُ عليَّ الأثقالُ كالجبال الرواسي ، بل لو وضعت على الجبل لتفسَّخ من ثقلها ، فأضع جنبي على الأرض وأصيرُ أكرِّرُ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٥-٦] حتىٰ ينفرجَ عني تلك الأثقال) .

وكان يقول : (قاسيتُ في بدايتي جميعَ الأهوال ، فما تركتُ هولاً إلا ركبته ، وكان لباسي جبةَ صوفٍ ، وعلىٰ رأسي خُريقة ، وكنتُ أمشي حافياً في الشوك والوعر ، فلا أجدُ نعلاً أمشي فيه ، وكنت أقتاتُ بخرنوب الشوك ـ وهو شجرُ السَّنْط[1] في بلاد مصر ـ وكثيراً ما كنتُ أقتات بقمامة البقل ، وورقِ الخسِّ من شاطىء النهر ، ولم أزل آخذ نفْسي بالمجاهدة حتىٰ طرقني من الله الحالُ ، فخرجتُ علىٰ وجهي أسيحُ في البراري وبين الناس ، لا أعي غير ما أنا فيه .

وكنت أتظاهرُ بالتخارس والجنون ، وحُملت إلى البيمارستان مراتٍ .

وطرقتني مرةً الأحوالُ حتىٰ متُّ ، وجاؤوا بالكفن والغاسل ، ووضعوني على المُغتسل ليغسِّلوني ، ثم إنه سُرِّي عني ، وقمت) .

وكان يقول : (لا يخرجُ الإنسانُ عن العجب إلا إن رأىٰ أمورَهُ كلَّها من الله ، وأخرج نفسه من البين) .

---

(١) **السَّنْط** : شجر من الفصيلة القرنية ، ثمره القرظ ، يكثر بمصر ، وهو أجود حطبهم ، ويدبغون به .

وكان الذبابُ لا يجلسُ علىٰ ثيابه ، وراثةً من جدِّه صلى الله عليه وسلم[١] ، فقيل له في ذلك ، فقال : أيشٍ يعملُ الذباب عندي ، وليس عندي شيءٌ من دبس الدنيا[٢] ، ولا عسل الآخرة ؟!

وكان يقول من باب التحدُّثِ بالنعم : ما مرَّ مسلمٌ علىٰ باب مدرستي إلا خفَّفَ الله عنه العذابَ يوم القيامة) .

وأخبروه مرَّةً بشخصٍ يصيحُ في قبره ، فمضىٰ إليه وقال : إنَّ هـٰذا رآني مرةً ، ولا بدَّ أن يرحمَهُ الله ، فمن ذلك الوقت ما سمعَ أحدٌ له صراخاً .

وجلس مرةً يتوضأ ، فزرقَ عليه عصفورٌ ، فرفع إليه رأسه ، فخرَّ ميتاً ، فغسل الثوبَ ، ثم تصدَّقَ به عن العصفور ، وقال : إن كان علينا إثمٌ فذلك كفارته .

وكان يُفتي علىٰ مذهب الإمام الشافعي وأحمد ، وكانت فتاواه تُعرضُ علىٰ علماء العراق ، فتعجبُهم أشدَّ الإعجاب ، ويقولون : سبحان من أعطاه .

ورفعوا إليه مرةً سؤالاً في رجلٍ حلف بالطلاق الثلاث : أنه لا بدَّ أن يعبدَ الله عز وجل عبادةً ينفردُ بها دون الخلقِ أجمعين في ذلك الوقت ، فما خلاصُهُ ؟ فقال على الفور : خلاصُهُ : أن يأتي مكة ، ويُخلَّىٰ له الطواف ، ويطوفُ أُسبوعاً وحده ، وينحل يمينه ، فأَعجبتْ علماءَ العراق ، وكانوا قد عجزوا عن الجواب .

وكان رضي الله عنه يُقرئ الناسَ في ثلاثة عشر علماً : في التفسير ، والحديث ، والخلاف ، والأصول ، والنحو ، والقراءات السبع ، وغير ذلك .

وكان وقتُه كلُّهُ معموراً ، ويقول : (لا ينبغي لفقيرٍ أن يتصدَّرَ لإرشاد الناس إلا إن أعطاه الله علمَ العلماء ، وسياسةَ الملوك ، وحكمةَ الحكماء) .

ورفعوا له مرةً شخصاً ادعىٰ أنه يرى الله بعيني رأسه ، فقال له : أحقٌّ ما يقولون عنك ؟ فقال : نعم ، فزجره وانتهره ، ونهاه عن هـٰذا القول ، وعاهده علىٰ ألا يعود

---

(١) من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذباب لا ينزل عليه . انظر « غاية السول في خصائص الرسول » لابن الملقن : (ص ٧٨) .

(٢) في النسخ جميعها ما عدا (ح) : (دنس) بدل (دبس) ، والمثبت موافق للمصادر .

يذكُره ، ثم التفتَ إلى العلماء الحاضرين ، وقال : هو محقٌّ في قوله ، ملبَّسٌ عليه ؛ وذلك أنه شهد ببصيرته نورَ الجمال ، ثم خُرِقَ من بصيرته إلىٰ بصره منفذ ، فرأىٰ بصرُهُ بصيرته ، وشعاعها متَّصلٌ بنور شهوده ، فظنَّ أن بصرَهُ رأىٰ ما شهدتْهُ بصيرتُهُ ، وإنما رأىٰ بصرُهُ نورَ بصيرته فقط ، وهو لا يدري ، قال تعالىٰ : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩ـ ٢٠] ، فأُطرب العلماء والصوفية من سماع هـٰذا الكلام ، ودهشوا من حسن إفصاحه عن حالِ الرجل ، ومزَّقَ جماعةٌ ثيابَهم ، وخرجوا عرايا إلى الصحراء .

ثم إنَّ الشيخَ ذكر أنه تراءىٰ له نورٌ عظيم ، ملأ الأفقَ مرَّةً من المرات ، وبدا له في ذلك النور صورةٌ ، قال : فنادتني : يا عبد القادر ؛ أنا ربُّك ، وقد أبحتُ لك المحرَّمات ، فقلت : اخسأْ يا لعين ، فإذا بذلك النور ظلام ، وإذا بالصورة دخان ، ثم صرخَ فيَّ : يا عبد القادر ؛ نجوتَ مني بعلمك بحكم ربِّك ، وفقهك في أحكام منازلاتك ، ولقد أضللتُ بمثل هـٰذه الواقعة سبعين من أهل الطريق ، فقيل للشيخ : بمَ عرفتَ أنه شيطان ؟ فقال : من قوله : (قد أبحت لك المحرمات) .

وسئل مرةً عن الهمَّة ، فقال : (هي أن يَتعرَّى العبدُ بنفسه عن حبِّ الدنيا[١] ، وبروحه عن التعلُّق بالعقبىٰ ، وبقلبه عن إرادته غير ما أراده له ربُّه ، ويتجرَّد بسرِّه عن أن يلمحَ الكون ، أو يخطرَ علىٰ باله الركون إليه دون الله) .

وكان يقول : (أخرجوا الدنيا من قلوبكم إلىٰ أيديكم ؛ فإنها لا تضرُّكم) .

وكان يقول : (الفقيرُ الصابرُ مع الله أفضلُ من الغنيِّ الشاكر ، والفقيرُ الشاكرُ لله أفضلُ منهما ، والفقيرُ الصابرُ الشاكرُ أفضلُ من الكلِّ ، وما أحبَّ البلاء وتلذَّذَ به إلا من عرف المبلي) .

وكان يقول : (ما دمتَ تراعي الخلق لا تهتدي لعيب نفسك ، وما دمتَ تراعي نفسك فأنت في حجابٍ عن ربِّك) .

ولما اشتهرَ أمرُ الشيخ عبد القادر في الآفاق . . اجتمعَ له مئةُ فقيهٍ من علماء بغداد

---

(١) في (ط ، ي) : (يتعدَّىٰ) بدل (يتعرىٰ) .

يمتحنونه في العلم ، فجمع كلُّ واحدٍ له عدَّةَ مسائل ، وجاؤوا إليه ، فلما استقرَّ بهم المجلسُ ، أطرق الشيخُ ، فظهرتْ من صدره بارقةٌ من نور ، فمرَّتْ على صدور المئة فقيه ، فمسحتْ ما في قلوبهم ، وبهتوا ، واضطربوا ، وصاحوا صيحةً واحدةً ، ومزَّقوا ثيابهم ، وكشفوا رؤوسَهم ، ثم صعِدَ الكرسيَّ ، وأجاب عن جميع مسائلهم ، فاعترفوا بفضلِهِ ، وخضعوا له من ذلك اليوم .

وكان مع جلالته يُجالسُ الفقراءَ ، ويَفلِي لهم ثيابهم .

وكان معظِّماً للفقراء دون الأغنياء ، ولم يقمْ قطُّ لأحدٍ من الأمراء ، ولا أركان الدولة ، ولا ألمَّ ببابِ وزيرٍ ولا سلطان ، وكان لا يقبل قطُّ من الخليفة هديةً .

وطلبوا منه مرَّةً تفَّاحاً في غير أوانه ، فخطفَ من الهواء تفاحاً وأطعمهم .

وعتبه الخليفةُ مرةً على عدم قبوله هديته ، فقال : أرسلْ ما بدا لك ، واحضرْ معه ، فحضر الخليفةُ مع شيءٍ من التفاح ، ففلقه الشيخُ ؛ فإذا كلُّ تفاحةٍ محشوة دماً وقيحاً ، فقال للخليفة : كيف تلومُنا على عدمِ أكلنا من هـٰذا وكلُّه محشوٌّ بدماء الناس ؟! فاستغفرَ الخليفة ، وتابَ على يديه ، وصحبه إلى أن مات ، وكان يأتي ، فيقف بين يدي الشيخ كآحاد الناس .

وكان يقول : (لا يكملُ الفقيرُ إلا بتجريد التوحيد مع الوقوف على قدم العبودية ، لا بشيءٍ ولا لشيء) .

وكان أبو الفتح الهروي يقول : (خدمت الشيخَ عبد القادر أربعين سنة ، فكان يُصلِّي الصبحَ بوضوء العشاء المدةَ كلَّها ، وكان كلما أحدثَ توضأ ، ثم صلى ركعتين ، لا يجلسُ قطُّ على حدثٍ ساعة) .

وكان يصلي العشاء ، ويدخل خلوته ، فلا يُمكِّن أحداً يدخلها معه ، ولا يفتحها إلا عند طلوع الفجر ، حتى إن الخليفةَ أتاه ليلاً يُريد به الاجتماعَ ، فلم يتيسَّرْ له الاجتماع إلى الفجر .

قال الهرويُّ : وبتُّ عنده ليلةً من الليالي ، فرأيتُهُ يُصلِّي أول الليل يسيراً ، ثم يذكُرُ اللهَ إلى أن يمضي الثُّلثُ الأول ، ثم يقول : المحيطُ الربُّ ، الشهيد الحسيب ،

الفعَّال الخلاق ، الخالق البارئ المصوِّر ، فتتضاءل جثَّتُهُ مرَّةً ، وتعظم مرَّةً ، ويرتفع في الهواء إلىٰ أن يغيبَ عن بصري مرَّةً ، ثم يُصلِّي قائماً علىٰ قدميه ، يتلو القرآنَ إلىٰ أن يذهبَ الثُّلثُ الثاني ، وكان يُطيلُ سجودَهُ جدّاً ، ثم يجلسُ متوجِّهاً مُراقباً مُشاهداً إلىٰ قريب طلوع الفجر ، ثم يأخذُ في الابتهال والدعاء والتذلُّل ، ويغشاه نورٌ يكادُ يخطَفُ الأبصار إلىٰ أن يغيبَ فيه عن النظر .

قال : وكنتُ أسمعُ عنده : سلامٌ عليكم ، سلامٌ عليكم ، وهو يردُّ السلامَ إلىٰ أن يخرجَ لصلاةِ الفجر .

وكان الشيخ عبدُ القادر يقول : (أقمتُ في صحراء العراق وخرائبه خمساً وعشرين سنة مجرَّداً سائحاً ، لا أعرفُ الخلقَ ولا يعرفوني ، وكان يأتيني طوائفُ من رجال الغيب ، ومن الجانِّ ، فأُعلِّمُهمُ الطريقَ إلى الله تعالىٰ) .

ورافقني الخضرُ عليه السلام أول دخولي العراق ، ولم أكنْ أعرفه ، وشرطَ عليَّ ألا أُخالفَهُ ، وقال لي : اقعدْ ها هنا ، فجلستُ في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين ، يأتيني في كلِّ سنةٍ مرَّةً ، ويقول في كلِّ مرةٍ : لا تبرحْ من مكانك حتىٰ آتيك .

قال : (ومكثتُ سنةً في خرائب المدائن آخذُ نفسي بطريق المجاهدات ، وكنت آكلُ المنبوذَ ، ولا أشرب الماءَ ، ومكثتُ فيها سنةً أشربُ الماءَ ولا آكل المنبوذ ، ومكثتُ سنةً لا آكل ولا أشرب ولا أنام .

ونمتُ مرةً في إيوان كسرىٰ في ليلةٍ باردة ، فاحتلمتُ ، فقمتُ وذهبتُ إلى الشَّطِّ واغتسلت ، ثم نمت ، فاحتلمتُ ، فذهبتُ إلى الشطِّ واغتسلتُ ، وقعَ لي ذلك في تلك الليلة أربعين مرةً ، وأنا أغتسلُ في كلِّ مرةٍ ، ثم صعدتُ جدارَ الإيوان خوفَ النوم .

ودخلتُ في ألف فنٍّ حتى استرحتُ من الدنيا وأهلها) .

وكان رضي الله عنه يرى الجلوسَ علىٰ بساطِ الملوك والأمراء من العقوبات المعجَّلة للفقير .

وكان كثيراً ما يرى الخليفةَ قاصداً له ؛ فيدخلُ الخلوة ، ثم يخرجُ حتىٰ لا يقومَ له ؛ إعزازاً لطريق الفقراء .

وتكلَّمَ يوماً في القضاء والقدر في مدرسة النظامية بحضرة الفقراء والعلماء ، فبينما هو يتكلَّمُ إذ سقطتْ عليه حيَّةٌ عظيمة من السقف ، ففرَّ منها كلُّ مَنْ كان حاضراً عنده ، ولم يبق إلا هو ، فدخلتِ الحيةُ تحت ثيابه ، ومرَّتْ علىٰ بطنه ، وخرجت من طوقه ، والتفَّتْ علىٰ عنقه ، وهو مع ذلك لم يقطعْ كلامَهُ ، ولا غيَّر جلسته ، ثم نزلتْ إلى الأرضِ ، وقامتْ علىٰ ذنبها بين يديه ، فصوَّتَتْ ، ثم كلَّمها بكلامٍ لم يفهمْه الحاضرون ، ثم ذهبت ، فرجع الناس ، وسألوه عما قالت ، فقال : قالت لي : لقد اختبرتُ كثيراً من الأولياء ، فلم أرَ مثلَ ثباتك ، فقلت لها : وهل أنت إلا دُويدةٌ يُحرِّكُك القضاءُ والقدر الذي نحن نتكلَّمُ فيه ؟!

ثم إنها جائتني بعد ذلك وأنا أُصلي ، ففتحت فمَها موضع سجودي ، فدفعتُها ، وسجدتُ مكانها ، فالتفَّتْ علىٰ عُنقي ، ثم دخلتْ من كمِّي ، وخرجت من الكمِّ الآخر ، ثم دخلتْ من طوقي ، ثم خرجتْ ، فلما كان الغدُ دخلتُ خربةً ، فرأيت شخصاً عيناه مشقوقتان طولاً ، فعلمتُ أنه جنِّيٌّ ، فقال لي : أنا الحيَّةُ التي رأيتَها البارحة ، ولقد اختبرتُ كثيراً من الأولياء بما اختبرتُك به ، فلم يثبتْ منهم أحدٌ كثباتك ، قال : وسألني أن يتوب علىٰ يدي ، فتوَّبتُه .

وكان رضي الله عنه يقول : (ما ولدَ لي مولودٌ إلا وأخذتُهُ علىٰ يدي وقلتُ : هٰذا ميتٌ ، فأُخرجُهُ من قلبي أولَ ما يُولد ، حتىٰ لا يَشغلني عن ربِّي طرفةَ عينٍ) .

قال ابن الأخضر : (وكنا ندخلُ على الشيخ عبدِ القادر في شدَّةِ بردِ الشتاء ، فنجدُ عليه قميصاً واحداً ، وعلىٰ رأسه طاقية ، والعرقُ يخرجُ من جسده ، وحوله من يروِّحُهُ بمروحةٍ كما يكون في شدَّةِ الحرِّ) .

وكان يقول : (اتَّبعوا ولا تَبتدعوا ، وأطيعوا ولا تمرقوا[1] ، واصبروا ولا تجزعوا ، وانتظروا الفرج ولا تيئسوا ، واجتمعوا علىٰ ذكرِ الله ولا تفرَّقوا ، وتطهَّروا بالتوبة عن الذنوب ولا تلطخوا ، وعن بابِ مولاكم لا تبرحوا) .

وكان يقول : (كونوا بوَّابين علىٰ باب قلوبكم ، وأَدخلوا ما يأمرُكم اللهُ بإدخاله ،

---

(١) في (أ ، ب ، د ، ط ، ي ، ك) : (ولا تمزقوا) .

وأخرجوا ما أمركم اللهُ بإخراجه ، ولا تُدخلوا الهوىٰ قلوبَكم فتهلكوا) .

وكان يقول : (احذروا ولا تركنوا ، وخافوا ولا تأمنوا ، وفتِّشوا ولا تغفلوا ، فتطمئنوا ، ولا تضيفوا إلىٰ أنفسكم حالاً ولا مقاماً ، ولا تدَّعوا شيئاً من ذلك ، ولا تُخبروا أحداً بما يُطلعُكم اللهُ عليه من الأحوال ؛ فإن الله تعالىٰ : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] في تغييرٍ وتبديلٍ ، يحولُ بين المرءِ وقلبه ، فيزيلكم عما أخبرتم الناسَ به ، ويعزلكم عما تخيَّلْتُم ثباته ، فتخجلوا عند من أخبرتموه بذلك ، بل احفظوا ذلك ولا تتعدُّوا به إلىٰ غيركم ، فإن كان الثباتُ والبقاء فاشكروا ربَّكم عليه ؛ فإنه موهبةٌ منه، وإن كان غيرَ ذلك كان فيه زيادةُ علم ، ومعرفة ونور ، وتيقُّظ ، وتأديب).

وكان يقول : (لا تخترْ جلبَ النَّعماءِ ، ولا دفعَ البلوىٰ ؛ فإن النَّعماءَ واصلةٌ إليك بالقسمة ، استجلبتَها أم لا ، والبلوىٰ حالَّةٌ بك ولو كرهتها ، فسلِّم لله في الكلِّ يفعل ما يشاء ، فإن جاءتك النَّعماءُ فاشتغل بالذكر والشكر ، وإن جاءتك البلوىٰ فاشتغلْ بالصبر والموافقة ، وإن كنتَ أعلىٰ من ذلك فبالرضا والتلذُّذِ بها ، واعلموا أن البلية لم تأتِ المؤمن لتُهلكه ، وإنما أتته لتختبرَهُ) .

وكان يقول : (لا تشكونَّ ضرّاً نزل بك لغير الله : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ١٧] ، واحذرْ أن تشكو ربَّك وأنت معافىً ، أو تشكو ضيقَ رزقك وعندك قوتُ يومٍ ، فربما غضبَ الحقُّ عليك ، فأزالَ عنك العافيةَ ، وعسَّرَ عليك أسبابَ الرزق عقوبةً لك علىٰ كفرانك النعم) .

وكان يقول : (لا يصلحُ لمجالسةِ الحقِّ تعالىٰ إلا المطهَّرُ من رجسِ الزلات ، ولا يفتحُ أبوابَهُ تعالىٰ إلا لمن خلا عن الدعاوىٰ والهوسات ، ولما كان الغالبُ على الناس عدمَ التطهُّر ابتلاهم بالأمراض كفارةً وطهوراً ؛ ليصلحوا لقُربه ومجالسته ، شعروا بذلك أم لم يشعروا) .

وكان يقول : (دوامُ البلاءِ خاصٌّ بأهل الولاية الكبرىٰ ؛ وذلك ليكونوا [دائمي] العكوف علىٰ خطابه ومناجاته)(١) .

---

(١) في النسخ : (دائمين) بدل (دائمي) .

وكان يقول : (لا تظلموا أحداً ولو بسوءِ ظنِّكم ؛ فإنه لا يجاوزُ ربُّكم ظلمَ ظالم) .

وكان يقول : (إياكم أن تُحبُّوا أحداً أو تكرهوه إلا بعد عرضِ أفعاله على الكتاب والسُّنة ؛ كيلا تحبُّونه بالهوىٰ ، وتبغضونه بالهوىٰ ، واعلموا أنه لا يجوزُ لكم هجرُ أحدٍ على الظنِّ والتهمة) .

وكان يقول : (إذا رأى الحقُّ ميلَ وليِّهِ إلىٰ ولدٍ أو مالٍ . . أراحه منهما غيرةً عليه) .

وكان يقول : (قد يُلاطفُ اللهُ تعالىٰ عبدَهُ المؤمن ، ويفتحُ قبالة قلبه بابَ الرحمة والمِنَّة والإنعام ، فيرىٰ بقلبِهِ ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعتْ ، ولا خطرَ علىٰ قلب بشرٍ ؛ من مطالعة الغيوب ، والتقريب ، والكلامِ اللطيف ، والوعدِ الجميل ، والدلال ، وإجابة الدعاء ، وغير ذلك من النِّعم السابغة على المقرَّبين ، ثم في لمح البصرِ يُغيِّرُ عليه ذلك الحالَ ، ويفتحُ عليه أنواعَ البلايا والمحن في النَّفْس والمال والولد والإخوان ، ويزولُ عنه جميعُ ما كان فيه من النعم ، فيصير متحيِّراً مُنكسراً ؛ إن نظرَ إلىٰ ظاهره رأىٰ ما يَسوءُهُ ، وإن نظر إلىٰ باطنه نظرَ ما يُحزنه ، وإن سألَ الله كَشْفَ ما به من الضُّرِّ . . لم يرجُ إجابةً ، وإن طلبَ الرجوعَ إلى الخلق لم يجدْ إلىٰ ذلك سبيلاً ، وإن عملَ بالرُّخص تسارعتْ إليه العقوباتُ ، وتسلَّطتِ الخلائقُ علىٰ جسمه وعرضه بالأذىٰ ، وإن طلبَ الإقالةَ من ذلك لا يُقال ، وإن رامَ الطيبةَ والتنعُّم بما به من البلاء لم يُعطَ ذلك ، وحينئذ تأخذُ النفسُ في الذوبان ، ويشددُ عليه البلاء ، حتىٰ تفنىٰ أوصافُ بشريَّتِهِ ، ويبقىٰ روحاً فقط ، وهناك يسمعُ النداءَ من قِبَلِه : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [صَ : ٤٢] وردَّ اللهُ عليه جميعَ تلك الخلع وأزيد منها ، وتولَّى الحقُّ تربيتَهُ بنفسه : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] فإياكم والاغترارَ بصفاء الأوقات ؛ فإن في طيِّها آفاتٍ) .

وكان يقول : (ما سأل أحدٌ أحداً من الخلق دون الحقِّ إلا لجهله بالحقِّ ، وما تعفَّفَ متعفِّفٌ إلا لوفور علمه بالحقِّ) .

وكان يقول : (إنما كان الحقُّ تعالىٰ لا يُجيبُ عبدَهُ في كلِّ ما سأل رحمةً به ،

وشفقةً أن يغترَّ بذلك ، فيتعرَّض للمكر به ، وهو يغفُلُ عن آداب الخدمة ، وكما أنه تعالىٰ دعاه إلىٰ فعلِ كلِّ مأمورٍ فلم يفعل . . كذلك دعا العبدُ ربَّهُ فلم يُجبه جزاءً وفاقاً) .

وكان يقول : (من علامة ابتلاء العبد علىٰ وجه العقوبة : عدمُ الصبر عند وجودِ البلاء ، والجزعُ والشكوىٰ إلى الخلق ، وعلامةُ ابتلائه علىٰ وجه التكفير لخطاياه : وجودُ الصبرِ الجميل من غيرِ شكوىٰ ولا جزع ولا ضجر ، ولا ثقل في أداءِ الأوامر ، وعلامةُ الابتلاء علىٰ وجه رفعِ الدرجات : وجودُ الرضا والموافقة ، وطمأنينة النفس ، والسكونُ تحت جريان الأقدار ، حتىٰ تنكشفَ) .

وكان يقول : (من علامة حبِّ الآخرة : الزهدُ في الدنيا ، ومن علامة حبِّ الله : الزهدُ فيما سواه) .

وكان يقول : (ما دامَ في قلبِ العبد شهوةٌ لشيءٍ يكرهُهُ الله . . فهو عدوٌّ الله) .

وكان يقول : (كلما جاهدتَ النفس وقتلتَها في الطاعات كلما حييت ، وكلما أكرمْتَها ولم تُهنْها في مرضاة الله ماتت) .

قال : (وهـٰذا هو معنىٰ حديث : « رجعنا منَ الجهادِ الأصغرِ » يعني : في الكفار « إلى الجهادِ الأكبرِ »[1] ؛ يعني : جهاد النفس) .

وكان يقول : (من علامةِ خوفِ المؤمن من ربِّه عز وجل : أن يُفتِّش كلَّ ما دخلَ جوفه ، ولا يعتمدَ علىٰ ما قسم ، فيفوته أجرُ التفتيش) ، قال : (ومن هنا ورد : « المؤمنُ فتَّاشٌ والمنافقُ لفَّافٌ »[2]) .

ومناقبُه رضي الله عنه كثيرة في « البهجة »[3] وغيرها ، وفي هـٰذا القدر كفايةٌ ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الزهد » (٣٧٣) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وتقدم تخريجه (١/ ٤٧٣) .

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مصادر .

(٣) هو كتاب : « بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني » لعلي بن يوسف الشطنوفي .

ومنهم :

(٢٤٩) الشيخُ الكامل شيخُ الطريق
سيدي أحمدُ بنُ أبي الحسن الرِّفاعي رضي الله عنه[1]

منسوبٌ إلىٰ بني رِفاعة ، قبيلةٍ من العرب ، وسكن أم عَبيدة بأرضِ البطائح إلىٰ أن مات بها .

وانتهت إليه الرئاسةُ في علوم الطريق ، وشرح أحوال القوم ، وكشف مشكلات منازلاتهم .

وكان إمامَ المشايخ بالبطائح ، وتخرَّجَ بصحبته جماعاتٌ كثيرة ، وتلمذَ له خلائقُ لا يُحصون .

ورثاه المشايخُ والعلماء لما مات ، وهو أحدُ من قهر أحوالَهُ ، وملكَ أسراره ، وله كلامٌ عالٍ علىٰ لسان أهلِ الحقائق .

وسُئل مرَّةً عن وصف الرجل المتمكِّن ، فقال : (هو الذي لو نُصب له سِنانٌ علىٰ أعلا شاهقٍ في الأرض ، وهبَّتْ عليه الرياحُ الثماني ما غيَّرته) .

قال يعقوب الخادم : وقلتُ مرَّة لسيِّدي أحمد : أنت القطب ؟ فقال : نزِّهْ شيخَك عن القطبية ؛ فإن من كان في حضرة الله لا مقام له .

قال : ودخلتُ عليه مرةً ، فصارَ يذوبُ حتىٰ صار نقطةَ ماءٍ على الأرض ، فحصلَ عندي رعبٌ ، ثم رجعَ إلىٰ حاله ، فقلت له : ما هـٰذا الحال ؟! فقال : نظرَ الحقُّ تعالىٰ إليَّ نظرةَ جلالٍ ، فذبتُ ، ثم نظرَ إليَّ نظرةَ رحمةٍ ، فأَنشأني ثاني مرة ، ولولا لطفُهُ بي لما رجعتُ إليكم أبداً .

وكان يقول : (الزهدُ أساسُ الأحوال المرضية والمراتب السنية ، وهو أولُ قدمِ القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إليه ، والراضين عنه ، والمتوكلين عليه ، فكلُّ من لم يحكمْ أساسَهُ في الزهد ، لم يصحَّ له شيءٌ مما بعده) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٩٤) (٢٦٦) .

وكان يقول : (الفقراء أَشرافُ الناس ؛ لأن الفقرَ لباسُ المرسلين ، وجلبابُ الصالحين ، وتاجُ المتقين ، وغنيمةُ العارفين ، ومنيةُ المريدين ، ورضا ربِّ العالمين ، وكرامةٌ لأهل ولايته) .

وكان يقول : (لا يصحُّ الأنس بالله تعالىٰ إلا لمن كملتْ طهارتُهُ[١] ، واستوحشَ من كلِّ ما يشغله عن الله تعالىٰ ، فعند ذلك آنسه اللهُ به) .

وكان يقول : (**التوحيدُ** : وجدانٌ عظيمٌ في القلب يمنعُ من التعطيل والتشبيه) ، وكان يكره لأصحابه الخوضَ في الذات والصفات ، ولو علىٰ وجهِ التعظيم) .

وكان يقول : (لو خطا رجلٌ من قاف إلىٰ قاف . . كان جلوسُه أفضلَ) .

وسئل مرَّةً : كيف كان سلوكُك ؟ فقال : مررتُ وأنا صغيرٌ على الشيخ عبد الملك الخرنوبي[٢] ، فقال : يا أحمد ، اسمعْ ما أقول لك : ملتفتٌ لا يصلُ ، ومتسلِّلٌ لا يفلحُ ، ومن لم يعرفْ من نفسه النقصانَ فكلُّ أوقاتِهِ نقصان ، فخرجتُ من عنده ، وجعلت أكرِّرُها سنةً ، ثم رجعتُ إليه ، فقلتُ : أوصني ، فقال : ما أقبحَ الجهل بالألبَّاء ! والعلّة بالأطباء ! والجفاء بالأحباء ! ثم خرجتُ وصرتُ أكرِّرها سنةً ، فانتفعتُ بكلامه ؛ لكونه اختصرَ لي الطريق .

وكان يقول : (أكرهُ للفقراء دخولَ الحمام ، وأحبُّ لهم الجوعَ والعري ، والفقر والذلَّ والمسكنة ، وأفرح لهم إذا نزلَ بهم ذلك) .

وكان يقول : (الشَّفقةُ على الإخوان مما يُقرِّبُ العبدَ إلى الله) .

وسأله شخصٌ أن يدعو له ، فقال : يا أخي ، إن عندي اليوم قوتَ يوم ، ومن كان عنده قوتُ يومه لم يُقبل له دعاء ، فإذا بلغك يا أخي أنه ليس عندي ما يأكلُه ذو كبد فاسألني الدعاء ؛ فإن لي حينئذٍ أسوةً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسأله يعقوب الخادم أن يدعو لرجلٍ على الباب له منذ ثلاثة أيام ، فلم يدعُ له ،

---

(١) في (ح) وحدها : (كملت نهايته وطهارته) .

(٢) في (أ ، ج) : (الخربوني) ، وفي (ب ، د ، ط ، ك) : (الخربوتي) ، وفي (هـ ، ي) : (الجربوني) ، والمثبت من (و ، ز) .

وقال : الرجلُ المتمكِّنُ منا إذا قُضيت له حاجةٌ في الدنيا نقصَ تمكُّنُه درجةً ، ثم قال : يا يعقوب ؛ كنْ ذَنَباً ولا تكنْ رأساً ؛ فإن الضربةَ أولُ ما تقعُ في الرأس ، وإياكَ ورؤيةَ نفسك على الإخوان ، فمن رأىٰ نفسَه على الإخوان لا تُقال له عثرةٌ ، ولا يُساعده أحدٌ ، وانظر إلى النخلة لما رفعتْ رأسَها ، وأشرفتْ على الجيران . . جعلَ الله ثقلَ حملها عليها ، ولو حملتْ مهما حملت ، لا يُساعدُها أحدٌ ، وانظر إلىٰ شجرةِ اليقطين لما اتَّضعتْ وألقتْ خدَّها على الأرض كيف جعلَ ثقلَ حملها علىٰ غيرها ، ولو حملت مهما حملت لا تحسُّ به) .

وكان يقول : (أفضلُ العبادات البدنية الصدقةُ) .

وكان يقول : (أخوك الذي يحلُّ لك أكلُ ماله بغير إذنه . . هو الذي تنشرحُ نفسُك عند الأكل منه) .

وكان ينهىٰ أصحابَهُ عن لبس الصوف قبل تهذيب نفوسهم .

ورأىٰ مرةً علىٰ فقيرٍ جبَّةَ صوف ، فقال : يا ولدي ، انظر بزِيٍّ من تزييت ، قد لبستَ لبسةَ الأنبياء ، وتحلَّيت بحلية الأتقياء ، هـٰذا زِيُّ العارفين ، فاسلك طريقَهم ، وإلا فانزعْه) .

وكان يقول : (إذا صلح القلبُ صارَ مهبطَ الوحي والأسرار والأنوار والملائكة ، وإذا فسدَ صارَ مهبطَ الأباطيل والظُّلم والشياطين) .

وكان يقول : (إذا صلحَ القلبُ أخبرك عما وراءك وأمامك ، وإذا فسدَ حدَّثك بأباطيل يغيبُ معها الرشدُ ، وينتفي معها السعدُ) .

وكان يقول : (من شرط الفقير : أن يرىٰ كلَّ نَفَسٍ من أنفاسه أعزَّ من الكبريت الأحمر ؛ فلا يضعُ في كلِّ نَفَسٍ إلا أعزَّ ما يصلحُ له) .

وكان يقول : (السفرُ للمريد يمزِّقُ دينه ، ويشتِّتُ شمله) .

وكان يقول : (في حديث : « من تزوَّج لله كُفيَ ووقيَ »[1] : (معناه : أن يتزوَّج

---

(١) لم أجده بلفظه ، وروىٰ أبو داود في « سننه » (٤٧٧٨) : « ومن زوج لله تعالىٰ تَوَّجَهُ الله تاج المُلك » ، وروى الترمذي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله=

امتثالاً للأمرِ ، لا بحكم الشهوة البهيمية) .

وكان يقول : (من لم ينتفعْ بأفعالي لم ينتفعْ بأقوالي) .

وكان يقول : (كلُّ أخٍ لا ينفعُ في الدنيا ، لا ينفع في الآخرة) .

وكان يقول : (طريقنا مبنيَّةٌ علىٰ ثلاثة أشياء : لا نسألُ ، ولا نردُّ ، ولا ندَّخر) .

وكان يقول : (من علامةِ سعادةِ المريد : أن يفتخرَ به شيخُه لشدَّة مجاهدته) .

وكان يقول : (من غضب لنفسه تَعِبَ ، ومن سلَّم أمره إلىٰ مولاه نصره من غير أهلٍ ولا عشيرة) .

وكان يقول : (من شرطِ الفقير : ألا يكونَ له نظرٌ في عيوب الناس) .

وكان يقول : (إياكم وتعاطي أسبابِ الشهرة والفرح بالمحبين والمعتقدين ، فكم طيَّرتْ طقطقةُ النعال حول الرجال من رأسٍ ! وكم أذهبتْ من دِينٍ !) .

وكان يقول : (ما من ليلةٍ إلا وينزل فيها نثارٌ من السماء ، يُفرَّقُ علىٰ قلوب المستيقظين) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ ما كان لي خيرةٌ إلا في الوحدة ، فيا ليتني لم أعرفْ أحداً ، ولم يَعرفني أحدٌ) .

وكان يقول : (ما وقف أحدٌ مع الخلق في عباداته إلا سقطَ من عين رعاية الله) .

وكان يقول لأصحابه : (من تَمشيخَ عليكم فتلمذوا له ، ومن تقدَّمَ عليكم فقدِّموه ، ومن مدَّ لكم يدَه لتقبلوها فقبِّلوا رجله) .

وكان يقول : (وعدني ربِّي ألا أعبرَ عليه وعليَّ شيءٌ من لحم الدنيا) ، قال يعقوب الخادم : (ففني لحمُه بأجمعه قبل خروجه من الدنيا) .

وكان يقول : (إذا تمكَّن العبدُ من الأحوال ، وبلغَ محلَّ القربِ من الله . . صار الحقُّ تعالىٰ يرضىٰ لرضاه ، ويسخطُ لسخطه) .

= عليه وسلم : « ثلاثة حقٌّ على الله عونُهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح يريد العفاف » .

وكان يقول : (إذا أرادَ اللهُ أن يُرَقِّيَ عبداً إلىٰ مقامات الرجال كلَّفه بأمرِ نفسه أولاً ، فإذا أدَّبَ نفسَهُ واستقامتْ معه كلَّفه بأهله ، فإن أحسنَ إليهم ، وقام بحقوقهم ، ونصحهم . . كلَّفه بجيرانه وأهلِ محلَّته ، فإنْ هو أحسنَ إليهم وساسهم كلَّفه بأهلِ بلده ، فإنْ هو أحسنَ إليهم وساسهم كلَّفه جهةً من البلاد ، فإن هو نصحَهم وساسهم ، وأصلحَ سريرته مع الله . . كلَّفه تربيةَ ما بين السماء والأرض ؛ فإن بينهما خلقٌ لا يعلمهنَّ إلا الله ، ثم لا يزالُ يرتفعُ من سماء إلىٰ سماء حتىٰ يرتفعَ ويصلَ إلىٰ محلِّ القطبِ الغوث ، وهناك يُطلعُه اللهُ علىٰ غيبه ، فلا تنبتُ شجرةٌ ، ولا تخضرُّ ورقةٌ إلا بعلمه ، وهناك يتكلَّمُ عن الله بكلامٍ لا تسعُهُ العقولُ ، وربما ذهبتْ به إيمانُ جماعة من المنكرين .

وكان رضي الله عنه إذا صعِدَ الكرسي يَسمعُ حديثَهُ البعيدُ مثلُ القريب ، حتىٰ إن أهلَ القرى التي حول أمِّ عَبيدة كانوا يسمعون صوتَهُ ، ويعرفونَ جميعَ ما يتحدَّث به كأهلِ القاسمية ، والمنارة ، ومرجوان ، وكان الأطروشُ والأصمُّ إذا حضرَ يفتحُ اللهُ أسماعَهما لكلامه .

وكان مشايخُ الطريق يحضرونه ، وكان أحدُهم يبسطُ حِجره ، فإذا فرغَ من وعظه ضمُّوا حجورهم إلىٰ صدورهم ، وقصُّوا الحديثَ إذا رجعوا إلىٰ أصحابهم علىٰ جَليَّته وراثةً إبراهيمة .

وكان رضي الله عنه يقول : (القريبُ عندي والبعيدُ في الحقِّ سواء) .

وقال لولده صالح : (إن لم تعملْ بعملي فلستُ أنا أباك ، ولا أنت ولدي) .

وكان إذا جلسَ علىٰ جسمه ناموسةٌ لا يُمكِّن أحداً أن يطيِّرَها ، ويقول : دعوها تشربُ من هـٰذا الدم الذي قسمه الحقُّ لها .

وكان إذا جلسَ علىٰ ثوبه جرادةٌ يمكثُ حتىٰ تطير ، ويقول : إنها لاذتْ بنا .

ونام علىٰ كمِّه هرةٌ مرةً ، وجاء وقتُ الصلاة ، فقطع كمَّهُ من تحتها ، ولم يوقظها ، فلما فرغَ من الصلاة ، وقامتِ الهرةُ أخذَ كمَّهُ فخاطه ببعضه ، وقال : لم ينقص .

ووجد مرَّةً كلباً أجربَ قد أخرجَهُ أهلُ أمِّ عَبيدة وقذروه ، فأخذه ، وخرج معه إلى

البرية ، وضربَ عليه مظلَّةً ، وصار يطليه بالدُّهن ، ويطعمُهُ ويسقيه ، ويحتُّ الجربَ بخرقةٍ ، فلما بَرِئ سخَّن له ماءً وغسله ، وقال : خفتُ أن يُؤخذ حُميدٌ بهٰذا الكلب يومَ القيامة ، ويقول لي الحقُّ جل وعلا : يا أحمد ؛ أما علمتَ أنه خلقٌ من خلقي ؟! أما أمرتُك بالرحمةِ لكلِّ مبتلىً ؟!

وكان إذا رأىٰ فقيراً يقتل قملة أو برغوثاً يقول له : (لا واخذك الله يا ولدي ، تُنفذُ غضبَك في قملةٍ قرصتك تقتلها ، هلا قرصتَها كما قرصتك ؟!) .

وكان يقول : (أسماء الله تعالىٰ بعددِ ما خلقَ ، فكلُّ مخلوقٍ له اسمٌ يخصُّه من الرمال والأوراق وغيرها) .

وكان رضي الله عنه يمشي إلىٰ حارة المجذومين والزَّمنىٰ ، فيغسل لهم ثيابَهم ، ويفلي رؤوسهم ولحاهم ، ويحمل إليهم الطعامَ ، ويأكل معهم اللبن ، ويجالسُهم ، ويسألهم الدعاء ، ويقول : زيارة هٰؤلاء واجبةٌ لا مُستحبة .

ومرَّ يوماً علىٰ صبيان يلعبون ، فهربوا منه هيبة له ، فتبعهم ، وصار يقول لهم : اجعلوني في حلٍّ ، فقد روَّعتكم .

ومرَّ يوماً علىٰ ولد ، فقال له : ابنُ منْ أنت ؟ فقال : أيش فضولك ! فصارَ يردُّدها ويقول : أدَّبتني يا ولدي ، فجزاك اللهُ خيراً .

وكان إذا رأىٰ خنزيراً يقول له : انعمْ صباحاً ، فقيل له في ذلك ، فقال : أعوِّدُ لساني الجميلَ .

وكان يعودُ الفقيرَ إذا مرض من مسيرة يومٍ أو يومين .

وكان يذهبُ إلىٰ مواضع السخر ، فيلبسُ لبسَ الفعلاء ، ويقول : إنما فعلتُ ذلك خوفاً أن يسخِّروا ذا عيالٍ ، ويعوِّقوه عن مصالحه ، وأنا لا يفوتُ لي مصلحة .

وكان يخرجُ إلى الطريق ، ينتظر العميان يقودُهم إلىٰ مكانهم .

وإذا رأىٰ شيخاً كبيراً . يذهبُ إلىٰ أهلِ حارته ، ويُوصيهم عليه ، ويقول : قد وردَ في الحديثِ مرفوعاً : « منْ أكرمَ ذا شيبةٍ سخَّرَ اللهُ تعالىٰ لهُ من يُكرمُهُ عندَ كبرِهِ »[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٠٢٢) بلفظ : « ما أكرمَ شابٌ شيخاً لسنِّهِ إلا قيَّض اللهُ له من=

وكان إذا قدمَ من سفرٍ ، وقربَ من أمِّ عَبيدة بلدِهِ يشدُّ وسطَهُ ، ويُخرج حبلاً مدخراً معه ، ويجمعُ حطباً ، ثم يحملُهُ علىٰ رأسه إلى الدار ، ويفعل كذلك الفقراء ، فإذا دخلَ البلدَ فرَّق ذلك الحطبَ على الأرامل والمساكين والعميان .

قال خادمه يعقوب : وكان الشيخُ أحمد كثيراً ما يتجلَّى الحقُّ تعالىٰ عليه بالعظمة ، فيذوب حتىٰ يصيرَ بقعةَ ماء ، ثم يتداركه اللطفُ فيصير يجمدُ شيئاً فشيئاً حتىٰ يُردَّ إلىٰ جسمه المعتاد ، ويقول : لولا لطفُ الله تعالىٰ بي ما رجعتُ إليكم ، وقد قدَّمنا الإشارة إلىٰ ذلك(١) .

قال : وكان الشيخ يحتملُ من الخلق ما لا يحتمله غيرُهُ من الأذىٰ ، ويقول : إنهم من أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقيه مرَّةً جماعةٌ ، فسبُّوه ، وقالوا له : يا أعور في الرجال ، يا مستحلاً للمحارم ، يا مبدِّلاً للقرآن ، يا مُلحد ، يا [كلب](٢) ، فكشف سيدي أحمد رأسَهُ ، وقبَّل لهم الأرضَ ، وقال : اجعلوني في حلٍّ ، وصار يُقبِّلُ أيديهم وأرجلهم ، فلما أعجزهم قالوا : ما رأينا مثلَكَ في الفقراء يحتملُ منَّا هـٰذا الشتم ! فقال : هـٰذا ببركتكم ، ثم التفتَ إلىٰ أصحابه وقال : ما كان إلا الخيرُ ، أرحناهم من كلامٍ كان مكتوماً عندهم ، وسامحناهم ، وربما لو وقعَ منهم ذلك لغيرنا ما كان يحتملُهم ، ولا يُسامحهم .

وأرسل إليه الشيخُ البُستي كتاباً يحطُّ عليه فيه ، فقال سيدي أحمد للرسول : اقرأه لي ، فقرأه ، فإذا فيه : أي أعور الرجال ، أي مُبتدع ، أي كلب ، أي جامع بين

= يُكرمه عند سنِّهِ » عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (١/ ٥٠٢) ، وأخرجه أبو داود بلفظ مقارب ، وهو : « إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، والجافي عنه ، وإكرامَ ذي السلطان المقسط » عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(١) تقدم (٣/ ٣٢٨) .

(٢) في النسخ بالنصب ، والمثبت من المصادر .

الرجال والنساء ، ونحو ذلك ، فلما فرغَ الرسولُ من قراءة الكتاب أخذه سيدي أحمد ، وقرأه ، وصار يقولُ : صدق أخي فيما قال، وجزاه الله عني خيراً، ثم أنشد : [من الطويل]

فلستُ أُبالي مَنْ رمانِي بريبةٍ إذا كنتُ عندَ اللهِ غيرَ مُريبِ

ثم قال للرسول : اكتبْ له الجواب : من هذا اللاش[1] أحمد إلىٰ سيدي الشيخ إبراهيم البُستي رضي الله عنه ، وقد قرأتُ كتابكم ، وفهمتُ ما فيه ، والمسؤول من صدقاتكم أنَّ الشيخَ يدعو لي ، ولا يخلِّيني من حلمه وفضله ، فلما وصل الكتاب إلى البُستي هام علىٰ وجهه ، فما عرفوا إلىٰ أين ذهب .

وكان من خُلقه رضي الله عنه : أنه إذا علمَ من الفقراء أنهم عزموا علىٰ ضرب أحدٍ من الفقراء في الليل لزلَّةٍ وقعَ فيها أو غيرِ ذلك . . يأتي إلىٰ ذلك الفقير ، ويلبسُ ثيابه ، ويرقدُ مكانه ، فيضربونهَ ولا يعرفونه ، فإذا فرغوا من ضربه يكشفُ لهم عن وجههِ ، ويقول لهم : أنا حُميد ، فيُغشىٰ عليهم من هيبته ، فيرشُّ علىٰ وجوههم الماء ، ثم يقول لهم : يا أولادي ؛ ما كان إلا خيراً ، أكسبتمونا الأجرَ والثواب ، فيستغفرون ويقولون لبعضهم بعضاً : تعلَّموا هٰذه الأخلاق الشريفة .

وكان يقول لأصحابه : من رأىٰ منكم في حُميد عيباً فليُعْلِمْهُ به صدقةً عليه ، فقام شخصٌ مرةً وقال : يا سيدي ؛ لك عيبٌ عظيم ، فقال : وما هو يا حبيبي ؟ فقال : كون مثلنا يُسمَّىٰ من أصحابك ، فبكى الفقراء ، وعلا نحيبُهم ، وبكىٰ سيدي أحمد معهم ، وقال : أنا خادمُكم إن رضيتم بي .

وكان لسيدي أحمد شخصٌ يحطُّ عليه، وينقصُهُ ، ويُرسلُ إليه مكاتباتٍ قبيحةً ، من جملتها : أي ملحدُ ، أي باطني ، أي زنديق ، فإذا قرأ سيدي أحمدُ الكتاب تبسَّمَ .

وفَعَلَ معه ذلك فقيرٌ ، ثم جاء مكشوفَ الرأس ، وفي عُنقه حبلٌ يَقودونه حتىٰ دخل عليه الزاوية ، فقام إليه الشيخ ، واعتنقه ، وقال : ما أحوجَك يا أخي إلىٰ ذلك ؟!

---

(١) أي : اللا شيء .

فقال : اعفُ عني ، فعفا عنه ، وأخذ عليه العهد ، وصار من أخصِّ أصحابه إلىٰ أن مات .

وكان يقول : (لا يحصلُ لعبدٍ صفاءُ الصدر حتىٰ لا يبقىٰ في قلبه شيءٌ من الخبثِ والبُغض لأحدٍ من المؤمنين ، وهناك تأنسُ به الطيور والوحوش ، ولا تنفر منه) .

قال يعقوب الخادم : (وكان سببُ موتهِ : أنه حَدَثَ على الخلْقِ بلاءٌ عظيم ، فتحمَّلَهُ عنهم ، فاشتراه بما بقي من عمره) .

وكان في مرضِ موته يُمرِّغُ شيبته في التراب ويبكي ، ويقول : يا ألله ؛ العفو ، ثم يقول : اللهم ؛ اجعلني سقفاً للبلاء الذي ينزلُ علىٰ هـٰؤلاء الخلائق .

وكان مرضُهُ بالبطن ، فكان يخرج منه كلَّ يوم ما شاء الله ، فبقي مريضاً شهراً ، فقيل له : من أين لك هـٰذا كله ولك عشرون يوماً لم تأكلْ ولم تشربْ ؟! فقال : يا أخي ؛ هـٰذا اللحمُ يندفعُ ويخرج ، وقد ذهبَ اللحمُ ، وما بقي إلا المخُّ ، اليوم يخرج وغداً نعبرُ على الله عز وجل .

قال يعقوب : (فخرج منه شيءٌ أبيض مرَّتين أو ثلاث ، وانقطع) .

وتوفي يوم الخميس وقتَ الظهر ثاني عشر جُمادى الأولىٰ سنة سبعين وخمس مئة ، وكان يوماً مشهوداً .

قال يعقوب الخادم : (وكان آخرُ كلامه : أشهدُ أن لا إلـه إلا الله وأشهدُ أنَّ محمداً رسول الله ، ودفن في قبرِ الشيخ يحيى النجار ، رضي الله عنه) .

وكان شافعيَّ المذهب ، كتابُه « التنبيه » للشيخ أبي إسحاق الشيرازي[١] .

قال : (ولم يتصدَّرِ الشيخُ أحمد قطُّ في مجلسٍ ، ولا جلس علىٰ سجَّادةٍ لغيره تواضعاً مع إخوانه) .

وكان كلامُه لا يكادُ يُسمع لخفض صوته ، رضي الله عنه .

---

(١) كذا في النسخ : (كتابه « التنبيه ») ، وفي « الطبقات الكبرىٰ » (١/٥٠٥) : (اقرأ كتاب « التنبيه ») .

ومنهم :

(٢٥٠) الشيخ الإمام ، أبو النجيب عبد القاهر السُّهْرَوردي[١]

شيخُ الخرقة رضي الله عنه ، ويلقب أيضاً : بضياء الدين .

انعقد عليه إجماعُ المشايخ والعلماء بالاحترام ، وكان له القبولُ التام في الصدور ، والمهابة في القلوب .

وتخرَّجَ بصحبته جماعةٌ من أكابر المشايخ ؛ كالشيخ شهاب الدين السُّهروردي ، والشيخ عبد الله بن مسعود الرومي .

واشتُهر ذكره في الآفاق ، وقُصد من كلِّ قطر .

وكان يقول : (التصوفُ أوله علمٌ ، وأوسطه عملٌ ، وآخره موهبةٌ ؛ فالعلم يكشف عن المراد ، والعملُ يُعين على الطلب ، والموهبةُ تبلغ غاية الأمل) .

وكان يقول : (أفضل المقامات عندنا : عدُّ الأنفاس ، فلا يقع له نَفَسٌ واحدٌ في غفلةٍ عن الله تعالىٰ) .

وكانت مجاهداتُه ومجاهداتُ أصحابه فوق الحدِّ .

وله كلامٌ عالٍ في الطريق لا يذوقُهُ إلا الكُمَّل ، فتركناه .

سكن بغداد إلىٰ أن مات بها سنة ثلاثٍ وستين وخمس مئة ، ودفن بمدرسته علىٰ شاطئ الدجلة ، وقبره بها ظاهر يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥١) الشيخ الإمام أبو مَدْين المغربي[٢]

شيخُ الخرقة ، رضي الله عنه .

كان من أعيان مشايخ المغرب ، وصدورِ المقرَّبين ، **واسمه** : شُعيب .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٤٩٣) (٢٦٥) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٥٣٠) (٢٧٩) .

وولده مَدْين هو المدفون بمصر في جامع الشيخ عبد القادر الدَّشْطوطي ببركة القرع ، وقبره ظاهرٌ يُزار .

وأما أبو مَدْين : فهو مدفونٌ بمدينة تِلِمْسان بأرض المغرب في تربةِ العباد ، مات وقد ناهز الثمانين سنة .

وكان مُقيماً ببِجَاية ، ثم إنَّ سُلطان تِلِمْسان بلغه خبرُهُ وما كان فيه من الشهرة ، فأمرَ بإحضاره من بِجَاية ليتبرَّكَ به ؛ لتعذُّر وصول السلطان إلىٰ زيارته ؛ خوفاً من اختلال رعيَّتِهِ ، فأجاب بالسمع والطاعة ، ثم قال بخفض صوت : ما لنا وللسلطان ؟! الليلةَ نزورُ الإخوان ، ثم نزلَ بتِلِمْسان ، واستقبل القبلةَ ليلةَ دخوله ، وتشهَّدَ وقال : ها قد جئتُ ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه : ٨٤] ثم قال : اللهُ الحيُّ ، ففاضت روحُهُ ، فلم يمكثْ في تلمسان شيئاً .

وكان الشيخ أبو الحجاج الأَقصري رضي الله عنه يقول : سمعت شيخي الشيخ عبدَ الرزاق يقول : اجتمعتُ بالخَضِرِ عليه السلام سنة ثمانين وخمس مئة ، فسألته عن شيخنا أبي مدين ، فقال : هو إمام الصدِّيقين في هٰذا الوقت ، وقد أعطاه اللهُ تعالىٰ مفتاحاً من السرِّ المصون بحجاب القدس ، فما في هٰذه الساعة أجمعُ لأسرارِ المرسلين منه ، ثم إن أبا مدين مات بعد ذٰلك بيسير .

وقال الشيخ محيي الدين بنُ العربي رضي الله عنه : ذهبت أنا والشيخ عمران موسىٰ وبعضُ الأبدال إلىٰ جبل قاف ، فلما مررنا على الحيَّةِ المحدقة به سلَّمنا عليها ، فردَّتْ علينا السلام ، ثم قالتْ : من أي البلاد أتيتما ؟ فقلنا لها : من بجايَة ، من أرض المغرب ، فقالت : ما حالُ أبي مدين مع أهلها ؟ فقلنا لها : يرمونه بالزندقة ، ويكرهونه ، ويؤذونه أشدَّ الأذىٰ ، فقالت : عجباً والله لبني آدم ، كيف يُؤذون أولياءَ الله ؟! واللهِ ؛ ما كنتُ أظنُّ أنَّ الله عز وجل يوالي عبداً من عبيده فيكرهه أحدٌ ، إنه واللهِ ممنِ اتَّخذه الله وليّاً ، وأنزل محبَّتَه في قلوب عباده ، فقلت لها : ومن أعلمَك به ؟ فقالت : أعلمني به اللهُ عز وجل . انتهىٰ .

وقد أجمعتِ المشايخ علىٰ تعظيمه وإجلاله ، وتأدَّبوا بين يديه .

وكان جميلاً ظريفاً ، مُتواضعاً زاهداً ، ورعاً محقِّقاً ، قد اشتملَ علىٰ أكرمِ الأخلاق ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (ليس للقلبِ إلا وجهةٌ واحدة ، متىٰ توجَّهَ إليها حُجب عن غيرها) .

وكان يقول : (من خرجَ إلى الخلق قبلَ وجودِ حقيقةٍ تدعوه إلىٰ ذلك . . فهو مفتونٌ ، وكلُّ من رأيتموه يدَّعي مع الله حالةً لا يكون علىٰ ظاهره منها شاهدٌ فاحذروه) .

وكان يقول : (من تحقَّق بمقام العبودية لله عز وجل شهدَ أعمالَهُ بعين الرياء ، وأحوالَهُ بعين الدعوىٰ ، وأقوالَهُ بعين الافتراء) .

وكان يقول : (ما وصلَ إلىٰ مقامِ الحرية من بقي عليه من نفسه بقيَّةٌ) .

وكان يقول : (لا تنظرْ إلىٰ مشاهدتك له ، وانظرْ إلىٰ مشاهدته لك) .

وكان يقول : (الفقرُ نورٌ ما دمْتَ تستره ، فإذا أظهرتَهُ ذهب نوره) .

وكان يقول : (كلُّ فقيرٍ كان الأخذُ أحبَّ إليه من العطاء فهو كاذبٌ ، لم يَشَمَّ للفقر رائحةً) .

وكان يقول : (من لم يصلحْ لخدمته شغلَهُ بالدنيا ، ومن لم يصلح لمعرفته شغله بالآخرة) .

وكان يقول : (من لم يخلعِ العذار ، لم تُرفع له الأستار) .

وكان يقول : (إياكم أن تقرروا مقاماً قبل إحكامه ؛ فإن ذلك يقطعكم عن كمال الوصول إلىٰ حقيقته) .

وكان يقول : (إياكم وصحبةَ الأحداث المبتدئين في الطريق ، ولو كانوا أبناء سبعين سنة ، إلا بعد تعين ذلك عليكم) .

ومكث رضي الله عنه في بيته سنةً لا يخرجُ إلا للجمعة ، فاجتمعَ الناسُ علىٰ باب داره ، وطلبوا منه أن يتكلَّمَ عليهم ، فلما ألزموه خرجَ ، فرأته العصافيرُ التي علىٰ سِدْرة في داره ، ففرَّتْ ، فرجع ، وقال : لو صلحتُ للحديث عليكم لم تفرَّ مني الطيور ، فجلس في البيت سنةً أُخرىٰ ، ثم جاؤوا إليه ، فخرج ، فلم تفرَّ منه الطيور ، فتكلَّمَ

على الناس ، ونزلتِ الطيورُ تضرب بأجنحتها وتصفِّقُ حتىٰ ماتَ منها طائفةٌ كثيرة ، ومات رجلٌ من الحاضرين .

وكان يقول : (كلُّ فقيرٍ لا يعرفُ زيادته من نقصه فليس بفقير) .

وكان يقول : (نسيانُ الحقِّ سبحانه وتعالىٰ طرفةَ عينٍ خيانة من العبد ، يستحقُّ بها العقوبة) .

وكان يقول : (الحضورُ مع الله تعالىٰ جنةٌ ، والغيبةُ عنه نار ، والقربُ منه لذَّةٌ ، والبعدُ منه حسرةٌ وموت ، والأنسُ بذكره حياةٌ) .

وكان يقول : (من طلبَ الطريقَ بلا توبةٍ من سائر الآثام فهو جاهل) .

وكان يقول : (من قطع موصولاً بحضرة ربِّهِ قُطع به ، ومن أَشغل مشغولاً بربِّه أدركه المقتُ في الوقت) .

وكان يقول : (من شرط العارف : أن يتحكم فيما بين العرش إلى الثرىٰ) .

وكان الحقُّ تعالىٰ قد أذلَّ له الوحوشَ ، فإذا رآه الوحشُ ارتعدَ من هيبته .

ومرَّ يوماً علىٰ حمارٍ والسَّبُعُ قد أكلَ نصفه ، وصاحبُ الحمار ينظرُ إليه من بعيدٍ ، لا يستطيع أن يقربَ منه ، فقال لصاحب الحمار : تعالَ ، فذهبَ به إلى الأسد ، وقال له : أمسكْ بأذنِهِ ، واستعمله مكانَ حمارك حتىٰ يموتَ ، فأخذ بأذنِهِ وركبَهُ ، وصار يستعملُهُ سنين موضعَ حماره حتىٰ ماتَ الأسد ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٥٢) الشيخ أبو الحسن الشاذلي [١]

شيخُ الخرقة الشاذلية ، رضي الله عنه ، **وشاذلة** : قريةٌ بإفريقية .

وكان ضريراً ، نزل رضي الله عنه إسكندرية حين جاء من أرض المغرب .

وكان كبيرَ القدر ، عالي المقام .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٨) (٣١٣) .

صحب الشيخَ نجم الدِّين الأصفهاني ، وابن مَشيش ، وغيرَهما .

ومات ابنُ مشيش مقتولاً ، قتله ابن أبي الطواجن ببلاد المغرب .

وحجَّ مراتٍ ، **ومات بصحراء عيذاب قاصداً الحج ، فدُفن هناك في ذي القَعدة سنة ستٍّ وخمسين وست مئة .**

وترجمه الشيخ تاجُ الدين بنُ عطاء الله : بأنه قطبُ الزمان ، وحجَّةُ الله على الصوفية ، لم يدخل في طريق الصوفية حتىٰ كان يعدُّ للمناظرة في سائر العلوم الشرعية .

وشهد له الشيخ أبو عبد الله بنُ النعمان بالقطبانية .

وكان الشيخ تقيُّ الدين بنُ دقيق العيد يقول : (ما رأيتُ أعرفَ بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه) .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليك بالاستغفار ، وإن لم تستحضرْ لك ذنباً ، واعتبرْ باستغفار النبيِّ صلى الله عليه وسلم بعد البشارة واليقين ، بأنَّ اللهَ تعالىٰ غفرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر[1] ، هـٰذا في معصومٍ لم يقترفْ ذنباً قطُّ ، وتقدَّسَ عن ذلك ، فما ظنُّك بمن حسناتُهُ ذنوبٌ) .

وكان يقول : (إذا عارضَ كشفُكَ الكتابَ والسُّنَّة فاعملْ بالكتاب والسنة ، ودعِ الكشفَ ، وقل لنفسك : إن الله تعالىٰ قد ضمن لي العصمةَ في الكتاب والسُّنة ، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام) .

وكان يقول : (لقيتُ الخَضِرَ عليه السلام في صحراء عَيْذاب فقال لي : يا أبا الحسن ؛ أَصْحبك اللهُ اللطفَ الجميل ، وكان لك صاحباً في المقام والرحيل) .

وكان يقول : (كلُّ علمٍ تسبقُ إليك فيه الخواطر ، وتميلُ النفسُ إليه ، وتلتذُّ به . . فارمْ به ، وخذ بالكتاب والسنة ، وأفعالِ الأئمة الهداة المبرَّئين من الهوىٰ . . تسلمْ من الشكوك والظنون والأوهام ، وماذا عليك أن تكونَ عبداً لله عز وجل ولا علم

---

(١) قال تعالىٰ في سورة الفتح [١-٢] : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

ولا عمل ؟! وحسبك من العلم العلمُ بالوحدانية ، ومن العمل تأديةُ الفرائض مع محبَّة اللهِ ورسوله ، ومحبّة أصحابه ، واعتقاد الحقِّ للجماعة ؛ « فإنَّ المرءَ معَ مَنْ أحبَّ » ولو قصَّرَ في العمل كما ورد)[1] .

وكان يقول : (من علامة نفاقك : ثقلُ ذكر الله على لسانك ، فتُبْ إلى الله يخفَّ الذكرُ على لسانك) .

وكان يقول : (من أحبَّ ألا يُعصى الله في مملكته كلِّها فقد أحبَّ ألا تظهرَ مغفرتُهُ ورحمته ، وألا يكون لنبيِّه شفاعةٌ) .

وكان يقول : (ارجعْ عن منازعة أقدارِ ربِّك تكنْ موحِّداً ، واعملْ بأركان الشريعة تكنْ سنياً ، واجمع بينهما تكنْ محقِّقاً) .

وكان يقول : (لا يَشَمُّ رائحةَ الولاية من لم يزهدْ في الدنيا وأهلها) .

وكان يقول : (إذا ذهبتْ عنك الدنيا وافتقرتَ فسلِّمْ لربِّك ، وإذا ظلمك أحدٌ فاصبرْ واحتملْ ، واسكنْ تحت جريان الأقدار ؛ فإنها سحابةٌ سائرة) .

وكان يقول : (الشيخُ : من دلَّكَ على الله من أقربِ الطرق) .

وكان يقول : (من أدبِ مُجالسة الأكابر : عدمُ التجسُّس على عقائدهم ، ومن أدب مجالسةِ العلماء : عدمُ تحديثهم بغيرِ المنقول ؛ فمن أرادَ الأدبَ معهم فليحدِّثْهم بالعلوم المنقولة ، والروايات الصحيحة ، ومن أدبِ مُجالسة العبَّاد والزهَّاد : أنْ تحدِّثَهم بأحوال الزهاد والعُبَّاد ، وتحلي لهم ما استمرؤهُ ، وتسهِّل عليهم ما استوعروه ، وتذوِّقهم من المعرفة ما لم يذوقوه ، ومن أدب مجالسة الصديقين : أن تفارقَ ما تعلمُهُ لتظفرَ بالسرِّ المكنون) .

وكان يقول : (من دعا الناسَ لغير ما دعا له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعيٌّ) .

وكان يقول : (إذا استنصرَ الفقيرُ لنفسه ، وأجابَ عنها . . رجعَ إلى وراء) .

---

(١) روى الحديث البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (٢/ ٢٧ ، ٧٠ ، ١٩٨) .

وكان يقول : (كلُّ من لم يُواظبْ على الصلوات الخمس في الجماعة ، فلا تَرْجُ له خيراً في الطريق) .

وكان يقول : (من استحسنَ شيئاً من أحواله الظاهرة أو الباطنة ، وخافَ زوالَهُ . . فليقل : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف : ٣٩] يأمنْ من الزوال) .

وكان يقول : (وِرْدُ المحبين المحقِّين : إسقاطُ الهوىٰ ، ومحبةُ المولىٰ ؛ فإن المحبّةَ أبتْ أن تستعمل محبّاً لغير محبوبه في عموم الأوقات) .

وكان يقول : (لا يتمُّ لعالم سلوكُ طريق القوم ولو ارتفعتْ درجته في العلم إلا بصحبة شيخٍ ناصح) .

وكان يقول : (لكلِّ وقتٍ سهمٌ من العبودية ، فإياك أن تؤخِّرَ طاعةَ وقتٍ لوقتٍ ، فتعاقب بفوتها ، أو بفوتِ غيرها ، أو مثلها جزاءً لما كفر من ذلك الوقت[1] ، ومن هنا قال القوم : الوقتُ سيفٌ إن لم تقطعْه قطعَكَ ، وأمّا تأخيرُ عمر رضي الله عنه الوترَ إلىٰ آخرِ الليل فتلك عادةٌ جاريةٌ ، وسُنَّةٌ ثابتةٌ ألزمه اللهُ إياها مع المحافظة عليها ، وأنَّىٰ لك بها مع ميلك إلى الراحات ، وأكلِ الشهوات ، والغفلةِ عن مشاهدة الحقِّ في جميع الأوقات ، هيهات هيهات) .

وكان يقول : (من أرادَ عزَّ الدارَيْن فليرحْ من الدنيا جسدَهُ وقلبه) .

وكان يقول : (من مدَّ رجله بين يدي الله للتعب لم يعاقبْهُ اللهُ) .

وكان يقول : (هـٰذا الطريقُ ليس بالرهبانية ، ولا بأكل الشعير والنخالة ، وإنما هو بالصبر والحضور مع الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (من لم يزدَدْ بعلمه وعمله تواضعاً للخلق فهو هالكٌ) .

وكان يقول : (سبحان من قطعَ كثيراً من أهلِ الصلاح عن ربِّهم برؤيتهم صلاحهم) .

وكان يقول : (الزمِ جماعةَ المؤمنين ، وإن كانوا فاسقين ، واهجرْهم حال فسقهم

---

(١) في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٧٣) : (ضيّع) بدل (كفر) .

رحمةً بهم ؛ ليرجعوا وينزجروا ، وكُلْ من طعام فسقةِ المسلمين ، ولا تأكلْ من طعامِ رهبان المشركين) .

وكان يقول : (من أدب المتقين : التواضعُ ، وحملُ أحدِهم متاعَهُ من السوق ، وجمع الحطب للطعام ، وحمله على الرأس ، والمشيُ مع الزوجة إلى السوق في حاجةٍ من حوائجها ، وركوبها معه على الحمار ، وغيره) .

وكان يقول : (الصادقُ لو كذَّبه أهلُ الأرض جميعاً لا يزدادُ بذلك إلا يقيناً ، ولو صدَّقه جميعُ أهلِ الأرض لم يزدَدْ بذلك تمكيناً) .

وكان يقول : (لا يُعطى الكرامات من طلبها ، ولا من حدَّثَ بها نفسه ، أو استعمل نفسَهُ في طلبها ، وإنما يُعطاها من لا يرىٰ نفسَهُ أهلاً لها) .

وكان يقول : (من أكرمه اللهُ عز وجل بكرامةِ الإيمان ، ومتابعةِ السُّنة واشتاقَ إلىٰ غيرِهما . . فهو مفترٍ كذَّابٌ ، وهو كمن جالَسَ الملكَ ، فاشتاق إلىٰ سياسة الدواب) .

وكان يقول : (سمعتُ هاتفاً يقول لي : إنْ أردتَ كرامتي فعليك بطاعتي ، وإياك ومعصيتي) .

وكان يقول : (رأيتُ كأني واقفٌ بين يدي ربي عز وجل ، وهو يقول لي : لا تأمنْ مكري في شيءٍ وإن أمَّنتك ؛ فإن علمي لا يُحيطُ به محيط ، وهـٰكذا درج أصفيائي) .

وكان يقول : (لا تركنْ إلىٰ علمٍ ، ولا عملٍ ، ولا مددٍ ، وكنْ مع الله بالله ولله ، وإياك أن تنشر علمَكَ ليصدِّقك الناسُ ، وإنما الشأنُ أن تنشرَ علمك ليصدِّقك الله تعالىٰ ؛ فإن العلومَ كالدَّراهم في اليد ؛ إن شاءَ اللهُ نفعَكَ بها ، وإن شاء ضرَّكَ) .

وكان يقول : (من أقبلَ على الخلق قبل خمود نارِ بشريَّته سقطَ من عين رعاية الله ، فاحذروا هـٰذا الداء العضال ؛ فإنه قد هلَكَ به خلقٌ كثير ، وقنعوا من العامة بتقبيل الأيدي والأرجل مع ارتكابهم في أنفسِهم ما لو أظهروه كانوا به فاسقين) .

وكان يقول : (إذا طلب الوليُّ النُّصرةَ ممن ظلمه خرجَ عن الولاية ، قال الله تعالىٰ للمعصوم الأكبر : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] أي : فقد لا أشاءُ أن أُهلكَهم) .

وكان يقول : (منْ أبغضِ الخلق إلى الله مَنْ تملَّقَ إليه بالطاعات في الأسحار ؛ ليطلبَ بذلك القربَ من عباد الله) .

وكان يقول : (من تلذَّذَ بمطامح الأبصار إليه في صلاته ، وعند إطراقِ رأسه فلا أجرَ له ؛ لأن خيانة العباد بالإضافات ، ورؤيةِ الطاعات ، وإجابة الدعوات . . أقبحُ من خيانتهم بالمعاصي الظاهرة) .

وكان يقول : (إذا أرادَ اللهُ هوانَ عبدٍ سترَ عنه عيوبه ، وإذا أراد عزَّهُ كشفها له ؛ ليتوبَ منها) .

وكان يقول : (إذا تركَ العارفُ الذكر نَفَساً أو نَفَسَيْن عُوقب بالبين) .

وكان يقول : (من الأولياءِ من يسكرُ عند رؤية الكأس ، ولم يذقْ بعدُ شيئاً ، فما ظنُّك به بعد ذوق الشراب ؟!) .

وكان يقول : (إذا ضيَّقَ اللهُ عليك في المعيشة فاعلمْ أنه يريدُ أن يواليك ، فاثبتْ ولا تضجرْ) .

وكان يقول : (إذا وقعَ الفقيرُ في الزلَّةِ المرَّةَ بعد المرة فهو ظالمٌ متعدٍّ حدودَ الله ، والظالمُ لا يكون إماماً ، ومن ترك المعاصي جملةً ، وصبر على ما ابتلاه الله به فهو الإمامُ ، وإن قلَّتْ أتباعه ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة : ٢٤]) .

وكان يقول : (مريدٌ واحدٌ يصلحُ لوضع السرِّ فيه خيرٌ من عشرة آلاف مريد لا يصلحون للسرِّ) .

وكان يقول : (منِ انتهى أمرُهُ إلى الوقيعة في العلماء والصالحين ، وموالاة الظالمين . . فقد تفلَّتَ منه الإسلام كله ، فلا يضرُّك ما توسَّمَ به ظاهراً من العلم والعبادة ؛ فإنهم صورٌ لا أرواحَ لها ؛ فإن روحَ الإسلام حبُّ الله ورسوله ، وحبُّ الصالحين) .

وكان يقول : (أبى المحققون أن يشهدوا غيرَ الله في دار الدنيا) .

وكان يقول : (لن يصلَ عبدٌ إلى حضرة الله عز وجل ومعه شهوةٌ من شهواته ، أو مشيئةٌ من مشيئاته) .

وكان يقول : (لا تخترْ مع ربِّك شيئاً ، واخترْ ألا تختار ، وفرَّ من ذلك المختار ، ومن فرارك ، ومن كلِّ شيءٍ إلىٰ ربِّكَ : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] ، وليس من اختيارِكَ المذمومِ اختيارُ فعل مختارات الشرع وترتيباته ؛ فإنها من مختارِ الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (كلُّ ورعٍ لا يثمرُ لك النورَ والعلم فليس له ثمرة ، وكلُّ سيئةٍ أعقبها الخوفُ والهرب إلى الله تعالىٰ فلا وزرَ لها إن شاء الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (لا ترقَ قبل أن يُرقىٰ بك ، فتزلَّ قدمُك) .

وكان يقول : (أشقى الناسِ : من يحبُّ أن يعامله الناسُ بكلِّ ما يُريده ، وهو لا يجدُ من نفسه بعضَ ما يُريد) .

وكان يقول : (طالبْ نفسَك بعدم إكرامك للناس ، ولا تطالبِ الناسَ بإكرامهم لك : ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ [النساء : ٨٤]) .

وكان يقول : (قد يئستُ من منفعة نفسي لنفسي ، فكيفَ لا أيئسُ من منفعة غيري لي ؟!) .

وكان يقول : (إن أردتَ ألا يصدأَ لك قلبٌ ، ولا يلحقك همٌّ ولا كربٌ ، ولا يبقىٰ عليك ذنبٌ فأكثرْ من قول : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر ») .

وفي روايةٍ : (فأكثرْ من قول : « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، لا إلـٰه إلا الله ، اللهم ؛ ثبِّتْ علمَها في قلبي ، واغفرْ لي ذنبي ») .

وكان يقول : (لا كبيرةَ عندنا أكبرُ من اثنتين : حبِّ الدنيا وإيثارِها على الآخرة ، والمقامِ على الجهل بأحكام الدين) .

وكان يقول : (إن أردتَ أن يكونَ الحقُّ راضياً عنك فتبَّرأْ من نفسك ، ومن حولك وقوَّتك إلى الله تعالىٰ) .

وكان يقول : (إن أردتَ الصدقَ في القول فأكثر قراءة : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ، وإنْ أردتَ الإخلاصَ في جميع أحوالك ، فأكثر من قراءة : « قل هو الله

أحد » ، وإن أردتَ تيسيرَ الرزق كالمطرِ فأكثر من قراءة : « قل أعوذ برب الفلق » وإن أردتَ السلامة من الشرِّ فأكثر من قراءة : « قل أعوذ برب الناس ») .

وكان يقول : (أربعٌ لا ينفعُ معهن علمٌ ولا عمل : حبُّ الدنيا ، ونسيانُ الآخرة ، وخوفُ الفقر ، وخوفُ الناس) .

وكان يقول : (أدلُّ الأعمالِ علىٰ محبَّة الله لك بغضُك الدنيا وأهلها ، مع الموافقة للأوامر) .

وكان يقول : (لا تسرفْ بترك الدنيا فتغشاك ظلمتُها ، وتنحل أعضاؤك لها ، فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها ؛ إما بالهمة ، أو بالفكرة ، أو بالإرادة ، أو بالحركة) .

وكان يقول : (خصلةٌ واحدة إذا فعلها العبدُ صار إماماً يُقتدىٰ به ؛ وهي : الإعراض عن الدنيا) .

وكان يقول : (إذا تداين أحدُكم فليتوجَّه بقلبه إلى الله تعالىٰ ، ويتداين على الله ؛ فإن كل ما تداينه العبدُ على الله تعالىٰ فعلى الله أداؤه من فضله) .

وكان إذا تداين يقول : (اللهم ؛ عليك تَداينتُ ، وعليك توكَّلتُ ، وأمري إليك فوَّضْتُ) .

وكان يقول : (خصلةٌ واحدةٌ تحبطُ الأعمال ، ولا يتنبَّهُ لها غالبُ الناس ، وهي سخطُ العبد علىٰ قضاء الله عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ٩]) .

وكان يقول : (خصلتان لا يضرُّ معهما كثرةُ السيئات : الرِّضا بقضاء الله ، والصفحُ عن عباد الله) .

وكان يقول : (من علامة مَنْ هَجَرَ المعاصي : ألا تخطرَ له المعاصي علىٰ بال ؛ فإن حقيقةَ الهجرِ نسيانُ المهجور) .

وسُئل عن الغِلِّ في القلب : ما صورته ؟ فقال : (الغِلُّ : هو ربطُ القلب على الخيانة والمكر والخديعة ، والحقدُ : هو شدَّةُ ربط القلب علىٰ هٰذه المذكورات) .

وكان يقول : (اتَّقِ المعاصي جملةً وتفصيلاً ، والميلَ إلى الدنيا صورةً وتمثيلاً إن أردتَ أن تكون من أهل حضرة الله مسيراً وسبيلاً) .

وكان يقول : (من وقعَ في المحرَّمات عُوقب بالعذاب ، ومن أساءَ الأدبَ في الطاعات عُوقب بالحجاب ، ومن رَكَنَ إلىٰ أحواله انقطعَ عنه المزيد ، ومن وقعَ في القلق والاستعجال عوقب بخراب السرِّ) .

وكان يقول : (من اعترضَ علىٰ أحوالِ الرجال فلا بدَّ أن يموت قبل أجله ثلاث موتات : موت بالذلِّ ، وموت بالفقر ، وموت بالحاجة إلى الناس مع عدم الرحمة له) .

وكان يقول : (من النفاق : التظاهرُ بفعل السُّنة ، والله يعلم من سريرتك غيرَ ذلك) .

وكان يقول : (من الشرك الخفيِّ : اتخاذُ الشُّفعاء من دون الله تعالىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة : ٤] ، ولا يَخلُصُ العبدُ من ذلك إلا إن جعل الوسائطَ طريقاً إلى الله تعالىٰ من غير وقوفٍ معهم) .

وكان يقول : (مَنْ شفع عند الحكام طلباً للجاه والمنزلة ، أو لغرضٍ من الدنيا فهو من أهلِ النار) .

وكان يقول : (من سوءِ الظنِّ بالله تعالى : استنصارُ العبدِ في دواهيه بغيرِ الله) .

وكان يقول : (منْ غَفَلَ عن تفقُّدِ قلبه اتَّخذ دينَهُ هزواً ولعباً ، ومن ركنَ إلى الخلقِ اتَّخذ دينه لعباً) .

وكان يقول : (إذا كان من يعملُ على الوفاقِ لا يسلمُ من نفاق ، فكيف بمن يعملُ علىٰ خلاف السنة ؟!) .

وكان يقول : (ضيقُ المعيشة شرفٌ لكلِّ الناس إلا لخليفةٍ ، أو قطبٍ ، أو ذي مروءة ، أو أمينٍ لا يخون الله برؤية نفسه إذا أنفقَ على الفقراء) ، والله تعالىٰ أعلم .

وقد بسطنا الكلامَ علىٰ حاله رضي الله عنه وذكرنا كلامَهُ لأهلِ الخصوصيات في « الطبقات الكبرىٰ »[1] ، والله ُغنيٌّ حميد .

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٦٨) .

ومنهم :

(٢٥٣) شيخُ الخرقة أبو العباس أحمدُ البدويُّ الحسيبُ النسيب رضي الله عنه[1]

وشهرتُهُ في مصر ، والشام ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والسند ، والروم ، والغرب تُغني عن تعريفه ، ولـٰكن نذكرُ لك يا أخي جملة من أحواله علىٰ سبيل التبرُّكِ ، فأقول وبالله التوفيق :

اعلم : أن مولده بمدينة فاس بالمغرب ؛ فإن أجدادَه الشرفاءَ انتقلوا أيام الحجاج إلىٰ أرض المغربَ لما كثرَ القتلُ في الأشراف .

ولما بلغَ سبع سنين سمع أبوه قائلاً يقول له في منامه : يا علي ؛ انتقلْ من هـٰذه البلاد إلىٰ مكة ؛ فإن لنا في ذلك شأناً ، وذلك في سنة ثلاثٍ وست مئة .

قال الشريفُ حسنُ أخو سيدي أحمد : (فما زلنا ننزلُ عند عربٍ ، ونرحلُ من عربٍ ، ويتلقَّونا بالترحيبِ والإكرام حتىٰ دخلنا مكة في مدَّةِ أربع سنين ، فتلقَّانا شرفاءُ مكة كلُّهم ، وأكرمونا ، وجلسنا عندهم في أرغدِ عيشٍ حتىٰ تُوفي والدنا سنة سبعٍ وعشرين وست مئة ، ودفن بباب المعلىٰ) .

قلت : وقبرُه هناك ظاهرٌ يُزارُ في زاوية .

قال الشريف حسن : فأقمتُ أنا وإخوتي ، وكان أحمدُ أصغرَنا سنّاً ، وأشجعنا قلباً ، وكان لكثرةِ ما يتلثَّمُ سمَّيناه بالبدوي ، فأقرأتُهُ القرآنَ مع ولدي الحسين ، ولم يكنْ في فرسان مكةَ أشجعَ من أخي أحمد ، حتىٰ كانوا يسمونه في مكة العطَّاب .

فلما جاءته المواهبُ الإلـٰهية وحَدَثَ عليه حادثُ الوله تغيَّرتْ أحواله ، واعتزلَ عن الناس ، ولازمَ الصمتَ ، فكان لا يُكلِّمُ الناسَ إلا بالإشارة ، فلما حصلتْ له الجمعيةُ استغرقتْهُ إلى الأبد ، ولم يزل حالُه يتزايدُ حتىٰ كان من أمره ما كان .

---

(١) جاء في هامش (ج) : (أبو العباس أحمد البدوي ، أبو الفتيان ابن السيد علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر المغربي الأصل) ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٧/٢) (٢٩١) .

ثم إنه في شوال سنة ثلاث وثلاثين وست مئة رأىٰ في منامه ثلاثَ مرات قائلاً يقول له : قمْ ، واطلبْ مطلعَ الشمس ، فإذا وصلتَ مطلعَ الشمس فاطلبْ مغربَ الشمس ، ثمَّ سرْ إلىٰ طندتا ؛ فإن بها مقامَك أيُّها الفتىٰ ، فاستيقظَ من منامه ، وشاورَ أهلَه ، وسافر إلى العراق ، فتلقَّاه أشياخُها الأحياء والأموات ، فلما زارهم وأقامَ عندهم مدَّةً خرجنا بعد ذلك قاصدين طندتا ، فأحدق بنا الرِّجالُ من سائر الأقطار يُعارضونا ، فأومأ إليهم سيدي أحمدُ البدوي ، فوقعوا ، ثم رجعوا هاربين .

ومضينا إلىٰ أُمِّ عَبيدة ، فزرنا سيدي أحمدَ بن الرفاعي ، وذهب سيِّدي أحمدُ إلىٰ فاطمة بنت بري ، وكانت امرأةً لها حالٌ عظيم ، وجمالٌ بديع ، وكانتْ تسلبُ الرجال الواردين على العراق أحوالَهم ، فسلبَها سيدي أحمدُ ، وتابتْ علىٰ يديه ، وأخذ عليها العهد أنها لا تتعرضَ لأحدٍ بعد ذلك اليوم .

وكان قد اجتمعَ معها قبائلُ كثيرةٌ من العرب عوناً لها علىٰ سيدي أحمد ، فرجعوا كلُّهم إلىٰ أماكنهم ، وكان يوماً مشهوداً بين الأولياء .

ثم إنَّ سيدي أحمد سمع قائلاً يقول : سرْ إلىٰ طندتا ، ورَبِّ الرجال ، وذلك في شهر رمضان سنة أربعٍ وثلاثين وست مئة .

فدخل رضي الله عنه إلىٰ مصر أولاً ، ثم قصد طندتا ، فدخلَ في الحال مُسرعاً إلىٰ دار ابن شحيطة شيخِ البلد ، فصعد إلىٰ سطوحِ غرفته ، فأقام فوق السطح نحو [اثنتي عشرة] سنة[١] .

وكان طولَ نهاره وليله واقفاً شاخصاً ببصره إلى السماء ، وقد انقلبَ سوادُ عينيه بحمرةٍ تتوقَّدُ كالجمر .

وكان يمكث الأربعين يوماً وأكثر لا يأكلُ ولا يشرب ولا ينام . ذكره الحافظ ابن حجر رضي الله عنه .

ثم إنه نزلَ من السطح إلىٰ ناحيةِ فيشا المنارة ، فصحب بها عبدَ العال ، وعبدَ المجيد .

---

(١) في النسخ (اثني عشر) .

فأما عبد المجيد : فسألَهُ ليكشفَ له عن لثامه ليرىٰ وجهه ، فقال له سيدي أحمد : يا عبد المجيد ؛ كلُّ نظرةٍ بنَفْسٍ ، فقال : يا سيدي ؛ أرني وجهك ولو متُّ ، فكشفَ اللِّثام عن وجهه ، فخرَّ عبدُ المجيد ميتاً .

وأما عبد العال : فعاشَ إلىٰ أن مات سيدي أحمد ، واستُخلف بعده ، وربَّى الرجال ، وفرَّقهم في نواحي البلاد .

وكان سيدي أحمدُ يربِّي بالنظر ، فكان سيدي عبدُ العال يأتيه بالرَّجل الجاهل الخالي من المدد ، فينظر إليه نظرةً ، فيملؤه مدداً ، ويقول له : قلْ له : يسكنِ البلدَ الفلاني ، هٰكذا كانت تربيته للرجال ، وكان يقلب أعيانهم بالنظرِ من غير مجاهدة ، وكل ذلك كان بالسطح الذي كان فوقه في دار ابن شحيطة ، ومن هنا كان الناسُ يقولون : فلان من أصحاب السطح ، ويقولون : سيدي أحمد السطوحي .

قالوا : ولما دخل سيدي أحمدُ طندتا كان هناك سيدي حسن الصائغ الإخنائي ، وسيدي سالم المغربي .

وكان سيدي حسن يقول لمَّا قربَ مجيء سيدي أحمد البدوي : ما بقي لنا إقامةٌ هنا ، صاحبُ البلاد قد جاء لها ، فكان الناسُ لا يعرفون مرادَهُ ، فلما دخل سيدي أحمدُ خرج سيدي حسن إلىٰ إخْنا ، فأقام بها إلىٰ أن مات ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يزار إلى الآن .

وأقام سيدي سالم المغربي : فسلَّم لسيدي أحمد إلىٰ أن مات بطندتا ، وقبره قريب من مقام سيدي أحمد .

وأنكر بعضُهم علىٰ سيدي أحمد ، فسُلب وانطفأ اسمُهُ .

وانتصر جماعةٌ من خطباء طندتا لسيدي وجهِ القمر صاحبِ الإيوان العالي بها ، وبنوا له منارةً ، فجاء سيدي عبد العال ورفسها برجله ، فغارت إلىٰ وقتنا هٰذا .

ولما دخلَ سيدي أحمدُ إلىٰ مصر خرجَ الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات هو وعسكره ، فتلقَّوا سيدي أحمد ، وأكرموه غاية الإكرام ، وأنزله في دار الضيافة ، وكان

ينزلُ لزيارته لما أقام بناحية طندتا ، وكان يعتقدُه اعتقاداً عظيماً .

وكان إذا لبسَ ثوباً أو عِمامة لا يخلعها حتىٰ تذوبَ ، فيبدلُوها له بغيرها .

وكان يُرخي لعمامته اللِّثامين بالغرزتين .

والعِمامةُ التي يلبسها الخليفة كلَّ سنة في المولد هي عِمامته بيده ، وأما البشتُ[١] الصوف الأحمر الذي يلبسه الخليفة مع العمامة فهو بشتُ سيدي عبد العال ، والقميصُ الذي تحت البشت هو قميص سيدي أحمد ، وهو من قطنٍ مفرَّج من وراء ومن قدَّام .

مات رضي الله عنه سنة خمسٍ وسبعين وست مئة .

وأما مناقبه ؛ من مجيئه بالأسرىٰ من بلاد الإفرنج وغيرها ، وحضوره عند مُريديه في الشدائد . . فكثيرةٌ مشهورة ، وقد ذكرنا جملة صالحة منها في « الطبقات الكبرىٰ »[٢] ، والله أعلم .

وقد بلغنا : أنَّ مشايخَ بلاد الغربية أتوا سيدي أحمدَ البدوي لمَّا قدِمَ طندتا ، ينظرون أحوالَهُ ، ويسألونه الدعاءَ ، فأتاه الشيخ عبد الحليم المدفون في ناحية كوم النجار ، وقال له : شيء لله ، فقال : إن الله تعالىٰ قد جعلَ في ذرِّيَّتِك الخيرَ والبركة .

ثم أتاه الشيخ عبد السلام القليبي رضي الله عنه فقال له : شيء لله ، فقال : قد جعلَ اللهُ تعالىٰ لك الشهرةَ بالولاية والصلاح إلىٰ يوم القيامة عند الأمراء والملوك وغيرِهم .

ثم جاءه سيدي عبد الله البِلتاجي فقال : شيء لله ، فقال : قد جعلَ الله تعالىٰ لك كلَّ يومٍ حاجةً تُقضىٰ إلىٰ يوم القيامة .

ثم جاءه جماعةٌ من مشايخ الغربية ، فقالوا : شيء لله ، فقال : عليكم الطمس والخفاء إلىٰ يوم القيامة ، فلم يشتهرْ لأحدٍ منهم اسم . انتهىٰ .

---

(١) **البشت** : كساء من صوف غليظ النسج لا كمين له ، يرتديه أهل الريف في الشتاء . « المعجم الوسيط » (١/ ٥٧) .

(٢) « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٧ ، ١٧) .

[سؤالُ ابن حجر وجوابه في سيدي أحمد البدوي]

وقد رأيتُ سؤالاً وجوابَهُ لشيخ الإسلام الحافظ الشيخ ؛ شهابِ الدين بن حجر في سيدي أحمد البدوي ، فأحببتُ ذكره هنا ؛ ليعتمد العلماءُ عليه ، فإن أصحابَ كتب الرقائق قد يحكون في مؤلفاتهم ما لم يصحَّ ، بخلاف المحدثين رضي الله عنهم ، فأقول وبالله التوفيق :

قدَّم بعضُ الفضَلاء سؤالاً صُورته : ما يقولُ سيدنا ومولانا شيخُ الإسلام الحافظُ أمير المؤمنين في الحديث نفعَ اللهُ به المسلمين في سيدي أحمد البدوي ؟

فقال رضي الله عنه : هو أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القُرشَي الأصل ، الملثَّمُ ، ولد سنة ستٍّ وتسعين وخمس مئة ، وتوفي ثاني عشر ربيع الأول سنة خمسٍ وسبعين وست مئة .

وحج أبوه في سنة تسعٍ وست مئة ، وهو معه ، وأخوه حسنٌ ، وأمُّهم كلهم فاطمة بنتُ محمد بن أحمد ، وأقاموا بمكة المشرَّفة ، ومات بها أبوه سنة سبعٍ وعشرين وست مئة ، ودفن بباب المعلىٰ ، وقبرُه الآن ظاهرٌ يُزار .

وعرف بالبدوي ؛ لملازمته اللثام ، ولبس لثامين ، حتىٰ كان لا يفارقُهما ، وعُرض عليه التزويج ، فامتنع لإقباله على العبادة .

وكان قد حفظ القرآن كلَّهُ ، ثم قرأ شيئاً من الفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه .

واشتَهر بين الناس بالعطَّاب ؛ لكثرة عطبِهِ مَنْ يُؤذيه ، ثم لازمَ الصمتَ ، حتىٰ كان لا يتكلَّمُ إلا بالإشارة ، ثم اعتزلَ الناس جملةً لما ظهر عليه الوله ، ثم لما دخلَ المحرَّمُ سنة ثلاثٍ وثلاثين وست مئة ذكروا أنه رأىٰ في المنام قائلاً يقول له ويبشِّرُه : بأنه سيكونُ له شأنٌ عظيم ، وحالةٌ حسنة بمصر .

ثم إن أخاه حسنُ بن علي دخلَ العراق ، وأخذه معه .

ولازم سيدي أحمد الصيامَ ، حتىٰ كان لا يفطرُ إلا كل أربعين يوماً ، فكان يمكثُ الأربعين يوماً لا يأكلُ ، ولا يشرب ، ولا ينام .

وكان أكثر أحواله شاخصاً ببصره إلى السماء ، وعيناه كالجمرتين ، ثم رحل إلىٰ مصر سنة أربعٍ وثلاثين وست مئة ، فدخل إلىٰ ناحية طندتا من الغربية في أسفل مصر ، فأقام بها علىٰ سطحِ دارٍ لا يُفارقُهُ ليلاً ولا نهاراً .

وكان إذا عرض له الحال يصيحُ صياحاً عظيماً مُتَّصلاً ، وكان يُكثرُ من الصياح في غالبِ أوقاته .

وأما صفتُهُ رضي الله عنه : فكان طويلاً غليظَ الساقين ، عَبْلَ الذِّراعين[1] ، كبيرَ الوجه ، ولونه بين البياض والسمرة .

ويؤثر عنه كراماتٌ كثيرة ، وخوارقُ شهيرة ؛ من أشهرها :

قصةُ المرأة التي أَسَرَ ولدها الفرنجُ ، فلاذتْ به ، فأحضره إليها في قيوده .

ومرَّ به رجلٌ يحمل قربَة لبنٍ ، فأشار الشيخُ بإصبعه إلى القربة ، فانقدَّتْ ، فانسكبَ اللبنُ ، وخرجت منه حيَّةٌ عظيمة ميتةٌ ، قد انتفخت .

قال شيخُ الإسلام رضي الله عنه : ويؤثر عنه شعرٌ ؛ لـٰكنه مع كونه موزوناً غير معرب .

قال : وقد لازمَ جماعةٌ من أهل تلك البلاد خدمته رضي الله عنه ، وبنوا علىٰ قبره مقاماً ، واشتَهرت كراماته ، وكثرتِ النذورُ التي تُحمل إليه من البلاد ، وعظم أمرُهُ ، وأثنوا عليه ، وميَّزوه عن أشياخ عصره .

وقام بأتباعه صاحبُهُ الشيخ الصالحُ عبدُ العال ، فسمَّوه خليفة الشيخ أحمد ، وعُمِّر بعده طويلاً ، حتىٰ مات سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مئة .

واشتَهر أتباعه بالسُّطوحية ، وحدث لهم بعد مدةٍ عملُ المولد الشريف النبوي عنده ، وصار يوماً مشهوداً يقصده الناس من النواحي البعيدة .

قال : وشهرةُ هـٰذا المولد في عصرنا تُغني عن وصفه ، وقد قام جماعةٌ من العلماء ومن تدين من الأمراء في إبطاله ، فلم يتهيأْ لهم ذلك إلا في سنة إحدىٰ وخمسين

---

(١) عبل الذراعين : أي : ضَخْمُهما .

وثمان مئة . انتهىٰ ما ذكره الحافظُ ابن حجر رضي الله عنه في جوابه .

قلت : وقد أُعيد بعد ذلك ، واستمرَّ إلىٰ عصرنا هـٰذا ، ولله الحمد .

ورأيت أيضاً بخطِّ سبطِهِ الإمام العالم المحدِّث العدل الرضي ؛ أبي المحاسن يوسفَ ترجمةً لسيدي أحمد البدوي ، حين سُئل عنه ، فقال :

هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر البدويُّ ، المعروف بالسُّطوحي ، رضي الله عنه .

أصله من بني بري ؛ قبيلةٌ من عرب الشام ، تسلك علىٰ يد الشيخ بري ، أحد تلامذة الشيخ أبي نعيم ، أحدِ مشايخ العراق ، وأحدِ أصحاب سيدي أحمد بن الرفاعي .

ومولده : بفاس سنة ستٍّ وتسعين وخمس مئة ، وطاف البلاد ، وأقام بمكة والمدينة ، ثم بمصر ، ثم دخل طندتا سنة أربعٍ وعشرين وست مئة ، وأقام بها علىٰ سطحِ دارٍ حتىٰ تُوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وست مئة .

وأخذ عنه الشيخُ المُعمَّرُ عبد العال كما سيأتي بيانه في ترجمته بعد إحدىٰ وستين شيخاً من هـٰذه « الطبقات »[1] ، وبيان جميع من بلغنا أنه من أصحابِ السطح ، وأتباعهم المفرَّقين في أقاليم الأرض ، فراجعه .

ومما بلغني من جماعةٍ من أهل بيروت قالوا : أَسَرَنا الفرنجُ ، وكنا اثني عشر رجلاً ، فأقمنا في بلاد الفرنج ، يستخدمونا في الأعمال الشاقة ، حتىٰ كدنا نموت ، فألهمنا الحقُّ تعالىٰ يوماً أننا قلنا : يا سيدي أحمد يا بدوي ؛ إنَّ الناسَ يقولون : إنك تأتي بالأسرىٰ إلىٰ بلادهم ، وقد سألناك بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم أن تردَّنا إلىٰ بلادنا ، قالوا : ففي ذلك اليوم نزلنا مركباً ليس فيها أحد ، وقدمنا ، فلم يشعرْ بنا الإفرنجُ حتىٰ سرنا في البحر نحو ميلين ، فخرجوا وراءنا ، فلم يدركونا إلىٰ أن وصلنا إلىٰ بلادنا ببركة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه . انتهىٰ .

ومما رأيته أنا بعيني سنة ثلاثٍ وأربعين وتسع مئة أني كنت جالساً في مقام سيدي

---

(١) سيأتي (٣/٣١٨) .

أحمد البدوي ، فسمعتُ ضجَّةً عظيمة في منارةِ سيدي عبد العال آخرَ الليل ، فطلعتُ فإذا أسيرٌ مقيَّدٌ مغلول ، وهو غائب البال ، فنزلوا به ، فمكثَ ثلاثة أيام ، ثم أفاق ، فقال : كنتُ أسيراً في بلاد الفرنج ، فبينا أنا واقفٌ علىٰ سطحٍ ؛ إذ توسَّلتُ بسيدي أحمد البدوي ، فأتاني شيءٌ ، فخطفني ، ثم طار بي في الهواء حتىٰ نزلتُ على المأذنة ، فطاش عقلي من شدَّة الخطفة والطيران ، ففككنا قيودَهُ ، وجاور في مقام سيدي أحمد البدوي حتىٰ ماتَ .

وحكىٰ شخصٌ آخرُ اسمُهُ الشيخُ سالم قال : كنتُ أسيراً في بلاد الفرنج ، فكان الفرنجيُّ يقول لي : إن سمعتُك تقولُ يا أحمد يا بدوي ضربتُك وعاقبتُك ، ثم خاف أنه يخطفني ، فصارَ ينوِّمني في صندوقٍ كبير ، ويقفله عليَّ بقفلٍ ، وينام فوقه ، فقلت في نفسي ليلةً من الليالي : يا سيدي أحمد ؛ أنجدني ، فما استتمَّ القولُ إلا وقد جاءَ سيدي أحمد ، وحمل الصندوقَ بي وبالفرنجي ، فصرتُ أسمعَ دويّاً تحتي عظيماً ، فما أصبحَ الصباحُ إلا وأنا أسمع أصواتاً وكلاماً كثيراً ، ففتحوا الصندوق ، وأخرجوني ، فوجدتُ نفسي في ساحلِ القيروان ، والفرنجي واقفٌ ، والناس حوله ، فحكىٰ لهم قصةَ سيدي أحمد ، ثم أسلمَ الفرنجي ، وجاء إلىٰ مقام سيدي أحمد ، وزاره ، ثم سافر إلى القدس . انتهىٰ .

ومما رأيته أنا : أني كنتُ جالساً علىٰ سطح المقام وقتَ الزوال ، فرأيت هلالَ قبَّةِ سيدي أحمد يدور ويزعق كالحجر العظيم من حجارة المعصرة الذي ليس تحته حبٌّ ، فدار نحو ثلاث دورات ، ثم جاءَ الخبرُ بنصرةِ السُّلطان سليمان بن عثمان علىٰ أهل رودس في ذلك الوقت .

وكذلك ما يسمعنا تابوته يقرقع ويزعق إلا ويحدثُ في المملكة أمرٌ .

وأخبرني الخواجا حسن الحلبي قال : بينا أنا مسافرٌ بحمل قماشٍ إلى المولد ؛ إذا أنا بسبعة فرسان من العرب أحاطوا بي ، يأخذون ما معي ، فقلت في نفسي : يا سيدي أحمد ؛ أنا في دركك اليوم ، فلم يستتمَّ مني القولُ حتىٰ خرجَ عليهم فارسٌ علىٰ حصان أبيض ملثَّمٌ لا يُرىٰ منه إلا عيناه ، فطردهم حتىٰ غابوا عني ، فعرفتُ أنه سيدي أحمد .

وأخبرني شيخُنا الشيخُ محمد الشناوي قال : ضاعتْ حمارةُ أخي الشيخ محمد في

أيام المولد ، فأتىٰ إلىٰ قبرِ سيدي أحمد ، وقال له : والله ؛ لا أخرجُ حتىٰ تأتيَني بحمارتي ، فبينا هو جالسٌ في قبة سيدي أحمد وإذا بالحمارةِ واقفة بجنب التابوت ، فخرج بها الشيخ محمد فتعجَّب الناسُ من ذلك . انتهىٰ .

ومما وقع لي : أنني دخلتُ مع شيخي الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه لزيارة سيدي أحمد ، فشاوره الشيخُ علىٰ سفره للمدينة ليشتري رصاصاً للحمام الذي عمَّره بطندتا ، فقال له سيدي أحمد من القبر : سافر وتوكَّل على الله ، وسمعتُ لفظَهُ هـٰذا بأذني .

وكراماته رضي الله عنه كثيرةٌ مشهورة ، رضي الله تعالىٰ عنه ، ونفعنا ببركته ، آمين .

ومنهم :

(٢٥٤) الشيخُ الصالح ، القطب الربَّاني
سيِّدي إبراهيم الدسوقي القرشي شيخُ الخرقة البرهانية رضي الله عنه[١]

كان صاحبَ العلوم اللَّدنية ، والمعارف الربَّانية ، والمحاضرات القدسية رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يتكلَّم باللِّسان الأعجمي ، وباللسان السرياني ، والعبراني ، والزنجي ، وسائر لغات الوحوش والطيور .

وكتب مرة إلىٰ بعض مُريديه بعد السلام : (وبعد ، فإني أحبُّ الولد ، وباطني خليٌّ من الحقد والحسد ، ولا بباطني شطا ولا حريق لظا ، ولا لوي لطا ، ولا جوي من مضىٰ ، ولا مضص غضا ، ولا نكص بضا ، ولا سقط نطا ، ولا نطب عطا ، ولا عطل خطا ، ولا شنب شوىٰ ، ولا سلب شبا ، ولا عتب غبا ، ولا عتت فجا ، ولا سمداد ولا سبدا حمدا ، ولا بدع رجحا ، ولا سطف حرا ، ولا حمس حس ، ولا عمس عس ، ولا خمس حنس ، ولا جوارِ كنس ، ولا عسعس كنس ، ولا عبر

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٥٨) (٢٩٠) .

عنس ولا حدس ، ولا حمل حندس ، ولا سمطا ويش ، ولا عيطا فش ، ولا هطا مرش ، ولا سطا روس ، ولا سوس أرس ، ولا ركاش قوش ، ولا سملاد نوش ، ولا كساد سمطلوله الروس ، ولا بوسع كموس ، ولا قنعاد أفاد ، ولا كمدا نكار ، ولا بهداد ، ولا شهداد ، وما لنا فعلٌ إن شاء الله تعالىٰ إلا في الخير والنوال) . انتهىٰ .

وكتب مرةً إلىٰ بعضِ مُريديه أيضاً : (سلامٌ على العرائس المحشورة ، في ظل وابل الرحمة .

وبعد : فإنَّ شجرةَ القلوب إذا هُزَّت فاحَ منها شذىً يغذي الروح ، فيستنشقُهُ من ليس عنده زكم ، فتبدو له أنوارٌ وعلوم مختلفة ، مانعة محجوبة ، معلومة لا معلومة ، معروفة لا معروفة ، غريبة عجيبةٌ ، سهلةٌ شطة ، فائقة طعمٍ ورائحة ، وشم ميم محل جليل محل جهد أب علوب ، لغط سوط ، هربط سهبط حرموط ، عميط علب عمر عسب غلب عرماد ، علمود علىٰ عرور علماس سرور ، قدقد فرضم صاع صع صيوب ينوب ، جهمل حماية جربوعس قنبود سماع ساع سرنوع ، ختلوف كراف كرورب كنوف ، شهدا شهبدنيك ، خلولف خبوف ، دمص ما من فدقد فهود ، سعىٰ طبوطا طائر ظالمك ؛ كهر حربيد فنلودماب كعلودات كبكل كلوب ، فافهم مبرم ، واقرم منعم ، واحبر سهدم ، سوس سيفوس كلابيد ، لا تهنو عن غيلا يسعدس مسح بومل ، ولا تنكو كع زند جدا هرام شكهرل ، وقد سطرنا لك يا ولدي تحفةً سنية ، ودرةً مُضيئة ، ربَّانية سريانية ، شمسية قمرية ، كواكب درية ، وأنجم خفية علوية ، وإنما يفصحُ المبهم المغلق المعرب المعلق ، الذي سرُّه مغطّىً بالرموز) . انتهىٰ .

وكتب إلىٰ بعض مُريديه أيضاً : (سلام إن هب الحلوب المغنق ، أو الصبا المعنق ، أو الضحى المرونق ، أو الشمس المتحفة ، أو الأصحبة المعترفة في الأبرجة ، المعونقة والمحيرة المخوننة ، والمسرة المحتوطفة ، واللطيفات المختطفة المسوخفة ، والأداغ والأرياح المفولجة المسودجة ، والسهار والأنهار المشوطح ، والصعر المزرورق المفتوح ، والمعنوع والسنبابوا ، والسرياموا والشوشايد ، والسربو ساشع ، والبر قوشائد ، فتفهَّم يا ولدي ما قلتُهُ لك ؛ فإن الكلام المعرب لا يُشاكله

المعرب ، وما ليس من لغةِ العرب لا يَفهمُهُ إلا من له قلب ، أو من فهَّمَهُ الربُّ ، ولا إنكار علىٰ علماء الحقيقة ، وهم يتكلَّمون بكلِّ لسانٍ ، ولهَم لسان عجام) . انتهىٰ .

وكتب سلاماً إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع الحُجَّاج : (وبعد : فالسلامُ علىٰ أمير المحيا ، جميلِ المعنىٰ ، سخي المراشف ، أرخى المعاطف ، كريم الخلق ، سني الصدق ، عرفوط الوقت ، وردساني الفهم ، نافث الرحب ، محبول الرحب ، مطان النعل ، فيدوح النماطة ، بيدوح النياطة ، سرسامعي الرحب ، نهرباني الوعب ، نهب شاني الحداقة ، سهيري الساقة ، أمور الرموز ، عموز النهور لسلاحايب ، أفق فردفانية ، أمق شوامق السوامق ، حيدر قرقند ، وقرنماط الأسباط ، وسبط البساط للانبساطات الكزقولية ، والعيد القيلولية ، إن جدول سدول ، وإن عردل خردل السد البسل سط المعود ، النماحة النباحة ، حلهوي نبا كلكوي سبا معطعات حميه ، ومحكمات حكيم بدائع لوامع ، إن شدت أنشدت عنبقيات رسمانية ماتوئية نامهتية بابلية ، أرس أرسون ، كمين كنبوت ، تاتون ميم وحميم ، ونقطة عين تنعم اريح هدم سح هج زهير زغبوب ، فيداق فتذف عرائس مجليات شعشعانية علىٰ فطط النبط لا النمط ، والتعب لا الشطط ، ملاق العندم ، خلاق الزندم ، دابقي الهندم ، إن خطا وطا ، وإن تعاطا عاطا في الاستبرق ، يسمعُ غبن السك ، وعسى السك من أرياح فوائده ، وأرواح قلائده ، ليس من لفظِ قسِّ الإيادي ، ولا له بها أيادي ، بهدابانية البها ، سهبانية الربا ، قد فشنفلت بالنباهة أبيا ، وتعطرفت بالساهة عبيا ، طرامعاً عجباً عرائفها حسا ، إن تمادا تمدا ، وإن بعدا عدد لفظه تارق ، ولحظه خارق ، إن أنَّ ينشرُ فرد قرنيه ، قد اغتدت بالرشطاط من فروزيات وحرز رموزات ، كردم المرشاه ولا أشباه ، ألم بك ولا ربك ولا درك) انتهىٰ .

وقد ترجمه بعضُهم بأنه : أحدُ الأئمة الذين أبرزَ اللهُ لهم المغيَّبات ، وخرقَ لهم العادات ، وأوقع لهم الهيبةَ في القلوب ، وانعقد علىٰ فضله إجماعُ المشايخ ، وكان مقصوداً بحلِّ المشكلات ، وكشف خفيَّات الموارد ، رضي الله عنه .

وترجمه بعضهم أيضاً بأنه : الشيخُ الكامل الراسخ ، أحدُ أعيان المشايخ

الواصلين ، وصاحبُ الكرامات والخوارق في حياته وبعد مماته .

انتهتْ إليه رئاسة الكلام علىٰ خواطر الخلق ، وتلمذَ له خلائقُ من العلماء والصلحاء والقضاة ، وكان له أربعون خادماً من أرباب الأحوال .

وجاءه مرةً سبعةٌ من القضاة يمتحنونه ، فلما وصلتْ مركبُهم إلى البرِّ بناحية دسوق أرسل النقيبَ لهم ، وقال له : ادفعهم خلف جبل قاف ، فوجدوا أنفسهم هناك ، فأقاموا سنةً يأكلون من حشيش الأرض ، حتىٰ تغيَّرتْ أجسادُهم ، وخَلَقَتْ ثيابهم ، ثم تذكَّروا ما وقعوا فيه ، فتابوا هناك ، فأرسل لهم النقيبَ ، فدفعهم ، فوجدوا أنفسهم علىٰ ساحلِ دسوق ، ومسحَ اللهُ تعالىٰ من قلوبهم تلك الأسئلة كلَّها ، واعترفوا بما كانوا جاؤوا لأجله ، فقال لهم الشيخ : قولوا ما عندكم من المسائل ، فضحكوا ، وقالوا : يكفينا ما جرىٰ لنا ، وأخذَ عليهم العهدَ ، وصاروا من جملة تلامذته حتىٰ ماتوا .

وترجمه بعضُهم أيضاً بأنه : الشيخُ الكامل ، صاحبُ الانفهاقات العرفانية ، والعلوم اللدنية ، والأسرار الربانية ، من كان له المقامُ العالي في قلوب العلماء والملوك ، والمهابةُ في الصدور ، وقُصد للزيارة والتبرك من سائر الآفاق .

وأمرَ التمساحَ أن يلفظَ الصبيَّ الذي ابتلعه ، فخرج التمساحُ ولفظَهُ بحضرة الناس ، رضي الله عنه .

وترجمه بعضهم بأنه : الشيخُ الكامل الراسخ ، من أجلاء مشايخ مصر ، وسادات العارفين ، صاحبُ الكرامات الظاهرة ، والأفعال الفاخرة ، والأحوال الخارقة ، والمقامات السنية ، والهمم الفخيمةِ ، صاحبُ الفتح الموفَّق ، والكشف المخرق ، والتصدر في مواطن القدس[١] ، والترقِّي في معارج المعارف ، والتعالي في مراقي الحقائق .

كان له الباعُ الطويل في التصريف النافذ ، واليدُ البيضاء في أحكام الولاية ، والقدمُ الراسخ في درجات النهاية ، والطورُ السامي في الثبات والتمكين ، وهو أحدُ من ملك أسراره ، وقهر أحواله ، وغلب علىٰ أمره وهو أحدُ أركان الطريق . انتهىٰ .

---

(١) في (ز) : (مقامات) بدل (مواطن) .

وترجمه بعضُهم بأنه : صاحبُ المحاضرات القدسية ، والمعراجِ الأعلىٰ في المعارف ، والمنهاجِ الأسنىٰ في الحقائق ، والطورِ الأرفع في المعالي ، والقدمِ الراسخ في أحوال النهايات ، واليد البيضاء في علم الموارد ، والباعِ الطويل في التصريف النافذ ، والكشفِ الخارق عن حقائق الآيات ، والفتحِ المضاعف في معنى المشاهدات ، وهو أحدُ من أظهره الله عز وجل إلى الوجودِ ، وأبرزَهُ رحمةً للخلق ، وأوقعَ له القبولَ التامَّ عند الخاصِّ والعام ، وصرَّفه في العالم ، ومكَّنه في أحكام الولاية ، وقلبَ له الأعيان ، وخرقَ له العادات ، وأنطقه بالمغيبات ، وأظهرَ علىٰ يديه العجائب ، وصومه في المهد .

وكان يقول : (أشهدني اللهُ تعالىٰ ما في العلا وأنا ابنُ سبع سنين ، ونظرتُ في اللوح المحفوظ وأنا ابنُ تسع سنين ، وقلبت السماوات[1] وأنا ابنُ إحدىٰ [عشرة] سنة)[2] ، وذكَرَ أشياء كثيرة رضي الله عنه .

وله كلامٌ كثيرٌ عالٍ علىٰ لسان أهل الحقائق .

فمن كلامه رضي الله عنه : (من لم يكنْ مُجتهداً في بدايته ، لا يفلح له مريدٌ في نهايته ؛ فإنه إنْ نامَ نام مريدُهُ ، وإن غفلَ غفل مريده ، وإن رغبَ في الدنيا رغب فيها مريده ، وهٰكذا في سائر الأخلاق ، وبالعكس) .

وكان يقول : (من أمرَ الناس بالعبادة وهو بطَّال ، أو توبهم عن الباطل وهو يفعله ضحكوا عليه ، ولم يسمعوا منه) .

وقالوا له مرةً : انصحنا وأدِّبنا ، فأنشد :

لا تعذلينَ الحرائرَ حتىٰ تكوني مثلَهنَّ ... يقبحُ علىٰ معلولةٍ تَصفُ دوا للناسِ

وكان يقول : (يجبُ على المريد ألا يتكلَّم قطُّ إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً ، وإن كان غائباً استأذنَهُ بالقلب ؛ وذلك حتىٰ يترقَّىٰ إلى الوصول إلىٰ هٰذا المقام في حقِّ ربِّه عز وجل ؛ فإن الشيخَ إذا أراد به هٰكذا رقَّاه إلى الأدبِ مع الله ،

---

(١) في (أ) : (فككت) بدل (قلبت) ، وفي (هـ ، و ، ي) : (نلت) .
(٢) في النسخ : (عشر) بدل (عشرة) .

وربَّاه بلطيفِ الشراب ، وأسقاه من ماءِ التربية ، فيا سعادة من أحسنَ الأدب مع مربِّيه) .

وكان يقول : (من عاملَ اللهَ بالسرائر جعله على الأسرَّة والحظائر) .

وكان يقول : لا تكليفَ علىٰ من غابَ بقلبه في حضرة ربِّه ما دام فيها ، فإذا خرجَ من تلك الحضرة ورُدَّ إليه عقلُهُ . . وجبَ عليه ما على المكلَّفين ، وهٰذا حالُ المبتدئين ، وأما الأقوياء فالتكليفُ لهم دائمٌ لقوَّتهم ، فلا يفوتهم فرضٌ ولا سُنة ، بخلاف المبتدئين يجبُ عليهم قضاءُ ما فاتهم مدَّةَ غيبتهم ؛ ولذلك لما قيل للجنيد : إنَّ الشبليَّ يغيبُ عن حسِّهِ ، فقال : هل يُردُّ له عقلُه أوقاتَ الصلاة ؟ فقالوا له : نعم ، فقال الجنيد : الحمد لله الذي لم يُجرِ عليه لسان ذنب .

وكان يقول : (من لم يكنْ متشرِّعاً متحقِّقاً نظيفاً عفيفاً فليس هو من أولادي ، ولو كان ابني لصُلبي ، ومن كان مُلازماً للشريعة والحقيقة ، عاملاً بما علم . . فهو ولدي حقًّا ، وإن كان من أقصى البلاد) .

وكان يقول : (ما كلُّ من خدمَ يعرفُ آدابَ الخدمة ؛ ولذلك كثرتْ ردَّةُ المُريدين عن الطريق) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ بالله عليكم ، كونوا خائفين من الله عز وجل ؛ فإنكم غنمُ السكين ، وكباشُ الفنا ، وخرافُ العلف ، وتنورُ شوائكم قد وهج) .

وكان يقول : (لا يكملُ الفقير حتىٰ يكونَ محبّاً لجميع المسلمين ، مُشفقاً عليهم ، ساتراً لعوراتهم ، فإنِ ادَّعى الفقرَ وهو بضدِّ ذلك فهو غيرُ صادق) .

وكان يقول : (لا تُنكروا علىٰ فقيرٍ حاله ، ولا لباسه ، ولا طعامه ، ولا شرابه ، إلا إنْ خالف ظاهرَ الشرع ؛ فإن الإنكارَ يُورث الوحشةَ ، والوحشةَ تورثُ الانقطاع عن طريق الله عز وجل ؛ فإن الناسَ خاصٌّ ، وخاصُّ الخاص ، ومبتدئ ومنتهي ، ومتشبِّه ومتحقِّق ، ويرحم الله البعضَ بالبعض ، والقويُّ لا يقدرُ يمشي معه الضعيف) .

وكان يقول : (إذا ضحك الفقيرُ في وجه أحدِكم فاحذروه ، ولا تخالطوه إلا بالأدب) .

وكان يقول : (الشريعةُ أصلٌ ، والحقيقةُ فرعٌ ؛ فالشريعةُ ما ظهر من الشرع ، والحقيقةُ ما خفي منه ، وجميعُ المقامات مندرجةٌ فيهما ، ولكلٍّ منهما أهلٌ ، والكاملُ من جمع بينهما) .

وكان يقول : (لا يجبُ على المريد من العلمِ إلا بقدر ما يعرفُ أن يعملَ به ، ثم يشتغلُ بالفحص عن أخلاق الصالحين ويعملُ بها) .

وكان يقول : (منهم رجلٌ ، ونصفُ رجل ، وربع رجل ، وكاملٌ ، وبالغ ، ومدركٌ ، وواصل) .

وكان يقول : (كلُّ من وقف مع مقامٍ حُجب عن الله عز وجل) .

وكان يقول : (احذرْ يا ولدي أن تدَّعي أن لك معاملةً خالصةً مع الله ، واعلمْ أنك إن صمتَ فهو الذي صوَّمَكَ ، وإن قمتَ فهو الذي قومك ، وإن اتَّقيتَ فهو الذي وقاك ، وليس لك في الوسط شيءٌ ، وإنما الشأنُ : أن ترىٰ أنك عبدٌ عاص ليس لك حسنةٌ ، وهو صحيح ، من أين لك حسنةٌ وهو الذي أحسنَ إليك ؟! وإنْ شاء قبلَكَ ، وإن شاء ردَّك) .

وكان يقول : (ولدُ القلبِ خيرٌ من ولد الصلب ؛ فإن ولد الصلب له إرثُ الظاهر ، وولد القلبُ له إرثُ السرائر) .

وكان يقول : (آه آه آه من مريدي هـٰذا الزمان ! وكثرةِ التفاتهم إلى الحظوظ النفسانية ، وحفظِ كلام الصوفية من غير تخلُّقٍ به ، فكلُّ من سمعَهم ظنَّ أنهم من القوم) .

وكان يقول : (ما ثَمَّ عارفٌ ينطق عن غيره ، وإنما يضيفُ الكلامَ إلىٰ غيره تستيراً علىٰ نفسه من عوارض الشهرة ، أو تنفيساً لما يجدُهُ في نفسه من ألم الكتمان) .

وكان يقول : (جميعُ المعبِّرين والمفسرين والمتكلمين في القرآن العظيم لم يصلوا إلىٰ معشارِ عُشر معرفة كُنْهِ إدراك معنىٰ حرفٍ واحدٍ من حروفه ، ولا يصلُ الرجلُ إلىٰ مقامِ الكمال حتىٰ يصيرَ يقدرُ علىٰ تخريج أحكام الشريعة المطهَّرة من أيِّ حرفٍ جاء من حروف الهجاء) .

وكان يقول : (**أولُ الطريق** : الخروجُ عن النفسِ والحظِّ ، والرضا بالتلف والضيق ؛ فإن الفلاح لا يصحُّ إلا لمن تركَ الحظَّ ، وقابل الأذىٰ بالاحتمال ، والشرَّ بالخير ، ووسَّع خُلُقَهُ) .

وكان يقول : (الفقيرُ لا يكون له يدٌ ولا لسانٌ ، ولا فعل رديء ، ولا يصرفُهُ عن محبوبه صارفٌ ، ولا تردُّهُ السيوفُ والمتالف) .

وكان يقول : (أكلُ الحرام يوقفُ العمل ، ويوهن الدِّين ، ويُفسد على العامل عملَهُ ، وكذلك القول الحرام يفسد على العامل عمله) .

وكان يقول : (معاشرةُ أهل الأدناس تُورثُ الظلمةَ في البصر والبصيرة) .

وكان يقول : (من دخل حضرةَ الله نظر الدنيا والآخرة) .

وكان يقول : (إياكم ومؤاخاةَ النساء والأحداث ؛ فإن ذلك نفوسٌ وشهوات ، ومن أحدثَ في طريق القوم ما ليسَ فيها فليسَ هو منا ولا فينا) .

وكان يقول : (إن اللهَ يحبُّ من عباده أطهرَهم لساناً ، وفرجاً ، ويداً ، وقلباً ، وبصراً ، وسمعاً ، وأكثرهم ذكراً ، وأوسعهم صدراً) .

وكان يقول : (عليك بالعمل بالشريعة ، وإياك وشقشقةَ اللسان بالكلام في الطريق دون التخلُّقِ بأخلاق أهلها ، وانظر إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أستاذُ كلِّ سالكٍ إلى الله : كيف كان يجوعُ حتىٰ يشدَّ الحَجَرَ علىٰ بطنه[١] ، وقام في الليل حتىٰ تورَّمتْ قدماه[٢] ، وتبعه أصحابُهُ علىٰ ذلك : فقاموا ، وجاعوا ، وجاهدوا نفوسهم ، وخافوا من الله أشدَّ الخوف ، حتىٰ كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا

---

(١) روى البخاري في « صحيحه » (٤١٠١) عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال : (إنا يوم الخندق نحفِر ، فعرضت كُدْيةٌ شديدة ، فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هـٰذه كُدْية عرضت في الخندق ، فقال : « أنا نازلٌ » ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نَذُوق ذَوَاقاً . . .) الحديث .

(٢) روى البخاري (٣٤٧١) ، ومسلم (٢٨١٩) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قام النبي صلى الله عليه وسلم حتىٰ تورَّمت قدماه ، فقيل له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

تنهَّدَ يشمُّ من حلقِه رائحةُ الكبد المشويِّ ، وأنفق مالَهُ في سبيل الله .

وكان عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه لا يُرىٰ فارغاً قطُّ في ليلٍ أو نهار ، ورقع دلقَهُ بالجلود[1] ، ولفَّ رأسَهُ بقطعة خيش .

وكان عثمان رضي الله عنه يختمُ القرآنَ في ركعةٍ في الليل .

وكان عليٌّ رضي الله عنه من زهَّاد الصحابة ، وجاهد في دين الله في حياةِ رسول الله وبعد موته حتىٰ فتح أكثرَ البلاد ؛ فهـٰؤلاء هم خواصُّ الصحابة ، لم يكتفوا بالإيمان والعلم من غيرِ عملٍ ؛ بل جاعوا وأنفقوا أموالهم ، وجاهدوا واجتهدوا ، وأحكموا الشريعةَ والحقيقة ؛ فمن أراد أن يكونَ إماماً يُقتدىٰ به فليُحَكِّمِ الشريعةَ والحقيقة ؛ فإنه ما سُمِّيت حقيقةً إلا لكونها تُحقِّق العلوم بالأعمال وتنتج الحقائق من بحر الشريعة) .

وكان يقول : (ما دام لسانُكم يذوقُ الحرام فلا تطمعوا أن تذوقوا شيئاً من الحِكَم والمعارف) .

وكان يقول : (للباصر في العين بصرٌ ، وللقلب لسانٌ يَدِقُّ عن الإدراك) .

وكان يقول : (أحببْ ربَّك يحبَّك أهلُ الأرض والسماء ، وأطعْه يطع لك الجنُّ والإنس ، ويجفِّفْ لك البحر والماء ، ويطع لك الهواء) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ عليك بالتخلق بأخلاق الأولياء لتنال السعادةَ ، وأما إذا قنعت بورقةِ الإجازة ، وصرت تقولُ لكلِّ من نازعك : هـٰذه إجازتي بالمشيخة دون التخلُّق . فأنت لا شيء ، وأنت غارقٌ في حظِّ نفسك ، لـٰكنِ اقرأ الإجازة ، وانظر ما أوصاك فيها أهلُ الطريق ، واعمل به ، وهناك تحصلُ على الفائدة ؛ فإن هـٰذه هي طريقُ مدارج الأولياء قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل إلىٰ آخر الدنيا) .

وكان يقول : (مطالعةُ المريد لحكايات الصالحين جندٌ من جنود الله عز وجل ما لم يقنعْ بحفظِ حكاياتهم دون التخلُّق بأخلاقهم) .

وكان يقول : (الطريقُ كلُّها ترجعُ إلىٰ كلمتين : أن يعرفَ العبدُ ربَّهُ ، ويعبدَهُ ؛ فمن فعلَ ذلك فقد أدركَ الشريعة والحقيقة ، وليس في هـٰذا تعطيل العلماء ؛ لأن العلم

---

(١) **الدلق** : للفقير كالمرقعة ، وكان اللباسَ الذي يرتديه العلماء والقضاة والصوفية في مصر .

أسُّ العمل ؛ إذ الشريعةُ هي الشجرة ، والشريعة هي الثمرة) .

وكان يقول : (الطريقُ إلى الله تعالىٰ تُفني الجلاد ، وتذيبُ الأكباد ، وتُضني الأجساد ، وتدفع السهاد ، وتسقم القلب ، فإذا رُفع له الحجاب فهناك يتنعَّمُ بسماع الخطاب ، ويقرأ الرموز من اللوح المحفوظ ، ويطَّلعُ علىٰ معانٍ دقَّتْ ونُشرت ، بأوانٍ رقَّتْ ، ويكون مع قلبه ، ثم يكون مع مُقلبه ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال : ٢٤]، فإذا جاوز الكلَّ طال لسانه بلا لسان ، وزاد اجتهادُهُ في العمل ، ودام فضلُ الله عليه) .

وكان يقول : (إذا كمل العارفُ في مقام العرفان أورثَهُ اللهُ علماً بلا واسطة ؛ لـٰكن من باطن شريعة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لا يتعدَّىٰ تابعُ دائرةِ علمَ متبوعِهِ أبداً) .

وكان يقول : (من كملَ سلوكُهُ أخذَ العلوم المكنونة في ألواح المعاني ، ففهم رموزَها ، وعرف كنوزها ، وفكَّ طِلَّسْماتها ، وأطلعه اللهُ على العلوم المودعة في النقط والشكل ، وعلىٰ ما هو مكتوبٌ علىٰ أوراق الأشجار والماء والهواء ، والبر والبحر ، وما هو مكتوبٌ في صفحة قبَّةِ السماء ، وما في جباه الإنس والجنِّ مما يقع له دنيا وأُخرىٰ ، وأطلعه علىٰ ما هو مكتوبٌ بلا كتابةٍ من جميع ما هو فوق الفوق وتحت التحت ، ولولا خوفُ الإنكار علينا لنطقنا بما يُبهرُ العقول ، ولا عجبَ من حكيمٍ يتلقَّىٰ علماً من حكيمٍ عليم ؛ فإن بعضَ مواهب السرِّ اللدني قد ظهرَ في قصة موسىٰ مع الخَضِرِ عليهما السلام) .

وكان يقول : (مِنْ أولياء الله عز وجل من لا يدري الخطابَ ولا الجواب ، فهو كالحجارة مودعة أسراراً ناطقة بلسان حال ، صامتة عن الكلام ، مودعة من غوامض الأسرار ؛ فمنهم عارفٌ ، ومنهم محبٌّ ، ومنهم ناطقٌ وصامت ، ومُستغرق وصاح ، وصائم مفطر ، وصائمٌ صائم ، وقائم دائم ، ونائم واصل ، وواصلٌ سهران ، وواقفٌ ذاهل ، وداهشٌ حيران ، وباكٍ وضاحك ، ومقبوضٌ وخائف ، ومختلط ومختبطٌ ، ومنهم من مزَّق الثياب حين تحقَّق ، وغلب عليه الحالُ القوي ، فضعف عن حمله) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ طوبىٰ لمن وصلَ إلىٰ حالةٍ تُقرِّبُهُ إلى الله تعالىٰ ، ثم وقفَ يدعو الناس إليها بإذن الله) .

وكان يقول : (رأسُ مال المريد : المحبةُ والتسليمُ للأولياء ، والسكون تحت مرادهم ؛ وذلك ليسلمَ من القطع والانتكاس ؛ فإن عوارضَ الطريق كثيرة) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ إذا لم يُحسنْ أحدُكم أن يتبعَ القومَ علىٰ مجاهداتهم فلا يقع في أحوالهم ؛ فإن الفقراء كانوا يتكلَّمون بلسانِ التمزيق ، وبلسان التحقيق بحسب الحضرات التي يدخلونها ، وأنت يا ولدي لم تذقْ حالَهم ، ولا تمزَّقْتَ ، ولا دخلتَ حضراتهم ، فمن أين لك أن تقولَ إنهم على الضلال ؟! أفتعومُ يا ولدي البحرَ وأنت لستَ بعوَّام ؟! ثم إذا غرقتَ فقد متَّ ميتةً جاهلية ؛ لأنك ألقيتَ نفسَك للمهالك ، والحقُّ قد حرَّمَ عليك ذلك ، بل الواجبُ عليك يا ولدي أن تطلبَ دعاءَ القوم ، وتلتمسَ بركاتِهم ما لم تقدرْ على اتِّباعهم ، فإنِ اتبعتَهم سعدْتَ بهم ، وتركتَ الإنكار عليهم .

واعلم يا ولدي : أنَّ ألسنَ القوم إذا دخلوا الحضرات : **منها** : ما هو أعجميٌّ فلا يُفهم ، **ومنها** : ما هو عربيٌّ فيفهم ، وكذلك من أحوالهم ما يُعبَّر عنه ، **ومنها** : ما لا يُعبَّرُ عنه ، وكذلك من أسرارِهم ما لا يصلُ إلىٰ فهمه مُؤوِّلٌ ولا مُعبِّر ولا مفسِّر ؛ لأن أسرارهم مكنونُ سرِّ الله ، وقد عجز القومُ عن معرفة أسرار الله تعالىٰ في نفوسهم ، فكيف بأسراره في غيرهم ؟! فعليك يا ولدي بحسن الظنِّ بالقوم ؛ فإني لك ناصحٌ ، فإن من رمىٰ أحبابَ الله تعالىٰ بالبهتان والزُّور أبغضَه اللهُ تعالىٰ ، ومقته في الدنيا والآخرة) .

وكان يقول : (من أرادَ أن يُكشف له عن الأنوار ، ويُسقىٰ من دنِّ الدُّنوِّ وخمار الخمار ، ويطلعَ من قلبه شموسُ المعاني والأقمار . . فليقمْ لعبادة ربِّه في الأسحار ، ويلازمِ الاستغفارَ) .

وكان يقول : (كم من شخصٍ يتلو الاسمَ الأعظم ولا يدريه ، ولا يفهم معناه ، وما لمس الأولياءُ الشجرةَ فأثمرت إلا به ، وما سالَ الماءُ من صخرةٍ إلا به ،

وما سُخِّرَتِ الوحوش لوليٍّ إلا به ، وما نزلَ المطرُ بدعاء وليٍّ إلا به ، وما أُحْيي الموتىٰ إلا به) .

وكان يقول : (لا يكملُ الرجلُ في مقام العرفان حتىٰ يفرَّ من قلبه وسرِّه ، وعمله ، ووهمه وفكره ، وعن كلِّ ما يخطرُ بباله غير ربِّهِ ، فآه آه لو كُشف الحجابُ عن الأثواب ! وأبصرَ الأعمى الحرفَ الذي ليس بحرف ولا ظرف ، وفكَّ المُعَمَّىٰ ، وفتح الأقفال ، فوا شوقاه لصاحب تلك الحضرات !) .

وكان يقول : (من نظرَ إلىٰ أقواله وأفعاله بعينِ العُجْب فهو محجوبٌ عن مقام التوحيد، ولا يُزفُّ الوليُّ إلىٰ ربِّهِ حتىٰ يتركَ الوقوف مع كلِّ ما سواه من مقامٍ أو حال).

وكان يقول : (إن أردتَ أن تجتمعَ بقلبك علىٰ ربِّك فطهِّر باطنَك من الصفات الردية ، وأخلصْ لله النية) .

وكان يقول : (إياك يا ولدي أن ترجعَ إلى العملِ بالرُّخَصِ بعد عملك بالعزائم ؛ فإن ذلك من وساوس إبليس ، فينقلك من رُخَصِ الشريعة إلىٰ فعل معاصيها ، ثم يقول لك : هٰذا مقدَّرٌ عليك قبل أن تُخلق ، وأيشٍ كنتَ أنت ؟! فلا يزال بك حتىٰ يُدخلَكَ النار) .

وكان يقول : (إياك يا ولدي أن تقنعَ بورقةِ الإجازة ، فربما غُيِّرتْ وبُدِّلت بعد ذلك ، ومن شرطِ المُجاز : أن يكونَ أبعدَ الناس عن الآثام ، كثيرَ الصيام والقيام ، مواظباً علىٰ ذكرِ الله على الدوام ، فليستِ الإجازةُ الحقيقية إلا لمن يزدادُ إقبالاً علىٰ ربِّه كلَّ نَفَسٍ من الأنفاس حتىٰ يموت) .

وكان يقول : (إياك أن تدَّعي المشيخةَ ، ثم تعصي ربَّك بعد ذلك ؛ فإنَّ الله تعالىٰ يقول لك : أفٍّ عليك ، أما تستحي ؟! أين دعواك القرب مني ؟! أين غسلُكَ أثوابك المدنسة لمجالستي ؟! كم ترعَىٰ في بطنك من الحرام ! كم تنقل أقدامك إلى الآثام ! كم تنامُ وأحبابي قد صفوا الأقدام ! أنت مدَّعٍ كذَّاب ، والسلام) .

وكان يقول : (اللهُ تعالىٰ خصمُ كلِّ من شَهَرَ نفسَهُ بطريقنا ، ولم يقمْ بواجب حقِّها ، واستهزأ بعهودنا) .

وكان يقول : (من خانَ لا كان ، ومن لم يتَّعظْ بكلامنا فلا يمش في ركابنا ، ولا يلمَّ بنا) .

وكان يقول : (لا أحبُّ من أولادي إلا من كان شاطراً مليحَ الشمائل ؛ وذلك حتىٰ يترقَّىٰ إلىٰ مقامٍ يصلحُ لوضع السرِّ فيه .

فيا أولادي ؛ ناشدتُكم الله ، لا تسوءوا طريقي ، ولا تلعبوا في تحقيقي ، ولا تدلِّسوا ولا تلبِّسوا ، وكما اجتبيناكم واخترناكم ، فلا تكدِّروا علينا ، ولا ترموا بطريقتنا وتكتفوا فيها بالكلام ، وكما وفَّينا لكم بحقِّ التربية والنصح ، فوفُّوا لنا بالسماعِ وقبول النصح ، وإنما آمُرُكم بما أَمَرَكم به ربُّكم ، فإن نقضتم العهدَ فإنما هو عهدُ الله ، لا عهدي ، وإن كنتم صحبتمونا لتأخذوا منَّا أوراقاً من غير عملٍ فلا حاجةَ لنا بكم) .

وكان يقول : (بالله عليكم يا أولادي اسمعوا مني ما ينفعُكم ؛ فإني بايعتُ الله تعالىٰ علىٰ أني لا أطلبُ أموالَكم ، ولا آخذ تُراثَكم ، ولا أدنِّسُ خرقتي بما في أيديكم ، فعلىٰ أموالِكم الأمانُ مني ، ومن جماعتي الذين خلصوا معي) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ إياك أن تقولَ أنا فعلتُ ، أنا ولَّيت أنا عزلتُ ؛ فإن الله تعالىٰ يُعجز كلَّ مدعٍ ، ولو كان علىٰ عبادة الثقلين هبط ، أو صاحب منزلة سقط) .

وكان يقول : (والله يا أولادي ؛ لو وجدنا إلى الخلوةِ سبيلاً ، أو وجدنا من يُساعدنا على الانقطاع عنهم في بيوتنا لفعلنا ؛ فإن القلبَ في هـٰذا الزمان متعوب ، والكبدَ كلَّ وقت يذوب ، فكيف الملجأُ والمفرُّ من أهل هـٰذا الزمان ؟! زمانٌ قد كثر فيه القال بلا حال ؛ لـٰكن من بلانا بأهله يدبُّرنا معهم) .

وكان يقول : (من ابتلاه اللهُ فليصبرْ ؛ فإن الحقَّ تعالىٰ ما ابتلاه إلا وهو يُريد أن يرقِّيه أو يطردَهُ) .

وكان يقول : (ما عصىٰ عبدٌ ربَّهُ ومرَّ على الهوام الضعيفة إلا وتمنَّتْ : أنَّ الله يُعطيها قوةً لتبطش به ؛ غيرةً علىٰ جناب الحقِّ ، ولا يمرُّ علىٰ طيرٍ أو وحش إلا ويستعيذون بالله من رؤيته ، ولا يَرِدُ ماءً إلا ويودُّ الماءُ أن لو كان مرّاً ، ويكرهُهُ كلُّ مَنْ في الوجود تبعاً لله عز وجل) .

وكان يقول : (من كظمَ غيظَهُ ، وعفا عمن ظلمه وآذاه .. رقَّاه اللهُ إلىٰ مراقي الرجال) .

وكان يقول : (إذا صدق العبدُ في الإقبال على الله أحبَّهُ المؤمنون ، فلا يُبغضُه إلا كافرٌ أو منافق) .

وكان يقول : (ما قطع مريدٌ وردَهُ إلا قطع اللهُ عنه إمدادَهُ في ذلك اليوم ؛ فإن مَدَدَ كلِّ شيخٍ يأتي مريده من قراءته أو فعله) .

وكان يقول : (من ادَّعى الطريقَ ، وخالف قواعدها وآدابها رفضتْهُ الطريقُ كرهاً عليه ، كيف يدَّعي فقيرٌ الطريق ، وهو لا يغضُّ بصرَهُ ، ولا يطهِّرُ فرجَهُ ولا لسانه من الآثام ؟!)

وكان يقول يا حامل القرآن : (لا تفرحْ به حتىٰ تنظرَ هل عملتَ به أم لا ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة : ٥]) .

وكان يقول : (واللهِ العظيم ؛ قد حيَّرني أمرُ أولادي ، كم غرورٍ ! كم لهوٍ ! كم زهوٍ ! كم لعبٍ ! كم غيٍّ ! كم هوىً ! كم افتراءٍ ! كم نكدٍ ! كم غدرٍ ! كم لهوٍ ! كم سهوٍ ! كم نسيانٍ ! كم غفلةٍ ! كم زلَّةٍ ! كم إجرامٍ ! كم زورٍ ! كم فتورٍ ! كم أَعِظكُم ولا تسمعون ! ما أنتم إلا أمواتٌ) .

وكان يقول : (لو انفتحَ أقفالُ القلوب لاطَّلعتم علىٰ ما في القرآن من العجائب والعلوم ، واستغنيتم عن النظر فيما سواه ؛ فإن فيه جميعَ ما سُطِرَ في كتب العلماء ، قال تعالىٰ : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨]) .

وكان يقول : (لا تَقنعوا من الطريق بالوصف دون الذوق ، وما تكلَّمَ القومُ إلا علىٰ شيءٍ ذاقوه ، فبالله عليكم يا إخواني ويا أولادي إذا سألَكُم أحدٌ عن شيءٍ من مقامات الطريق فلا تُجيبوه إلا إن كنتم متحقِّقين به ؛ فإنه يُنادىٰ يومَ القيامة على العصاة : هـٰذا الذي قنعَ بالقشور في دار الغرور) .

وكان يقول : (لا تُنكروا على الأشياخ لباسَهم الصوف الرقيق ؛ فإنهم وصلوا إلىٰ

مقاماتِ اللطافة ، وخرجوا عن الكثافة والرعونة ، حتىٰ إن بعضَهم من شدَّةِ لطافته صارَ لا يقدرُ علىٰ لبس القميص الرقيق ، وتعرىٰ ما عدا ساتر العورة ، وهـٰذا بخلافِ حال المريد في بداية أمره ، يلبسُ الخشنَ ، ويأكل الخشن ، ليؤدِّب نفسه ، وتخضعَ لمولاها ، فكلما رقَّ الحجاب ثقلت الثياب ، والسلام) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ إن أردتَ الطريقَ فالزمِ الصمتَ ، واتركِ الجدالَ ، واركبْ جواد الطريق ، واحتمِ حميةً قبل الشربة لتخلي للشربة موضعاً يصلح لها ، وقد قال بعضُ الحكماء : لا بد لمريد الشربة من منع الواصل ، ونزح الحاصل ؛ آه آه ما أحلىٰ هـٰذه الطريق ما أسناها ! ما أمرها ! ما أَقتَلَها ! ما أجلاها ! ما أصعبها ! ما أكبرها ! ما أكثر مصائدها ! ما أعجب واردها ! ما أعمق بحرها ! ما أكثر سباعها وعقاربها وحيَّاتها ! فبالله عليكم يا أولادي ؛ اجمعوا قلوبكم علىٰ أستاذكم يحميكم اللهُ من آفاتها) .

وكان يقول : (كيف يطلبُ أحدُكم ليلىٰ وهو ليلاً ونهاراً مع عذَّالها ولوَّامها ، والمنكرين علىٰ أهل حضرتها ، والمعترضين عليهم ، والخائضين في أعراضهم ، والخائنين لعهودهم ؟! إنما تبرز ليلىٰ لمن تهتَّكَ فيها ، ولم يقبلْ عذلَ عذَّالها ؛ فإن ليلىٰ لا تحبُّ من يكره أهلَ حضرتها ، أو يحبُّ سواها ، وإنما تحبُّ من كان بشرابها ثملان ، ولهان ذهلان غرقان نشوان هيمان ، حتىٰ لو اجتمع الثقلان علىٰ أن يلووا قلبَهُ عنها ، أو يحلُّوا عقدةَ عهدها معها ما استطاعوا ، فانظروا أحوالَكم يا أولادي) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ لا تُجالسوا أربابَ المحال ، وزخرف الأقوال ، ولقلقة اللسان ، وجالسوا المُقبلين علىٰ ربِّهم ، الذين أخذتْ منهم الطريقُ ، ودقَّقهم التمزيق ، وتفرَّقَ عنهم كلُّ صديق ، حتىٰ عادتْ أبدانُهم كالخلال ، وذابَ جسمُهم من تجرُّع المرارات والسموم ، فهو أنفعُ لكم) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لقد فاز المعتقدون لأهل الطريق ، وخسر المستهزئون بهم ، فقد يقذفُ الله تعالىٰ في قلب وليِّه ما لا يطَّلعُ عليه أحدٌ من العلماء) .

وكان يقول : (من علامة الصادق من أولادي في محبَّة الطريق : أن يكونَ سائراً فيها ليلاً ونهاراً ، غدوّاً وإبكاراً ، لا مقيلَ له ولا هدوء ، جوادُهُ قد فرغَ من اللحم ،

وامتلأ من الشجاعة والعزم ، لا يفنِّدُ همَّته مفنِّدٌ ، ولا يهولُه مهلكٌ ، ولا تردُّهُ ضربات الصوارم ، ولا يفشله شيطانٌ غوي ، ولا ماردٌ جني ، كلٌّ من خاصمه في محبوبه عادَ مخصوماً ، لا يهدأُ ولا ينام ولا يصحىٰ ؛ بل الدهرُ عنده كلُّهُ سواء حتىٰ يدخلَ خيام ليلىٰ ، ويضعَ خدَّه علىٰ أطناب خيامها ، ويسمعَ خطابَها بالترحيب ، وهناك ينتعشُ ويطيب ، ويسمع القائل هناك يقول : استرحْ يا طولَ ما قطعتَ براريَ وقفاراً ، وجبالاً وبحاراً ، وظلاماً وناراً ، يا طول ما تعبتَ وتعنَّيتَ ، يا طول ما رجعَ غيرُك من الطريق وجئتَ ، فأكرمَ الله مثواك ، ولا خيَّبَ مسعاك ، أنت اليوم نزيلُنا وضيفُنا ، وضيافتُنا لا تنقضي) .

وكان يقول : (من شأن الصادق من أولادي : ألا يكونَ عنده حسدٌ ولا غيبة ، ولا بغيٌ ولا مخادعة ، ولا مكابرةٌ ولا مماراة ، ولا ممالقةٌ ولا مكاذبة ، ولا كبر ولا عُجْبٌ ولا افتخار ، ولا شطحٌ عن ظاهر الشريعة ، ولا تصدُّرٌ في مجلسٍ ، ولا جدال ولا انتقاص ، ولا سوء ظنٍّ بأحدٍ من أهل الطريق ، ولا بمن تزيَّقَ بالزيق) .

وكان يقول : (من كان صادقاً من أولادي فلا يلتفتْ إلىٰ مراعاة المخلوقين له في الحرمة والجاه ، والقيام والقعود ، والقبول والإعراض ، وليراعِ اللهَ وحدَهُ ؛ فإنه هو سيِّدُهُ ورازقُهُ ، ومحييه ومميتُهُ) .

وكان يقول لمريده : (ما دمتُ أنا أنا وأنت أنت فلا محبَّة ، إنما المحبةُ ممازجةُ الأرواح بالأجساد) .

وكان يقول : (ليس في القوم أحدٌ مبتدعٌ ، إنما هم متَّبعون لسيد الأمم ، ولما نزلَ قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ [النور : ٢٧] كان أحدُهم إذا وقفَ على البابِ يقول : نعم ، نعم ، نعم ، ثلاث مرات ، فإن أُذِنَ له دخل ، وإلا رجع من حيث أتىٰ) .

وكان يقول : (كان السلفُ الصالح يخافون من آفاتِ الاجتماع ؛ فلذلك آثروا العزلة ، إلا في أوقاتِ الجماعات ، ومجالس العلم التي لا رياءَ فيها ولا جدال ولا عجْب ، والسلامةُ من هـٰذه الأمور في زماننا هـٰذا قلَّ أن توجد ، فعليك بالوحدة يا ولدي ؛ فإنك من القرن السابع الذي أكثرُهم يجعلون الحقيقةَ مخالفةً للشريعة ،

وحقيقةَ المحبة بدعاً في الطريقة ، ويقولون : إن بابَ العطاء قد أُغلق ، حين رأوا بابَ العطاء قد أُغلقَ دونهم ، وما علموا أنَّ لله تعالىٰ عباداً أفاضَ عليهم من جوده ما لا عينٌ رأَت من العلوم والمعارف والأسرار) .

وكانوا إذا سألوه عن أحدٍ من القوم يقول : ماذا أقولُ في قومٍ يدَّعون أنهم طالبون الله تعالىٰ ، وقد قيل للجُنيد : إن قوماً يتواجدون ويتمايلون ، فقال : دعوهم مع الله يفرحون ؛ فإن هـٰؤلاء القومِ قد قطعتِ الطريقُ أكبادَهم ، ومزَّقَ التعبُ والنَّصَبُ فؤادهم ، وضاقوا ذرعاً ، فلا حرجَ عليهم إذا تنفَّسوا مداواةً لحالهم ، ولو أنك يا أخي ذقتَ مذاقهم لعذرتهم في صياحهم وشقِّ ثيابهم ، فالله يُلهم أولادي سلوكَ طريق الرشاد .

وكان يقول : (مَنْ جهلَ أخلاقَ القوم فهو في حرمان عظيمٍ) .

وكان يقول : (أسلمُ التفسير ما كان مروياً عن السلف الصالح ، وأنكرُهُ عند الناس ما فتحَ اللهُ به علىٰ قلب العبد في كلِّ عصرٍ ، ولولا محرِّكٌ يحرِّكُ قلوبنا لما نطقتْ إلا بما ورد عن السلف ، فإذا حرَّكَ قلوبَنا واردٌ استفتحنا بابَ ربِّنا ، واستأذناه ، وسألنا الفهم في كلامه ، فنتكلم في ذلك الوقت بقدرِ ما يفتحُ الله علىٰ قلوبنا ، فسلِّموا لنا تسلموا ؛ فإنا فخَّارةٌ فارغة ، والعلمُ علم الله لا علمنا) .

وكان يقول : (فيضُ الربوبية إذا فاض أغنىٰ عن الاجتهاد ، وقد يُعطي المولى القاصرَ ما لم يعطِهِ لأصحابِ المحابر ، وليسَ مطلوبُ القوم إلىٰ مجالسة الحقِّ في كلِّ أمرٍ سلكوه ، فإذا حضروا عنده عرفوا بتعريفه كلَّ شيءٍ من غير تعبٍ ولا نَصَبٍ) .

وكان يقول : (من لم يكن عنده شفقةٌ ورحمة علىٰ خلق الله . . لا يرقىٰ مراقي أهلِ الله ، وقد ورد : أنَّ موسىٰ عليه السلام لما رعى الغنمَ لم يضربْ واحدةً منهن بعصاه ، إنما كان يهشُّ بها فقط ؛ وكذلك كان لا يجوِّعها ولا يؤذيها بعطشٍ ، وجاء بها مرةً إلىٰ نهرٍ ليسقيها ، فوجد منهن شاةً عرجاء ، لا تقدرُ على الوصول إلى الماء ، فحملها ، ونزل بها فأسقاها ، فلما رأى الحقُّ تعالىٰ منه قوةَ شفقته علىٰ غنمه بعثه الله نبيّاً وكليماً ، راعياً لبني إسرائيل ، وناجاه بالتوراة وغيرها ، فمن رحمَ رعيَّتَهُ ، وشفق عليهم اصطفاه الله من بين الخلق ، والسلام) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو هاجرَ الناسُ مهاجرةً صحيحة طالبين الله خالصاً ، ودخلوا تحت أوامره . . لاستغنوا عن الأشياخِ ، ولـٰكنهم جاؤوا إلى الطريق بعللٍ وأمراض فاحتاجوا إلىٰ حكيم) .

وكانت صورةُ أخذِ سيدي إبراهيمَ العهدَ على المريد أن يقولَ له : يا فلان ؛ اسلكْ طريقَ النُّسك علىٰ كتاب الله تعالىٰ ، وسُنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، وعلىٰ أن تتبعَ جميعَ الأوامر المشروعة ، والأخبارَ المرضيَّة ، والاحتفال بطاعة الله عز وجل قولاً وفعلاً واعتقاداً ، وألا تنظرَ يا ولدي إلىٰ زخارف الدنيا ومطاياها ، وقماشِها ورياشها ، وحظوظها ، واتَّبعْ نبيَّك في أخلاقه ، فإن لم تستطعْ فاتَّبع خُلُقَ شيخك ، فإن نزلتَ عن ذلك هلكتَ .

واعلم يا ولدي : أن التوبةَ ما هي بكتَابةِ درجٍ ورقٍ ، ولا كلامٍ من غير عمل ، إنما التوبةُ العزمُ على ارتكاب ما الموتُ دونه ، فصُفَّ أقدامَكَ يا ولدي في حِنْدِسِ الليل البهيم[1] ، ولا تكنْ ممن يشتغلُ بالبطالة ، ويزعم أنه من أهل الطريق ؛ فإن من استهزأ بالطريق استهزأتْ به ورفضته) .

وجاءه مرة فقيرٌ يطلبُ منه أن يُلبسَه الخرقة ، فنظر إليه وقال : (يا ولدي ؛ التلبيس في الأمور ما هو جيد ، لا يصلحُ للبس الخرقةِ إلا من دَرَسَتْهُ الأيام ، وقطعته الطريق بجهدها ، وأخلصَ في معاملته ، وقرأ معاني رموز الطريق ، ونظرَ في أخبار أهلها ، وعرف مقاصدَهم في حركاتهم وسكناتهم ، وأسفارهم وأخلاقهم ، فإن كنتَ يا ولدي تعقدُ التوبةَ في هـٰذا الوقت فلا تكنْ مجَّاناً ولا لعَّاباً ، ولا صبيَّ العقل ، فما الأمرُ بقولِ العبد : « تبتُ إلى الله » باللفظ دون القلب ، ولا بكتابة الورقِ والدرج ، وإنما التوبة : أن يتوبَ العبدُ عن أن يلحظَ الكون بعيني قلبه ، أو يراعي غيرَ مولاه ، فإذا صحَّ للفقير هـٰذا الأمر هناك يرجىٰ له صحةُ التوبة) .

---

(١) **الحندس** بالكسر : الليل المظلم ، يقال : ليل حندس ، وليلة حندسة . « تاج العروس » (ح ن س) .

وكان يقول : (قوتُ المبتدئ : الجوع ، ومطره الدموعُ ، وفِطره الرجوع ، يصوم حتىٰ يرقَّ ويلين ، وتدخلَ الرقَّةُ قلبه ، وتنفتح مسامعُ لبِّهِ ، فيسمع حينئذ القرآنَ ومواعظه بقلبٍ حاضر ، فينتفع ، وأما من أكلَ ونام ، ولغا في الكلام ، وترخَّص وقال : ما علىٰ فاعل ذلك ملام ، فلا يجيءُ منه شيءٌ ، والسلام) .

وكان يقول : (ما بُنيت طريقتُنا هـٰذه إلا على النارِ ، والبحر الهدَّار ، والجوعِ والاصفرار ، ما هي بالمشدقة ولا بالفشار ، دعونا من هـٰذه البطالات ، فما وجدنا من أولادنا إلىٰ هـٰذا الوقت أحداً اقتفىٰ آثارَ الرجال ، ولا صلحَ أن يكون محلاً للأسرار ، فآه آه من هـٰذا الزمان الغرَّار !) .

وكان يقول : (من شرطِ الفقير : أن يكونَ كالسُّلطانِ مهابةً ، وكالعبد الذليل تواضعاً ومهنة) .

وكان يقول : (الشيخُ حكيمُ المريد ، فإذا لم يعملِ المريد بقولِ الحكيم لم يحصلْ له شفاء) .

وكان يقول : (مذ صرفنا همَّتَنا إلىٰ ربِّنا لم نعرفْ سواه ، ولا نعرف إبليس) .

وكان يقول : (خلوةُ الفقير سجَّادتُهُ ، وجلوته سرُّه وسريرته) .

وكان يقول : (يجبُ علىٰ تالي القرآن أن يطهِّرَ فمه للتلاوة كلما تلاه من اللغط والنطق الفاحش ، ولا يأكل إلا حلالاً بقدر الحاجة من غيرِ سرفٍ ، ويعطرَ ثيابه وبدنه ومكانه أيضاً ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يتعطَّرُ لذلك ، حتىٰ كان إذا لمسَ صبياً يمكثُ يفوح الطيبُ منه أياماً ، وكان وبيصُ المسك يلمعُ من مفرقه صلى الله عليه وسلم ، وقد صارتِ الغيبةُ والدَّنَسُ في هـٰذا الزمان فاكهةَ القراء ، ومزابلَ الصالحين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

وكان يقول : (يا أولادنا ؛ لا تُودِعوا كلامَنا إلا عند من كان منَّا ، وأحبَّ أن يسلكَ طريقنا ، ولا تذكروه إلا لمحبٍّ محقٍّ يدخلُ تحت حكمنا ، وينقادُ لنا ، وقد قالوا : ذكرُ الكلام لغير أهله عورة) .

وكان يقول : (طريقُنا هـٰذه ما هي طريقُ تمليق ، بل هي طريقُ تحقيق وصدق

وتصديق ، وموتٌ وكدٌّ ، وجهد وسُهْدٌ[1] ، وكرمٌ وكسر نفس من غير دعوىٰ ، ومن لم يكن عنده خضوعٌ وذلُّ نفسٍ لا يجيء منه شيء ، فيا أولادي ؛ إن عملتم بموعظتي هـٰذه وإشاراتي كانت إجازتي لكم صحيحةً مطهَّرةً من الشوائب) .

وكان يقول : (لا يكونُ الفقير فقيراً حتىٰ يكونَ حمَّالاً للأذىٰ من جميع الخلق ، لا يؤذي من يؤذيه ، ولا يتحدَّثُ فيما لا يعنيه ، ولا يشمت بمصيبةٍ ، ولا يذكر أحداً بغيبةٍ ، ولا يقعُ في المحرمات ، ولا يأكلُ شيئاً من الشبهات ، إذا بُلي صَبَرَ ، وإذا قدرَ غفر ، غضيضُ الطرف عن كلِّ ما نهاه الشرع عن رؤيته ، يعمرُ الأرضَ بجسده ، والسماءَ بقلبه ، طريقُه الكظمُ والبذلُ والإيثار ، والعفو والصفح والاحتمال لكلِّ من يتحدَّث فيه بما لا يُرضيه) .

وكان يقول : (وا غوثاه من أهل هـٰذا الزمان ! واللهِ ؛ لو علمتُ أن في الأجل فسحةً لسكنتُ أكمَ الجبال ، وبطونَ الأودية بين الوحوش حتىٰ أموت ؛ فإن الرجلَ الآن مع هـٰؤلاء الناس في أشدِّ جهاد ؛ قلوب شاردة ، وأحوال مائلة ، وشهوات غالبة ، قد عدموا الصدقَ في الأحوال ، وكيف يقدرُ الضعيفُ علىٰ صون نفسه حال عشرتهم ، وغضِّ بصره عن رؤية أفعالهم الردية ليلاً ونهاراً ، ويصبر معهم علىٰ كلِّ فتنةٍ وشهوة من غير أن يُقابلَهم بمثله ؟! فهـٰذا لا يطيقُهُ إلا الصالحون) .

وكان يقول : (كم من واقفٍ في الماء وهو عطشان ؛ لعدم صدقِهِ في طلب مولاه ، فاعملوا على الإخلاص لتَرْووا من ظمأ العطش ؛ فإن طريق الله لا تنالُ إلا بقتل الأنفس ، وذبحها بسيوف المجاهدة) .

وكان يقول : (كيف يدَّعي أحدُكم أنه مريدُ طريق الله ، وهو ينامُ وقتَ القيام ، ووقتَ فتح الخزائن ، ووقت نشرِ العلوم وإظهار المكتوم ، وتجلِّي الحيِّ القيوم ؟! فيا كذابون ؛ أما تستحيون ؟! هممُكُم راقدة ، وعزائمُكم خامدة ، ما هـٰكذا درجَ أهلُ الطريق) .

وكان يقول : (ليس الزهدُ في شيءٍ خرج الإنسان عنه ، وإنما الزهدُ : أن يكونَ

---

(١) **السُّهد** : الأرق ، وقلة النوم .

داخلاً في إمارته أو ضيعته ، وقلبُه خارجٌ عنها ، جائلٌ في ملكوت الله ، ذاكرٌ فاكر حائر ، مُجاهد مرابط ، مخمولُ الذكر بين الناس ؛ فإن الصالحين من شأنهم القيامُ في حِرَفِهم سترةً لهم بين الناس ، قال الله تعالىٰ : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور : ٣٧] ، فوصفهم بالرُّجولية مع قيامهم في الأسباب ؛ لكونها لم تلههم عن ذكرِ الله ، فهٰؤلاء هم فحولُ العارفين ، كما أنه من لم يقم في الأسباب فهو من إناث القوم) .

وكان يقول : (عليكم يا أولادي بالصدق مع الله ، فمن صدقَ مع ربّه وأخلص لا يلمسُ أحداً في نومٍ أو يقظة إلا برئ من الأمراض ، ونبعت من قلبه الحكمةُ ، وحصل عنده الزهدُ في هٰذه الدار ؛ فإن الدنيا كحلقةٍ بين أعين أهل التمكين ، لا يلتفتون إليها لحقارتها .

يا أولادي ؛ لا أحبُّ منكم إلا من كان يترقَّىٰ في كلِّ ساعةٍ من مقام إلىٰ مقام ، وهناك تقرُّ عيني به) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ إن أردتَ أن يسمعَ الحقُّ تعالىٰ دعاءك فاحفظْ لسانك عن الكلام في الناس ، وبطنَكَ عن تناول الشُّبهات ، فمن أطاعَ أُطيعَ ، وسخَّر اللهُ تعالىٰ له الماء والنار ، والخطوة في الهواء ، وأذعن له الإنسَ والجن) .

وكان يقول : (لا تفيدُ الخلوة للمريد إلا إن كانت بإشارة شيخٍ ، وإلا فضررُها أكثرُ من نفعها ، ومن لم تزكِّهِ الشريعةُ بوقوفه عند حدودها لا يصلحُ أن يتصدَّرَ لإرشاد غيره) .

وكان يقول : (الإنسان ثلاثةُ أجزاء : قلب ، ولسان ، وأعضاء ؛ فاللسانُ والأعضاء تولتهما الملائكةُ ، والقلب تولاه الله ؛ ولذلك كان تطهيرُهُ مقدماً علىٰ بقية البدن) .

وكان يقول لمن يُريدُ السُّلوك في الحقيقة : (اسلكْ يا ولدي أولاً طريقَ النُّسك والعبادة علىٰ وفق الكتاب والسُّنة الباهرةِ الزاهرة ، التي نورُها يُجلي الظلم حتىٰ أنارَ بطاحَ مكة والمدينة ، والشام ومصر ، والعراق واليمن ، والمشرق والمغرب ، والأفق العلوي والسفلي ، فإذا عملتَ بذلك انقدح لك منها علمُ الحقائق والأسرار ، فاسلكْ

يا ولدي كما قلت لك شيئاً بعد شيء ، والله يحفظُكَ إن صدقت) .

وكان يقول : (ما ثَمَّ عملٌ أزكىٰ ولا أطهر ولا أنور ولا أكثر فائدةً من عمل أهل الله عز وجل ؛ فإن الذرَّةَ منه ترجحُ على الجبال من عمل غيرهم ؛ لخلوِّها من العلل ؛ فإن عَمَلَ القومِ بقلوبهم وأبدانهم ، وعملَ غيرهم بأبدانهم دون قلوبهم ؛ ولذلك يطرقُهم الإعجابُ والكِبْرُ بالطاعات) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو خشعَ قلبُ أحدكم في صلاته مثلاً لاختلطَ عقلُهُ ، وذهب لبُّهُ ، ولم يقدرْ علىٰ قراءة سورة واحدةٍ من كتاب الله في تلك الحضرة ؛ فإن موسىٰ عليه السلام لما حَضَرَ قلبُهُ مع الله خرَّ صعقاً متخبِّطاً كالطير المذبوح ، مع كونه ما تجلَّىٰ له من عظمة الحقِّ تعالىٰ كما قيل إلا مقدارُ جزءٍ واحد من تسعةٍ وتسعين جزءاً من سَمِّ الخِياط ، فإذا كان هـٰذا حالُ أولي العزم من الرُّسل ، فكيفَ بأمثالنا الغارقين في شهوة بطونهم وفروجهم ؟! قال : وهـٰذا التجلي واقع لكلِّ مصلٍّ لو عَقَلَ عَقْلَ موسىٰ ، فالحمد لله علىٰ كلِّ حال) .

وكان يقول : (كما أنَّ أهلَ الشريعة يُبطلون الصلاةَ باللحن الفاحش ، فكذلك أهل الحقيقة يُبطلون الصلاة بالخلق الفاحش ، فإذا صلىٰ وفي باطنه حسدٌ أو حقد أو غلٌّ ، أو خديعة ، أو سوءُ ظنٍّ بأحدٍ من المسلمين ونحو ذلك . . فصلاته باطلةٌ عندهم ، ويجمعُ ذلك كلَّه حبُّ الدنيا ؛ لأن من أحبَّها حُجب عن حضرة الله ، وطُرِدَ عن دخولها ، ولا تصحُّ مناجاةُ الحقِّ تعالىٰ كما ينبغي إلا لمن دخلَ حضرته ، وعرف قدرَ عظمته تعالىٰ ، فإذا مُنِعَ من دخول حضرته فكأنه ما صلىٰ) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ اجتنب معاشرةَ أولي المقال والجدال الذين لم يتخلَّقوا بأخلاقِ الصالحين ، والعلماء العاملين ، ولا تتخذ أحداً منهم صاحباً ، وجالسِ العلماءَ العاملين ؛ فإنهم أعوانٌ لك علىٰ مقصودك) .

وكان يقول : (إن أردتَ أن تكونَ ولدي حقّاً ، ومتَّبعي صدقاً فأخلصِ العبودية لله ، واجعلْ واعظَكَ من قلبك ، وكن عاملاً بجسدك وقلبك ، ولا تأخذ لأحدٍ من المريدين درهماً ؛ فإن هـٰذه طريقي ، ومن أحبَّني سلك معي فيها ؛ فإن الفقيرَ الصادق هو الذي يُطعمُ الناس ولا يُطعمونه ، ويُعطيهم ولا يُعطونه ؛ فإن الرِّشا في

الطريق حرامٌ ، يرشي المريدُ شيخَهُ حتىٰ يميلَ إليه ، فإذا مال كان حكمُهُ حكمَ القاضي إذا قبل الرِّشوة ليحكم بحكم الله ، وذلك شديدُ التحريم ، وشيخُكم قد بايعَ الله عز وجل ألا يأخذَ لأحدٍ فلساً ولا درهماً ، ولا يأكلَ لهم طعاماً إلا إن سلمَ من العلل ، وما أعلمتُكم بذلك إلا لتقتدوا بي ، لا للمشيخةِ عليكم ؛ فإني أرىٰ نفسي دونَكم ، وإنما المرادُ سلامةُ الذِّمة وبراءتُها من الخلل في نصح الإخوان .

واعلموا يا أولادي ؛ أن من استحسنَ درهماً أو لقمةً في طريقي حين لعبَ به هواه ، وسوَّلتْ له نفسه فقد خرجَ عن طريقي وطريق الأشياخ ؛ فإن أوساخَ الدنيا تسوِّدُ القلوبَ ، وتُوقف عن المطلوب ، وتكتبَ بها الذنوب ، وإني غيرُ راضٍ من أحدٍ في إجازته فلساً واحداً ؛ فإن من أخذَ الدنيا بإلباسِ الفقراء الخرقةَ مقتَهُ اللهُ ، ولو أنه عمل له حرفةً ، وكفىٰ نفسَهُ كان خيراً له ، وإني أبرأُ إلى الله ممن يأخذُ على الطريق عَرَضاً من الدنيا ، ويتلفُ طريقي من بعدي ، ويخالفُ ما كنت عليه أنا وأصحابي .

اللهم ، إن كان أحدٌ من أصحابي يفعلون خلافَ طريقي ؛ فلا تُهلكْني بذنوبهم ؛ فإن اللهَ يُبغضُ الفقيرَ الذي يبيعُ أخلاقَ أهل الطريق بلقمةٍ ، وطريقي إنما هي طريقُ تحقيقٍ وتدقيق) .

وكان يقول : (أُحبُّ من أولادي كلَّ مَنْ كان متنسِّكاً لا يفترُ ولا يحيدُ ، خاشعاً خاضعاً ، حمَّالاً للأذىٰ ، سكراناً من حبِّ مولاه ، لا التفاتَ له إلىٰ زوجةٍ ولا ولدٍ ولا أخٍ ولا صاحبٍ ولا وظيفةٍ دنيوية ؛ اهتماماً بمولاه ، حتىٰ صارَ لا يلتفتُ لسواه) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ إنْ صحَّ عهدُكم معي فأنا منكم قريبٌ ، وأنا في ذهنكم ، وفي سمعكم وبصركم ، وجميعِ حواسِّكم الظاهرة والباطنة ، وإن لم يصحَّ لكم معي عهدٌ فلا تشهدون مني سوى البُعد ، وإذا كنتُ لا أرضى اللعبَ لأحدٍ من خلق الله ، فكيف أرضاه لولدِ قلبي ؟! فإن أخذتم يا أولادي عهدي ، وعملتم بوصيَّتي سمعتم كلامي ، ولو كان أحدُكم بالمشرق وأنا بالمغرب ، ورأيتم شبحَ شخصي .

فمهما وردَ عليكم من مشكلات سرِّكم ، أو شيءٍ تستخيرون فيه ربَّكم ، أو عَرَضَ لكم أحدٌ بأذىً . . فوجِّهوا وجهكم ، وصفوا سرَّكم ، وأطبقوا عينَ حسِّكم ، وافتحوا عينَ قلبكم ، فإنكم تروني جهاراً ، وتستشيروني في جميع أموركم ، وتطلبوا مني

حوائجَكم ، فمهما قلتُهُ لكم فاقبلوه وامتثلوه ، وهٰذا ليس خاصّاً بي ، بل بكلِّ شيخٍ صدقتم في محبَّته ، وقد يعلمُ ذلك شيخُكم وقد لا يعلمه ، هٰكذا جرتْ سُنَّةُ أولياء الله تعالىٰ مع مُريديهم) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ إن كنتَ تصومُ الدهر ، وتقومُ الليل ، ولك سريرةٌ ظاهرة ، ومعاملةٌ خالصةٌ . . فلا تدَّعي قطُّ أنك شممتَ لطريقِ القوم رائحةً ، ولا تَشهدْ نفسَك إلا أنك عاصٍ مفلسٌ من جميع الأعمال الصالحة ، واحذرْ من نفسك ، فكم تلِفَ من غرورها وزورها فقير !) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يكونَ من أولادي حقّاً فليقمْ قياماً دائماً ، وليجاهدْ نفسَهُ جهاداً ملازماً ، ولا يملَّ ، ولا يُوَلِّي ، ولا يُرخِّص لنفسه في تركِ الاشتغال بالعبادة في حجةِ خوف الملل ؛ فإن الناقدَ بصير ، والنفسَ من شأنها التلبيس علىٰ صاحبها) .

وكان يقول : (ليس كلُّ من تزيَّا بزيِّ القوم يكونُ منهم في الباطن ، فإياكم أن تقنعوا بالظواهر دون البواطن ؛ فإن القومَ إنما ترقَّوا بالأعمالِ الجوَّانية ، وما رأينا أحداً لبسَ له جبةً ، وأرخىٰ له عذبةً ، وجلس علىٰ سجادةٍ . . فبلغ بذلك مبلغَ الرجال ، بل يقفُ عن السير ، أو يرجعُ من حيث جاء) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ إياكم أن تغفُلوا عن ربِّكم في ليل أو نهار ؛ فإن الله تعالىٰ يطَّلعُ علىٰ عباده في كلِّ يومٍ وليلة [ثنتين][1] وسبعين مرة ، فنظِّفوا محلَّ نظر ربِّكم ، واجعلوه طاهراً مُطهَّراً ، حسناً نقيّاً ، زاهراً نيِّراً ، صادقاً خالصاً ؛ ليرتعَ في رياض القرب ، ويظهرَ فيه النورُ ؛ فإن الإناء إذا لم يكنْ شفَّافاً لا يظهرُ للفتيلة فيه نورٌ أبداً) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ اشتغلْ بمراقبة رقيبك عن الخلق ، وبنفسك عن القيل والقال ، ولا تلتفتْ قطُّ إلىٰ صحبة من يتكرَّمُ بضياع أوقاته وأنفاسه في الغفلات ؛ فإن صحبتَهُ هلاكٌ لك) .

---

(١) في النسخ (اثنين) .

وكان يقول : (يجبُ على الفقير أن يطهِّرَ أعضاءَهُ وقلبَهُ من الغفلات عن ذكر الله ، كما يجبُ تطهيرُها عن المعاصي الظاهرة من باب : حسنات الأبرار سيئاتُ المقرَّبين)[١] .

وكان يقول : (لا ينبغي لحاملِ القرآن أن يُدنِّسَ فمَهُ بكلامٍ حرام ، أو طعام حرام ، ومثالُ من يتلفَّظُ بالقرآن بعد أن تكلَّم بغيبةٍ أو نميمة مثالُ من لطَّخَ المصحفَ بالقذر ، وقد أفتى العلماءُ بكفره) .

وكان يقول : (إن طلبتم أن تكونوا من أولادي حقّاً فلا يُسرَّ أحدٌ منكم سريرةً سيئة ؛ فإن اللهَ سيُظهر ما كان العبدُ يكتمُهُ ويخفيه ويسترُهُ ، ويُنادىٰ عليه في عَرَصات القيامة بالتصريحِ والتوبيخ : فلانٌ عملَ كذا وكذا ، وكان يستترُ من الناسِ ، ولا يستترُ من الله ، فلانٌ كان يرتكبُ المحارمَ والفضائح ويُظهرُ للناس الصلاحَ زوراً وبهتاناً ، فلانٌ كان ينظرُ إلى النِّساء قصداً ، ويدَّعي أنها نظرةُ فجأة ، ويعطفُ طرفه ، ويميلُ كأنه لصٌّ سارق ، فيا فضيحة من تزيَّا بزِيِّ الفقراء ، وخالف طريقَهم ، فيا أولادي جميعكم ؛ لا ترموا من كلامي شيئاً ؛ فإنما هو تذكيرٌ وتحذيرٌ ، وتأديب لمن تأدَّبَ) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ إذا صحبتُم غيري من بعدي فاصبروا علىٰ جفائه ؛ فإنه ربَّما امتحنكم ليريدَ بكم الخيرَ ، وأن يجعلَكم محلاً لأسراره ، ويرقِّيكم بذلك إلىٰ معرفةِ ربِّكم ، فمن اشتغل قلبُهُ بمحبَّةِ شيخه ترقَّىٰ إلىٰ محبَّةِ الله عز وجل ، ولولا أن الشيخَ سُلَّمٌ لتربية المريدين لمقتَ اللهُ كلَّ قلبٍ وجد فيه محبَّةً لسواه) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ البسْ قميصَ الفقراء النظيف ، فما الأمرُ بلبس الثياب ، ولا بسكنى القباب ، ولا بلبس الصوف ، إنما الفقرُ أن تُخلصَ عملَكَ بقلبك) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ الفقراءُ كلُّهم عندي ملاح ، فليكونوا عندكم كذلك) .

وكان يقول : (خواصُّ الخواصِّ جعلوا زواياهم قلوبَهم ، ولبسَهم تقواهم وخوفَهم

---

(١) قال العجلوني في « كشف الخفاء » (١/ ٣٥٧) : (هو من كلام أبي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته ، وعدَّه بعضهم حديثاً ، وليس كذلك ، وعزاه الزركشي في « لقطته » للجنيد) ، وتقدم تخريجه (١/ ٥٨٥ ، ٥٨٨) .

من ربِّهم ، قد رفضوا الكرامات ، ولم يرضوا بها ، وخرجوا عنها لعلمهم أنها من ثمرةِ أعمالهم ، فلم يطيروا في الهواء ، ولم يمشوا على الماء ، ولم تسخَّرْ لهم الهوام ، ولم تُبصبصْ لهم الأسود ، ولم يضربوا رجلَهم بالأرض فيفجَّر لهم الماء ، ولا مسَّ أحدُهم أجذمَ ولا أبرص فبرِئ ، فخرجوا من الدنيا وأُجورُهم كاملة ، رضي الله عنهم) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ عمرُكم في انتهابٍ ، وأجلُكم في اقتراب ، وقد طُويت الدنيا ، وجئنا أولها عند آخرها ، فالسعادةُ كلُّ السعادة لمن طوىٰ منكم صحيفتَهُ كلَّ يومٍ مضمَّخةً معنبرةً ممسَّكة معطرةً بأعماله الزكية ، وشيمِهِ المرضية ، والشقاوةُ كلُّ الشقاوة لمن طوىٰ صحيفتَهُ كلَّ يومٍ علىٰ زلاتٍ وقبائحَ عظيمات .

يا أولادي ؛ كأنكم بالساهرةِ وقد مُدَّتْ ، وبالجبال وقد دُكَّت ، وبالحجارةِ وقد صاحت ، وبالحصىٰ وهو يقطر دماً ، هـٰذه وصيتي لكم ، وهديَّتي إليكم) .

وكان يقول : (إياكم أن يدَّعي أحدُكم أنه من الصالحين ، وهو يقعُ في الأفعال الرديئة ، ويأكلُ طعامَ المكاسين ، وأهلِ الرشا والربا والظلمة وأعوانهم ، وكيف يدَّعي أنه من الصالحين وهو يقعُ في الكذبِ والغيبة ، والوقيعة في الناس ، وفي أعراضهم ؟! وكيف يطلبُ أن يكونَ عند الله صادقاً ، وهو يقعُ في شيءٍ من المناهي ؟!) .

وكان يقول : (إن أردتَ أن تفهمَ أسرارَ القرآن فاقتلْ نفسَ دعواك ، واطرحْ نفسَ نفيستك تحت قدمِ أقدامك ، واشهدْ أنَّ نفسَك قبضةٌ من تراب ، واعترفْ بكثرة ذنوبك ، وخف أنْ تُرَدَّ عليك طاعاتك ، فإن لم تفعلْ ذلك فبابُ الفهم عنك مسدود ، وعزَّةِ ربِّي ؛ إن كلَّ حرف من القرآن يعجزُ عن فهمه الثقلان ، ولو اجتمعَ الخلقُ كلُّهم أن يعلموا معنىٰ باء أو جيم بعقولهم لعجزوا) .

وكان يقول : (العقلُ في القلب ؛ لحديث : « إنَّ في الجسدِ مضغةً »[1] ولـٰكن إذا فكَّرت في كُنْهِ العقلِ وجدتَ الرأس يُدَبِّرُ أمرَ الدنيا ، ووجدت القلبَ يُدبِّرُ أمرَ الآخرة ، فمن جاهدَ شاهد ، ومن رقدَ تباعد) .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، وتقدم تخريجه (١/ ٥٨٩) ، (٢/ ٤٦٣) .

وكان يقول : (إذا لبسَ حاملُ القرآن حراماً ، أو أكلَ حراماً لعنَهُ القرآنُ من جوفه ، وقال : لعنةُ الله علىٰ من لم يجلَّ كلام الله) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يكونَ ولدي حقّاً فليحبس نفسَهُ في قمقم الشريعة ، وليختمْ عليها بخاتم الحقيقة ، وليقتلها بسيفِ المجاهدة ، وليتجرَّعِ المرارات ، ومن رأىٰ أن له عملاً يُقبل فقد سقطَ من عين رعاية الحقِّ تعالىٰ) .

وكان يقول : (العارفُ يرىٰ حسناتِهِ ذنوباً) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ إنَّنا كلَّنا مساكين في أضعفِ حالٍ ، وآخرِ زمانٍ) .

وكان يقول : (يا أولادي ؛ اعلموا وتحقَّقوا : أن صحة هـٰذا الطريق وقاعدتَها ومجلاها ومحكمها الجوعُ ، فإن أردتم السعادةَ فعليكم بالجوع ، ولا تأكلوا إلا علىٰ فاقةٍ ؛ فإن الجوعَ يغسلُ من الجسد مواضعَ إبليس ، تريدون شربةً بلا حميةٍ ، هـٰذا ما لا يكون) .

وكان يقول : (اتقوا فِراسة الفقراء ؛ فإنهم ينظرون بواطنكم بنور الله ، فيجدون فيها ما يُسخطُ الله) .

وكان يقول : (إياكم أن تقنعوا بتقبيل أيديكم والرئاسةِ علىٰ أقرانكم ؛ فإن الفقير لا يكملُ إلا إن تكلَّمَ بمعاني الحقيقة ذوقاً لا نقلاً ، وفعلاً لا قولاً ، وتحلَّىٰ في باطنه بحلية الأصفياء بالسرِّ والمعنىٰ) .

وكان يقول : (يا ولدي ؛ إنْ كنتَ ولدَ قلبي حقّاً فكنْ علىٰ حذرٍ من الدخلاء السوء ؛ فإنا نحن في آخر زمان ، وقد قلَّ النُّصحُ فيه من الإخوان ، حتىٰ لا تكاد تنظرُ ناصحاً بعينك ، وعادَ مَنْ تُوليه سروراً يوليك شروراً ونكداً ، ومَنْ ترفعُهُ يريدُ أن يضعك ، ومَنْ تُحسن إليه يُسيء عليك ، ومَنْ تُشفقُ عليه يودُّ أنه لو رماك على الشوك وأسنَّةِ الرماح ، ومَنْ تنفعُهُ يضرُّك ، ومن تُوصله يقطعك ، ومن تُطعمه يحرمك ، ومن تُربِّيه يقول : أنا الذي ربَّيتك ، ومن تُقدِّمُه يؤخِّرُك ، ومن تخلص له يغشُّك ، ومن تبشُّ له يكشُّ لك .

فواعجباً للدنيا ولأهلها ! وإذا كان مالك بنُ دينار يقول في زمانه : « لو نبتَ

للمنافقين أذنابٌ في هـٰذا الزمان لما وجدَ المؤمنُ مكاناً يمشي فيه ». . فكيف بأهلِ القرن السابع ؟!

فإن استطعتم يا أولادي الوحدةَ عن أهل السوء فافعلوا ، ولا تتشبَّهوا بأهل التمكين ؛ فإن أهل التمكين قد تركوا أخلاق الأراذل من الناس ، وغفروا للناس أفعالهم ، وغضُّوا عن نقائصهم بأبصارهم ، وصمُّوا آذانَهم عن سماع أقوالهم ، وتركوا الكلَّ لله تعالىٰ ، وقابلوا سيئاتهم بالحسنات ، ومضرَّاتهم بالمسرَّات والمبرَّات) .

وكان يقول : (المريدُ مع شيخه علىٰ صورةِ الميت ، لا كلامَ ولا حركةَ ، ولا يقدرُ على النطق بين يديه إلا بإذنه ، ولا يتحرَّكُ ولا يسكنُ إلا بإذنه ، هـٰكذا كانت طريقةُ السلف والخلف مع أشياخهم ؛ فإن الشيخَ هو والدُ القلب ، ويجب على الولدِ عدمُ عقوق الوالد ، ولا نعرفُ للعقوق ضابطاً يضبطُهُ ، إنما الأمرُ عامٌّ في سائر الأحوال ، وما جعلوه إلا كالميت بين يدي الغاسل ، فإياكم ومخالفةَ الأشياخ ؛ فإن كثيراً من الفقراء صحبوا الأشياخ بلا أدبٍ ، فماتوا بغصصهم ، آهٍ من صدودِ الرجال ، ومن صحبةِ الأضداد !) .

وكان رضي الله عنه يقول : (أنا موسىٰ في مُناجاته ، أنا عليٌّ في حملاته ، أنا كلُّ وليٍّ في الأرض خلعتُهُ بيدي ، أُلبسُ منهم من شئتُ ، أنا في السماء شاهدتُ ربي ، وعلى الكرسيِّ خاطبتُهُ ، أنا بيدي أبوابَ النيران غلَّقتها ، وبيدي جنةَ الفردوس فتحتها ، من زارني أسكنتُهُ الفردوسَ ، فإياك يا ولدي أن تعترضَ علىٰ مقالنا ؛ فإن أولياء الله مُتَّصلون بحضرة الله ، وما اتَّصلَ أحدٌ بحضرة الله إلا وهو يناجي ربَّهُ كما كان موسىٰ يناجي ربه ، وما من وليٍّ لله إلا ويحملُ على الكفار كما كان عليُّ بنُ أبي طالب يحملُ ، وقد كنتُ أنا وأولياء الله أشباحاً في الأزل بين يدي القديم الأزل .

وإن اللهَ خلقني من نورِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اجتماعنا على الدرة البيضاء ، فأمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أخلعَ علىٰ جميعِ الأولياء بيدي كما يخلعُ غلامُ السُّلطان بأمره علىٰ من أراد ، وقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنتَ نقيبٌ عليهم ، فكنتُ أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخي عبد القادر الجيلي خلفي ، وابنُ الرفاعي خلف عبد القادر ، ثم التفتَ إليَّ رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم وقال : يا إبراهيم ؛ سِرْ إلىٰ مالك خازن النار ، وقل له : يُغلِقْ أبوابها ، وسِرْ إلىٰ رضوان خازن الجنان وقلْ له : يفتح أبوابها ، ففعلا ذلك) ، وأطال في ذكر معاني هـٰذا الكلام ، ثم قال : (وما يعلمُ ما قلته إلا من انخلعَ من طبعه ، وصار كالملائكة) .

مات رضي الله عنه سنة ستٍّ وسبعين وست مئة ، ودفن بدسوق علىٰ ساحل بحرِ النيل الغربي ، ومقامُهُ بها ظاهرٌ يُزار ، يقصدُهُ الناس من سائرِ الآفاق .

وكراماته كثيرة مشهورة ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٥٥) الشيخ أبو بكر بن هوارا البطائحي رضي الله عنه[١]

وهو الذي أخبرَ وبشَّرَ بسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه .

كان شاطراً يقطعُ الطريق ، فوقع له سماعُ هاتفٍ بالليل : أما آن للعاصي أن يتوبَ إلى الله تعالىٰ ؟! فتابَ من وقته .

وهو أول من ألبسه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثوباً وطاقيةً في المنام ، فاستيقظَ فوجدَهما عليه .

وكان رضي الله عنه يقول : (أخذتُ من ربي عز وجل عهداً ألا يحرقَ بالنار جسداً دخل تُربتي) ، فيقال : إنه ما دخلها لحمٌ أو سمكٌ قطُّ وأنضجته النار .

وكان يقول : (الخوفُ من الله : هو ألا يأمنَ العبدُ وقوعَ البطش به مع الأَنْفاس) .

وكان يقول : (احتقار الناس مرضٌ عظيم لا دواءَ له) .

وكان يقول : (**التصوفُ** : ذكرٌ باجتماع ، ووجدٌ باستماع ، وعملٌ باتباع) رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٧٣) (٢٥٣) .

ومنهم :

(٢٥٦) الشيخ أبو محمد الشَّنْبَكي رضي الله عنه[١]

هو أحد أعيان مشايخ العراق .

تخرَّجَ به الشيخُ أبو الوفا ، والشيخُ منصور .

وكان في بدايته يقطعُ الطريق على القوافل ، فتاب على يدِ الشيخ أبي بكر بن هُوارا البَطائحي ، وصار يُبرئُ الأكمهَ والأبرص والمجنون بدعوته .

وكان يقول : (أصلُ الطاعةِ : الورعُ والتقوىٰ ، وأصلُ التقوىٰ : محاسبةُ النفس) .

وكان يقول : (من لم يسمع نداءَ الحق كيف يُجيبُ داعيه ؟! ومن استغنىٰ بشيءٍ دون الله فقد جهلَ قدرَ الله) .

وكان يقول : (من قهرَ نفسه بالأدب فهو الذي يعبد الله بالإخلاص) .

وكان يقول : (حجابُ الخلق عن الحقِّ تعالىٰ هو تدبيرُهم مع الله) .

وكان يقول : (شهوةُ الصادقين : المجاهدةُ ، وضيقُ العيش ، وشهوة الكاذبين : النومُ والكسل ، والتبسُّط في الدنيا) .

وكان يقول : (من ادَّعىٰ حالاً مع الله لا يشهد له ظاهرُ كتابٍ ولا سنة . . فاتَّهموه في دينه) .

وكان يقول : (من أكلَ من طعامِ مريدٍ رجعَ عن طريقِ الفقراء قسا قلبُه أربعين صباحاً) .

وكان يقول : (**من علامة الوليِّ** : أن يسترَ حاله ، والكونُ كلُّه ناطقٌ بولايته) .

وكان يقول : (صلاحُ القلب في الاشتغال بالعلم والعمل علىٰ وجه الإخلاص) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٧٥) (٢٥٤) .

ومنهم :

(٢٥٧) الشيخ عزاز البَطائحي رضي الله عنه[١]

انتهت إليه الرئاسةُ في الطريق ، وأجمع المشايخُ علىٰ تعظيمه .

وكان يقول : (الغفلةُ علىٰ قسمين : غفلةُ رحمة ، وغفلةُ نقمة ؛ فالغفلةُ التي هي نقمةٌ : غفلةُ العبد عن طريق الاستقامة ، والغفلة التي هي رحمةٌ : غفلةُ العبد عن القيامِ بأوصاف العبودية حين تجلَّىٰ لقلبه عظمةُ الله عز وجل) .

وكان يقول : (إذا مازجتِ المحبةُ الأرواح طارتْ ، وإذا خالطتِ العقول أدهشتْ ، وإذا لابستِ الأفكار حارتْ) .

وكان يقول : (من أنسَ بالله أنسَ به كلُّ شيءٍ ، ومن خاطبه اللهُ خاطبه كلُّ شيءٍ ، ومن دخلَ حضرة الله هابه كلُّ شيء إجلالاً له ، ومن عرف اللهَ جهلَهُ كلُّ شيءٍ ، لعظيم ما أودعه اللهُ فيه من الأسرار) والله أعلم .

ومنهم :

(٢٥٨) الشيخ منصور البطائحي رضي الله عنه[٢]

هو خالُ سيدي أحمد بن الرِّفاعي ، وتخرَّج به جماعةٌ من الأولياء .

وكانت أمُّه تدخل وهي حاملٌ علىٰ شيخه الشيخ أبي محمد الشَّنْبَكي ، فينهضُ لها قائماً ، فسألوه عن ذلك ، فقال : إنما أقومُ للجنين الذي في بطنها ؛ فإنه أحدُ المقرَّبين إلى الله أصحاب المقامات ، وسيصيرُ له شأنٌ عظيم .

وكان رضي الله عنه يقول : (من عرفَ الدنيا زهدَ فيها ، ومن عرف اللهَ آثر رضاه علىٰ هوىٰ نفسه ، ومن لم يعرفْ نفسَه فهو في أعظم الغرور) .

وكان يقول : (ما ابتلى اللهُ عز وجل عبداً ابتلاءً أشدَّ من الغفلة عنه ، وإذا أحبَّ اللهُ

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٧٦) (٢٥٥) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٧٧) (٢٥٦) .

عبداً قادَهُ إلىٰ حضرته في اليقظة والمنام) .

وكان يقول : (كلما ارتفعتْ منزلةُ القلب كانت العقوبةُ والمؤاخذةُ إليه أسرع) .

وكان يقول : (الصبرُ زاد المضطرِّين ، والرِّضا درجةُ العارفين ، فمن صبرَ علىٰ صبره فهو الصابر) .

وكان يقول : (من فرَّ بذنبه إلى الله تعالىٰ وهو يتَّهمُهُ في رزقه . . فهو يفرُّ له لا إليه) .

وكان يقول : (كلُّ شيءٍ في الدنيا لا يكونُ لك عوناً علىٰ تركها فهو عليك لا لك) .

وكان يقول : (**ثلاثُ خصالٍ من صفات الأولياء** : الثقة بالله تعالىٰ في كلِّ شيءٍ ، والغِنىٰ بالاستناد إليه عن كلِّ شيءٍ ، والرجوع إليه في كلِّ حال) .

وكان يقول : (من شهد الرياء في إخلاصه فهو كاملٌ ، ومن شهد الإخلاصَ في أعماله فهو ناقص) .

وكان يقول : (الأُنسُ بالله : هو استبشارُ القلوب بالقرب منه تعالىٰ) .

وكان يقول : (من اغترَّ بصفاء العبودية داخله نسيانُ الربوبية ، ومن سكنَ إلىٰ ربِّه دون حظوظ نفسه سَلِمَ من الاستدراج) .

ولما حضرته الوفاةُ قالتْ له زوجتُهُ : أوصِ إلىٰ ولدي بالمشيخة بعدك ، فقال : المشيخة لأحمد ابن أختي ، فكرَّرتَ عليه القولَ ، فقال لابنه ولابنِ أخته أحمد : ائتياني بنجيل من أرض كذا[١] ، فأتاه ولدُه بنجيل كثير ، ولم يأت ابنُ أخته بشيءٍ ، فقال له : يا أحمد ؛ لمَ لمْ تأتِ بنجيلٍ ؟ فقال : وجدتُهُ كلَّهُ يُسبِّحُ الله تعالىٰ ، فاستحييتُ أن أقطعَ شيئاً يُسبِّح اللهَ ، فسكتتْ زوجتُهُ ، وعلمتْ أن هـٰذا الأمرَ لا يكون بالتشهِّي ، إنما هو وعدٌ من الله تعالىٰ .

---

(١) **النجيل** : ما تكسَّر من ورق الهَرْم ، وهو ضرب من الحَمْض ، والحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم علىٰ سوق ولا أصل له .

ومنهم :

(٢٥٩) الشيخ تاجُ العارفين أبو الوفا رضي الله عنه[١]

كان من أعيانِ مشايخ العراق في وقته ، وله الكراماتُ الخارقة ، وكان له أربعون خادماً من أرباب الأحوال .

ولما أخذَ عليه شيخُهُ الشَّنْبَكيُّ العهدَ قال : (وقعَ اليوم في شبكتي طائرٌ لم يقعْ مثلُهُ في شبكة شيخ) .

وكان مشايخُ العراق إذا ذكروا اسمَه يضعون أيديَهم علىٰ وجوههم يتبرَّكون باسمه .

وكان سيدي عبدُ القادر الجيلي يقول : (ليس بباب الحقِّ كرديٌّ مثل أبي الوفا) .

وهو أول من سُمِّي بتاج العارفين بالعراق .

وكان يقول : (من هيَّمه آثارُ النظر أقلقه سماعُ الخبر ، ومن تقطَّعَ في مفاوز الأشواق لم يلتفتْ إلى الآفاق) .

وكان يقول : (الأجسامُ أقلام ، والأرواح ألواح ، والنفوسُ كؤوس ، والوجد حسرةٌ تلهب) .

وكان يقول : (التسليمُ : إرسالُ النفس في ميادين الأحكام ، وتركُ الشفقة عليها من الطوارق) .

وكان يقول : (لو صدقَ المريدُ حين نادىٰ شيخَهُ لأجابه ـ وهو نائم ـ كلُّ ذرةٍ في الشيخ ، ولم يحتج إلى استيقاظه) والله أعلم .

ومنهم :

(٢٦٠) الشيخ حمَّاد بن مسلم الدبَّاس رضي الله عنه[٢]

كان أحدَ العلماء الراسخين في علوم الحقائق ، انتهت إليه الرئاسة في التربية ، وانعقد عليه إجماعُ الشيوخ ، وانتمىٰ إليه معظمُ مشايخ بغداد .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٧٩) (٢٥٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٨١) (٢٥٨) .

وهو أحدُ من صحبه الشيخ عبدَ القادر ، وأثنىٰ عليه ، وحكىٰ كراماته .

وكان يقول : (**القلوبُ ثلاثةٌ** : قلبٌ يطوف بالدنيا ، وقلبٌ يطوف بالأخرىٰ ، وقلب يطوف بالله عز وجل لا فيه ؛ لأن من طافَ فيه تزندق) .

وكان يقول : (**أقربُ الطرقِ إلى الله حبُّهُ** ، ولا يصفو حبُّهُ حتىٰ يبقى المحبُّ روحاً بلا نفْسٍ ؛ فإن من له نفسٌ لا يصحُّ أن يذوقَ من محبَّة الله شيئاً أبداً) .

وكان يقول : (إن وعدَكَ الحقُّ تعالىٰ بشيءٍ فتوكَّلْ ، وإن قدَّرَ عليك بشيءٍ فاستسلم ، وإن قال لك : اخترْ فقل : فوَّضتُ أمري إليك ، وإن قال لك : اطلب فقل : قد آمنتُ وصدَّقت ، وإن قال لك : اعبدني فقل : وفِّقني ، وإنْ قال : وحِّدني فقل : اجذبْني) ، رضي الله عنه .

منهم :

(٢٦١) الشيخ يوسف بن أيوب [الهَمَذاني] رضي الله عنه[١]

هو أحدُ أئمة العراق ، وإليه انتهت الرئاسةُ بخراسان .

وكان يقول : (السماعُ : سفرٌ إلى الحقِّ ، ورسولٌ من الحقِّ ، والسماعُ هتَّاك للأستار ، وكشَّافٌ للأسرار ، وشمسٌ طلعت علىٰ بساط القرب من غيرِ نفس تكون هناك ، فترىٰ أهلَ السماع وَالِهين حيارىٰ ، رامقين أُسارىٰ ، خاشعين سُكارىٰ) .

وكان يقول : (إن الله تعالىٰ خلقَ من نورِ بهائه سبعين ألف مَلَكٍ من الملائكة المقرَّبين ، وأقامهم بين العرشِ والكرسيِّ في حضرة الأنس ، لباسهم الصوفُ الأخضر ، ووجوههم كالقمرِ ليلةَ البدر ، فقاموا مُتواجدين وَالِهينَ حيارىٰ ، خاشعين سُكارىٰ ، منذ خُلقوا يهرولون من ركنِ العرش إلىٰ ركنِ الكرسي ؛ لما بهم من شدَّةِ الوله ، فهم صوفيةُ أهلِ السماء ، إخوانُنا في النسب ، فإسرافيلُ قائدهم ومرشدُهم ، وجبريلُ رئيسُهم ومتكلِّمهم ، والحقُّ تعالىٰ أنيسُهم ومليكهم ، فعليهم السلامُ من الله عز وجل) .

---

(١) في النسخ : (الهمداني) بالدال المهملة ، والمثبت من مصادر ترجمته ، وتقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٨٢) (٢٥٩) .

وتكلم الشيخُ يوسف يوماً على الناس ، فقال له فقيهان كانا في مجلسه : اسكتْ يا مُبتدع ، فقال لهما : اسكتا أنتما لا عشتما . فماتا في الحال في مكانهما .

وجاءته امرأةٌ من همذان ، أَسرَ ولدَها الفرنجُ ، وهي باكيةٌ ، فقال لها : ما لك ؟ فقالت : أسرَ الفرنجُ ولدي ، فقال : اللهم ؛ فكَّ أسرَهُ ، وعجِّل فرجَهُ ، ثم قال لها : اذهبي إلىٰ دارك ، فستجدين ولدَكَ إن شاء الله تعالىٰ ، فذهبت ؛ فإذا ولدُها في الدار ، فتعجَّبتْ من ذلك ، وسُئل الولدُ : كيف كان الأمر ؟! فقال : كنتُ الساعةَ في القسطنطينية العظمىٰ ، والقيودُ في رجلي ، والحرسُ عليَّ ، فأتاني شخصٌ ، فاحتملني ، وأتىٰ بي إلىٰ هنا في لمح البصر .

ولد رضي الله عنه في حدود سنة أربعين وأربع مئة ، **وتوفي سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مئة ، ودفن ببامَيين علىٰ طريق مرو مدَّةً** ، ثم حُملتْ جثَّتُه إلىٰ مرو ، ودفن بها في الحضرة المنسوبة إليه ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٢) الشيخ عقيل المنبجي رضي الله عنه(١)

هو شيخُ شيوخ الشام في وقته ، وهو شيخُ عدي بنِ مسافر .

وهو أولُ من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام .

وكان يُسمَّى الطيار ؛ لأنه لما أرادَ الانتقال من قريته التي كان مُقيماً بها ببلاد الشرق . صعدَ إلىٰ منارتها ، ونادىٰ بأهلِها ، فلما اجتمعوا طار في الهواء ، والناسُ ينظرون إليه ، فجاؤوا فوجدوه في مَنْبج ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (خوفُ العارفين : هو أن يوجدَ هواهم في أمره تعالىٰ ، وخوفُ المتقين أن يروا نفوسَهم عند رؤية الخلقِ ؛ فالخوف ملاكُ الأمرِ كلِّه ، ولولا الخوفُ لنازعوا ربَّهم في الربوبية) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٨٣) (٢٦٠) .

وكان يقول : (طريقُ سلوكنا : الجدُّ والكدُّ ، ولزومُ الحدِّ حتىٰ ينقد ؛ فإما أن يبلغَ الفتىٰ مناه ، وإما أن يموت بداه)(١) .

وكان يقول : (من طلبَ لنفسه حالا أو مقالاً فهو بعيد عن الطريق) .

وكان يقول : (**الفتوَّةُ** : هي رؤيةُ محاسنِ العبيد ، والغيبةُ عن مساويهم) .

وكان يقول : (فقدُ الأسف والبكاء في مقامِ السلوك عَلَمٌ من أعلام الخذلان) .

وكان رضي الله عنه إذا نادىٰ وحوش الفلاة جاءتْ صاغرةً لدعوته حتىٰ تسدَّ الأفقَ .

وكان عكَّازُهُ لا يستطيعُ أحدٌ حملَهُ .

سكن منبجَ واستوطنها نيِّفاً وأربعين سنة ، وبها مات ، وقبره بها ظاهرٌ يزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٣) الشيخ أبو يَعِزَّى المغربي رضي الله عنه(٢)

انتهتْ إليه الرئاسةُ في تربية الصادقين بالمغرب ، وتخرَّجَ بصحبته جماعةٌ من مشايخها وزهَّادها ، وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون .

وكان يقول : (كلُّ حقيقةٍ لا تمحو أثرَ العبد ورسومَهُ فليست بحقيقة) .

وكان يقول : (من طلبَ الحقَّ من جهة الفضل وصلَ إليه ، وإلا لم يصل) .

وكان يقول : (أنفعُ الكلام : ما كان إشارةً عن مشاهدة ، أو إخباراً عن حضور) .

وله كلامٌ عالٍ في الطريق ذكرناه في « الطبقات الكبرىٰ » .

أقام رضي الله عنه في بدايته خمس عشرة سنة لا يدخلُ البلاد والقُرىٰ ، وإنما طعامُهُ في البراري ورقُ الشجر ، وكانت الأُسْدُ تأوي إليه ، والطيرُ تعكف عليه .

وكان إذا قال للسباع : لا تسكنوا هنا يأخذون أشبالَهم ، ويخرجون بأجمعهم .

---

(١) في « روض الرياحين » (٢/ ٣٢) : (يبلغ الفتىٰ إلىٰ شفائه أو يموت بدائه) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٨٥) (٢٦١) .

قال الشيخ أبو مدين : وزرتُه مرَّةً في البرية ، وحوله السباعُ والوحوش والطيور تشاوره على أحوالها ، وتسمعُ إشارتَهُ ، وكان الوقتُ وقتَ غلاء ، فإذا قال لوحش : اذهبْ إلى مكان كذا فهناك قوتُك . . يذهب إليه كما قال ، فيجد قوته ، وكذلك للطيور ، فتنقاد لأمره ، ثم قال : يا شعيبُ ؛ إن هـٰذه الوحوشَ والطيورَ إنما تحمَّلت هـٰذا الغلاء في هـٰذه البلاد لمحبَّتها في مجاورتي لا غير ، فتحمَّلتْ ألمَ الجوع لأجلي .

قال الشيخ محيي الدين بن عربي : (وكان أبو يَعِزَّىٰ لا يراه أحدٌ إلا عَمِي من نور وجهه ، ومن جملةِ من عَمِيَ عند رؤيته الشيخُ أبو مَدْين ، فكان لا يُبصر من يراه إلا إن مسحَ بثوب أبي يَعِزَّىٰ على وجهه ، فهناك يرتدُّ بصيراً) ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٦٤) الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه[١]

هو أحدُ أركان هـٰذه الطريقة .

وكان الشيخُ عبد القادر الجيلي ينوِّهُ بذكره ، ويُثني عليه ، ويشهدُ له بالسلطنة ، وقال له : (لو كانتِ النبوَّةُ تُنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بنُ مسافر ؛ فإنه بالغَ من المجاهدة في بدايته حتىٰ أعجزَ المشايخ بعده) .

وكان إذا سجدَ سمعوا لمخِّه في رأسه صوتاً كصوت وقع الحصاة في القرعة اليابسة من شدَّةِ ما ساح في الصحارىٰ والجبال سنين عديدة[٢] .

وكانتِ الحيات والهوامُّ والسِّباع تألفُهُ وتشاورُهُ علىٰ أمورها .

وهو أولُ من تصدَّرَ لتربية المريدين ببلاد المشرق ، وقصده الناسُ بالزيارة من سائر أقطار الأرض .

وكان يقول : (لا تنتفعُ بشيخٍ إلا إن حصل في قلبك له الاعتقادُ التام الذي ما فوقه

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٨٦) (٢٦٢) .

(٢) في (هـ ، و ، ي) : (إقامته) بدل (ما ساح) .

اعتقاد ، وهناك يجمعُكَ في حضوره ، ويحفظُك في مغيبه ، ويهديك بأخلاقه ، ويؤدِّبُك بإطراقه ، وينوِّر باطنَكَ بإشراقه ، وإن كان اعتقادُكَ فيه ناقصاً فلا تشهدْ فيه شيئاً مما قلناه ، بل تنعكسُ ظلمةُ باطنك عليك ، فتشهد صفاته الكاملةَ علىٰ صورةِ صفاتك الناقصة ، فلا تنتفع به ولو كان أكبرَ الأولياء) .

وسُئل عن حُسْنِ الخُلق : ما هو ؟ فقال : (هو معاملةُ كلِّ شخصٍ بما يُؤنسه ، فمع العلماء بحسنِ الاستماع ، ومع أهل المعرفة بالسكون والانكسار ، ومع أهل التوحيد بالتسليم) .

وكان يقول : (إذا رأيتم الرجلَ تظهر له الكراماتُ والخوارق فلا تعبؤوا به حتىٰ تنظروه عند الأوامر والنواهي ؛ فإن جماعةً من الرهبان أظهروا خوارقَ وعجائب وهم كفار) .

وكان يقول : (من لم يأخذْ أدبه عن المتأدِّبين أفسدَ كلَّ منِ اتَّبعه ، ومن كان فيه أدنىٰ بدعةٍ فاحذروا مجالسته ؛ لئلا يعودَ عليكم شؤمُها ولو بعد حين) .

وكان يقول : (منِ اكتفىٰ بالكلامِ في العلم من غير عملٍ انقطعَ عن الله ، ومنِ اكتفىٰ بالتعبُّدِ من غير فقهٍ خرج من دين الله ، ومنِ اكتفىٰ بالفقهِ دون ورعٍ اغترَّ بالله ، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا) .

وكان يقول : (أولُ ما يجبُ علىٰ سالك طريقنا هـٰذه تركُ الدعاوى الكاذبة ، وإخفاءُ المعاني الصادقة) .

وكان أكثرُ إقامته في الجزيرة السادسة من البحر المحيط .

وكان يأمرُ الريحَ أن يسكنَ فيسكن لوقته .

سكن جبل الهَكّار مدة[1] ، واستوطن لألُش إلىٰ أن مات بها سنة **ثمانٍ وخمسين وخمس مئة** ، ودفن بزاويته المنسوبة إليه ، وقبره بها ظاهر يُزار ، رضي الله عنه .

---

(١) في (ج ، د) : (قرىٰ) بدل (جبل) .

ومنهم :

(٢٦٥) الشيخ علي بنُ وهب رضي الله عنه[١]

انتهتْ إليه تربية المريدين بسِنْجار وما يليها .

وتلمذتْ له جماعةٌ من الأكابر ؛ مثل الشيخ سويد السِّنجاري ، والشيخ أبي بكر الجاوي[٢] ، والشيخ سعد ، وغيرهم .

ومات عن أربعين خادماً ، كلُّهم من أرباب الأحوال .

ولما مات اجتمعَ هـٰؤلاء الخدَّامُ في روضةٍ تجاه زاويته ، فجعل كلُّ واحدٍ منهم يأخذُ من تلك الروضة قبضةً من نباتها ، ويتنفَّسُ عليها ، فتهتز من جميع الأزهار المختلفة الألوان ؛ من أصفر وأخضر وأزرق وأبيض ، وغير ذلك ، حتىٰ أقرَّ بعضُهم لبعضٍ بالتمكين والتصريف .

وكان يقول : (حفظتُ القرآن العظيم وأنا ابن سبع سنين ، وكنت أتعبَّدُ في مسجدٍ ، فبينا أنا نائمٌ ذات ليلةٍ رأيتُ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال لي : يا علي ؛ أُمرتُ أن أُلبسك هـٰذه الطاقية ، وأخرجَ من كمِّهِ طاقيةً ، ووضعها علىٰ رأسي ، ثم جاءني الخَضِرُ عليه السلام بعد أيام وقال لي : يا علي ؛ اخرجْ إلى الناس وانفعهم ، فتثبَّتُّ في أمري ، ثم رأيتُ أبا بكر الصديق ، وقال لي كمقالة الخضر عليه السلام ، فاستيقظتُ وتثبَّتُ في أمري ، ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة الثالثة ، وقال لي كمقالة الصديق ، فاستيقظت وعزمتُ على الخروج ، ونمتُ في آخر الليل ، فرأيتُ الحقَّ جلَّ وعلا ، وقال لي : يا عبدي ؛ قد جعلتُك من صفوتي في أرضي ، وأيَّدتُكَ في جميع أحوالك بروحٍ مني ، وأقمتك رحمةً لخلقي ، فاخرجْ إليهم ، واحكمْ فيهم بما علَّمتك من حكمي ، وأظهرْ لهم بما أيَّدتُك به من آياتي ،

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٤٨٩) (٢٦٣) .

(٢) في « بهجة الأسرار » : (ص ٥١١) ، و« قلائد الجواهر » : (ص ٩٥) : (الخبازي) .

فاستيقظتُ ، وخرجت للناس ، فهرعوا إليَّ من كلِّ جانبٍ) رضي الله عنه .

وكان يقول : (معرفةُ الله عزيزةٌ لا تُدرك بالعقل ، بل يقتبس أصلُها من الشرع ، ثم تتفرَّعُ حقائقُها على قدر القرب ؛ فقومٌ عرفوه بالوحدانية فاستراحوا ، وقومٌ عرفوه بالقدرة فتحيَّروا ، وقوم عرفوه بالعظمة فوقفوا على أقدام الدهشة ، وأيقنوا أنه لن يدركَ أحدٌ عينَهُ ، وقومٌ عرفوه بعزَّةٍ إلـٰهية ، فنزَّهوه عن الكيفية والماهية ، وقومٌ عرفوه بصنائعه ، واستدلُّوا عليه ببدائعه فشاهدوه بإبدائه ، وقومٌ عرفوه بالتلوين[1] فمنحهم بالثبات والتمكين ، وقومٌ عرفوه بلا غير فأراهم من آياته ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) .

وكان يقول : (الزهد فريضةٌ ، وفضيلة ، وقربة ؛ فالفرضُ في الحرام ، والفضلُ في المتشابه ، والقربةُ في الحلال ، والزهدُ أعمُّ من الورع ؛ لأن الورعَ فيه إبقاءُ شيءٍ ، والزهدَ قطعُ الكلِّ) .

وكان يقول : (من سكنَ بسرِّه إلى غير الله نزعَ الله تعالى الرحمةَ من قلوب الخلق عليه ، وألبسَهُ لباسَ الطمع فيهم ، فلا هو يرجعُ عن سؤالهم ، ولا هم يعطونه شيئاً) .

مات بسِنْجار ، وقبرُهُ بها ظاهر يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٦) الشيخ موسى بن ماهين الزولي رضي الله عنه[2]

هو أحدُ الأئمة الذين خرقَ الله تعالى لهم العادات ، وأوقع اللهُ تعالى له الهيبةَ في القلوب ، وانعقد عليه إجماعُ المشايخ ، وقُصد لحلِّ المشكلات وكشف الخفيَّات .

وكان الشيخ عبد القادر يُثني عليه ويعظِّم شأنه ، وقال مرةً لأهل بغداد : ستطلعُ عليكم شمسٌ ما طلعت بعدُ على أحدٍ ، فقيل : ومن هو ؟ فقال : الشيخ موسى الزولي .

---

(١) في (هـ ، و ، ح ، ي) : (التكوين) بدل (التلوين) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرى » (١/ ٤٩١) (٢٦٤) .

وله كلامٌ عالٍ في الطريق لا يكادُ يفهمُهُ أكابرُ الأولياء فضلاً عن غيرهم ، أودعنا طائفةً منه في « الطبقات الكبرىٰ » .

وكان كثير المشاهدةِ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يشاورُهُ في جميع أموره .

وكان إذا مسَّ الحديدَ بيده لانَ حتىٰ يصيرَ كاللُّبان .

وكان يقولُ للصبيِّ الذي عمره أربعة أشهر فأقل : اقرأ سورةَ كذا ، فيقرؤها الصبيُّ بلسانٍ فصيح ، ولا يزالُ يتكلَّمُ من ذلك الوقت .

استوطن رضي الله عنه ماردين ، وبها مات ، وقد كبر سنُّهُ ، وقبره بها يُزار .

ولما وضعوه في قبره نهضَ قائماً يُصلي في اللَّحدِ ، واتَّسعَ له القبرُ ، وأُغمي علىٰ من نزلَ قبرَه من الناس ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٦٧) الشيخ علي بن الهِيتي رضي الله عنه[1]

هو من أكابر مشايخ العراق ، وهو أحدُ من انتسب إلى القطبية العظمىٰ .

وكان عنده الخرقتان اللَّتان ألبسهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأبي بكر بن هُوارا في النوم ، واستيقظ فوجدهما عليه ، وهما : ثوبٌ وطاقية .

وكان ابنُ هُوارا أعطاهما للشَّنْبَكي وأعطاهما الشنبكيُّ لتاج العارفين أبي الوفا ، وأعطاهما أبو الوفا ، للشيخ علي بن الهِيتي ، وأعطاهما ابنُ الهيتي للشيخ علي بنِ إدريس ، ثم فُقدتا .

وهيت : قريةٌ من قرى العراق .

قالوا : ومكث الشيخ عليٌّ هٰذا ثمانين سنة ليس له خلوةٌ ولا معزلٌ يعتزل فيه في ليلٍ أو نهار ، وكان ينام بين الفقراء لا يحتاجُ إلىٰ خلوةٍ ولا عزلة ولا غيرهما من أركان الطريق .

وقد كان الشيخ عبدُ القادر يقول : (ما دخل أحدٌ العراق إلا وهو في ضيافتنا ،

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٠٥) (٢٦٧) .

إلا علي بن الهِيتي فإنَّا نحن في ضيافته) .

وكان يقول : (انفتحَ رتق قلبِ علي بن الهِيتي وهو ابنُ سبعِ سنين ، فكان يُخبر بالمغيَّبات ، وتظهرُ علىٰ يديه الكرامات ، وأجمعتِ العلماء علىٰ جلالته وعلوِّ منصبه) ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (الشريعةُ : ما ورد به التكليف ، والحقيقةُ : ما حصل به التعريف ؛ فالشريعةُ مؤيَّدةٌ بالحقيقة ، والحقيقةُ مقيَّدةٌ بالشريعة ، والشريعةُ وجود الأفعال لله تعالىٰ ، والقيام بشروط العلم بواسطة العمل ، والحقيقةُ شهود الأحوال بالله ، والاستسلامُ لغلبات الحكم بغير واسطة) .

وكان يقول : (ما دام التمييزُ باقياً فالتكليف متوجِّهٌ) .

وكان يقول : (علامةُ صحة الحال : أن يكونَ صاحبُهُ محفوظاً في حال غيبته كما كان مغلوباً في حال صحوه) .

وكان يقول : (الحقُّ تعالىٰ وراء جميع ما أدركه الخلق بعقولهم وعلومهم ومعارفهم ، وكان يتمثَّلُ كثيراً بهـٰذه الأبيات : [من البسيط]

إنْ رحتُ أطلبُهُ لا ينقضي سفرِي ... أوْ رمتُ أحضرُهُ أُوحشتُ في الحضرِ
فما أراهُ ولا ينفكُّ عنْ نظرِي ... وفي ضميرِي ولا أَلقاهُ في عُمُرِي
فليتني غبتُ عنْ جسمِي برؤيتِهِ ... وعنْ فؤادِي وعنْ سَمعِي وعنْ بصرِي

سكن رضي الله عنه زَرِيران[1] ؛ بلدة من قرىٰ نهر الملك إلىٰ أن **مات سنة أربعٍ وستين وخمس مئة** ، **عن نيفٍ وعشرين سنة بعد المئة** ، وبها دُفن ، وقبره بها ظاهرٌ يُزار .

زَرِيران : علىٰ وزن فقيران .

---

(١) في (ب ، ج ، د) : (زربلان) ، وفي (هـ ، و ، ح ، ي) : (وزيران) ، وفي (ز) : (زويلان) ، والمثبت من (أ ، ط ، ك) ، قال ياقوت الحموي في « معجمه » (٣/ ١٤٠) : (**زريران** : بفتح الزاي وكسر الراء وياء ساكنة وراء أخرىٰ وآخره نون : قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ ، بها قبر الشيخ الصالح الزاهد العابد علي بن أبي نصر الهيتي) .

ومنهم :

(٢٦٨) الشيخ عبد الرحمـٰن الطَّفْسونجي رضي الله عنه[١]

كان من أكابر مشايخ العراق ، وأعيان العارفين ، وصدور المقربين .

وكان يقول : (لا تصحُّ المراقبةُ لعبدٍ إلا بعد متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أفعالِهِ وأحواله وأقواله ، فمنِ ادَّعىٰ مراقبةَ الله وهو علىٰ غير قدم الاتِّباع فهو كاذبٌ في دعواه) .

وكان يقول : (أنا بين الأولياء كالكُرْكي أطولُهم عنقاً) .

وكان يتكلمُ في الشريعة والحقيقة علىٰ رؤوس العلماء علىٰ كرسيٍّ عال .

وكان يقول : (منِ اشتغل بحبِّ الدنيا ابتلاه الله بالذُّلِّ فيها ، ومن تعامىٰ عن نقائص نفسه طغىٰ وبغىٰ ، ومن تزيَّنَ بباطلٍ فهو مغرور) .

وكان يقول : (أنفعُ العلومُ : العلمُ بأحكام العبودية ، وأرفعُ العلوم : علمُ التوحيد) .

وكان يقول : (لا يضرُّ مع التواضع بطالةٌ إذا قام بالواجبات والسنن ، ولا ينفع مع الكِبر عملٌ مبرورٌ ، ولا علم ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠]) .

وكان يقول : (من قامَ بالله ثبتَ ، ومن قام بنفسه سقطَ) .

سكن رضي الله عنه طفسونج ؛ بلدة بأرض العراق ، وبها مات ، وقبره بها ظاهرٌ يُزار ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٢٦٩) الشيخ بقاء بن بطُّو رضي الله عنه[٢]

هو من أعيان مشايخ العراق ، وأكابر الصديقين .

وكان سيدي عبدُ القادر يُثني عليه كثيراً ، ويقول : (كلُّ المشايخ أُعطوا بالكيل إلا الشيخ بقاء بنَ بطو فإنه أُعطي جُزافاً) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٠٧) (٢٦٨) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٠٩) (٢٦٩) .

وانتهت إليه الرئاسة فيما وراء نهر الملك وما يليه .

وتلمذ له خلائقُ لا يُحصون من العلماء والصلحاء ، وقصدوه بالزيارة والنذور .

وكان يقول : (الفقرُ : هو تجرُّدُ القلب من علائق الدنيا والآخرة ثقةً بالله عز وجل ، وعلامةُ صحة تجرُّدِهِ : ألا يتغيرَ عليه الحالُ بوجود الأسباب أو فقدها ، ولا يشهد له مع ذلك صفة فقر) .

وكان يقول : (من أنصفَ الناس من نفسه ، وقَبِلَ النصيحة ممن هو دونه . . أدركَ شرفَ المنازل) .

وكان يقول : (من لم يجدْ له من قلبه زاجراً فهو من إخوان الشياطين ، وقلبُهُ خراب) .

وكان يقول : (من لم يستعن بالله علىٰ نفسه صرعته) .

وكان يقول : (من لم يقم بآداب البدايات ، فكيف يقومُ بآداب النهايات ؟!)

وبات عنده ثلاثةٌ من الفقهاء ، فصلُّوا خلفه العشاء ، فلم يقرأ كما يُريدُ الفقهاء ، فساءَ ظنُّهم به ، وناموا عنده في الزاوية ، فأجنبوا ثلاثتُهم ، وخرجوا علىٰ نهرٍ علىٰ باب الزاوية ، فنزلوا فيه يغتسلون ، فجاء أسدٌ عظيمٌ الخلقة ، وبركَ علىٰ ثيابهم ، وكانتْ ليلةً شديدة البرد ، فأيقنوا بالهلاك ، فخرج الشيخُ من الزاوية ، فجاء الأسدُ وتمرَّغَ علىٰ رجليه ، فاستغفروا الله في حقِّ الشيخ وتابوا .

سكن باب نوس ؛ قرية من قرىٰ نهر الملك ، **وبها مات سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة** ، وقبره بها ظاهرٌ يُزار .

ومنهم :

(٢٧٠) أبو سعيد القِيلُوي رضي الله عنه[١]

هو من أكابر العارفين ، والأئمة المحققين ، وكان يُفتي ببلده وما حولها .

وكان يتكلم بقِيلُوية في علوم الشرائع والحقائق علىٰ كرسيٍّ عال .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥١١) (٢٧٠) .

وكان يقول : (من شرط الفقير : ألا يملكَ شيئاً ، ولا يَملكُهُ شيءٌ ، وأن يصفو قلبُهُ من كلِّ دنسٍ ، ويكونَ سليمَ الصدر لكلِّ مسلم ، ولا يكونَ عنده شحُّ نفسٍ لشيءٍ من الدنيا) .

وكان يقول : (**التصوُّفُ** : هو عدم الميل إلىٰ غير الحقِّ إلا بإذن الحقِّ ، قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٧]) .

وكان يقول : (**التوحيدُ** : غضُّ الطرف عن الأكوان بمشاهدة الحقِّ تعالىٰ) .

وكان يقول : (العارفُ وحدانيُّ الذات ، لا يقبلُ أحداً ، ولا يقبله أحدٌ) .

وكان الخضر عليه السلام يأتيه كثيراً .

سكن رضي الله عنه قِيلُويَة من قرىٰ نهر الملك ، قريبة من بغداد ، **وبها مات قريباً من سنة سبعٍ وخمسين وخمس مئة** ، وقبره بها ظاهر يُزار .

وكان يلبس لباسَ العلماء ، ويتطيلسُ ، ويركب البغلة .

ودعي مرَّةً إلىٰ طعامٍ هو وأصحابه ، فمنعهم من أكله ، وأكله كله وحده ، وقال : إنما منعتكم من أكله ؛ لأنه كان حراماً ، ثم إنه تنفَّس ، فخرج من أنفه دخانٌ عظيم كالعمود ، وتصاعد في الجوِّ ، والناسُ ينظرون إليه ، ثم خرجَ من فمه عمودُ نارٍ ، وتصاعدَ في الجوِّ حتىٰ غاب عن أبصار الحاضرين ، ثم قال : هـٰذا الذي رأيتموه هو الطعامُ الذي أكلته عنكم ، وصرفته عني ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧١) الشيخ مطر الباذرائي رضي الله عنه[1]

هو من أجلاء مشايخ العراق ، وسادات العارفين ، أجمعَ العلماءُ علىٰ جلالته .

وكان شيخُه تاجُ العارفين أبو الوفا يقول : (الشيخ مطر وارثُ حالي ومالي) .

وكان الغالبُ عليه حالةَ السكر .

---

(١) في غير (ج ، ي) : (البادرائي) بالدال بالمهملة ، والمثبت من (ج ، ي) ومصادر ترجمته ، وتقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥١٢) (٢٧١) .

وكان رضي الله عنه يقول : (لذَّةُ النفوس في مناجاة القدُّوس ، ولذَّةُ الأرواح الشربُ بكأس المحبة من أيدي عرائس الفتح اللدني في خلوةِ الوصل علىٰ بساط المشاهدة ، ولذَّةُ الأسرار مطالعةُ نسيم الحياة الدائمة ، والوصولُ إلىٰ حقائق الغيوب بضمائر القلوب ، ولذَّةُ القبول ملاحظةُ أسرار الملكوت الخفية عن الأبصار) .

وله كلام عالٍ في الطريق ذكرنا جملةً منه في « الطبقات الكبرىٰ » .

وكان رضي الله عنه من الأكراد ، وسكن باذراء ؛ قرية من أعمال النجف بأرض العراق ، وبها مات ، وقبره بها ظاهرٌ يُزار ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧٢) أبو محمد الشيخُ ماجد الكردي رضي الله عنه[١]

هو من أعيان المشايخ العارفين ، والصدور المقربين ، انعقد عليه إجماعُ المشايخ بالإجلال والتعظيم .

وكان يقول : (قلوبُ المشتاقين منوَّرةٌ بنور الله تعالىٰ ، فإذا تحرَّك فيها الاشتياقُ أضاءَ نورُهُ ما بين السماء والأرض ، فيباهي اللهُ تعالىٰ به الملائكة) .

وكان يقول : (من لم يكنْ عنده أنسٌ بربِّه فليس هو بمحبٍّ لربه) .

وكان يقول : (الشوقُ : نارُ الله الموقدة ، لا تهدأُ إلا بلقاء الله ، والنظرِ إليه) .

وكان يقول : (كفىٰ بالمرء علماً أن يخشى الله عز وجل ، وكفىٰ به جهلاً أن يُعجبَ بنفسه) .

وكان يقول : (العُجْب فضلةُ حمقٍ ، يريدُ صاحبُه أن يُغطِّي به عيوب نفسه ، فلا تتغطَّىٰ) .

وكان يقول : (ما أوجدَ اللهُ تعالىٰ عجيبةً إلا وأصلُها في صورة الآدمي ، فهو نسخة العالم المختصرة)[٢] .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥١٤) (٢٧٢) .

(٢) في « روض الرياحين » (٢/ ٧١) و« الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥١٥) : (ما خلق الله سبحانه=

وجاءه مرةً فقيرٌ يُريدُ الحجَّ علىٰ قدم التجريد ، فأخرج له الشيخُ ماجد ركوةً ، وقال : إنك تجدُ ماءً فيها إنْ أردتَ الوضوء ، ولبناً إن عطشتَ ، وسَوِيْقاً إن جعتَ ، فلم يزلِ الرجلُ يُخرجُ من تلك الركوة ما يريد حتىٰ رجعَ إلىٰ بلاده بالعراق .

سكن رضي الله عنه جبل حمرين من أرض العراق[1] ، واستوطنه ، **إلىٰ أن مات به سنة إحدىٰ وستين وخمس مئة** ، وقبره ظاهرٌ يزار .

ومنهم :

(٢٧٣) الشيخ جاكير رضي الله عنه[2]

هو من أكابرِ المشايخ ، وأعيان العارفين .

وكان الشيخ تاج العارفين أبو الوفا يُثني عليه كثيراً ، وبعثَ إليه طاقيةً مع الشيخ عليٍّ الهيتي ، وأمرَهُ بأن يضعها علىٰ رأسه نيابةً عنه ، ولم يكلِّفْهُ الحضور إليه ، وقال : سألتُ اللهَ أن يكونَ جاكيرُ مُريدي ، فوهبه لي .

وكانت مشايخ العراق تقول : ما رأينا فقيراً انسلخَ من نفسه كما تنسلخُ الحيةُ من جلدها إلا جاكير) .

وكان يقول : (ما أخذتُ العهد علىٰ مريدي إلا بعد أن رأيتُ اسمَهُ مكتوباً في اللوح المحفوظ أنه من أولادي) .

وكان رضي الله عنه يقول : (من شاهد الحقَّ تعالىٰ بقلبه سقطَ الكونُ من شهوده) .

وكان رضي الله عنه يُنفق من الغيب .

= وتعالىٰ من عجيبةٍ إلا ونقشها في صورة الآدمي ، ولا أوجد أمراً غريباً إلا وسلكه فيها ، ولا أبرز سراً إلا وجعل فيها مفتاح علمه ، فهو نسخة مختصرة من العالم) .

(١) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٦١) ، و« قلائد الجواهر » (ص ١٠٧) ، (من أهل قُوسَان ؛ قصبة من أعمال العراق ، وبها توفي) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٥١٦) (٢٧٣) .

وله كلامٌ عال في الحقائق ، ذكرنا بعضَه في « الطبقات الكبرىٰ » .

سكن رضي الله عنه صحراء العراق بالقرب من قنطرة الرصاص علىٰ مسيرة يومٍ من سامراء ، واستوطنها إلىٰ أن مات بها ، وعَمَّر الناسُ عند قبره قريةً يطلبون التبرك بالقرب منه ، وكان من الأكراد .

ومنهم :

(٢٧٤) الشيخ أبو محمد القاسم بن عبدٍ البصري رضي الله عنه[١]

كان من أعيان مشايخ العراق وأجلاء المقربين .

كان يُفتي علىٰ مذهب الإمام مالك ، وله الكراماتُ والخوارق .

وكان يتكلمُ في الشريعة والحقيقة علىٰ كرسيٍّ عال .

وكان يقول : (الوجد جحودٌ ما لم تكن عن شهود ، وشاهدُ الحقِّ ينفي شاهد الوجود ، ويمنعُ النوم) .

وكان يقول : (أرواحُ الواجدين عطرةٌ لطيفة ، وكلامهم يحيي مواتَ القلوب ، ويزيدُ في العقول) .

وكان يقول : (كلُّ وجدٍ لا يسقطُ التمييز ، ويجعل الأماكنَ كلها واحداً ، والأعيان عيناً . . فليس بوجدٍ ، إنما هو تلاعبٌ) .

وكان يقول : (الصحو إنما يكونُ بالحقِّ ، فإذا كان بغير الحقِّ فهو حيرة)[٢] .

وكان يقول : (المواجيدُ : ثمراتُ الأوراد ، ونتائج المنازلات) .

---

(١) في (هـ ، و ، ح ، ي) : (أبو محمد القاسم بن عبد الله البصري) ، والمثبت موافق لمصادر ترجمته ، وتقدمت مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥١٧) (٢٧٤) .

(٢) في « بهجة الأسرار » (ص ٣٧٠) : (فالصحوة إنما هو بالحق ، وكلُّ ما كان في غير الحقِّ لم يَخلُ من حيرة ، لا حيرة في شبهة ، بل حيرةٌ في مشاهدة نور العزة ، وكلُّ ما كان بالحق لم تعتور عليه علته) .

وله كلامٌ عال في الطريق ، ذكرنا بعضَهُ في « الطبقات الكبرىٰ » .

وكان رضي الله عنه إذا خرجَ من خلوته لا يمرُّ علىٰ شجرةٍ يابسة إلا أورقت في الوقت ، ولا بذي عاهةٍ إلا عُوفي لوقته .

سكن رضي الله عنه بالبصرة ، **وبها مات قُبيل سنة ثمانين وخمس مئة** ، وقبره بها ظاهرٌ يُزار .

ولما صلى الناسُ علىٰ جنازته سمعوا في الجوِّ أصواتَ طبولٍ تُضرب ، وكانوا كلما رفعوا أيديهم في تكبيرات الصلوات سمعوها .

ومنهم :

(٢٧٥) الشيخ عثمان بن مرزوق القرشي رضي الله عنه[1]

هو من أكابرِ مشايخ مصر المشهورين ، وصدور العارفين .

انتهتْ إليه الرئاسةُ في الطريق ، وأجمع العلماءُ علىٰ جلالته وكراماته .

وكان يُفتي بمصر علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وناظروه ، فقطعهم بالحُجَج .

وكان يقول : (لا سبيلَ لأحدٍ إلىٰ معرفة كُنْهِ ذات الحقِّ تعالىٰ ، وإنما يصلُ الناسُ في معرفته إلى الفكر والاعتبار بآياته ومصنوعاته) .

وكان يقول : (لو تناهتِ الحِكَمُ الإلـٰهيةُ في حدِّ العقول ، أو انحصرت القدرةُ الربانية في درك العلوم . . لكان ذلك تقصيراً في الحكمة ، ونقصاً في القدرة) .

وكان يقول : (جميعُ المخلوقات من الذَّرَّةِ إلى العرش العظيم طرقٌ مُتَّصلةٌ إلىٰ معرفته ، وحججٌ بالغةٌ علىٰ أزليته ، والكونُ كلُّه ألسنٌ ناطقة بوحدانيته) .

وكان يقول : (من عرفَ نفسَه لم يغترَّ بثناء الناس عليه ؛ لكونه يعرفُ أنها مأوىٰ كلِّ شرٍّ) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥١٩) (٢٧٥) .

وكان يقول : (من لم يقدرْ علىٰ صحبة مولاه لقلَّةِ صبره عليه ، ابتُلي بصحبة العبيد) .

وكان يقول : (من تحقَّق بالرِّضا تلذَّذَ بالبلا) .

وكان يقول : (من حِلية العارف الخشيةُ والهيبة) .

وكان يقول : (دليلُ تخليطك صحبتُك للمخلِّطين ، ودليل بطالتك ركونك للبطَّالين ، ودليل وحشتك أنسُك بالمستوحشين) .

وكان يقول : (من غلب عليه حالُهُ فلا يحضرْ مجلسنا في السماع) .

وكان له كلامٌ عالٍ في الحقائق ذكرنا جملةً منه في « الطبقات الكبرىٰ » .

وطلب منه أصحابُهُ مرةً أن يحدِّثَهم بشيءٍ من الحقائق ، فقال لهم : كم أصحابي اليوم ؟ قالوا : ست مئة مُريد ، فقال : استخلصوا لي منهم مئةً ، ثم استخلصوا لي من المئة عشرين ، ثم استخلصوا لي من العشرين أربعةً ، ففعلوا ، وكان الأربعة : ابن القسطلاني ، وأبو طاهر ، وابن الصابوني ، وأبو عبد الله القُرطبي ، فقال الشيخ : لو تكلَّمتُ بكلمةٍ من الحقائق لكانَ أولُ من يفتي بقتلي هـٰؤلاء الأربعة .

وكان رضي الله عنه كثيراً ما يخرجُ في الليل من مصر إلىٰ مكة ، فيطوف ويشرب من ماء زمزم ، ويتركَّع تحت الميزاب ، ثم يخرج إلى المدينة المشرَّفة ، فيزور النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويُصلِّي في الروضة ما شاء الله ، ثم يخرجُ إلىٰ بيت المقدس ، فيصلي فيه إلىٰ قرب السحر ، ثم يرجع إلىٰ مصر ، فيُصلِّي بها الصبح .

قال خادمه : وكنا إذا مشينا معه لا نحسُّ بتعبٍ .

وكان يتكلَّمُ بسائر اللغات .

توفي رضي الله عنه بمصر سنة أربعٍ وستين وخمس مئة ، وقد جاوز السبعين سنة ، ودفن بالقَرافة فيما بين الإمامِ الشافعي والجبل ، وقبرهُ هناك ظاهرٌ يُزار ، رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٢٧٦) الشيخ سويد السِّنجاري رضي الله عنه[١]

هو من أعيان مشايخ بلاد المشرق .

انتهت إليه الرئاسةُ في الكلام على الشريعة والحقيقة بسِنجار وما يليها ، وقصدوه بالزيارة من سائر الأقطار .

وله كلامٌ عالٍ في الطريق أودعنا منه جملةً في « الطبقات الكبرىٰ » .

وكان يقول : (**العلومُ ثلاثةٌ** : علمٌ من الله ؛ وهو العلم بالأمر والنهي ، والأحكام والحدود ، وعلمٌ مع الله ؛ وهو علمُ الخوف والرجاء والمحبة والشوق ، وعلمٌ بالله ، وهو العلم بنعوته وصفاته ، وكلُّ باطنٍ لا يقيمه ظاهرٌ فهو باطل)[٢] .

وكان يقول : (من وقع في أولياء الله ابتلاه الله تعالىٰ بانعقاد لسانه عند النُّطق بالشهادتين عند الموت) .

ووقعَ ذلك لشخصٍ في حياته كان حاضراً كلامَهُ ، فأنكر عليه ، فحضر الشيخُ وعفا عنه ، فانطلق لسانُهُ .

ورأىٰ مرةً رجلاً يحدِّقُ بصرَه إلى امرأةٍ ، فنهاه ، فلم ينته ، فقال : اللهم ؛ أعمِ بصرَهُ ، فعمي في الوقت ، ثم جاءه الرجلُ بعد سبعةِ أيام ، واستغفرَ وتاب ، فقال : اللهم ، إن كان صادقاً في توبته ؛ فردَّ عليه بصرَهُ ، وأعمِهِ عن رؤية ما لا يحلُّ له ، فأبصرَ في الحال ، قالوا : وكان الرجلُ بعد ذلك إذا أراد أن ينظرَ إلىٰ محرَّمٍ عليه لا يُبصر شيئاً .

وجاءه مرَّةً أعمىٰ ، فقال : يا سيدي ، أنا ذو عيال ، وقد عجزتُ عن الكسب ، فقال : اللهم ؛ ردَّ عليه بصرَهُ ، فردَّ الله عليه بصره ، ومكث عشرين سنة بصيراً بعد ذلك حتىٰ مات .

سكن رضي الله عنه سنجار ، واستوطنها إلىٰ أن مات بها ، وقبره بها ظاهر يزار .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٢٣) (٢٧٤) .

(٢) في (ب ، ج ، د ، ك) : (يشمه) بدل (يقيمه) .

ومنهم :

(٢٧٧) الشيخ حياة بن قيس الحرَّاني رضي الله عنه[١]

هو من أجلاء المشايخ ، وأكابر العارفين ، وأعيان المحقِّقين .

وهو أحدُ الأربعة الذين يتصرَّفون في قبورهم بأرضِ العراق .

وكان أهلُ حرَّان يَستسقون به ، فيُسقون) .

وكان يقول : (من أطفأَ نورُ معرفته نورَ ورعه فقد خرجَ عن الطريق) .

وكان يقول : (من أحبَّ أن يرىٰ خوفَ الله تعالىٰ في قلبه ، ويُكاشفَ بأحوال الصديقين فلا يأكلُ إلا حلالاً ، ولا يعملُ إلا في سُنَّةٍ أو فريضة ، وما حُرم من الوصول ، وحُجب عن الملكوت أحدٌ إلا بسوء الطعمة ، وأذى الخلق) .

وكان يقول : (من أرادَ رقَّةَ القلبِ فليحضرْ مجالسَ الذكر ، ومن أراد نورَ القلب فليدمْ على الجدِّ) .

وكان يقول : (لا يكملُ فقيرٌ إلا بملازمته السنة والفريضة ؛ فالسُّنَّةُ تركُ الدنيا ، والفريضةُ صحبةُ الحقِّ جل وعلا) .

وكان يقول : (اجعلِ الزهدَ عبادتك ، واحذرْ أن تجعلَهُ حرفتك) .

سكن رضي الله عنه حرَّان ، واستوطنها إلىٰ أن مات بها **سنة إحدىٰ وثمانين وخمس مئة** ، ودفن بظاهرها ، وقبرهُ بها ظاهرٌ يُزار .

ومنهم :

(٢٧٨) الشيخ رسلان الدمشقي رضي الله عنه[٢]

هو من أكابر مشايخ الشام ، وأعيان العارفين ، وأكابر المتصرفين ، وأجمع العلماءُ علىٰ جلالته .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٥٢٦) (٢٧٧) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٥٢٧) (٢٧٨) .

وكان يقول : (لا تأكلُ النارُ لحماً دخل زاويتي) .

ووقع أن رجلاً أدركته الصلاة ، ومعه لحمٌ نيء ، فدخل به الزاويةَ ، ثم أوقد عليه النار إلىٰ أن عجز وهو لم ينضجْ ، وظهر بذلك صدقُ مقالة الشيخ) .

وكان يقول : (العارفُ قلبُهُ لوحٌ منقوش بأسرار الموجودات ، فهو يُدرك حقائقَ تلك السطور ، ولا تتحرَّكُ ذرَّةٌ حتىٰ يُعلِمَه الله تعالىٰ بها) .

وكان يقول : (الحدَّةُ : مأوىٰ كلِّ شرٍّ ، والغضبُ يُحوجك إلىٰ ذُلِّ الاعتذار) .

وكان يقول : (**مكارمُ الأخلاق** : العفو عند القدرة ، والتواضعُ عند الرفعة ، والعطاءُ بغير منَّة) .

وكان يقول : (الكريمُ : من احتمل الأذىٰ ، ولم يَشْكُ لأحدٍ عند البلوىٰ) .

وكان يقول : (**سببُ الغضب** : هجومُ ما تكرهه النفس عليها ممن هو دونها[١] ، فتحدث السطوة والانتقام) .

قال شيخ الإمام تقي الدين السبكي رضي الله عنه : (وحضرتُ مرَّةً سماعاً فيه الشيخُ رسلان ، فأنشد القوَّالُ شيئاً ، فكان الشيخُ رسلان يثبُ في الهواء ، ويدورُ فيه دوراتٍ ، ثم ينزل إلى الأرض يسيراً يسيراً ، فعل ذلك مراراً ونحن نشاهدُهُ ، فلما استقرَّ على الأرض أسندَ ظهره إلىٰ شجرة تين كانتْ يبستْ ، ووقعَ ورقُها ، ولها سنين لم تحملْ شيئاً ، فأورقتْ وأثمرتْ في تلك السنة)[٢] .

---

(١) في النسخ : (فوقها) بدل (دونها) ، والخبر في « بهجة الأسرار » (ص ٣٩٩) : (سبب الغضب : هجوم ما تكرهه النفس عليها ممن هو دونها ، وسبب الحزن : هجوم ما تكرهه النفس ممن هو فوقها) .

(٢) توفي الشيخ رسلان الدمشقي كما في « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣٨٠) سنة (٥٥٠هـ) ، وتوفي الشيخ تقي الدين السبكي كما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٠/٣١٦) سنة (٧٥٦هـ) ، وذكر القصة اليافعي في « خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر » دون التعرض لذكر التقي السبكي ، فلعل هناك وهماً ، والله أعلم .

سكن رضي الله عنه دمشق ، واستوطنها إلىٰ أن ماتَ ، ودفن بظاهر دمشق ، وقبره بها ظاهرٌ يُزار[١] .

ولما أن حُمل نعشه علىٰ أعناق الرجال ، جاءتْ طيورٌ خضر ، فعكفت علىٰ نعشه حتىٰ دفنوه ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٧٩) الشيخ أبو محمد عبد الرحيم المغربي القِناوي رضي الله عنه[٢]

هو من أجلاء مشايخ مصر المشهورين ، صاحبُ الكرامات والخوارق .

وكان إذا سمعَ المؤذِّنَ يتشهَّدُ يقول : شهدنا بما شهدنا ، وويلٌ لمن كَذَبَ على الله .

وكان يقول : (أدركتُ جميعَ صفات الله تعالىٰ إلا صفة السمع) .

وكان يقول : (جميع المتكلِّمين يُدندنون حولَ الحقِّ ، ولا يصلون إليه أبداً) .

وله كلامٌ عالٍ في الحقائق ذكرنا جملةً منه في « الطبقات الكبرىٰ » .

ونزل مرةً شَبَحٌ في مجلسه من الجو ، لا يدري الحاضرون ما هو ، فأطرقَ الشيخ عبدُ الرحيم ساعةً ، ثم ارتفعَ الشبحُ إلى السماء ، فسألوه عنه ، فقال : هـٰذا هو ملكٌ وقعتْ منه هفوةٌ بالنظر لمقامه ، فسقطَ يستشفع بنا ، فقبل اللهُ شفاعَتَنا فيه ، فارتفع .

وكان إذا شاوره إنسانٌ علىٰ شيءٍ يقول له : تمهَّلْ حتىٰ أستأذنَ لك فيه جبريل عليه السلام ، فيمكث ساعة وهو مطرقٌ ، ثم يقول : افعل أو لا تفعل .

قال بعضُهم : والمراد بجبريل هـٰذا ليس جبريل الذي يأتي الأنبياء ، إنما هو مَلَكٌ اسمُه جبريل على اسم جبريل الأعظم .

---

(١) قبره إلى الشرق من باب توما (٣٠٠ متر) ، اختاره مكان خيمة خالد بن الوليد لما فتح دمشق ، وبُني عليه مسجد .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٣٤) (٢٨٠) .

وكان رضي الله عنه إذا قال لعاميٍّ أو صغير : يا فلان ؛ تكلَّمْ لنا في معاني هٰذه الآية . . يتكلَّمُ فيها بكلامٍ ما طرقَ الأسماعَ مثلُهُ حتىٰ لو كان هناك ألفُ محبرةٍ تكتبُ لعجزتْ ، ثم إذا قال له : اسكت يا فلان ، لا يجدُ عنده كلمةً واحدة مما كان يقوله .

ولما مات قال بعض العارفين : لو مكَّنوني من عدم دفنه في الأرض لم أدفنْهُ ؛ بل أتركُهُ علىٰ وجه الأرض ؛ فكلُّ مَنْ نظرَ إليه نطقَ بالحكمة .

توفي رضي الله عنه بقِنا من صعيد مصر الأعلىٰ ، وقبرُه بها مشهور يزار .

وأخبرني شيخُنا الشيخُ محمد الشناويُّ رضي الله عنه قال : مرَّ كلبٌ علىٰ سيدي عبد الرحيم ، فقام له ، فقالوا له في ذلك ، فقال : إنما قمتُ إجلالاً لأثرِ الفقير الذي برقبته ، فرأوا فوجدوا في عنقه شرموطاً من جُبَّةِ فقيرٍ من صوف .

وقال له مرَّةً رجلٌ : أوصني ، فقال : (كن كتيس الغنم مع الغنم ، ساكتٍ على الدوام مع عدم غفلته عن مصالح رعيَّته) ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨٠) الشيخ أبو الحجَّاج الأَقْصُري رضي الله عنه[١]

كان من الأئمة الراسخين في طريق الولايةِ ، وأجمع الخلائقُ علىٰ إجلاله وإكرامه وتبجيله ، وكان متجرِّداً على الدوام .

وهو تلميذُ الشيخ عبد الرزاق المدفون بإسكندرية ، وهو تلميذُ الشيخ أبي مَدْين التِّلمساني .

وله كلامٌ عالٍ في الطريق ، وزاويته وقبرُهُ بناحية الأقصرين من صعيد مصر الأعلىٰ . ومناقبه في الصعيد كثيرةٌ مشهورة .

وأنكر عليه مرةً أميرٌ ، فقال : تُنكرُ عليَّ وأنت رقاصٌ مغان ؟! فما ماتَ ذلك الأميرُ حتىٰ عُزلَ ، وصار رقاصاً كما قال الشيخ إلىٰ أن مات .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٣٩) (٢٨٢) .

وكان يقول : (كلُّ من رأيتموه يطلبُ الطريقَ فدلُّوه علينا ، فإن كان صادقاً أوصلناه إلىٰ مقصوده ، وإن كان كاذباً طردناه لئلا يتلفَ المريدين) .

وبلغه أنَّ مريداً يُريد أن يقتلَ شيخَهُ ليرثَ مقامه ، فأرسل إليه ، وقال : يا ولدي ؛ إن قتلتَ شيخَك غضبَ اللهُ عليك ، فكيف يُعطيك مقامه ؟! فاستغفرَ الفقيرُ ، وتاب إلى الله عز وجل .

وكان خادمُهُ أبو زكريا يقول : (دخلتُ على الشيخ أبي الحجاج مرةً ، فرأيت له عينين فوق الحاجبين) .

وكان الشيخ أبو الحجاج يقول : (كنتُ في بداية أمري إذا رأيتُ مقامي يعلو مقامَ أحدٍ من إخواني أقول : اللهم ؛ أعلِ مقامَهُ فوق مقامي ، كذلك درج الإخوان الصادقون ، لا حسدَ بينهم ولا حقدَ) .

وكان يقول : كنتُ أذكر في بدايتي (لا إلـٰه إلا الله) لا أغفُلُ عنها ، فقالتْ لي نفسي مرةً : مَنْ ربُّك ؟ فقلت لها : ربي الله ، فقالتْ لي : لا ، ليس لك ربٌّ إلا أنا ؛ وذلك أني أقولُ لك : أَطعمني واسقني ، فتفعلُ ، ثم أقول لك : قم تقوم ، أو امش تمشي ، فأنت تمتثلُ أوامري كلَّها ، فإذاً أنا ربُّك ، وأنت عبدي ، فبقيتُ متحيِّراً ، فظهر لي عينٌ من الشريعة وقالت لي : جادلها بكتابِ الله عز وجل ، فأفحمتُها .

وقيل له مرةً : من شيخُك في البداية ؟ فقال : أبو جِعْران[1] ، فقالوا : كيف ؟! قال : كنتُ ليلةً من ليالي الشتاء سهرانَ ، وإذا بأبي جعران يصعَدُ منارةَ السراج ، فيزلقُ ، ويرجعُ ؛ لكونها ملساء ، فعددْتُ عليه في تلك الليلة سبع مئة مرة ، وهو يقعُ ولا يرجع ، فقلت في نفسي سبع مئة مرة وهو يقع ولا يرجع ، ثم خرجتُ إلىٰ صلاة الصبح ورجعت ؛ فإذا هو جالسٌ عند الفتيلة ، فأخذتُ من ذلك ما أخذتُ .

وكان يقول : (لا يقدحُ عدمُ الاجتماع بالشيخ في صحة الاقتداء به ؛ فإننا نحبُّ اللهَ ورسولَهُ والصحابة والتابعين وغيرَهم ونقتدي بهم ، وما رأيناهم ؛ وذلك لأن صورةَ

---

(١) **أبو جَعْران** : كنية الجُعل ؛ وهي دويبة سوداء صغيرة تألف المواضع الندية ، وهي من الخنافس . « معجم متن اللغة » (ج ع ل) .

المعتقدات إذا ظهرت لا يحتاجُ معها إلىٰ صورةِ الأشخاص ، بخلاف صورة الأشخاص إذا ظهرت تحتاج إلىٰ صورة المعتقدات ، فإذا حصلَ الجمعُ بين المعنيين فهو الكمالُ) .

وكان الشيخُ يعيشُ بنُ محمود أحدُ أصحاب الشيخ أبي الحجاج يقول : جئتُ أنا واثنان من إخواني إلىٰ زيارة الشيخ بعد الصُّبح ، فوقفنا بالباب متأدِّبين ؛ وإذا بالخادمِ قد خرج ، فقال : يدخلُ يعيش ورفيقُهُ فلان ، ويذهب الثالثُ يستحمُّ ؛ فإنه جنبٌ ، قال : فدخلنا ، وقد هُدَّتْ أركانُنا من هيبته ، فدخلنا ، فوجدنا الشيخَ مُتَّكئاً ، فقال : يستغفرُ صاحبُكم ثم يدخل ، ففعلَ ، ودخلتُ ، فأنشدتُ الشيخَ في لسانِ الحال أبياتاً ، فتواجدَ وقام كأنه لم يعرفنا قطُّ ، وهي :

قد بلى القادوسُ بِهَمٍّ طويل ... مُمتلي الرأس ودمعُه يَسيل
وقد ربطَ بالطونس وبالسحيل ... وجميعُه بالحبال موثق
وألفُ كرَّةٍ في النَّهارِ يغرق ... ما تراه نازلْ علىٰ قمته
وحبيل ناشوش في رقبته ... قد عجزَ وتناقصَتْ همته
له رفيقٌ بقليلٍ يسبقه ... له سنين يَجري وما يلحقه

فأخذ العهد على الشاب بالتوبة ، وطمَّعَه في عفو الله عنه إن تاب ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨١) تلميذُه الشيخُ كمال الدين بنُ عبد الظاهر بإخْمِيم رضي الله عنه(١)

صحب الشيخَ أبا الحجَّاج وهو بقُوص .

وتجرَّدَ في بدايته عن الثياب والزرع وغيره ، ثم رجعَ إلىٰ لبس الثياب والمزارعات .

وصحب الشيخ إبراهيم الجَعْبَري المدفون بباب النصر من القاهرة المحروسة ، ثم

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٤٢) (٢٨٣) .

رجعَ إلىٰ إخْمِيم ، وبها مات علىٰ حالةٍ شريفة .

وكان يسمعُ وعظ الشيخ إبراهيم من مصر وهو في إخْمِيم إلىٰ أن يفرغَ من وعظه كأنه جالسٌ عنده .

وله كراماتٌ كثيرة مشهورة ببلاده رضي الله عنه ؛ منها : أنه لما جاور بمكة رأى الحَجَرَ الأسود وقد خرجَ من مكانه ، وصار له يدان ورجلان ووجه ، فمشىٰ ساعةً ، ثم رجع إلىٰ مكانه ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٨٢) الشيخ قطبُ الدين ابن القسطلاني رضي الله عنه[١]

كان مُقيماً بالقاهرة يُدرِّسُ في علمي الظاهر والباطن ، ويدعو الناسَ إلى الله تعالىٰ ، ويُلبسُهم الخرقةَ من طريق السُّهْروردي رضي الله عنه .

ومكث نحو ثلاثين سنة لا يضعُ جنبَهُ الأرضَ .

ولم يأكل من مالِ أحدٍ من الولاة حتىٰ مات .

ومنهم :

(٢٨٣) الشيخ أحمد الملثَّمُ رضي الله عنه[٢]

هو من أجلاء مشايخ مصر ، قصده الناسُ بالزيارة من سائر الأقطار ، وتأدَّبَ علماءُ مصر بين يديه .

وكان من أولاد ملوكَ المشرق ، وله مكاشفاتٌ غريبة في مستقبلِ الزمان .

وكان يُكاشف الناسَ بما في ضمائرهم ، ويقول : (ما أتكلَّمُ إلا بإذنٍ من ربِّي عز وجل) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٤٣) (٢٨٤) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٣٧) (٢٨١) .

وكان إذا لم يجدْ شيئاً يُعطيه للفقراء يقفُ يتمنَّىٰ في الأسواق ، فإذا أعطوه شيئاً تصدَّقَ به على المحاويج .

وكان الناس مُختلفين في عمره ؛ فمنهم من يقول : هـٰذا من قوم يُونس ، ومنهم من يقول : إنه رأى الإمامَ الشافعي بمصر .

قال الشيخ عبدُ الغفار القوصي : وسألته مرة عن عمره ، فقال : عمري الآن أربع مئة سنة .

وكان يدخل علىٰ حريمِ الناس ، فلا يمتنعون منه ، فأنكرَ عليه بعضُ الفقهاء ، فقال : يا فقيه ؛ اشتغلْ بنفسك ، وتطهَّرْ من زلاتك ، فإنه بقي من عمرك سبعةُ أيام ، فمات يومَ السابع كما قال الشيخ .

وكان لا ينضبطُ في ملبسه علىٰ حال .

وأنكر عليه مرةً شخصٌ من القضاة ، وكتب فيه محضراً ، وأراد يطلعُ به إلىٰ سُلطان مصر بكرةَ النهار ، فوضعه في صندوقه ، فمدَّ الشيخُ أحمد يده في الليل ، فأخذَ المحضرَ من صندوق القاضي ، ثم أرسل يقول له : الذي يقدرُ علىٰ مدِّ يده إلىٰ صندوقك يأخذُ المحضر . . أما تخشىٰ أن يمدَّ يدَه إلىٰ إيمانك فيأخذه من قلبك ؟! فتاب القاضي ، ورجعَ عن الإنكار .

تُوفِّي رضي الله عنه بمصر ، ودُفن خارجَ باب الفتوح ، عند الحمصانيين ، وقبره في زاويةٍ يُزار

وأطعموه السُّمَّ ثلاث مرات ليقتلوه ، فيعافيه الله .

وكان يقول : (لم تكنِ الأقطاب أقطاباً ، والأوتادُ أوتاداً ، والأولياء أولياء . . إلا بتعظيمهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومعرفتِهم به ، وإجلالِهم لشريعته ، وقيامِهم بآدابها) .

وكان يقول : (إذا امتلأ القلبُ بالنور دك كل حجاب بين العبد وبين ربِّهِ) .

ومنهم :

(٢٨٤) الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه[١]

تلميذُ الشيخ أبي الرَّبيع المَالَقي رضي الله عنه .

كان جليلَ المقدار .

وكان يجتمعُ كثيراً بالخَضِرِ عليه السلام ، ويبيتُ الخضرُ عنده ، وكان كثيراً ما يطبخ شوربةَ القمح ويُحبُّها ، ويقول : إن الخضر عليه السلام بات عندي ليلةً ، وطلب مني أن أطبخ له شوربة قمح ، فلم أزلْ أحبُّها من تلك الليلة لمحبَّة الخضر .

وكان يقول : (ما رأينا أحداً قطُّ أنكرَ على الفقراء ، أو أساءَ بهم الظنَّ . . إلا ومات على أسوء حالٍ ، ومن احتقرَ الفقراءَ صارَ من الأَراذل ، حتى يُنادى عليه في الأسواق بالهوان) .

وكان يقول : (من غضَّ من وليٍّ لله عز وجل ضُرِبَ في قلبه بسهمٍ مسموم ، ولم يمتْ حتى تفسدَ عقيدتُهُ) .

وكان يقول : (لا تطبخوا في بيوتكم إلا لوناً واحداً ، حتى لا يتميَّزَ أحدٌ على أحد) .

وكان الشيخ أعمى أجذم مزمن ، فطلبَ التزويجَ بجميلةٍ من البنات ، فأبينَ ، فاختارته واحدةٌ من بنات أصحابه ، وعقدوا عقدها عليه ، فعايرها النساءُ ، فابتلاهن اللهُ تعالى بالبلايا والجنون ، فلما زُفَّتْ إلى الشيخ دخل الشيخ وهو يزحف إلى الخلاء ، وخرجَ وهو شابٌ جميلٌ ، حسنُ الثياب ، طيِّبُ الرائحة ، فسترت وجهَها منه ظانَّةً أنه غيرُ الشيخ ، فقال لها : لا تستري وجهك ، أنا القرشيُّ ، فعرفته ، فقال لها : إن شئتِ أكونُ معك على هـٰذا الحال فعلتُ ، فقالت : بل أختارُ حالتَكَ الأولى ؛ طلباً لمرضاةِ الله عز وجل ، فرجع الشيخُ من تلك الصورةِ الجميلة إلى ما كان عليه من الجذام والعمى والزمانة ، ولم تزلْ تخدمُهُ إلى أن مات .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرى » (١/ ٥٤٣) (٢٨٥) .

[زوج أبي عبد الله القرشي]

وكانت تضعُ الإناءَ تحت أطرافِ أصابع يديه ورجليه ، فيجتمعُ فيه الصديدُ ، فتأخذه وتشربُهُ عِوضاً عن الماء ، فلما قُبض الشيخُ أجلسها أصحابُهُ مكانَهُ ، وأخذوا عنها الطريقَ .

ومن كلامها رحمها الله : (الزموا العبوديةَ وآدابها ، ولا تطلبوا بها الوصولَ إليه تعالىٰ ؛ فإنه إذا أرادكم له أوصلكم إليه بلا سؤال ؛ وذلك أعزُّ من الوصول بسؤال) .

وكانت تقول : أبتِ البشريةُ أن تتوجَّهَ إلى الله إلا في الشدائد ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : عطشتُ مرةً في طريق الحاجِّ ، فقلتُ لخادمي : اغرفْ لي من البحر المالح ، فغرفَ لي ماءً حلواً ، فلما ذهبتِ الضرورةُ غرفت من البحر ، فإذا هو مالح .

وكانت تقول : (لا يكونُ الابتلاء إلا لفحولِ الرجال) .

ولم تزلْ حرمتُها بين أصحاب الشيخ كحرمة الشيخ حتىٰ ماتت رضي الله تعالىٰ عنها .

ومنهم :

(٢٨٥) الشيخ محمد ابن أبي جبرة رضي الله عنه[١]

وهو بالباء الموحدة لا بالميم ، كما رأيته بخط الشيخ رضي الله عنه .

وهو غير عبد الله بن أبي جَمرة تلميذِ ابن الحاج المالكي المغربي .

كان الشيخُ محمدٌ هـٰذا مقبوضَ الظاهر ، معمورَ الباطن .

وكان الغالبُ عليه آثارَ الجلال .

وكان معظِّماً للشريعة وأهلِها كلَّ التعظيم .

وأنكروا عليه رؤيةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة ، وعقدوا له مجلساً ، فانقطعَ في بيته لا يخرجُ إلا للجمعة عشر سنين ، رضي الله عنه .

وكان يقول : (لا يفهمُ عنك إلا من أشرقَ فيه ما أشرقَ فيك) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٤٥) (٢٨٦) ، وجاء فيها : (جمرة) بدل (جبرة) .

وكان يقول : (لما كان العلماءُ والأولياء ورثةَ الرسل والأنبياء فلا بدَّ من حصول فتراتٍ بين العالم والعالم ، والولي والولي ، فإذا اندرستْ طريقةُ الداعي أتىٰ بعد أزمانٍ من يجدِّدُها ، ولما كان يحصلُ في فترات الأنبياء عبادةُ الأصنام كذلك يحصلُ في فترات العلماء والأولياء عبادةُ الأهواء ، وتبديل الأفعال بالأقوال ، وغير ذلك) .

وكان يقول : (لو قدرتُ أن أقتلَ مَنْ يقول : لا موجودَ إلا الله تعالىٰ لفعلت ، كيف يقولُ من يبولُ ويتغوَّطُ ويتألَّمُ من قرصةِ برغوث : أنا الحق ؟! هـٰذا واللهِ من أضلِ الضلال) .

وكان يقول : (لو تدبَّرَ الفقيهُ في معنىٰ ما يقرؤه لاحترقَ بأنوار القرآن ، وهامَ علىٰ وجهه ، وتركَ الطعام والشراب والنوم) .

وكان من فِراسته إذا رأى الفدانَ القصبَ مثلاً يقول : يجيءُ منه كذا وكذا قنطارٌ من العسل والسكر ، فلا يُخطئ شيئاً .

ولما زاره السلطانُ طلبَ أن يبني له زاويةً ، فأخذ بيد السلطان ، ودخل به جامعَ ابن طولون ، وقال : هـٰذا الجامع كلُّه لي ، لا أَحدَ يُنازعني في أيِّ مكانٍ جلست فيه ، فسكت السلطان .

وكان يقول : (لا ينبغي لإنسانٍ أن يطأَ زوجتَهُ إذا حملت إلا لضرورةٍ ؛ فإن البهيمةَ بمجرَّدِ ما تحمل لا تدع فحلاً يعلوها) .

وكان يقول : (إياكم والإنكارَ على الفقراء ؛ فإني رأيتُ فقيهاً أنكرَ علىٰ فقيرٍ ، فقام الفقيرُ ، وفعل بابه في التحبيظ[1] ، وأجلس الفقيه علىٰ دكان ، فجاء فيلٌ ، فلفَّهُ بزلومته ، وضربه في الأرض حتىٰ مات والناس يضحكون ، فأصبح الفقيه ، فوقع له ذلك ، لفَّه الفيل بزلومته وضربه في الأرض ، فمات ، فدفنوه آخرَ النهار ، فما لكم ولمن يَغضبُ الحقُّ لغضبه) .

وكان يقول : (لا تُنكروا علىٰ إنسانٍ ببادئ الرأي ، فربما كان له عذرٌ فيما فعل) .

قال : ومما وقع لي : أنني مررت علىٰ مارس قمحٍ ، وصبيٌّ يقرط في سنبله ،

---

(١) في « الطبقات الكبرىٰ » (١/٥٤٦) : (أنكر علىٰ فقير صنعة الخيال مع المحبظين) .

فقلت له : هٰذا حرامٌ عليك يا ولدي ، فقال الصبي : حرامٌ عليك أنت هٰذا القول ؛ فإنه واللهِ زرعي وحدي من غير شريكٍ ، فخجلتُ من كلامه بين الفقراء .

وكان يقول : (**ثلاثةٌ لا يُفلحون في الغالب** : خادمُ الشيخ ، وزوجتُهُ ، وولده)[١] ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٨٦) الشيخ عبدُ الغفَّار القُوصي رضي الله عنه[٢]

صاحب كتاب « الوحيد في علم التوحيد » .

كان رضي الله عنه جامعاً بين علمي الحقيقة والشريعة ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يبيعُ نفسَهُ في طاعة الله عز وجل .

وأكلَ يوماً مع ولده اليقطين ، فقال له : يا ولدي ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يحبُّ اليقطين ، فقال : ما هٰذا إلا قذارةٌ ، وأنا أكرهه ، فسلَّ السيفَ ، وضربَ عُنقَ ولده ، وقال : اشهدوا لي عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

ومن شعره رضي الله عنه : [من الوافر]

فـؤادٌ لا يقـرُّ لـهُ قـرارُ ... وأَجفـانٌ مَـدامِعُهـا غِـزارُ
وليـلٌ طـالَ بـالأنكـاد حتـىٰ ... ظننـتُ الليـلَ ليـسَ لـهُ نَهـارُ
ولِـمْ لا والتُّقـىٰ حُلَّـتْ عُـراهُ ... وبـانَ علـىٰ بنيـهِ الإنكسـارُ
لِيبكِ معِي على الدِّينِ البواكي ... فقـدْ أضحـتْ مـواطنَـهُ قفـارُ
وقـدْ هُـدمـتْ قـواعـدُهُ اعتـداءً ... وزالَ بـذاكُـمُ عنـهُ الـوَقـارُ
وأصبـحَ لا يُقـامُ لـهُ حـدودٌ ... وأَمسـىٰ لا يَبيـنَ لـهُ شِعـارُ
وعـادَ كمـا بـدا فينَـا غَـريبـاً ... هنـالـكَ مـا لـهُ فـي الخلـقِ جـارُ
فقـدْ نقضـوا عهـودَهـمُ جهـاراً ... وأَسـرَوا فـي العـداوةِ ثـمَّ سـارُوا

---

(١) وقد ذكر في « الطبقات الكبرىٰ » سبب عدم فلاحهم ، فراجعه هناك .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٤٧) (٢٨٧) .

إلىٰ آخر ما قال .

وكان رضي الله عنه يقول : (كلام المُنكرين علىٰ أهلِ الله عز وجل كنفخة ناموسة علىٰ جبلٍ ، فكما لا يزول الجبلُ بنفخة الناموسة كذلك لا يتزلزلُ الكامل عن دينه بكلامِ الناس فيه) .

وكان يقول : كلُّ فقير لا يكون له حالٌ يحميه فليس له التظاهرُ بالطريق ، وتأمَّلوا حالَ ذي النون المصري رضي الله عنه لما وشوا به إلى المتوكل من إخْمِيم إلىٰ بغداد ، وادَّعوا فيه أنه زنديق ، فقال له الخليفة : ما هـٰذا الكلام الذي يُقال فيك ؟! فإنهم يقولون : أنتَ علىٰ مذهبِ الحسينِ الحلاج ! فقال : لا أعرفُ ذلك إلا عند السماع ، فأَرْسِلوا خلفَ قوَّالٍ يُسمعنا شيئاً ، فأرسلوا خلفَ قوَّالٍ ، فلما أنشد بين يديه انتفخَ ذو النون حتىٰ صارَ كالفيل ، وقطرتْ منه كلُّ شعرةٍ مثل الدم ، فقال الخليفة : ما هـٰذا عن أمرٍ باطل ، ثم أكرمَهُ وردَّهُ إلىٰ مصر مُكرماً .

توفي الشيخُ عبد الغفار بمصر في سنة ثمانٍ وسبع مئة ، ودُفن بجوار ضريح الشريف الشيخ عبد العزيز المنوفي بالقَرافة الصغرىٰ ، في تربة الشِّهاب القاري[1] ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٨٧) الشيخ أبو الحسن بنُ الصباغ السكندري رضي الله عنه[2]

هو من أجلِّ أصحابِ الشيخ عبد الرحيم القِناوي .

وكان يقول لأصحابه : (ابكوا علىٰ قلوبكم المحجوبة عن شهود أسرار الله في خلقه ، واللهِ ؛ ما أرادَ اللهُ أن يُحدثَ أمراً في العالم إلا وأعلمني به قبل ظهوره في هـٰذا العالم) .

ونزل مرة كنزاً ، فوجد فيه سبعةَ أرادبَ من ذهبٍ ، فأخذ منه سبعةَ دنانير ، وقال : لم يؤذنْ لي أن آخذَ أكثرَ من ذلك .

---

(١) في (أ ، و) : (القادري) بدل (القاري) ، وفي (ط ، ك) : (القاوي) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٤٩) (٢٨٨) .

وكان يقول : (لا ينبغي للفقراء أن يدعوا الشبابَ المُردَ يجلسون في مجلسِ الرجال إلا لضرورةٍ شرعية ، أو يلتحوا) .

وكان إذا أراد شابٌّ جميلٌ أن يُقيمَ بين فقراء الزاوية يقول له : بشرطِ أن تلبسَ المرقعات الغليظة ، ولا تتزيَّنَ بملبسٍ .

وقد وقع : أن شخصاً نظر إلىٰ أمردَ عند قبر الشيخ ، فناداه الشيخُ من القبر : أما تستحي يا فلان من الله عز وجل ؟! فغُشي علىٰ ذلك الشخص .

وقد ذكرنا في « الطبقات الكبرىٰ » جملةً من أحواله ، رضي الله عنه .

مات سنة سبعٍ وثمانين وست مئة ودفن بإسكندرية .

ومنهم :

(٢٨٨) الشيخ أبو السعود بن أبي العشائر رضي الله عنه[١]

هو شيخُ الخرقة السعودية في مصر وقُراها ، وشيخ سيدي داود الأعزب ، وشيخ سيدي خضر الكردي شيخ الملك الظاهر أبي الفتوحات ، وشيخ سيدي شرف الدين الكردي ، وشيخُ الشيخ مبارك الحلاوي ، وغيرهم .

وأصله من باذبين ؛ قريةٍ بقرب واسط العراق .

كان من أجلاء المشايخ ، وكان السلطان بمصر ينزلُ إلىٰ زيارته ، ويتأدَّبُ بين يديه كآحاد الناس .

وكان الناس يسمعون عند خلعِ نعله أنيناً كأنين المريض ، فسألوه عن ذلك ، فقال : هي نفسي ، أخلعُها عند النعال ، فتئنُّ عند زوال تكبُّرها ورئاستها .

وصام في المهد ، رضي الله عنه .

ومات بالقاهرة في يوم الأحد تاسع شوال سنة أربعٍ وأربعين وست مئة ، وقبره بالقَرافة ظاهرٌ يُزار كلَّ يوم أربعاء ، وكلَّ يوم سبت .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٥٥٠) (٢٨٩) .

وله كرامات وخوارق مذكورة في « الطبقات الكبرىٰ » .

وكان يقول : (المريدُ الصادقُ كتابُهُ في قلبه) .

وكان يقول : (من كان شغله الطلبَ لطريق الله يُوشك ألا يضلَّ ، ومن كان شغلُهُ اللهَ شغلَهُ يُوشك ألا يقف) .

قال : (والطلبُ شغلُ الظاهر ، والمطلوبُ شغلُ الباطن ، ولا يستقيمُ ظاهرٌ إلا بباطن ، كما لا يسلمُ لأحدٍ باطنٌ إلا بظاهر) .

وكان يقول : (لا تأمنِ الغشَّ ممن يغشُّ نفسه) .

وكان يقول : (من رأيتَهُ يميلُ إليك لأجلِ نفعه منك فلا تركنْ إليه ؛ فإنه بئسَ الصاحب) .

وكان يقول : (من مدحَ الدنيا في مجلسك ففرَّ منه ، ومن أغفلك عن مولاك فأعرضْ عنه) .

وكان يقول : (عليك بالاشتغال بالله ، فإنْ لم تقدر علىٰ ذلك فاشتغلْ بما يقرِّبُكَ إليه ؛ ولا أرىٰ لك عذراً في تركِ ما يقرِّبُك إليه ؛ لأنَها أول الدرجات) .

وكان يقول : (صلاحُ القلب في التوحيد والإخلاص ، وفسادُهُ في الشِّرك والرياء) .

وكان يقول : (إذا لم تستقمْ في نفسك فكيف تقيم غيرك ؟!) .

وكان يقول : (أستغفر الله عددَ أنفاسي في تقصيري في كلِّ عبادةٍ تقرَّبْتُ بها إليه) .

وكان يقول : (جميعُ الأخلاق المحمودة تنشأُ من القلب ، وجميعُ الأخلاق المذمومة تنشأ من النفس) .

وكان يقول : (ما وصلَ أولياءُ الله إلىٰ ما وصلوا بالأعمال ، وإنما وصلوا بالأدب في الأعمال) .

وكان يقول : (الأصولُ التي يَبني عليها المريدُ أساسَه أربعةٌ : اشتغالُ اللسان

والقلب بالذكر ، وجبرُ القلب على مراقبة الربِّ ، ومخالفةُ النفس والهوىٰ من أجله ، وتصفيةُ اللقمة من الشُّبهات ؛ وهي القطب ، وبها تزكو الجوارح) .

وكان يقول : (المراقبةُ لله هي مفتاحُ كلِّ سعادةٍ ، وبها يطهرُ القلبُ) .

وكان يقول : (لا يستقيمُ لمريدٍ أمرُهُ في الطريق إلا بإدخال النفسِ في شيءٍ يغمُّها ويؤلمها من الطاعات ؛ وذلك حتىٰ تذلَّ وترجعَ مطيعةً لصاحبها ؛ فإن النفسَ إذا استولتْ على الإنسان أسرته وصارتِ الولايةُ لها على القلب ، فإنْ تحرَّكتْ تحرَّكَ القلبُ ، وإن سكنتْ سكنَ) .

وكان يقول : (من أعرضَ عنه الخلقُ كلُّهم فتغيَّر منه شعرةٌ فهو واقفٌ معهم ، مشركٌ بربِّه ، ومن ابتُليَ بكلِّ مرضٍ فتغيَّر منه شعرةٌ فهو واقفٌ مع نفسه في حجابٍ عن ربِّه ، ومن تغيَّر في حالِ الذلِّ ، ولم يكن كما هو في حال العزِّ فهو محبٌّ للدنيا ، بعيدٌ من حضرة ربِّه) .

وكان يقول : (كلُّ ما أشغلَ القلبَ عن ذكر الله فهو دنيء ، وكلُّ ما أوقفَ القلوبَ عن طلبه فهو دنيء ، وكلُّ ما أنزلَ الهمَّ بالقلب فهو دنيء ، والأمرُ وراء ذلك كله) .

وقد ذكرنا من كلامه جملةً صالحةً في « الطبقات الكبرىٰ » .

وهو من أوسع الأولياء دائرةً في علم السلوك ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٨٩) الشيخ محيي الدين بنُ العربي الصوفيُّ الحاتمي الطائي رضي الله عنه(١)

نسبةً إلىٰ طاية ؛ قريةٍ من قرىٰ أرضِ المغرب .

وشهرته بين العلماء تُغني عن تعريفه .

وهو من أكثر الأولياء كلاماً في الطريق .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/١٨) (٢٩٢) .

وكان أولاً يكتبُ الإنشاءَ لبعض ملوك العرب ، ثم تزهَّد وتعبَّد وساح ، ودخلَ مصر والشام والحجاز والروم ، وله في كلِّ بلدٍ دخلها مؤلفاتٌ جليلة .

وقد أفردنا له كتاباً في المناقب .

مات رضي الله عنه سنة ثمانٍ وثلاثين وست مئة .

ومنهم :

(٢٩٠) الشيخ داود بن باخلا السكندري رضي الله عنه[١]

هو سيدي الشيخُ الكامل الأميُّ المحمدي ، شيخُ الطريق في عصره ، وكان من أجل أصحاب سيدي ياقوت العرشي رضي الله عنه ، انتهت إليه تربيةُ المريدين بالنظر .

وكان مقدَّماً في بيت نائب إسكندرية ، فيجلس تجاه النائب ، وبينه وبينه لغزٌ بالإشارة ، فإن قبضَ بيده علىٰ لحيته عرفَ النائبُ أنَّ الرجل المتهوم أخذَ المال أو قتل أو غير ذلك مما مُسِكَ لأجله ، وإن أدخلَ يده تحت لحيته ، ودفعها إلىٰ ناحية النائب يعرفُ أنه بريء فيطلقه .

وله كلامٌ عال في الطريق نحو مجلدٍ ، لخَّصتُ غالبَهُ في « الطبقات الكبرىٰ » واسم الكتاب « عيون الحقائق » .

وكان يقول : (علىٰ قدر ارتقاءِ همَّتِك في نيَّتِكَ يكون ارتقاءُ درجتك في عالم سريرتك) .

وكان يقول : (إنما دخلتِ العللُ في الأعمال لوجودِ البعد والحجاب) .

وكان يقول : (كلما زادَ علمُ العبد زادَ افتقاره ، وعزَّ مطلبُه ؛ لأنه في حالِ الجهل يطلبُ العلمَ ، وفي حال علمه يطلب جلاءَ المعلوم) .

وكان يقول : (عالمُ الظاهر كلما اتَّسعَ علمه كلما اشتَهر في الوجود ، وعالمُ الباطن كلما اتَّسع علمُه كلما خفي) .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٢٠) (٢٩٣) ، وجاء فيها : (ما خلا) بدل (باخلا) .

وكان يقول : (من أَعظم المواهب بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبِهِ ورسله الإيمانُ بنورِ الولاية في الخلق ، حتىٰ في نفسه ؛ فإنه كما يجب عليه الإيمان بالولاية في غيره كذلك يجبُ عليه الإيمانُ بها في نفسه علىٰ حدٍّ سواء) .

وكان يقول : (من اشتغل بالدنيا وإقامةِ دولتها فهو في كفالةِ علماء المسلمين ، ومن ارتفعتْ همَّتُهُ بعد معرفته الشريعة إلىٰ فهم أسرارها فهو في كفالة العارفين) .

وكان يقول : (لا تكنْ همَّتُك من العبادة الأجرَ والثوابَ ، وإنما الشأن أن تكونَ همَّتُكَ القربَ من المعبود ، فإذا مَنَّ عليك بالدخول إلىٰ حضرته فهناك الأجورُ وأعلىٰ منها) .

وكان يقول : (إذا نطقَ محجوبٌ بغرائب العلوم فلا تستبعدْ ذلك عليه ؛ فإن قلم مددَ الغيوب فياضٌ) .

وكان يقول : (حاشا قلوب العارفين أن تُخبرَ عن غير يقين) .

وكان يقول : (ربما كتبَ مدادُ قلم شيخك في قلبك شيئاً لم تفهمْهُ إلا بعد أزمان ، فاحتفظ به) .

وكان يقول : (إقبالُ القلب على الله خيرٌ من ملءِ الأرض عبادةً مع الإدبار عن الله) .

وكان يقول : (الذنبُ الأعظم الاعتمادُ علىٰ غير الله) .

وكان يقول : (شهودُ الغافل سمٌّ قاتل) .

وكان يقول : (النبيُّ يُؤمر ، والولي يُلهم) .

وكان يقول : (أعظمُ العارفين من اختفىٰ حالَ ظهوره) .

وكان يقول : (للإنسان في هـٰذه الدنيا حالاتٌ ، فإنْ كان فارغاً من أعمال الدنيا والآخرة فهو كالجماد ، وإن كان مشغولاً بالمعصية دون الطاعة فهو كالشيطان ، وإن كان مشغولاً بأمرِ الدنيا دون الآخرة فهو كالحيوان ، وإن كان قلبُهُ مشغولاً بالله فهو كالملائكة ، فانظر رحمك الله درجةَ مَنْ تُريد أن تلحقَ به) .

وكان يقول : (كلما قويتِ الظلمةُ في قلوب الخلق كلما نطقتْ ألسنُ العارفين بصرائح الحقائق ؛ وذلك لأنها حينئذٍ أمنت من مناظرة النظَّار) .

وكان يقول : (لا يقدرُ مريدٌ علىٰ مجازاة شيخه علىٰ تعليمه منه أدباً واحداً ، ولو عاشَ عمرَ نوح ؛ لأن ما استفاده منه لا يقابل بالأغْراض الدنيوية) .

وكان يقول : (من تكلَّف خلوصَ أعماله من الشوائب فقد تكلَّف شططاً ، ومنِ اعتمد علىٰ فضل الله حازَ الخيرَ بكلتا يديه) .

وكان يقول : (إذا اشتكيتَ مرضَك إلىٰ وليٍّ ، ووصف لك دواءً تستعمله . . فاعلمْ أن استعدادَك ناقصٌ ، ولو كنتَ كامل الاستعداد لداواك في حضرته ، فشُفيتَ قبل أن تقومَ من مقامك) .

وكان يقول : (إن العبدَ ليعانقُ أخاه وبينه وبينه بعدُ المشرقين ؛ وذلك لأن المدارَ على اتفاق الأرواح كالأبدان) .

وكان يقول : (لو علمتْ نفوسُ المريدين نفاسةَ ما تُدعىٰ إليه لسارعتْ إليه قبل داعيها) .

وكان يقول : (ما من وقتٍ جديد إلا وله مددٌ جديد ، يتلقَّاه كبراءُ الوقت في الليل والنهار ، والناسُ غافلون كالبهائم) .

وكان يقول : (من أبدىٰ من أسرار الله ما لا يليقُ إبداؤه ، وأفشىٰ من العلم المكنون ما لا يُناسب إفشاؤه . . عُوقب بسوء الظنون فيه ، أو بما هو فوق ذلك من العقوبات) .

وبقي كلامٌ طويل تركناه لعلوِّ مراقيه في الفهم علىٰ غالب الناس ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٩١) الشيخ أبو الفتح الواسطي رضي الله عنه[١]

هو من أجل أصحاب سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه ، وهو الذي أشارَ عليه بالإقامة في مدينة إسكندرية ، وربَّىٰ بها الرجال ؛ كالشيخ عبدِ السلام القليبي ، والشيخ عبد الله البِلتاجي ، والشيخ تاج الدين بكوم النجار ، والشيخ بهرام الدَّميري[٢] ، والشيخ جامع الفضلين بدنوشر ، وغيرهم من مشايخ الغربية .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٥٥) (٢٩٥) .

(٢) أراد الشيخ تاج الدين بهرام الدميري الولي الصالح البدل ، وسيأتي ذكره ضمن أرجوزة نقلها المؤلف عن الإمام عبد العزيز الديريني يذكر فيها مشايخه . انظر (٤/ ٣٦٦) .

وكلُّ ما في الغربية من المشايخ فهم من تلامذته ، أو تلامذة تلامذته ، رضي الله عنه .

وكان عالماً بالشريعة والحقيقة .

وعقدوا له مجلسَ المناظرة أول مجيئه من بلاد المشرق ، فقطع العلماءَ بالحُجج ، فأذعنوا له إلا شخصاً من خطباء إسكندرية ، فبقي علىٰ إنكاره عليه ، فبينما هو يخطب إذ تذكَّرَ أنه جُنبٌ ، فمدَّ له الشيخُ كمَّهُ ، فوجده كالزقاق ، فدخل فيه ، فانتهىٰ إلىٰ نهرٍ جارٍ ، فاغتسل فيه ، ورجع ، فإذا هو على المنبر ، فأذعن للشيخ واعتقده ، وصار من أجلِّ تلامذته .

ومناقب الشيخ كثيرةٌ مشهورة ، ولم أجدْ له كلاماً في الطريق فأَذكره .

ونقلوا عنه أنه لم يضعْ جنبَهُ إلى الأرض من منذ دخلَ الطريق .

وكان إذا مرض يستندُ إلىٰ مخدَّةٍ ، رضي الله عنه .

مات بإسكندرية ، وقبره بها ظاهرٌ يُزار .

ومنهم :

(٢٩٢) الشيخ عليُّ المليجي رضي الله عنه[١]

هو من أجلِّ أصحاب الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر ، وكان معاصراً لسيدي أحمد البدوي .

وهو أولُ المشايخ يُعمل مولده كلَّ سنةٍ قبل جميعِ أشياخ الغربية ، ويحضره خلائقُ وتجارٌ وغيرُهم .

وكان سيدي أحمدُ البدوي إذا أرسل سيدي عبدَ العال في حاجةٍ إلىٰ مصر يقول له : إذا وصلتَ إلىٰ ناحية جمزور فاخلعْ نعلك[٢] ؛ فإن من هناك خيامُ المليجي ضُربت ، فلا تمشِ بين خيامه بنعلٍ .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٥٦/٢) (٢٩٦) .

(٢) جمزور : من القرى القديمة ، تابعة لمركز تلا من أعمال الغربية . « قاموس رمزي » (١٧٤/٢/٢) .

وطلب سيدي أحمدُ شخصاً يبني عنده في مقامه ، فأبىٰ ، وكان يبني عند سيدي علي المليجي في مقامه الذي عمَّره له السُّلطانُ محمد بنُ قلاوون ، فسقطت يدُ البنَّاءِ حين خالفَ سيدي أحمد ، فجاء البناءُ بيده في قفَّةِ النجار مقطوعة ، فأخذها سيدي عليٌّ وبصقَ عليها ، فالتصقتْ بإذن الله تعالىٰ ، وأرسل يقول لسيدي أحمد : ليس الرجلُ من يفصل ، وإنما الرجلُ من يوصل ، وهو يباسطه في الكلام .

وكان رضي الله عنه يقول : (عليكم بكثرة الاحتمال للناس في سائر أصناف الأذىٰ ؛ فإن الرجلَ لا يكملُ عندنا إلا بذلك) .

وكان يقول : (لا ينبغي لفقيرٍ أن يمدَّ يده قطُّ لشبهةٍ ؛ فإنَّ كلَّ لقمةٍ منها تقلبُ قلبَ الفقير ، وتدنِّسه ، شاء أم أبىٰ) .

وكان يقول : (الفقيرُ في حِجْر تربية الحقِّ كاليتيم في حِجْر وليِّهِ ، فإياك أن تؤذي أحداً من الفقراء ؛ فإنك تحاربُ الله) .

وكان يقول : (إذا قلَّتِ البركةُ في رزقك فاعلم أنَّ ذلك من غفلتك عن الله عز وجل) .

ودخل لزيارته السلطان محمد بن قلاوون مرةً علىٰ غفلةٍ ، وكان طعامُ الشيخِ نحوَ قدحٍ من العدس ، بشيءٍ من الدهن ، فقال للسلطان وجماعته : قد عملنا لكم غداءَ كم فلا تطبخوا شيئاً ، فغطَّى الشيخُ القدر ، وصار يغرف منها حتىٰ كفىٰ عسكرَ السلطان كلَّهُ ، فلما استعجبَ الناسُ من ذلك قال : وعزَّة ربِّي ؛ أقدرُ بفضلِ الله أَغرِفُ منها للناس إلىٰ يوم القيامة ، رضي الله عنه .

وكان من أجل أصحاب سيدي عبد العزيز الديريني ، وكان ينسج القطن ويجعل علىٰ كل خيط انعقد نقطة زعفران ويقول للمشتري : تحت كل نقطة خيطٌ معقود .

واشتهر عنه أنه كان ينزل سوق مليج يبيع فيه الخام ثم يرجع بفواكه من الشام ومن بلاد الشرق ، فبلغ ذلك سيدي عبد العزيز الديريني ، فقال : يا علي ؛ الفقير في هـٰذه الدار كالجالس في بيت الخلاء ، فيجب عليه ردُّ الباب حتىٰ يقضي حاجته في هـٰذه الدار ، فقال : أنا أمشي فلا أحسُّ بنفسي إلا في الشرق أو الشام ولا أقصد ذلك ، فقال : هـٰذا عذرٌ لا يكفي من مثلك ، إنما الرجل من يعرف حركاته وسكناته ، فتاب سيدي علي من ذلك ، وستر كراماته حتىٰ مات رضي الله تعالىٰ عنه ، والله أعلم .

ومنهم :

(٢٩٣) الشيخ عبد الله البِلْتاجي رضي الله عنه[١]

هو من أجلِّ مشايخ سيدي عبد العزيز الدِّيْريني .

وكان إماماً في العلوم النقلية والكشفية ، صاحبَ التصريف الكبير ، والأنفاس الطاهرة ، وله كراماتٌ كثيرة جُمعت في مجلدٍ ضخم .

وكان سيدي عبد السلام القُليبي يهدي له كلَّ سنةٍ حملَ حمارته بصلاً ، فيحمِّلُها له فاكهةً من فواكه الشام ، وليس ببلاده حينئذ فواكه .

وزاره سيدي يوسفُ العجمي مرةً ، فضاعتْ حمارةُ سيدي يوسف ، فقال له وهو في القبر : يا عبد الله ؛ ردَّ لي حمارتي ، وإلا لم أعدْ أزورك ، فطلع الشيخُ عبدُ الله من القبر ، وأتاه بالحمارة من البرية ، وقد جعل بردعتَها علىٰ رأسه ، وقال : يا يوسف ؛ إذا جئت لزيارتنا مرةً أخرىٰ فقيِّدْ حمارتك بقيدِ حديد ، وهو متبسِّم .

وكان يقول : (لا يبلغُ الرجلُ عندنا مراتبَ الكمال إلا إن علم جميعَ شرائع الأنبياء ، ثم يستخرجها كلَّها من القرآن العظيم) .

وكان يقول : (كلُّ فقيرٍ لا يؤثر إخوانَهُ علىٰ نفسه في جميع الأغراض. . فرُّوا منه بقلوبهم) .

وكان يقول : (من لم ينظر في أخلاقِ السلفِ الصالح وما كانوا عليه شقي ، ولا يَنفعُهُ عمله) .

وكان يقول : (كلُّ فقير كان له فراشٌ للنوم فهو والبهائم سواء) .

وكان يقول : (من أكلَ من أطعمة الناس اسودَّ قلبُه ، ولا تفي أعمالُه بجلائه ، فالصادقُ من أكلَ من عمل يده ، والسلام) .

وكانت له ابنةٌ ، فقالت أمُّها : لا أزوِّجُ بنتي إلا لشيخ الإسلام ، فقال لها الشيخ :

---

(١) انظر ترجمته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢١٣) ، و« طبقات الأولياء » (ص ٤٨٦) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٣١) ، و« جامع كرامات الأولياء » (٢/ ١١٠) .

قد خطبها فلانٌ التاجر ، وأنا أستحي أن أزوِّجَها لغيره ، فقالت : لا بدَّ من تزويجها لشيخ الإسلام ، فقال الشيخ : نولِّيه لأجلك شيخَ الإسلام ، فاستبعد الناس ذلك ، فبلغ الخبرُ للسلطان أن صهرَ الشيخ من العلماء الكبار ، فأرسل وراءه ، وولاه شيخَ الإسلام بمصر ، وقال له الشيخ : كلُّ سؤالٍ جاءك فانظرْ تجدِ الجوابَ مكتوباً في الحائط أمامك ، فلم يزلْ شيخَ الإسلام إلىٰ أن مات بعد ثلاث سنين .

وكراماته كثيرةٌ مشهورة في بلاد الغربية وغيرها ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٩٤) الشيخ عبد السلام القليبي رضي الله عنه[١]

كان من أكابر الأئمَّة الراسخين في علم الظاهر والباطن .

وظهر له كراماتٌ لا تُحصىٰ ، وتواترتِ الأخبار أنه كان يعدِّي من بحر أبيار علىٰ حجرٍ إذا لم يجدِ المعدية .

وفي بعض الأوقات كان ينزلُ البحرَ بثيابه ، فيمشي تحت الماء إلىٰ ذلك البرِّ من غير أن تبتلَّ ثيابُهُ .

وكان يقول : (من لم يقرأ كُتبَ الشريعة والخلافَ العالي بين المذاهب لا يُقتدىٰ به في الطريق) .

وكان يقول : (من شرطِ الفقير : ملازمةُ بابَ الحقِّ دون الخلق) .

وكان يقول : (من غفلَ عن الله تعالىٰ نَفَساً واحداً عُدَّ من الغافلين) .

وكراماته مشهورة في بلاد الغربية ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر ترجمته في « المنهل الصافي » (٧/ ٢٦٢) ، و« طبقات المناوي » (٢/ ٤٤٢ ، ٤١٨/٤) ، و« جامع كرامات الأولياء » (٢/ ٦٩) .

ومنهم :

(٢٩٥) الشيخ عبد العزيز الدِّيْريني رضي الله عنه[١]

كان شيخاً زاهداً ورعاً ، زائدَ الأحوال والكرامات والخوارق ، وله المصنفات الكثيرة الشائعة في الفقه والتفسير والأصول ، وغير ذلك ، وله نظمٌ كثيرٌ شائع .

وكان مُقيماً ببلاد الريف ، ويقصده الناسُ للزيارة من سائر الأقطار .

وكانوا يُرسلون له مُشكلاتِ المسائل من مصر ، فيجيبُ عنها بأحسنِ جوابٍ .

وكان كلُّ كتابٍ صنَّفه في بلدٍ يتركُهُ فيها ، ولا يَحملُه معه .

وزاره سيدي عليٌّ المليجي يوماً ، فذبح له دجاجةً بغير إذنِ زوجته ، فتشوَّشَتْ ، فبلغ ذلك سيدي علي ، فلما قُدِّمتِ الدجاجةُ بين يديه قال لها : قومي حيَّةً بإذن الله تعالىٰ لصاحبتك ، ويكفينا المرقُ .

وطلب منه جماعةٌ مرةً كرامةً ، فقال : يا أولادي ؛ وأيُّ كرامةٍ لعبد العزيز أعظمُ من أنَّ الله تعالىٰ يُمسكُ به الأرض ، ولم يخسفْها به ، وقد استحقَّ الخسفَ به من سنين عديدة ، ثم قال : واللهِ ؛ ما أرفعُ رجلي وأضعها على الأرض وأجدها ثابتةً تحتي ، وفي عيني قطرةٌ ، رضي الله عنه .

مات في حدود الست مئة ، رضي الله عنه[٢] .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٥٦/٢) (٢٩٧) .

(٢) يوجد اختلاف في سنة وفاته ؛ فقيل : سنة (٦٩٤هـ) وهو الأرجح ، وقيل : سنة (٦٨٩هـ) ، وقيل : سنة (٦٩٠هـ) ، وقيل : سنة (٦٩٧هـ) . انظر « طبقات المناوي » (٤٤٦/٢) .

ومنهم :

(٢٩٦) الشيخ عبد الله بن أبي جمرة الأندلسيُّ المرسيُّ رضي الله عنه[١]

الإمامُ القدوة الرباني .

قدم مصرَ ، وله زاويةٌ داخل باب البحر .

وكان ذا تمسُّك بالآثار النبوية ، وتألُّهٍ ، وجمعيةٍ على العبادة ، وشهرةٍ كبيرة بالإخلاص والاستعدادِ للموت ، والفرارِ من الناس ، وانجماع الخاطر عنهم إلا في مجالس الخير .

مات سنة خمسٍ وسبعين وست مئة .

ولهم ابن أبي جمرَة آخر اسمُهُ محمد غير هـٰذا .

حفظ « المدونة » علىٰ مذهب الإمام مالك رضي الله عنه .

مات سنة تسعٍ وتسعين وخمس مئة بمرسية ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٩٧) الشيخ محمد العبدري المالكي المعروف بابن الحاج رضي الله عنه[٢]

أقامَ بمصرَ ومات بها .

وكان عالماً صالحاً يُقتدىٰ به ، وهو أحد أصحاب عبد الله بن أبي جمرة السابق ذكره .

وصنَّف كتاب « المدخل » في الحوادث والبدع .

---

(١) في غير (ز) : (حبرة) أو (جبرة) ، وكذا فيما سيأتي ، وتقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٥٧) (٢٩٨) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٥٩) (٣٠٢) .

وعاش بضعاً وثمانين سنة ، ومات سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بقَرافة مصر عند قبر شيخه عبد الله بن أبي جمرة رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٩٨) الشيخ صفي الدين ابن أبي المنصور رضي الله عنه[١]

صحب الشيخ [عتيقاً] صاحب قضيب البان[٢] ، والشيخ أبا العباس المرسي ، والشيخ عبد السلام القليبي ، والشيخ أبا الحجاج الأقصري ، وغيرهم من الأولياء .

صنف في الطريق عدة رسائل ، وكان للفقير به حرمة[٣] .

وكانت له هيبة عظيمة ، ومع ذلك كان كلامه ألطف من النسيم ، كريم الأخلاق والشيم ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٢٩٩) الشيخ إبراهيم الجعبري رضي الله عنه[٤]

المدفون بزاويتِهِ خارج باب النصر من القاهرة رضي الله عنه .

كان من الزهاد العُبَّاد ، وكان له مُكاشفاتٌ وأحوال غريبة .

وكان مجلس وعظه يُطرب السامعين ، ويَستجلبُ العاصين .

أخبر بموتِهِ عند وفاته ، ونظر إلىٰ موضعِ قبره ، وقال : (يا قُبير جاءك دُبير) .

وكان إذا وعظ يمشي بين الصفوف ، فيضحكُهُم إذا شاء ، ويبكيهم إذا شاء .

وكان له مريدةٌ تسمعُ وعظه من مصر ، وهي بأرض أسوان من الصعيد ، فبينما هو يعظُ الناسَ يوماً وهم يبكون ، أنشد لهم :

يا قاعدةَ في الطاقه والكلبُ يأكلُ في العَجين
يا كلبُ كلْ واتهنَّا ما للعجينِ أصحاب

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (١٤/ ٥٥٧) ، و« طبقات الأولياء » (ص٥٤٠) ، و« هدية العارفين » (١/ ٣١٣) ، وكانت وفاته سنة (٦٨٢هـ) صنف كتاب « الرسالة » .

(٢) في النسخ : (عتيق) بدل (عتيقاً) .

(٣) في (ز) وحدها : (للفقراء) بدل (للفقير) .

(٤) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٠) (٣٠٣) .

فالتفتت المريدةُ ، فوجدتِ الكلبَ يأكلُ في عجينها ، فورَّخوا الحكاية ، فجاء الخبرُ بذلك .

وهو شيخ الشيخ كمال الدين بنِ عبد الظاهر بإخميم .

ووعظ الناسَ يوماً فبكوا كلُّهم ، فقال لهم : قولوا معي : شقع بقع ، يالله يقع ، من فوق لتحت ، بيبقىٰ قطع[(١)] .

فجاء الخبر : أن بعضَ القضاة من المنكرين على الشيخ طلع للسُّلطان ، وشاوره أنه يمنعَ الشيخ من الجلوس للوعظ ، فبينما القاضي نازل من الباب المدرج ؛ وإذا به وقعَ فانكسرَ عنقُهُ . وكان قاضي قضاة المالكية .

وكان يُكاتبُ السلطان بما صورته : من إبراهيم الجعبري إلى الكلب الزوبري ، فكان السُّلطانُ يقول : هـٰذا اسمي في بلادي ، فمن أعلمَ الشيخَ به ، ولا يتشوَّش .

فانتصر القضاةُ للسلطان ، وأفتوا بتعزير الشيخ ، فحبَسَ الشيخُ بولَهم ثلاثةَ أيام ، حتىٰ كادوا يهلكوا ، فجاؤوا واستغفروا من فتياهم ، فأمرَهم الشيخُ أن يصبُّوا من إبريقه الماء علىٰ فروجهم ، فانطلقوا كلُّهم .

وحُبس مرةً بولُ السلطان ، فعجز الحكماء عن إطلاقه بكلِّ دواء ، وكان قد رمىٰ علىٰ جماعةِ الشيخ صابوناً ، فأرسل له الإبريقَ ، فغسل منه ذَكَرَهُ ، فانطلق ، وسامحَ جماعة الشيخ من الصابون .

وشكا جماعته مرةً من نصرانيِّ الطور ، فأرسل وراءه ، وهو يبري قلماً ، فقال الشيخ : إن عدتَ تشوِّشُ علىٰ جماعتي قطَّيتُ هـٰذا القلم[(٢)] ، فقال النصرانيُّ بقلبه : وما لك لا تقطُّه ؟! فقطَّ الشيخُ القلمَ ، فوقعتْ رأسُ النصراني .

وكان رضي الله عنه كالنار الموقدةِ على الظلمةِ والولاة والكشاف ، أمَّاراً بالمعروف .

---

(١) قوله : (شقع بقع ، يالله يقع) إن أراده شعراً فهو من منهوك الرجز ، وقوله : (من فوق لتحت . . .) زيادة انفردت بها النسخة (ي) .

(٢) قطَّ الشيء : أي : قطعه .

وله نظمٌ وسجع كثير وتصوف .

مات في المحرم سنة سبعٍ وثمانين وست مئة ، ودفن بزاويةٍ خارج باب النصر ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار .

وهو الذي حضرَ وفاةَ سيدي عمرَ بنِ الفارض لمَّا سألَ اللهَ عز وجل أن يُرسلَ له شخصاً من الرجال يحضر وفاتَهُ ؛ ليساعده على ذلك المصرعِ المهول .

وكان كثيراً ما يأتي بفواكه لا يعرفُ أحدٌ من الناس أرضها ، فكان بعضُ أهل الخطوة يقول : إنها من خلف جبل قاف .

وتوضَّأَ فقيرٌ يوماً من ميضأةِ زاويته التي عند الباب ، فنسي عصاهُ ، فقالوا للشيخ ذلك ، فقال : اصبروا حتىٰ يأتي مرةً أخرىٰ ، أعطوها له ؛ فإنه ليس عندنا الآن أحدٌ يحملها إلى المحلِّ الذي هو فيه ، فقيل له : وما ذاك المحل ؟ فقال : أرضٌ يقال لها : الرجراج) .

وكان يقول : (كلُّ فقير لا يقتلُ ـ بإذن الله ـ عددَ شعرِ رأسه من الظلمة فما هو فقير) .

وله النظم الشائع في أحوال أهل الطريق ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٠٠) الشيخ حسين الجاكي رضي الله عنه[١]

كان إماماً وخطيباً بجامع الجاكي .

وكان يعظُ الناس ويذكِّرهم ، وينتفع الناسُ به ، فتعصَّبَ عليه بعضُ الفقهاء وقال : إنه يلحنُ في الحديث ، وأرادوا منعَهُ من الجلوس للوعظ ، فلم يقدروا ، فعقدوا له مجلساً عند السُّلطان ، وحضر القضاةُ الأربع ، فأمر السلطانُ بمنعه ، فبينما هو في الخلاء ؛ إذ خرج له شخصٌ من الحائط ، وبيده مكنسةٌ يكنسُ بها ، فقال للسلطان : إن لم ترجعْ عن الشيخ حسين وإلا قتلتك ، فارتعدَ السُّلطانُ ، ووقع في الخلاء علىٰ

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٢) (٣٠٥) .

وجهه ، فأرسل يتلطَّفُ بالشيخ ، فبحثوا عن ذلك الرجل الذي خرجَ للسلطان من الحائط ، فوجدوه الشيخَ أيوب شيخَ الشيخ حسين ، وكان يكنسُ المساجد احتساباً لله عز وجل ، فأراد السلطانُ الاجتماعَ بالشيخ أيوب ، فلم يأذنْ له .

مات الشيخ حسين سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مئة[١] ، ودفن خارجَ باب النصر في زاوية الشيخ أيوب ، وقبرُهُ بها ظاهرٌ يُزار كلَّ ليلةِ أربعاء وصبيحتها ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٠١) الشيخ خضرُ الكردي رضي الله عنه[٢]

شيخُ الملك الظاهر بيبرس أبي الفتوحات .

كان زاهداً عابداً صالحاً ، وكان كثيرَ العطاءِ للمال ، كثيرَ التصريف والكشف والهمة والمدد .

وكان السلطانُ ينزلُ كثيراً لزيارته ، ويُحادثه بأسراره ، ويستصحبه معه في أسفاره .

وكان معه استخدامٌ ؛ يركبُ في مصر تارةً ، وفي الشام تارةً ، فكان يجدُ الشيخ تارة أمامه يمشي ، وتارةً يركب ، فإذا أرادَ أن يُكلِّمه لا يراه .

فلم تزلِ الحسدةُ يرمون له الفتنةَ مع السلطان حتىٰ نقمَ عليه السلطان ، وحبَسه ، وسافر السلطانُ للشام ، فطلعَ له جمرةٌ رعتْ ظهره[٣] ، فأرسل يطلق الشيخ ويترضَّا خاطرَهُ ، فقال : أجلي أقربُ من أجله ، فلما وصلَ الجوابُ للسلطان ارتعدَ ، فمات ، **ومات الشيخ خضر قبله بأيامٍ في سنة خمسٍ وسبعين وسبع مئة** ، ودفن بزاويته تجاه جامع الظاهر بمصر على الخليج الحاكمي ، وقبرُهُ هناك ظاهرٌ يزار .

ولما أرادَ الاجتماعَ بالسلطان ، وهو في الحبس قال له أصحابه : دعنا نتكلَّمُ عنك غداً ، وإلا قلْ للسُّلطان كذا وكذا ، فقال : كلُّ كلام مُعبأ مفسود ، وقد توكَّلتُ على الله .

---

(١) في « طبقات ابن الملقن » (ص ٥٥١) ، و« طبقات المناوي » (٣/ ٤٢) : (تسع وثلاثين) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٣) (٣٠٦) .

(٣) **الجمرة** : التهاب في الجلد وما تحته من الأنسجة .

وكان يكتبُ المصاحفَ للناس احتساباً ، ويقفُها في الجوامع ، والمصحفُ الكبير الذي علىٰ كرسيٍّ قبة الملك الظاهر بمصر بخطه رضي الله عنه .

وكان أصلُ اعتقاد الملك الظاهر فيه : أنَّ الظاهرَ كان رجلاً فقيراً مُلتفّاً في عباءةٍ ينامُ في مسجدِ دمشق ، فنظر إليه الشيخ خضر وقال له : سيكون هـٰذا سلطاناً ، فكان الأمرُ كما قال .

ومنهم :

(٣٠٢) الشيخ شرفُ الدين الكردي رضي الله عنه[١]

المدفون بظاهر القاهرة بالحُسينية .

له مقامٌ عظيم ، وكراماتٌ كثيرة ، وله وقتٌ كلَّ ليلةِ أربعاء يحضرُ فيه خلائقُ .

وهو أخو الشيخ خضر في الطريق .

وكان من أصحاب سيِّدي أبي السعود بن أبي العشائر رضي الله عنه .

وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول : ما في مصرَ كلِّها وليٌّ بعد الإمام الشافعي والسيدة نفيسة أسرعُ لقضاءِ حوائج الناس من سيِّدي شرف الدين هـٰذا ، وعبد الله المنوفي ، رضي الله عنهما .

ومنهم :

(٣٠٣) الشيخ غانم أبو الغنائم رضي الله عنه[٢]

المدفون بسويقة اللبن بمصر .

وله وقتٌ عظيم كلَّ ليلةِ ثلاثاء ، ويحضرُ فيه خلائقُ ، وله نذورٌ ومريدون .

وكان أصلُه من ناحية تفهنا ، بلد سيدي داود الأعزب .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٤) (٣٠٧) .

(٢) انظر « تحفة الأحباب » (ص ٢٤) ، و« طبقات المناوي الصغرىٰ » (ص ٥٠٣) ، و« جامع كرامات الأولياء » (٢/ ٢٣٠) .

واجتمع بسيدي داود فأشار عليه بالإقامة في مصر .

فكان له عنزٌ يحلبُ للضيف منها ما شاء ؛ من لبنٍ ، وعسلِ نحل ، وزيتٍ ، وشيرجٍ ، وغير ذلك ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٠٤) الشيخ مجد الدين القوصي رضي الله عنه

كان إماماً في العلوم والأسرار .

وكان يقول : (ما بقي أحد يدخل النار أبداً ؛ فإني أطفأتها بقدميَّ هاتين) .

قلت : وهـٰذا منه يدل علىٰ أن رحمة الله غلبت عليه حتىٰ حجبته عن شهود النار ؛ فإنها موجودة بالنصوص القطعية ، وممَّا يدلُّ علىٰ غلبة الرحمة علىٰ قلبه : أنه كان يخدم الكلاب الصغار إذا ماتت أمهم ، ويسقيهم اللبن حتىٰ يكبروا .

وعمي كلب في حارته فأدخله تحت سريره ، وخدمه حتىٰ مات .

ومنهم :

(٣٠٥) سيدي محمد بنُ هارون السنهوري رضي الله عنه[1]

الذي أخبرَ بسيدي إبراهيم الدسوقي ، وكان يقومُ لوالده كلما مرَّ عليه ، ويقول : في ظهره وليٌّ يشتهرُ في المشرق والمغرب ، ويقع له كرامات وخوارق ، ويصوم في المهد .

وكان عالماً صالحاً ، جامعاً بين الحقيقة والشريعة .

وكان إذا خرجَ من الجامع يوم الجمعة يشيِّعُهُ جميعُ من حضر في الجامع إلىٰ داره ، يقصدون التبرُّكَ .

فمرَّ علىٰ فقيرٍ جالس تحت حائط يفلي ثيابه ، وقد مدَّ رجليه ، فقال سيدي محمد في نفسه : هـٰذا الفقير قليلُ الأدب ، الذي لم يضمَّ رجليه لمَّا مررنا عليه ، فسُلب

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٤) (٣٠٨) .

الشيخُ لوقته ، وتفرَّقَ الناس عنه ، فلم يبقَ منهم أحدٌ ، فعرف الشيخ من أين أُتي ، فطلب ذلك الفقير ، فلم يجدوه ، وقالوا : إنه صبيُّ القرَّاد ، فذهب الشيخ وراءه إلىٰ إسكندرية والمحلة الكبرىٰ فلم يجده ، فقالوا له : ربما تجده في مصر مع معلِّمه ، فسافر الشيخُ إلىٰ مصر من سنهور ، فوجده مع معلِّمه في رميلة مصر يلعب بالقرود وبالدِّباب ، فوقف الشيخُ خلف الحلقة ، فعرفه المعلِّمُ ، وقال للصبي : قم عينك ، انظر خصمَكَ ، قد جاء يطلبُ رأسَ ماله .

فلما فرغا اجتمعَ به القرَّادُ الكبير ، فقال له : مثلك يا شيخ محمد مع هـٰذا العلمِ العظيم والشهرة يخطرُ في باله أنَّ له فضلاً علىٰ أحدٍ من خلق الله تعالىٰ ، مع أنَّ صبيَّ القرَّاد يقدرُ علىٰ سلب ما عندك من العلوم والمعارف ؟! فاستغفر الله وتاب ، فقال : لصبيه : ردَّ إليه رأسَ ماله ، فقال : ها هو في قلب السحلية ببلده ، يذهبُ إلى الحائط الذي مرَّ عليَّ وأنا جالسٌ تحتها مادٌّ رجلي ، فليقل في الشقِّ الذي هناك : يا سحلية ؛ يا ساكنة في هـٰذا الشقِّ ؛ ردِّي عليَّ رأسَ مالي ، ففعلَ ، فخرجتِ السحليةُ ، ونفختْ في وجه الشيخ محمد ، فردَّ الله إليه رأس ماله ، وقال لنفسه : يا مأوىٰ كلِّ شرٍّ ؛ كيف تري نفسك بعلم يحمله قلبُ سحلية ؟! ومن ذلك اليوم ما خطرَ في باله قطُّ أنه خيرٌ من أحد ، رضي الله عنه .

وحكىٰ لي سيدي الشيخ محمد الشناوي : أنَّ سببَ خراب بلده مدينة سنهور : أنه رأىٰ بلاءً نازلاً علىٰ بلده ، فأمرهم بذبحِ عشرِ بقرات ، وأمرهم ألا يردُّوا فقيراً ؛ ليدفعَ الله عنهم البلاء ، فدخل لهم فقيرٌ مشدود الوسط بحبلٍ علىٰ خيشة ، فأكل نحو عشر مواجير ، فدخل النقيبُ ، فدفعه وأخرجه ، فنزلتْ على البلدِ صاعقةٌ ، فأحرقتِ الناس والبهائم والأسواق ، وخرج الشيخُ وأهله صارخين من البلد ، وأرسلَ خلف النقيب وعزله ، وقال له : شخصٌ يريدُ أن يأكلَ الطعام ويتحمَّلَ عن أهل البلدِ البلاء تمنعُهُ ؟! فطلبوا ذلك الفقير ، فلم يجدوه ، فخربتِ البلد من ذلك الوقت إلىٰ وقتنا هـٰذا ، وكانت مدينةً عظيمة وجدوا في سقوفها موضعَ الأنخاخ الحلفاء ظهوراً من الحرير تحت الترصيص من مكنةِ أهلها .

ومناقبه كثيرةٌ مشهورة في بلاده وغيرها ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣٠٦) الشيخ أبو العباس البصير رضي الله عنه[١]

كان من أصحابِ الكشف التامِّ ، والقبول العام .

وكان صاحبَ الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر ، وكان سيدي أبو السعود يُكاتبه بالأوراق أيامَ زيادةِ النيل ، فكان يكتبُ الورقةَ ويرميها في الخليج ، فتقلعُ نحو الشيخ أبي العباس حتىٰ تقفَ علىٰ سلَّم زاويته ، ويرد له الآخر الجواب ، فتقف علىٰ سلم زاويته ، ولا تبتلُّ ورقةُ واحد منهما .

وجاء شخص إلىٰ سيدي الشيخ أبي السعود يطلبُ الطريق ، فقال : يا أخي ؛ ليس لك عندي وديعة ، وإنما وديعتُكَ عند الشيخ أبي العباس البصير ، وسيأتي من بلاد المغرب ، فلما وصل الشيخ أبو العباس من المغرب إلىٰ ساحل بولاق أرسلَ وراء الرجلِ ، وقال : امض إلىٰ شيخِك ، فقد دخل هـٰذه الليلةَ إلىٰ بولاق ، فمضىٰ إليه ، فأوَّلُ ما رآه قال : جزى الله عني أخي أبي السعود خيراً .

وطلب بعضُ الأمراء زوجةَ الشيخ تحضر في عرس ولده ، فقال الشيخ : ليس عند عيالنا ثيابٌ تصلح للعرس ، فقال : لا بدَّ أن تجبروا بخاطري ، فأرسل الشيخُ زوجتَهُ وألبسها مرقعتَهُ ، فقلبها اللهُ تعالىٰ في أعين الحاضرين كامليَّةً من حرير ، مفصَّصةً بالجواهر والمعادن ، فتعجَّبَ الناس من ذلك ، وجاء الأميرُ يعتبُ على الشيخ ، ويقول له : كيف تقولون لنا ما عند عيالنا ثياب تصلح للعرس ، وعليها كامليةٌ من حريرٍ ليس في مصرَ مثلها عند أحدٍ من الأمراء ؟! فأخرجها له الشيخ ، وقال : هـٰذه هي المرقعة التي رأيتموها علىٰ عيالنا .

وقدمَ شخص من أصحاب سيدي أبي العباس على الشيخ عبد الرحيم القناوي ، وهو يأخذ العهود علىٰ جماعةٍ ، فمدَّ الشيخُ عبد الرحيم يده ليأخذ علىٰ ذلك الشخص العهد ، فخرجتْ يدٌ من المحراب ، فمنعت الشيخَ عبد الرحيم ، فقال : رحمَ الله أخي أبا العباس ، يغير علىٰ أولاده حيّاً وميتاً ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٦) (٣١٠) .

ومنهم :

(٣٠٧) الشيخُ القدوة عبدُ الله المنوفي رضي الله عنه[١]

شيخُ الشيخ خليل صاحب « المختصر »[٢] رضي الله عنهما ، من شاعتْ بركاتُهُ في أقطار الأرض .

وكان سيدي إبراهيمُ المتبولي يقول : (إذا كان لكم إلى الله تعالىٰ حاجةٌ فتوسَّلوا بسيدي عبد الله المنوفي ؛ فإنْ لم تُقض ، فتوسَّلوا بسيدي شرفِ الدين الكردي بخطِّ الحُسينية ، فإن لم تُقض عليكم بالإمام الشافعي ، فإن لم تُقضَ فعليكم بالسيدة نفيسة) انتهىٰ .

وكان الشيخ عبد الله يُنفقُ نفقة الملوك من غير أن يُعهدَ له معلومٌ ، وكثيراً ما كان يُخرج الذهب والفضة من طيَّاتِ عمامته ، وكثيراً ما يفرشُ له الخادمُ الفروةَ ليجلس عليها ، فيأتيه السائل ، فيصيرُ يُخرجُ الفضةَ من تحت الفروة ، والخادمُ ينظر من غير أن يضع الشيخُ تحتها شيئاً .

وربما خرجُ من بيت الخلاء وأصابعُهُ تقطُر ماءً ، وبين أصابعه الفضة ، فيُعطيها لأولِ من يلقاه .

وكان إذا نزلَ بالمسلمين غلاءٌ يصيرُ يُطعم كلَّ ليلةٍ السبعين نفساً وأكثر .

وكثيراً ما كان سيدي يشتري الألفَ رغيف وأكثر ويُفرِّق على الناس في الطرقات .

وكان يُضحِّي بالثمان بقرات ، والاثني عشر خروفاً ، غير ما يُرسله للفقراء من المذبوح .

ولم يكن له زاويةٌ يقصدُها الناس ، وكان يكرَهُ الإقامة في الزوايا وجَمْعَ الفقراءِ عنده ، ويقول : إنما يليقُ ذلك بكُمَّل الأولياء المحفوظين من دسائس النفوس .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٢) (٣٠٤) .

(٢) الشيخ خليل بن إسحاق الجندي توفي سنة (٧٦٧هـ) ، وكتابه « المختصر » في فروع المالكية ، وله عدة شروح . انظر « كشف الظنون » (١/ ١٦٢٨) .

وكان كثيراً ما يجلسُ بجانب طاقةٍ في الحائط ، فيخرجُ منها ما تعجزُ الملوكُ عنه من النقود والأطعمة وغير ذلك ، فإذا قام الشيخ لم يجدوا فيها شيئاً ، فكان أكثر نفقته من الغيب .

وأما خُلقُهُ الحسن : فكان عظيماً ، لم يزعجْ أحداً من أجلاف أولاد الفلاحين والمغاربة بكلمةٍ واحدة ، بل كان يتلطَّفُ بالواحد منهم ، ويقول له : الأمرُ ما هو كذا يا حبيبي ، أو يا سيدي .

وكان يُقبِلُ علىٰ أصحابه بالملاطفة حتىٰ يظنَّ كلُّ واحدٍ منهم أنه المقدَّمُ علىٰ سائر أصحاب الشيخ .

وكان إذا رأىٰ قلوبَ أصحابه قد عمها الحزنُ والكرب يحكي لهم الحكاياتِ المضحكةَ ترويحاً لقلوبهم .

وكان ينشدُ كثيراً : [من السريع]

يـا أيُّهـا الـرَّاضـي بـأحكـامِنـا ... لا بـدَّ أنْ تحمـدَ عُقبـى الـرِّضـا
فـوِّض إلينـا وابـقَ مستسلمـاً ... فـالـراحـة العظمىٰ لمـن فـوَّضـا
وإنْ تعلَّقْـتَ بـأسبـابِنـا ... فـلا تكـنْ عـنْ بـابِنـا مُعـرضـا
فـإنَّ فينَـا خلفـاً بـاقيـاً ... منْ كلِّ مَا يأتي ومَا قدْ مضَـىٰ
لا ينعـمُ المـرءُ بمحبـوبِـه ... حتىٰ يـرى الخيـرةَ فيمَـا قضَـىٰ

وكان ينشد أيضاً[1] : [من الكامل]

أوليتنـي نعمـاً أَبـوحُ بشُكـرِهـا ... وكفيتَنـي كـلَّ الأُمـورِ بـأسـرِهـا
فلأشكُرَنَّكَ مَا حَييتُ وإنْ أَمتْ ... فلتشكـرنَّـكَ أَعظُمـي فـي قبـرِهـا

وكان ينشد أيضاً : [من الطويل]

إذا ماتَ مَنْ فوقي ومَنْ دونَ مولِدِي ... ومُـوِّت أَقـرانِـي فكيـفَ بقـائِـي

---

(١) البيتان في « المستطرف » (٢/ ١١٦) من دون عزو .

وكان ينشدُ حين لازم سكنى التربة في أواخر عمره[١] : [من الوافر]

أَنستُ بوحدتِي ولزمتُ بيتِي ... فطابَ الأُنسُ لي ونمَا السرورُ
وأَدَّبَني الزمانُ فلا أُبالي ... هُجرتُ فلا أُزارَ ولا أَزورُ
ولستُ بسائلٍ مَا صحَّ عقلِي ... أسارَ الجيشُ أمْ ركبَ الأميرُ

وكان ينشدُ أيضاً[٢] : [من الكامل]

النَّفسُ تكرَهُ أنْ تكونَ فقيرةً ... والفقرُ خيرٌ من غنىً يُطغيها
فغنى النفوسِ هوَ العفافُ فإنْ أبتْ ... فجميعُ ما في الأرضِ ما يكفيها

وكان إذا خرجَ في جنازةٍ يتقاتلُ الناسُ علىٰ تقبيل يده ، وعلى التبرُّكِ به .

وأكبَّ الناسُ عليه يومَ مات أبو عبد الله بن الحاج ، فقال شخص من الفقراء : إنْ كان الشيخُ عبد الله كاملاً فهو لا يتغيَّرُ من ذلك ، فلم يتغيَّر ، ولا رأىٰ نفسه بذلك .

وكان يقول : (إذا دُعيتَ إلىٰ بيت ظالمٍ لشفاعةٍ في مظلوم فاذهبْ إليه سواء أقَبلك أم ردَّك ، وما ذمَّ العلماءُ التردُّدَ إلىٰ أبواب الظلمة إلا لمن يطلبُ منهم شيئاً ، مع أنه لو قَسَمَ الله تعالىٰ له رزقاً علىٰ يدهم فلا بدَّ له من أكله ، ولو لم يسألْهم في ذلك) .

وكان رضي الله عنه لا يسألُ لأحدٍ من أصحابه شيئاً ، ومع ذلك كان يحصلُ لهم ببركته فوقَ الكفاية .

وكان يقول : (العبدُ تارةً يكون تحت حكم حاله ، وتارةً يغلبُ عليه التفويضُ والتسليم ، وتأمَّلْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء كيف غلبَ عليه الحالُ في الشفقة علىٰ أمَّتِهِ ، فراجع ربَّهُ في تخفيف ما فرضَهَ من الخمسين صلاة بمراجعة موسىٰ عليه السلام في ذلك ، ثم لما غلبَ عليه التسليمُ عند الخمس وقفَ عن السؤال ، وقال : « استحييتُ منْ ربِّي عزَّ وجلَّ »[٣] .

---

(١) الأبيات لصالح بن عبد القدوس . انظر « فوات الوفيات » (٢/ ١١٧) .

(٢) الأبيات لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، انظر « ديوانه » (ص ٤٣٥) .

(٣) هو جزء من حديث المعراج الذي رواه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

وكان يزجرُ أصحابَهُ عن ذكر أحوالِ الأمراء والأكابر إلا بخيرٍ ، ويقول : (من سوءِ الأدب مع الله الاشتغالُ عنه بعبيده) .

وكان مجلسُهُ محفوظاً من الغيبة والفسوق وما يقاربُهما .

وكان يكرهُ اللَّقبَ بنحو شمس الدين ، ونور الدين ، ونحوهما .

وكان لا يقومُ لأحدٍ من أهل العلم إلا إن عرفَ حاله في العمل بعلمه .

وكان يصافح الناس ، فإذا قبَّلَ المصافحُ يدَهُ لم يمنعْه ؛ خوفاً علىٰ يده أن يفكُّوا عقدَ أصابعها لو منعهم ؛ لكثرة ازدحامهم عليه .

وكان يخفِّفُ في صلوات الفرائض ، ويقول : (إنها صلاةُ الأبدال ؛ فإن مثلَنا لا يقدرُ علىٰ طول الوقوف بين يدي الله عز وجل من غيرِ خروجٍ قلبه إلىٰ أمور الدنيا) .

وكان يحثُّ أصحابَهُ علىٰ أن يقولوا عقب صلاةِ الصبح : اللهم ؛ اغفرْ لأمة محمدٍ ، اللهم ؛ ارحمْ أمة محمد ، اللهم ؛ استرْ أمةَ محمد ، اللهم ؛ اجبرْ أمة محمد ، ويقول : من واظبَ علىٰ ذلك كُتبَ من الأبدال ، وينقلُ ذلك عن الخضر عليه السلام .

وكان إذا جاءه أحدٌ بطعامٍ نفيس ، أو ثيابٍ نفيسة يقول : ليس لي بذلك حاجة ، فإنْ أبىٰ قال : تصدَّقْ به علىٰ غيري .

وكان يقول : (عليكم بالصدقةِ بالخبز ؛ فإن أحداً لا يستغني عنه) .

وتزوَّجَ مرةً جاريةً نوبية قبيحة المنظر ، فصار يخدمُها ويقول : اجعليني في حلٍّ ؛ فإني لا أصلحُ أن أكون زوجاً لك ؛ جبراً لخاطرها .

وكان لا يحتجبُ عن الناس ؛ بل يخالطُهم ، ومع ذلك كان لا يفترُ عن التفكر في أهوال يوم القيامة ، ومحاسبةِ نفسه علىٰ أقوالها وأفعالها وخواطرها .

وكان يُكثر مدحَ من يؤذيه ويخدمه ، ويحسن إليه ، ويتأدَّبُ معه ، ويأمرُ أصحابَهُ بذلك ، ويقول : إنَّ ذلك من أخلاق القوم .

وكان يحملُ الناسَ علىٰ أحسنِ المحامل .

وأشاعوا عنه مرةً : أنه يعملُ الكيمياء ، فقال : مرادهم : التقوىٰ ؛ لأنها كيمياء

الفقراء ، فقالوا له : إنهم قالوا : إنَّ زوجَ أختك يبيعُها لك ، فقال : مرادُهم : أنه يتعلَّم مني التقوىٰ ويُعلِّمها للناس .

وأعطاه شخصٌ مرةً إناءً من الإكسير ، فألقىٰ منه شيئاً علىٰ فضةٍ فصارتْ ذهباً ، فألقى الإكسير في الخلاء ، ولم يعمل به .

وكان الغالبُ عليه شهودَ سعة رحمة الله عز وجل ، وكثرةَ الرخاء لعباد الله ، ويضيِّقُ هو علىٰ نفسه .

وكان إذا جاءه أحدٌ بمالٍ من الزكاة ، ورأىٰ كسبَهُ غيرَ صالح ، يقول له : اذهبْ بزكاتك إلىٰ غيرنا ؛ فإن جماعتنا لا يستحقُّون الزكاة ؛ لغناهم ، وإذا جاءه من يرضىٰ كسبَهُ قال له : فرِّقْ زكاتك عليهم ؛ فإنهم مُستحقُّون .

قال الشيخ خليل : وكان سيدي عبد الله كثيرَ المُكاشفات ، وأولُ اجتماعي عليه : أنه قال لي : يا خليل ؛ من أعظمِ الآفات السهرُ في ذكر الخرافات ، وكنت قد قرأتُ (سيرة البطال)[1] فناداني باسمي ، وكاشفني بما كنتُ أقرأُ فيه من غير أنَّ أحداً يُخبره بحالي .

وكان إذا أعلمه أحدٌ بأنه صنعَ له طعاماً ، ثم دعاه إليه يُرسلُ الطلبة ، ولا يحضرُ ويقول : إن نفسي الخبيثة استشرفت إلىٰ ذلك ولم يحضرني نية صالحة .

وكان لا يأتي لطعام أحدٍ إلا بعد تعزُّزٍ زائد ، ويقول : أخافُ أن يكونَ تكلَّفَ ما ليس هو من شأنه غالباً .

وامتحنه يوماً شخصٌ ، وعزم عليه وعلىٰ طلبته ، وأجلسه في طاحونٍ خراب ، وقال : اجلسوا ها هنا ، ثم ذهبَ وتركَهم حتىٰ أعجزهم ، فصار الشيخُ يتبسَّمُ ، ولم يتغيَّرْ .

---

(١) **سيرة البطال** : من السير الشعبية ؛ مثل سيرة عنترة ، والزير سالم ، والزيبق المصري ، وبطلها : أبو محمد عبد الوهاب بن نوبخت ، تروي قصة غزو الروم وقتلهم وسبيهم ، وهي قصص باطلة وأكاذيب كما قال أصحاب الحديث ، ونهىٰ عن قراءتها أئمة ؛ منهم الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٦٤) ، وانظر « صبح الأعشىٰ » (١/ ٣٩٤) .

وكان إذا عرفَ من صاحب الطعام أنه إنما يدعوه ليقولَ : إن الشيخ عبد الله جاء إلىٰ فلان . . لا يذهب إليه ، ويقول له : (أصلحْ نيّتَكَ ، وأنا آتيك كلَّ يومٍ ولو عشر مرات) .

وبالجملة : فقد كان سيدي عبد الله المنوفيُّ رضي الله عنه صاحبَ علمٍ وأدب ، وزهدٍ وورع .

وقد أفرده بالترجمة تلميذُهُ الشيخُ خليل المالكيُّ صاحبُ « المختصر » **وها أنا مُلَخِّصٌ لك يا أخي بعضَ مقاصده هنا ، فأقول وبالله التوفيق** :

ولد الشيخ عبدُ الله المنوفي بقريةٍ يقال لها : شابور ، من أعمال البحيرة سنة ستٍّ وثمانين وست مئة .

ومات في سابع رمضان سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة ، فكان عمرُهُ يومَ مات ثلاثاً وستين سنة .

وتربَّىٰ يتيماً ، ربّاه الشيخُ العارف بالله تعالىٰ سُليمان المغربي الشاذلي ، المدفون بمدينة منف ، وقرأ عليه القرآن ، وكان يقول : سيكون لهـٰذا الشابِّ شأنٌ عظيم .

ونظر الشيخُ سليمان يوماً إلىٰ مفتاحٍ كان أبيضَ ، فوضعه في طاقة الفرن ، فصار أسودَ ، فقال : (انظر يا عبد الله ، من يُجالسُ المتلوِّثين يتلوَّثُ) .

وامتلأتْ قناة المرحاض يوماً ، فنزحها سيدي عبدُ الله كلَّها وحده ، وهربتْ صغارُ المكتب ذلك اليوم ، فدعا له الشيخُ سليمان ، وقال له : هلا هربتَ مع الصغار ؟! فقال : يا سيدي ؛ هـٰذا شرفي ، فقال له : لا يفلحُ منهم أحدٌ غيرك .

ولم يزلْ يخدمُ الشيخَ سليمان حتىٰ قال يوماً للناس : قد جاوز عبدُ الله مقامي ، وصار لا يلحقه أنا ولا غيري .

ثم لم يزلْ في ارتفاعٍ ، ثم إنه استأذنَ الشيخَ وسافر إلىٰ مصر ، فأقام بالمدرسةِ الصالحية بخط بين القصرين ، فأخذ العلمَ عن جماعةٍ من مشايخ الإسلام ؛ كالشيخ شهاب الدين ابن المرحل ، والشيخ شرف الدين الزواوي ، وأضرابهما .

قال : وكان جميعُ مشايخي يحثُّوني علىٰ مطالعة كتبِ القوم ؛ كـ « الإحياء »

للغزالي ، ويقولون لي : لا يكملُ الفقيه حتىٰ يتصوَّفَ .

قال : الشيخُ خليل تلميذُهُ : (وكان يتكلَّمُ في التصوف ، ويحلُّ رسائلَ القوم حتىٰ كانَ قطبَ رحاها ، وشمسَ ضُحاها) .

قال : وكان كثيراً ما يقرؤون عليه « شرحَ رسالة القُشيري » للشيخ عبد المعطي السكندري ، وكتاب « الشفا » ، و« تفسير الواحدي »[1] ، وغير ذلك ، فيتكلَّمُ علىٰ معاني ذلك بأحسن كلام ، كلما يختمُ كتاباً يبتدئُ بآخر .

وكان يُلقي علمَ الفقه أحسنَ من جميع أشياخه .

ولم يزلْ على الاشتغال بالعلم ليلاً ونهاراً حتىٰ بلغَ الأربعين سنة ، فاشتغل بالعبادة ، وتلاوةِ القرآن ، والتهجد غالب الليل .

قال الشيخ خليل : (وكان صائمَ الدهر ، لا يُفطر إلا في الأيام المنهي عنها ، أو حين يدعوه إنسانٌ إلىٰ دعوةٍ ، بشرط الحلِّ في طعامه) .

وكان ظاهرُهُ مع الطلبة وباطنه مع الله ، فربما سها في الملكوت ساعةً ثم رجع ، ثم يقول : آه آه آه .

وكان ينام ويردُّ الغلطةَ على القارئ ، فكانوا يقولون : إن قلبَهُ لا ينامُ ، بحكم الإرثِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

وكان العلماءُ والصلحاء يدخلون عليه ، فلا يقومُ لأحدٍ منهم ، ولا يحتجبُ عن أحدٍ من المسلمين .

وكان إذا درَّسَ يخرجُ من فيه النورُ ، وما سمعوا منه قطُّ دعوى العلم ، ويقول : (إنما نجلسُ نصحِّحُ على المبتدئين ، ونتذاكرُ معهم في العلم ، وليس أنا بشيخٍ لهم ،

---

(١) للواحدي ثلاثة تفاسير ؛ بسيط ، ووسيط ، ووجيز ؛ وتسمىٰ هـٰذه الثلاث : « الحاوي لجميع المعاني » انظر « كشف الظنون » (١/ ٤٦٠) .

(٢) من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه ؛ فقد روى البخاري (١١٤٧) ، ومسلم (١٢٥/٧٣٨) : قالت عائشة : يا رسول الله ؛ أتنام قبل أن توتر ، فقال : « يا عائشة ؛ إن عينيَّ تنامان ، ولا ينام قلبي » .

ولـٰكن كلُّ من أظهرَ الحقُّ تعالى الحقَّ علىٰ لسانه قبلناه) .

وكان قليلَ الكلام والمنام .

وسمع بعضُ الصالحين قائلاً يقول له في المنام : من أحبَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فليسلِّمْ على الشيخ عبد الله المنوفي) .

وكان يقول : (استأذنتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في الانقطاع في بيتي عن الناس ، فلم يأذنْ لي) .

وكان في الورع ليسَ له نظير .

وكان لا يلبسُ إلا من غزل أخته ؛ لعلمه بدينها وخيرها .

وكان كثيراً ما ينساه أهلُ البيت في العشاء ، فيذهب إلى الدستِ أو الزبادي ، فيلحسُ ما يجده ، ويكتفي به .

وكان كثيراً ما يلحسُ فضلةَ الصغار الذين تعافُ الأنفس منهم .

وكان يأكلُ ورق الخسِّ الفوقاني ، ويدعُ الطريَّ لأهل البيت .

وكان ثوبُهُ من قطن ، أو ملحم غليظ ، وعِمامته دون العشرة أذرع ، وأرخىٰ له عذبةً منها لما قرؤوا عليه أنَّها سُنةٌ[1] ، وأمرَ أصحابَهُ بذلك .

وكان إذا لبس ثوباً لا ينزعُهُ ولو اتَّسخَ ، إلا إن نزعوه منه ؛ غفلةً عن أحوال الدنيا .

وكانت هيئتُهُ كهيئة آحادِ الناس ، حتىٰ كانوا يدَّعون عليه في بعض الأوقات : أنه سرقَ لهم أمتعةً ، فيقبضون عليه ، حتىٰ يجيء من يعرفُهُ فيخلِّصه منهم ، وهو ساكت لا يتكلم .

وكان بيته متهدماً ، فيريدُ الناس أن يعمروه له ، فيأبىٰ ويقول : هـٰذا يكفي من الدنيا .

ولم يره أحدٌ قطُّ يكنسُ له بيتاً ، ولا ينفضُ له فرشاً .

---

(١) روى الترمذي (١٧٣٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اعتمَّ سدل عمامته بين كتفيه .

وكان يلبسُ بين ثيابه في الشتاء فروةً لا تساوي أربعةَ دراهم ، أو بُشْتاً كذلك[١] .

وكان فرشُهُ يساوي درهماً ، وغطاؤه هو وأولاده وعياله عباءةٌ عتيقة .

وكان يرىٰ حلال الدنيا كالميتة ، لا يأخذُ منها إلا ما يأخذُهُ المضطرُّ .

وكان يمكثُ الأيام لا يشربُ ماءً ، ولا يأكلُ طعاماً إلا مقدارَ زبيبةٍ ؛ خروجاً من الوصال[٢] .

وكان ينهىٰ أهلَ داره عن نخلِ الدقيق ، فإن نخلوه أكلَ هو النخالةَ التي يُطعمونها للدجاج .

وكان زاهداً في مناصب الدنيا ، وعرضوا عليه وظائفَ العلماء ، فأبىٰ ، وقال : لستُ عالماً .

وكان إذا بلغه أن أحداً من الأمراء عزمَ علىٰ زيارته يتوجَّهُ إلى الله تعالىٰ في دفعه ، فلا يأتي ، ويقول : ما لنا وللأمراء .

ولم يقبل معلوماً قطُّ علىٰ شيءٍ من القربات الشرعية ، ومع ذلك كان يُنفق نفقة الملوك .

ولما ماتَ لم يجدوا عنده ديناراً ولا درهماً ولا كتاباً ، إلا بعض أجزاء عتيقة لبعض الأصحاب ، ومنديلاً شمطاً كان يتّزرُ به[٣] ، وعباءة ، وقبع لبدٍ ، وفروة لا تساوي أربعة دراهم ، وأما قميصُهُ وعِمامتُهُ فكُفِّنَ فيهما .

ولم يصنف قطُّ ورقةً ، ولا كتب علىٰ فتوىٰ .

وكان يجلسُ بين يدي بعض العلماء علىٰ ركبته متأدِّباً ، مع شهود كلِّ من يراه أنه

---

(١) **البشت** : فارسية معربة ؛ ومعناها : العباءة الواسعة من نسج غليظ كالصوف ، يلبسها الرجال . « المعجم العربي لأسماء المعاجم » (ص ٦٥) .

(٢) روى البخاري في « صحيحه » (١٩٦١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تواصلوا » ، وروىٰ أيضاً (١٩٦٢) ، ومسلم (١١٠٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال ، قالوا : إنك تواصل ، قال : « إني لست مثلكم ؛ إني أطعم وأسقىٰ » .

(٣) **الشِّمْطاط** : ثوب متقطع متفرق ؛ وهو الثوب الخَلَق .

أفضلُ من ذلك العالم ، مع أن القضاة والحكام كانوا يشاورونه في المشكلات ، ويرجعون إلىٰ قوله .

وكتب مرةً في حادثةٍ توقَّفَ الحكامُ فيها علىٰ فتوى : الشيخ عبد الله .

وكان يقول : (كلُّ يوم لا يُجالسني فيه أحدٌ من أبناء الدنيا فهو يومُ عيد) .

وقال له شخصٌ يوماً : قد ذكرناك البارحةَ في مجلسِ أمير كبير ، فقال : من ذكرني في مجلس أحدٍ من الأمراء فلا جزاه الله خيراً .

وجاءه شخص من الأكابر ، وقال : إن الحاج آل ملك يطلبُ منكم أنْ تُدرِّسوا المذهبَ في جامعه بالحسينية ، وتحيون المذهب ، فقال : إن كان المذهبُ لا يُحييه إلا مثلي فقد ماتَ ، فراجعه في ذلك ، فقال : هـٰذا شيءٌ ما فعلته أولَ عمري ، أفأفعلُهُ آخره ؟! فقال الأميرُ لشخص آخر : إنْ أتيتني بالشيخ يُدرِّسُ في جامعي أعطيتُكَ ألفَ دينار ، فجاء إلى الشيخ ، فردَّهُ كذلك ، وقال له : اطلبْ رزقَك بحيلةٍ خلاف هـٰذه .

وجاءه مرة الدوادار الكبير زائراً[١] ، فقال له : يا سيدي ؛ هل لكم حاجةٌ ؟ فقال : نعم ، ألا أراك بعدَ اليوم ولا تراني .

وكان يقولُ في حديث : « اليدُ العليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفْلىٰ »[٢] : (الذي ينبغي لمثلنا إذا تصدَّقَ أن يفتح كفَّهُ ، ويأمرَ الفقير أن يأخذَ منه ؛ لتكون يدُ الفقير هي العليا) .

وقيل : إنه كان يقول أيضاً في ذلك : (الذي ظهر لي : أن السُّفلىٰ : هي يد السائل ، والعليا هي يدُ الغني إذا كان هو السائلَ للفقير أن يقبل منه) .

وكان يردُّ المالَ إذا أتوه به ليفرِّقه ، وربما قبلَهُ في بعض الأوقات ، وفرَّقَهُ على المحتاجين ، ولم يتناول منه شيئاً .

---

(١) **الدوادار** : هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير ، ويتولّىٰ أمرها ، مع ما ينضم لذلك من الأمور اللازمة لهـٰذا المعنىٰ ؛ من حكم وتنفيذ أمور .

(٢) رواه البخاري (١٤٢٧) عن سيدنا حكيم بن حزام رضي الله عنه ، ومسلم (١٠٣٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وكان إذا آذاه أحدٌ لا يقابله بشيءٍ ، ويقول : (من أخلاقِ الفقراء ثلاثٌ : تحمُّلُ الأذىٰ ، وتركُ الأذىٰ ، وإدخالُ الراحة على العباد) .

وكان يقول : (لو أن العارفَ طلبَ الانتقام ممن ظلمه لمنعته الرحمة القائمة به ، ولو قدر ألا تقومَ به الرحمة ، فهو يشهدُ أنَّ الله هو الفاعل لما وقع) .

وكان يحتملُ الأذىٰ من الأصحاب وغيرهم ، ويقول : اللهم ؛ اغفرْ لهم ؛ لعلمِهِ بأن كلَّ من لم يقابلْ مَنْ آذاه كانَ اللهُ خصمَهُ ؛ أي : خصم المؤذي ، فيأخذُ لوليِّهِ حقَّهُ .

وكان يقول : (كانتِ امرأةٌ صالحة من بني إسرائيل لها دجاجةٌ ، فسرقها لصٌّ ، فلمَّا نتف ريشَها نبتَ كلُّه في وجهه ، فعجز الناس عن نتفه ، فأشار إليه بعضُ الأحبار : بأن يُغضبَ المرأةَ ، ولا يتركها حتىٰ تدعوَ عليه ، وتنتصر لنفسها ، ففعل ، فلما دعتْ عليه وقعَ الريشُ بنفسه) انتهىٰ .

وكان يقول : (مِنْ خيرِ عباد الله : الذين يَرحمون من ظلمهم) .

وكان يقول : المُراد بقوله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريكَ يا عمرُ أنَّ اللهَ تعالى اطَّلعَ علىٰ أهلِ بدرٍ فقالَ : افعلُوا ما شئتُم ، فقدْ غفرتُ لكمْ »[١] : (الصحابة الذين حضروا وقعةَ بدر ، لا مَنْ يسكن البلدَ إلىٰ يوم القيامة ، لا سيما أهل المعاصي منهم) ، فخالَفَهُ فقيه في ذلك ، فحصل له وجعٌ في بطنه ، وضارب في جنبه حتىٰ كاد أن يموت ، فرجع إلىٰ قول الشيخ ، واستغفرَ .

وجاءته امرأة وقالت : إنَّ إستادار الأمير بشتك حبس ولدي ظلماً[٢] ، فذهب الشيخُ إليه ، فلم يقبلْ شفاعتَهُ ، فخرجَ الشيخُ مُغضباً عليه ، فمُسِكَ وصُودر وخربت دياره ، وصار يسأل الناس على الأبواب إلىٰ أن مات .

وحمل الترَّاسون له قمحاً[٣] ، فسرقوا منه شيئاً ، فقال لهم الشيخ : هاتوا

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) **الإستادار** : لقب يطلق علىٰ من يتولىٰ قبض المال السلطاني وصرفه ، وتمثيل أوامر السلطان فيه .

(٣) **التراس** : سائق العربة ، « تكملة المعاجم العربية » (١/ ١٤٤) لدوزي .

ما أخذتموه ؛ فإنه قمح الفقراء ، فلم يرضوا ، فماتتْ حميرُهم كلُّها في ثاني يوم ، ثم أتوا به بعد ذلك .

وكان رضي الله عنه من الصابرين في البأساء والضراء ، وكان من أقوى الناس في الصبر علىٰ أذيةِ أصحابه له ، وعلى الألم الشديد في جسده ، وما قال : آه قطُّ ، وكانتْ في بدنه عدةُ آلام لا يطلعُ عليها إلا الخواصَّ من أصحابه ؛ منها : قطارُ البول ، ومنها : أنه كان له جمرةٌ بين كتفيه ، لم تزلْ تعملُ عليه ، فيحصل له منها ألمٌ شديد .

وحكى القاضي شهابُ الدين بنُ الأعزِّ وكان من أجلِّ أصحاب الشيخ : أن الشيخَ انقطعَ عنَّا مرةً ، فسألنا عنه من الطبيب ، فقال : ما معي إذنٌ من الشيخ أن أخبرَكم بالذي به ، فسكتنا ، ثم سألنا الشيخَ عن ذلك ، فقال لنا : إنما هو دميملٌ في محلٍّ لا ينبغي رؤيته ، فبعد مدَّةٍ قال لنا الشيخ : إنه قد استحقَّ الفتحَ فأتوني بمزيِّنٍ وقصعةٍ[1] ، ففتحه المزيِّنُ ، وأخرج منه مدة نحو ثلاثة أرطال ، فقال المزيِّنُ : لو كان ذلك في جملٍ لبرك .

وكان به أيضاً باسورٌ لم يزلْ ينضحُ دماً ، ويعود هو والخراج الذي في مقعدته ، ويعمل عليه .

وكان به باسورٌ آخرُ من داخل السفرة ، لا يصلُ أحدٌ إلىٰ جعل لصوقٍ عليه ، ويحرقُهُ حرقاً شديداً .

وكان لا يطلبُ الطبيب إلا بعد جهدٍ شديد ، رضي الله عنه .

وكان من تواضعه : أنه لم يركبْ قطُّ دابَّةً في مصر والقاهرة ، بل كان يمشي ويقول : (أستحي أن أمرَّ على الناس وأنا راكبٌ حماراً) .

قالوا : وما سمعنا منه قطُّ دعوىٰ للعلم ، ولا لشيءٍ من مقامات الأولياء .

وكان يقول للطلبة : (إنما نحن نتذاكرُ معكم العلم ، وكلُّ من ظهرَ الحقُّ علىٰ يديه وجبَ علىٰ صاحبه الرجوعُ إليه) .

---

(١) المزين : هو الحلاق ، أو الحجام .

وكثيراً ما كان يقول : (لست بشيخٍ للطلبة ؛ وإنما أنا أصحِّحُ على المبتدئ درسَهُ حتىٰ ينطقَ به من غير لحنٍ) .

وكان يمشي في شوارع مصر والقاهرة في حوائج إخوانه في الحرِّ الشديد المُفرط ، وربما كان حافياً ، ولا يطلبُ قطُّ من صاحبِ الحاجة حماراً يركبه ، ويقول : (من شُكر العافية : المشيُ على الأقدام) .

وكثيراً ما يقول لمن لامَهُ علىٰ عدمِ الركوب : (أرأيتم قطُّ حماراً يركبُ حماراً في حوائجه) .

وكان يكنسُ المراحيض بيده ، ويكتمُ ذلك عن الناس .

وكان يقول : (لولا الناس يمدحوني لكنتُ أملأُ أَزيارَ الأسبلةِ التي على الطرقات)[1] .

ومن المشهور : أن الشيخ علاء الدين القُونوي شيخ خانقاه سعيد السعداء ألحَّ على الشيخ عبد الله أن يسكنَ بالخانقاه ، فأبىٰ ، وقال : يا أخي ؛ هـٰذا مكانٌ شرطَ صاحبُهُ ألا ينزلَ فيه إلا صوفيٌّ ، وأنا والله ؛ لست صوفياً ، رضي الله عنه .

وكان يحملُ القفَّةَ علىٰ رأسه ، والزبدية علىٰ يده ، واليد الأُخرىٰ فيها نعلُهُ ، وهو يمشي حافياً ، لا يتأثَّرُ بذلك بين الناس ، وربما كان يتلو مع ذلك القرآنَ ، ولا يُمكِّنُ أحداً يحملُ ما كان معه .

وكان أواخرَ عمره يُنفق علىٰ عياله وأصحابه النفقةَ الواسعةَ التي يعجزُ عنها الأمراء ، مع أنه ليس له وظيفةٌ تعمل بالدرهم الفرد .

ووقع الغلاء حتىٰ وصل ثمنُ الإرْدَبِّ مئةَ نصف[2] ، فكان يُطعم كلَّ ليلةٍ عنده السبعين نفساً وأكثر .

وكان عليه مع ذلك مرتباتٌ كثيرةٌ من الخبز للأرامل والأيتام والفقراء .

---

(١) **الأزيار** : جمع زير ؛ وهي الحُبُّ الذي يوضع فيه الماء .

(٢) **الإردَبُّ** : مكيال يسع أربعةً وعشرين صاعاً ، **والنصف** : عملة مصرية صغيرة مسبوكة من خليط من الفضة والنحاس ، كانت تساوي قديماً نصف درهم من دراهم السلطان المؤيد .

فكان يُرسل لهم الخبزَ إلىٰ بيوتهم ، ويقول : لا تكلَّفوا نفوسَكم للحضور ، وربما حملَ الخبزَ أو الدقيقَ إلىٰ بيوتهم بنفسهِ ، رضي الله عنه .

وفي هـٰذا القدر كفاية .

ومنهم :

(٣٠٨) الشيخ الصالح يحيى الصَّنافيريُّ رضي الله عنه[١]

كانت له مكاشفاتٌ عجيبة وأحوال غريبة ، وكان عالماً صالحاً ، ورعاً زاهداً يقصدُهُ الناس للزيارة من سائر الأقطار ، خضعتْ له رقاب الملوك فمن دونهم .

وانتهت إليه الرئاسةُ في مصر ، حتىٰ جاء زمن دخول شيخ الطريق سيدي يوسف العجمي الكوراني[٢] ، فرأى الكلمةَ فيها للشيخ يحيىٰ ، فلم يدخلْ حتى استأذنه .

وكانت مصر من عهد ذي النون المصري لا يُقيمُ فيها إلا أربابُ الأحوال ، وأول مُسلِّكٍ دخلها هو سيدي يوسف العجمي ، ولما أَذنَ له سيدي يحيىٰ في الدخول أنشد هـٰذه الأبيات : [من الوافر]

ألـمْ تَعلـمْ بـأنِّـي صَيـرفـيٌّ ... أحـكُّ الأوليـاءَ علـىٰ محَكِّـي

فمنهـم بهْـرَجٌ لا خيـرَ فيـهِ ... ومنهـمْ مـنْ أُجـوِّزه بشكِّـي

وأنتَ الخالصُ الذَّهبُ المُصفَّىٰ ... بتـزكيتـي ومثلـي مَـنْ يُـزكِّـي

مات الشيخُ يحيىٰ رضي الله عنه سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة ، ودفن بتربة أبي العباس البصير بالقَرَافة ، وكانت جنازتُهُ مشهودةً ، رضي الله عنه .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٥) (٣٠٩) .

(٢) في (ي) وحدها : (الكيزاني) بدل (الكوراني) .

ومنهم :

(٣٠٩) الشيخ علي السِّدَّار رضي الله عنه[١]

المدفون بزاويته بحارة الديلم والروم ، وعند رأسه عمودٌ من الرخام قائم .

كان رضي الله عنه يبيع السِّدرَ ، ثم انقطع في بيته يُزار إلىٰ أن مات **سنة ثمانٍ وسبعين وسبع مئة** .

وجاءه مرةً شخصٌ يطلب حنَّاءً ، فأعطاه سدراً ، فردَّه إليه ، وقال : هـٰذا سدرٌ وحاجتنا إنما هي بالحنَّاء للعروس ، فقال : آخر الليل تحتاجون إلى السِّدر ، فمات العريسُ آخرَ الليل ، فغسَّلوه بالسدر .

وكراماته مذكورة في « الطبقات الكبرىٰ » رضي الله تعالىٰ عنه .

ومنهم :

(٣١٠) الشيخ أبو العباس المُرسي رضي الله عنه[٢]

كان من أكابر العارفين .

وكانوا يقولون : إنه لم يرثْ علمَ الشيخ أبي الحسن الشاذلي غيرُهُ .

وهو أجلُّ من أخذ عن الشيخ أبي الحسن الطريق ، ولم يضعْ له شيئاً قطُّ من الرسائل .

وكان يقول : (علومُ هـٰذه الطائفة علومُ تحقيق ، وعلومُ التحقيق لا يحملُ فهمَها عمومُ الخلق ، والكتابُ يقع في يد أهله وفي يدِ غير أهله) .

وكان يقول : (كتبي أَصحابي) .

ويُحكىٰ ذلك أيضاً عن الشيخ أبي الحسن ، وجميعُ الكلام المنسوب إليهما إنما أخذوه من صدور أصحابهما .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٦٧) (٣١٢) .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٨٩) (٣١٤) .

وكان رضي الله عنه يقول : (جميعُ الأنبياء خُلقوا من الرحمة ، ونبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم هو عينُ الرحمة) .

وكان يقول : (**الفقيه** : هو مَنِ انفقأ الحجابُ عن عيني قلبه) .

وكان يقول : (كلما أظلمَ الوقتُ قويَ نورُ الوليِّ ؛ كالسراج في الظلمة) .

وكان يقول : (وليُّ الله في حِجر تربية الحقِّ تعالىٰ ؛ كولدِ اللبوة في حجرها ، أفتراها تاركةً ولدها لمن يغتاله ؟! لا والله) .

وكان يقول في معنىٰ : « منْ عرفَ نفسَهُ فقدْ عرفَ ربَّهُ »(١) : (معناه : من عرفَ نفسَهُ بذُلِّها وعجزها عرف ربَّه بعزَّته وقدرته) .

وكان يقول : سمعتُ الشيخَ أبا الحسن يقول : (لو كُشفَ للناس عن نورِ المؤمن العاصي لطبقَ ما بين السماء والأرض ، فما ظنُّكم بنور المؤمن المطيع ؟!) .

وكان يقول : قال ملكُ الغرب للشيخ أبي الحسن : تمنَّ عليَّ شيئاً أُعطيه لك ، فقال : كيف أتمنىٰ عليك ولي عبدان قد مَلكاك ، وصرتَ تحت حكمهما ، فقال : وما هما ؟ فقال : هما الشهوة والحرص ، فكيف أطلبُ من عبدِ عبدي ؟! فاستغفر الملكُ ، وقبَّل رجلَ الشيخ .

وكان يقول : (إذا خرجَ الكلامُ من مأذونٍ له في الكلام خرجَ وعليه طلاوةٌ وحلاوة ، فإذا خرج من غيرِ مأذونٍ له خرجَ وهو مكسوفُ الأنوار) .

وكان يقول : (من أحبَّ الظهورَ فهو عبدُ الظهور ، ومن أحبَّ الخفاء فهو عبدُ الخفاء ، ومن كان عبداً لله استوىٰ عنده الظهورُ والخفاء) .

وكان يقول : (قد يُطلعُ اللهُ بعضَ الأولياء على الغيوب بحكم الإرث للأنبياء ، فينطقُ بالغيوب ، ويُصيب فيها) .

---

(١) قال العجلوني في « كشف الخفا » (٢/ ٢٦٢) : (قال النووي : ليس بثابت ، وقال أبو المظفر بن السمعاني في « القواطع » [٢/ ٦٠] : إنه لا يعرف مرفوعاً ، وإنما يحكىٰ عن يحيى بن معاذ الرازي ، وقال ابن الغرس : لـٰكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث ؛ كالشيخ ابن عربي وغيره) ، وتقدم (١/ ٥٨٥) ، و(٢/ ٩٠ ، ١٧٥ ، ٤٩١) .

وكان يقول : (**من أدبِ الفقير** : أنه إذا فتحَ الله عليه بكلامٍ أن يقول : قال الشيخ كذا ، يُوهم السامعين أن ذلك من كلام غيره من الأشياخ) .

وكان يقول : (لم يزلِ الوليُّ في كلِّ عصرٍ لا يُلقي الناسُ إليه بالاً حتىٰ إذا ماتَ قالوا : كان فلان ، ويمدحونه بما لم يكونوا يمدحونه به قبلَ موته) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ ما سار الأولياء والأبدالُ إلىٰ جبل قاف مثلاً إلا حتىٰ يلقوا واحداً مثلنا يرشدهم) .

وكان يقول : (الطيُّ علىٰ قسمين : أحدُهما طيُّ الأرض ؛ فتُطوىٰ للولي من المشرق إلى المغرب ، والقسمُ الثاني ؛ وهو الطيُّ الأكبر : أن يطوي اللهُ لأحدِهم أوصافَ النفس كلَّها) .

وكان يقول : (لا يلزم الإنسانَ تعيينُ مشايخه الذين استندَ إليهم إلا إذا كان طريقُه لبسَ الخرقة ؛ وذلك لأنها روايةٌ ، والروايةُ يتعيَّنُ رجالُ سندها ، وطريقُنا هـٰذه إنما هي هداية ، وقد يجذبُ اللهُ تعالىٰ عبدَهُ إلىٰ حضرته ، فلا يجعلُ عليه منَّةً لأستاذٍ ، وقد يجمع شملَهُ بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، فيأخذ عنه العلومَ والآداب ، وكفىٰ بذلك منَّةً ، وكفىٰ به أستاذاً) .

قال : (وأما طريقُنا هـٰذه فلا تُنسبُ إلى المشارقة ولا إلى المغاربة ، إنما تُؤخذُ من واحدٍ إلىٰ واحدٍ إلىٰ عليِّ بنِ أبي طالب الذي هو سيِّدُ الأقطاب) .

وكان يقول : (لي أربعون سنة ليس بيني وبين اللهِ حجابٌ ، ولو حُجب عني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طرفةَ عينٍ ما عددتُ نفسي من جملة المؤمنين)[1] .

وكان يقول : (لو كان الحقُّ تعالىٰ يُرضيه خلافُ السنة لكان التوجُّهُ إلى القطب الغوث في الصلاة أولىٰ من التوجُّه إلى الكعبة) .

---

(١) وهو قريب من قوله في « لطائف المنن » (ص ٩٢) لابن عطاء الله السكندري : (لي الآن أربعون سنة ما حجبت فيها عن الله طرفة عين) ، وقال يوماً : (والله ؛ لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين) .

وكان يقول : (أصحابُ العلم اللَّدُني لا يكونون إلا واحداً بعد واحد إلىٰ علي بن أبي طالب) .

وكان يقول : (لا أعلم أحداً علىٰ وجه الأرض الآن يتكلَّمُ في هـٰذه العلوم غيري) .

وقدَّموا للشيخ أبي العباس مرَّةً طعاماً فيه شُبهةٌ ؛ امتحاناً ، فلم يمدَّ يده إليه وقال : (إن كانَ للحارث المُحاسبيِّ في يده [عرق][1] يَعرفُ به الحرامَ ، ففي يدي ستون عرقاً ، فاستغفرَ الرجلُ ، وتابَ إلى الله عز وجل) .

وكان يقول : (ما تكلَّمتُ حتىٰ قال لي الشيخُ أبو الحسن : تكلَّمْ يا بُني ، فأُعطيتُ العبارةَ من ذلك الوقت ، وذلك بمصر) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ لو علمَ علماءُ العراق والشام ما عندي من العلوم لأتوني ولو حبواً علىٰ وجوههم) .

وكان يقول : (واللهِ ؛ ما نطالعُ في كلام أهلِ الطريق لنستفيد ما ليس عندنا ، وإنما نطالعه لنرىٰ ما أنعمَ اللهُ به علينا) .

وكان يقول : (قد يُطلعُ اللهُ الولي علىٰ معرفة سائر لغات الخلق ، فيكون سُليمانيَّ المقام) .

وكان يقول : (ما صحب فقيهٌ أهلَ هـٰذه الشأن على الصدق إلا ازداد علمُهُ ظهوراً وقوة) .

وكان يقول : (شاركنا الفقهاءَ فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه) .

وأنكر عليه شخص وقال : ما ثَمَّ علمٌ إلا بأيدي علماء الشريعة ، فحضره يوماً ، فانبهر عقله ، وقال : هـٰذا رجلٌ يغترف من فيض بحرٍ إلـٰهي ، ومددٍ رباني ، وتاب عن الإنكار) .

وكان يقول : (أعرفُ تلامذتي من يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وأعرف من كان عن يَميني هناك ، ومن كان عن شمالي) .

---

(١) في النسخ : (عرقاً) .

وعمل عصيدةَ الشيخِ ياقوت العرشي يومَ ولد في بلاد الحبشة في أيام الصيف ، فقالوا له : إنما تُعمل العصيدةُ في أيام الشتاء ! فقال : هـٰذه عصيدةُ ولدنا ياقوت ، فحسبوا يوم العصيدة ، فوجدوا عمرَهُ من يومها .

وكان يقول : (ورعُ المنقطعين إنما هو من سوء الظنِّ ، وأما ورعُ الصديقين فإنما هو تركُ ما صحَّ بالبراهين كونه شبهةً) .

وكان يقول : (لولا ضعفُ العقول لأخبرتُكم بما يكون من كرمِ الله غداً) .

وكان يقول : (معرفةُ الولي أصعبُ من معرفة الله ، ومتىٰ يعرفُ الإنسانُ ولايةَ مخلوقٍ مثلِهِ يأكلُ كما يأكلُ ، وينامُ كما ينام ، ويتكلَّمُ كما يتكلم ؟!) .

وكان يقول : (إذا ضاقَ الوليُّ هَلَك من يؤذيه في الوقت ، وإذا اتَّسع تحمَّل أذى الثقلين ، ولم يحصلْ لأحدٍ أذىً بسببه) .

وكان يقول : (لحومُ الأولياء مسمومةٌ وإن لم يؤاخذوك ، فإياك ثم إياك) .

وكان يقول : (ما جلستُ للناس حتىٰ هُدِّدتُ بالسَّلب مراراً ، وقيل لي : إن لم تجلسْ للناس سلبناك ما وهبناك) .

وكان صابراً على البلايا ، كان به اثنا عشر مرضاً ؛ منها باصورٌ ، ومرض الحصر ، وجرد الكلىٰ ، والفتاق ، ومع ذلك فكان يتكلَّفُ ويجلسُ للناس .

وكان يكره أن يقول الشيخُ للمريد إذا طلب التوبة : قف يسيراً ؛ خوفاً أن تفتر همَّتُهُ عما جاء يطلبه .

وكان يقول لأصحابه : (أنا لا أمنعكم من صحبة غيري ، ولـٰكن إن وجدتم منهلاً أعذبَ من منهلنا فردوه) .

وكان إذا رأىٰ مُريداً دخلَ في وردٍ يهواه أخرجه عنه .

وكان يقوم للولاة إذا وردوا عليه ، ويمشي معهم خطوات إذا قاموا ، ويقول : إنهم كلفوا نفوسَهم وزارونا ، ونحن لم نزرهم .

وكان لا يأكل من طعام أعلموه به قبل أن يأتيه ، ويقول : إنه حصلَ بعد استشرافِ النفس .

وكان ينشرحُ للهدية القليلة ، وينقبض للهدية الكثيرة ؛ مخافةَ أن يرى المَهديُّ نفسَه بإرسالها) .

وكان يقول : (ما قرأتُ القرآن قطُّ إلا على الله عز وجل) .

وكان إذا سمعَ أحداً يقول : الليلة هـٰذه ليلة قدر يقول : نحن بحمدِ الله أوقاتُنا كلُّها قدر .

وكان إذا سمع جليسه ينطقُ باسمِ الله ، أو النبيِّ يقرِّبُ فمَهُ منه ويلتقطه ؛ غيرةً أن يبرزَ في الهواء ، ويقول : قلوبُنا أولىٰ بأن يكون هـٰذا الاسم فيها .

وكان يقول لمن يرىٰ نفسَه بالزُّهد في الدنيا : (لِمَ جعلتَ يا أخي للدُّنيا قدراً وهي أقلُّ من جناح بعوضة ؟!) .

وكان يقول : (من اشتاق إلىٰ لقاءِ ظالمٍ فهو ظالم) .

وكان يقول : (الهالكُ بهـٰذه الطائفة أكثر من الناجي بها) .

وقد بسَطنا الكلام علىٰ أقواله في « الطبقات الكبرىٰ » ، والله أعلم .

ومنهم :

(٣١١) الشيخ ياقوتُ العرشيُّ الحبشي رضي الله عنه[١]

كان من أجلِّ الأولياء ، صاحبُ كرامات وخوارق ، وعلومٍ ومعارف .

وهو من أجلِّ أصحابِ الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه ، وتقدم في ترجمة شيخه : أنَّه أخبر به يومَ ولدِ في بلاد الحبش ، وعمل عصيدتَهُ أيام الصيف .

وهو الذي شفعَ في الشيخ شمسِ الدين بنِ اللبان لما أنكر علىٰ سيِّدي أحمدَ البدوي وسُلبَ من العلوم كلِّها ، فقال له الناسُ : ما يقدر علىٰ ترضِّي خاطرِ سيدي أحمد البدوي عليك إلا الشيخ ياقوت .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ١٠٧) (٣١٥) .

ثم إن سيدي ياقوت زوَّج الشيخَ ابن اللبان ابنتَهُ .

وأوصى ابنُ اللبان إذا ماتَ أن يُدفن تحت عتبة الشيخ تاج الدين بن عطاءِ اللهِ تلميذِ الشيخ ياقوت .

قال الشيخ تاج الدين بنُ عطاء الله : (وإنما سُمِّي بالعرشي ؛ لأن قلبَهُ كان دائماً ناظراً إلىٰ عرش ربِّهِ ، وليس في الأرض إلا جسدُهُ) .

وقيل : لأنه كان يسمعُ أذانَ ملائكة العرش .

وكان يشفعُ في الحيوانات والطيور ، وجاءته مرةً يمامةٌ ، فجلست علىٰ كتفه وهو في إسكندرية ، فأسرَّت إليه كلاماً ، فقال لها : على الرأس والعين ، فقالت له : في الحال ؟ فقال : نعم ، فركب بغلته من إسكندرية إلىٰ جامع عمرو بمصر العتيق ، وأرسلَ خلف المؤذن ، وقال : إن هـٰذه اليمامة ذكرتْ أنك ذبحتَ أولادها مرتين ، وقد جئناك سياقاً في أنَّك ترجع عن فراخها ، فقال : سمعاً وطاعة ، ثم رجعَ إلىٰ إسكندرية ، ولم يكنْ له في مصرَ حاجةٌ غيرها .

ومناقبه كثيرة مشهورة .

توفي رضي الله عنه بإسكندرية سنة سبعٍ وسبع مئة .

ومنهم :

(٣١٢) الشيخ تاج الدين بنُ عطاء الله الشاذلي رضي الله عنه[1]

تلميذُ الشيخ ياقوت العرشي .

وكان زاهداً ورعاً ، جليلَ القدر ، يذكِّرُ الناس ، ويتوِّبهم .

ومجلسُهُ يُطرب القلوب ، وله حلاوةٌ في النفوس .

مات بالقاهرة سنة تسعٍ وسبع مئة ، وقبره في القَرَافة ظاهرٌ يزار .

وله من المؤلفات : كتاب « التنوير في إسقاط التدبير » ، وكتاب « لطائف

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/١٠٨) (٣١٦) .

المنن » ، وكتاب « الحكم » ، وغير ذلك ، رضي الله عنه .

ولم أرَ كلاماً أوسع من كلامه ، ولا يكادُ أحدٌ يجد فيه ما ينكر من سائر الطوائف ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣١٣) الشيخ مُفرِّج الدَّماميني رضي الله عنه(١)

كان من أرباب الأحوال ، كثير الشفاعات عند الملوك والأمراء ، ولا يقدرون علىٰ ردِّ شفاعته ، حتىٰ إنه شفع عند الملك الصالح في ابن الفقيه نصر(٢) ، وكان عليه مئةُ ألف دينار ، وعشرون ألف دينار ، فقال له السلطان : هـٰذا مالُ بيت المال ، فقال : اتركها لنا ، فتركها ، وأطلقه .

وكان يمشي على الهواء وعلى الماء ، ويُنفق من الغيب ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣١٤) الشيخ موسىٰ أبو العِمْران رضي الله عنه(٣)

المدفون بناحية هور ببلاد البهنسا ، وهو جدِّي الخامس .

أخذ الطريق عن الشيخ أبي مَدْين التلمساني المغربي ، ثم أذن له بالسفر إلىٰ مصر ، وقال له : اجلس في ناحية هور ؛ فإن بها قبرَكَ .

وكان والده سُلطان تِلِمْسان ، واسمه أحمد أبو عبد الله الزُّغلي ـ بضم الزاي ـ نسبة إلىٰ قبيلة من الغرب ، لقبهم بني زغلة ، وجدوده كلهم ملوك إلى الجد الخامس ، فهو

---

(١) انظر « رسالة صفي الدين » (ص ٦٠) ، و« الطالع السعيد » (ص ٦٤٨) ، و« روض الرياحين » (١/ ٤٨٠) (الحكاية ٤٥٩) ، و« طبقات الأولياء » (ص ٤٧٢) ، و« طبقات الأولياء » للسخاوي (ص ٦٤٠) ، و« الكواكب الدرية » (٢/ ٣٠٩ ، ٥٦١) و(٤/ ٦٠٤) ، والدماميني : نسبة إلىٰ دَمامين : قرية في شرق النيل بين قوص والأقصر .

(٢) انظر « الطالع السعيد » (ص ٦٥٤) ، و« طبقات الأولياء » (ص ٤٧٤) .

(٣) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ١٠٩) (٣١٧) .

موسى بن السلطان أحمد بن السلطان سعيد بن السلطان فاشين بن السلطان محيا بن السلطان زرفا بن السلطان ريان ، وينتهي نسبنا إلى السيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وله كراماتٌ كثيرة مشهورة في بلاد البهنسا .

وسافر الشام ، فرأى امرأةً تائهة تقول : من يَحملني إلىٰ بلادي بخراسان ؟ فاشترىٰ لها دابّةً ، وحملها إلىٰ بلادها ، ثم رجعَ ليس له حاجةٌ إلا ذلك .

وكلَّمته البهائمُ ، وكان يركبُ على الأسد ، ويدخل البلدَ وهو راكبُهُ .

وساح إلىٰ بلاد الرجراج ، وصين الصين .

وكان يُجيب مريدَهُ إذا ناداه ، وبينه وبينه مسيرةُ سنة وأكثر .

مات سنة سبعٍ وسبع مئة علىٰ ما قيل[1] ، والله أعلم .

ومنهم :

(٣١٥) سيدي محمد وفا رضي الله عنه[2]

كان إماماً في العلوم والمعارف ، وله كلامٌ عظيم ، وموشحاتٌ في التوحيد لم ينسجْ أحدٌ علىٰ منواله .

ومولده سنة اثنتين وسبع مئة ، وتوفي سنة ستين وسبع مئة .

قالوا : وسببُ تسميته (وفا) : أنه كان مُقيماً في روضة المقياس ينسجُ مناديل ، لا يَعرفُه أحدٌ ، فتوقَّف البحرُ أيامَ الزيادةِ حتىٰ فاتت أيامُ الوفاء ، وخاف الناسُ من عدم ريِّ البلاد ، فتقدَّم سيدي محمد ، ودخل المقياسَ ، وتوضَّأ ، ودعا ربَّه عز وجل ، وفي ظنِّه أن أحداً لا يراه ، فطلع البحرُ معه درجةً ، ثم صعدَ ، فطلع البحرُ معه درجةً

---

(١) كذا في النسخ ، وأبو مدين التلمساني توفي سنة نيف وثمانين وخمس مئة ، وابن عربي يقول : (إنه أكبرُ من لقيه) ، وتوفي ابن عربي سنة (٦٣٨هـ) ، فالصواب : أنه توفي سنة سبع وست مئة ، والله أعلم .

(٢) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ١١٠) (٣١٨) .

إلىٰ أن أوفىٰ ذلك اليوم وزاد زيادةً كثيرة ، فرآه إنسانٌ والبحرُ طالع معه ، فأخبر السلطان بذلك ، فنزل لزيارته ، واشتهر بوفا من ذلك اليوم ، رضي الله عنه .

وهو شيخ الخرقة الوفائية كلِّها ، وطريقُهُ من أحسن الطرق .

ولم يُسمَّ بالسادات في القَرَافة غيرُ ذريته ، ولهم مولدٌ يُعمل كلَّ سنةٍ في أول أو ثاني أربعاء يكون من شهر شعبان ، ويجتمعُ فيه خلائقُ لا يحصون ، وينزل على الخلقِ أمدادٌ ، فيصيرون في بركتها من العام إلى العام .

وكان رضي الله عنه أُميّاً لا يكتب شيئاً ، وجميعُ مؤلفاته إنما كان يُمليها ، وصنَّفَ الكتبَ وهو ابنُ سبع سنين ، وله مؤلفاتٌ لم يفهمْ أحدٌ المراد بها إلىٰ وقتنا هـٰذا ، مع فحولة ألفاظها ، واللذة بسماعها ، ثم يقول للسامع : ما فهمتَ منها ؟ فلا يقدر يعبر عنه .

ولما دنتْ وفاته كان ولده سيدي عليٌّ حملاً لأربعة شهور وشيء ، فخلع سيدي محمد منطقته على الأبزاري بإسكندرية ، وقال له : هـٰذه وديعةٌ عندك ؛ لتخلعَها علىٰ ولدي عليٍّ إذا ولدته أمُّهُ وبلغ سنَّ الكلام ، فعمل الأبزاريُّ الموشحات النفيسة مدَّة صِغَرِ سيدي عليٍّ إلىٰ أن كبر ، وخلعها عليه ، فلم يقدرْ يعمل بيتاً واحداً ، وأتىٰ سيدي علي بالعجائب الغرائب من الموشحات ، رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣١٦) ولده سيدي علي وفا رضي الله عنه[١]

لم يكن في زمانه أظرف منه ، ولا أجمل ، ولا أحسن ثياباً .

وله نظمٌ شائع ، وموشحاتٌ غريبة في التوحيد وغيرِهِ ، سبكَ فيها أسرارَ الطريق ما سمع السامعون أحلا منها .

وله كتابٌ اسمه : « الوصايا » مجلدان ، ورد عليه في ثلاثة أيام ، فأملاه فيها كلَّ يومٍ سبعين ورقة ، وعدُّوا ذلك من كراماته .

---

(١) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ١١٣) (٣١٩) .

وقد لخصتُهُ في « الطبقات الكبرىٰ »[1] وها أنا أذكرُ لك هنا عيونَهُ ، فأقول وبالله التوفيق :

ولد رضي الله عنه ليلةَ الأحد حادي عشرين المحرم سنة إحدىٰ وستين وسبع مئة كما رأيته بخطِّه ، **وتوفي عام سبعٍ وثمان مئة كما قيل** .

وكان رضي الله عنه يقول في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] : (يا صاحب الحق ؛ لا تهتمَّ بإظهار شأنك اهتماماً يحملُكَ على الاستعانة بالخلق ؛ فإنك إنْ كنتَ علىٰ نورٍ وهدىً فسوف يظهرُهُ اللهُ ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٤٥] ، وإن كنتَ علىٰ ظلمةٍ وغيٍّ فلا تتسبب في إظهار ذلك وإشاعته ؛ فإنك لا تُمتَّع بذلك إن مُتِّعْتَ به إلا قليلاً ، ثم ﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء : ٨٤] : ﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ﴾ [يونس : ٣٥] ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٨ـ١٩]) .

وكان يقول : (يكون ظهور الأولياء في زمنِ خاتمهم كظهورِ الكواكب مع الشمس) .

وكان يقول : (إنما كانت شريعةُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ليس بعدها شريعةٌ تنسخُها ؛ لأنها نزلتْ من الفَلَكِ الثامن ؛ فَلَكِ الكرسي ، وهو فَلَكٌ ثابتٌ ؛ ولأنها جاءتْ بجميع ما جاءَ به الأنبياءُ قبله وزيادة خاصيته في أمته ونفسه) .

وكان يقول : (لا ينبغي لعبدٍ أن يقولَ في استفتاحه في صلاته : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩] حتىٰ يغيبَ عن الأكوان ، فاجعلْ ربَّك مشهودَكَ فقط ، وناجِهِ بكلامِهِ القديم) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] : (كلُّ شيءٍ نهاكَ عن ذلك فهو صلاة) .

وكان يقول : (لا يَسُودُ أحدٌ علىٰ قومٍ إلا إن آثرهم علىٰ نفسه ، ولم يُشاركْهم فيما يستأثرون به عليه) .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ١١٣) .

وكان يقول : (كنيةُ الشيطان : أبو مُرَّة ، وهي النفسُ الخمائية ، وسُمِّيت مُرَّةً ؛ لأنها ما دخلتْ شيئاً إلا أفسدته ، كما يُفسدُ الحنظل اللبن) .

وكان يقول : (لا تهجرْ من أخيك إلا صفتَهُ المذمومةَ ، لا ذاته ، فإذا تاب منها فهو أخوك) .

وكان يقول : (لا تعبْ أخاك وتعيره بما وقعَ فيه من مصائب الدنيا ؛ فإنه في ذلك ؛ إما مظلومٌ لَيَنصرنَّه الله ، أو مذنبٌ عُوقب ، فطهره الله ، أو مبتلىً قد وقع أجرُهُ على الله ، ومن الرُّعونة : أن يفتخر العبدُ بما لا يأمن سلبَهُ ، أو يُعيِّرَ أحداً بما لا يستحيلُ في حقِّه هو ، وهو يعلمُ أن ما جاز على مثله جازَ عليه ، وعكسه) .

وكان يقول : (الشيطان نارٌ ، وحضرةُ الربِّ نورٌ ، والنورُ يُطفئ النار ، فلا تجاهده وأنت بعيدٌ عن نور حضرة ربِّك ، بل جاهدْهُ حالَ مواجهتك نور ربِّك الذي هو الشرع) .

وكان يقول في معنى حديث ابن عمرَ : « وعدَّ نفسَكَ منَ الموتَى »[١] : (أي : فإنَّ الميتَ لا يبرحُ في قبره من بين يدي ربِّه لشهوةٍ أو غضب ، ولا يرى سوى ربِّه حيثُ انقلب : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ٢٢]) .

وكان يقول : إذا رأيتَ أنَّ الخضرَ عليه السلام قَسَمَ اللهُ له الحياةَ إلى الزمن المُحمَّدي ، فما طلب موسى السبيل إلى لقياه إلا من باب قول القائل[٢] : [من الطويل]

. . . . لعلِّي أراهمْ ، أوْ أرى منْ يراهمُ

قلت : ولعله ببركة صدقِ موسى عليه الصلاة والسلام تكرَّر لقاؤه لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج أكثر من بقية جميعِ الأنبياء بسبب ما وقعَ له من المراجعةِ ، فليتأمل والله أعلم .

وكان يقول : (الرجالُ أمثالُ الجبال ، فكما أنه لا يزيلُ الجبالَ عن أماكنها إلا

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٣) بلفظ : « وعُدَّ نفسَك في أهل القبور » ، ورواه أحمد بلفظ : « واعدد نفسك في الموتى » .

(٢) عجز بيت ، وصدره : أمرُّ على الأبوابِ من غيرِ حاجةٍ ، وتقدم مع تخريجه (٢/ ١٢١) .

الشركُ بالله عز وجل ، كذلك لا يزيلُ همَّةَ الوليِّ عن ملاحظة مريده في الشدائد إلا إشراكُهُ به أحداً غيره من نفس المريد ، أو غيره ، لا يزيل همَّته تقصيرٌ في خدمة ، أو إحسانٌ) .

وكان يقول : (الحظوظُ الدنيوية زبالةٌ ، فمن أظهرَ للناس ما عنده من الخصوصيات الربَّانية ليتوصَّل بذلك إلىٰ حصولِ حظوظه الدنيوية من الخلق فكأنَّه برطَلَ بالمملكة كلِّها علىٰ أنه يكونَ زبَّالاً) .

وكان يقول : (كلُّ ما أرضى العارفَ بالله أرضى اللهَ ، وكلُّ ما أغضب العارفَ أغضب الله ، وفي الحديث : « إنَّ اللهَ يرضىٰ لرضا عمرَ ، ويغضبُ لغضبِهِ »[1] فاعملوا أيُّها المريدون علىٰ رضا مشايخكم تفلحوا) .

وكان يقول : (كلُّ طاعةٍ تنتجُ الدعوىٰ رعونةٌ ، وكلُّ نومٍ يُنتج التقوىٰ معونة) .

وكان يقول : (من استضعفَهُ الناسُ لأجل إيمانه فعاقبته التمكين ، وعلوٌّ الشأن : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص : ٥] ومن استعظمه الناسُ لأجلِ إجرامه رُدَّ أمره إلى الصَّغار ، قال تعالىٰ : ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٤]) .

وكان يقول : (لا يحلُّ لأحدٍ أن يمكِّنَ الناسَ من تقبيل يده أو رجله إلا إن صحبَهُ من الحقِّ ما صحب الحجرِ الأسود من حفظ عهد الحقِّ في الخلق ، وقصدِ اللهِ وحدَهُ ، والتطهر من لوث تحكُّم الوهم البهيمي ، وعدم الشهوة المغفلة عن الله ، والحظوظ المشغلة عنه ، والرعونات المضلَّة عن طريقه ، وتحمل خطايا الخلق ، ولو اسودَّ بذلك وجهُهُ ، وتذكيرهم بربِّهم حتىٰ تبيضَّ بذلك قلوبُهم ؛ فمن جمع هـٰذه الصفات فهو يمينُ الرحمـٰن في الأرض ؛ كالحجر الأسود : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠]) .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ٤٣٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا غضب عمر ؛ فإن الله يغضب إذا غضب » ، وأخرجه أبو نعيم في « فضائل الخلفاء الراشدين » (٢٧) بلفظ : « اتقوا غضب عمر ؛ فإنه إذا غضب غضب الله له » ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٢٤) .

وكان يقول : (لا ينبغي لمريدٍ أن يُسافرَ إلى الحجِّ إلا بإذن أستاذه ؛ فإنَّ مجالسة الأستاذ تفيدُ المريدَ الأدبَ مع ربِّ البيت ، فافهم) .

وسئل رضي الله عنه عن ملك الموت : هل هو باق على فقءِ عينه من عهد موسى عليه السلام ؟ فقد صحَّ أنه فقأ عينَ ملك الموت[1] ، فقال : قد ثبتَ أنَّ ملكَ الموت لما رجعَ إلى ربِّه ردَّ له عينَهُ .

فإن قيل : فكيف جاز لموسى فقءُ عينِ رسول ربِّه ؟! فالجواب : إنما سوَّغ له ذلك كونه ملكاً متمثِّلاً عن طبيعة موسى ، فهو من عالمه ، فما وقع الفقء إلا في المثال الناشئ عن ملك الموت ، فلو قدرَ أنَّ الحقَّ تعالى لم يردَّ لذلك الملك عينَهُ لكان في قوة الملك المتمثِّل أن يظهر بعينٍ سليمة مكان العين المفقوءة لقوته على التطور ، وأطال في ذلك .

وكان يقول : (من أراد أن ينقادَ له العالمُ انقياداً ذاتياً فلا يحب إلا الله ، ومن أمره الحقُّ بمحبَّته ، فمن كان كذلك سارعتِ الأكوان كلُّها إلى طاعته) .

وكان يقول : (كلما كان حادي القوم مناسباً لهم في حالهم ، كلما كان أشدَّ تأثيراً في قلوبهم) .

وكان يقول : (من شرطِ الإمام ألا يغفلَ عن المريدين في العمل على ما يطهِّرُ قلوبَهم ؛ لأنهم طوَّافون على حضرة الحق ، قال تعالى : ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة : ١٢٥] أي : المقتربين من حضرة حبي إيماناً) .

وكان يقول : (أهلُ الولي حقيقةً : كلُّ من جاء بقلبٍ سليم من الحظوظِ ، والشهوات البهيمية) .

وكان يقول : (لا تطلبْ من شيخك أن يشغلَ قلبَهُ بك ؛ فإنك كونٌ ؛ وقد تنزَّهَ الأشياخُ عن إدخال الأكوان قلوبهم إلا بأمرٍ من الله ، فألزمْ نفسَكَ أنت المحبة لشيخك لتصيرَ تتخيَّلُهُ معك في كلِّ وقتٍ ، وتقضي حاجتك ببركته) .

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٩) ، ومسلم (١٥٧/٢٣٧٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وكان يقول : (نظِّفوا قلوبَكم لتصلحَ لعلوم الوهب ؛ وذلك ليبقىٰ لكم ؛ فإن جميعَ الأمور الناشئة عن الكسب تضمحلُّ بانقطاع السبب ؛ لأنه كالماءِ للزرع ، متىٰ انقطعَ عنه الماءُ مات ، وذلك كالمتفكِّرين ؛ فإنهم متىٰ تركوا التفكُّرَ تعطَّلت معتقداتُهم النظرية ، وكذلك المتقشِّفون متىٰ أكلوا الشهوات مثلاً بطلتْ تأثيراتُهم الكونية ، ومُكاشفاتهم الصورية) .

وكان يقول : (لا ينبغي لعارفٍ أن يُظهرَ لقومه من معارفه إلا ما يعلم قبولَهم له : ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف : ٥]) .

وكان يقول : (من عمل بالقرآن أُوتي كتابَهُ بيمينه ، ومن خالف ما فيه أُوتيَ كتابه بشماله ، ومن ترك تلاوتَهُ والنظرَ لما فيه من الهدىٰ أُوتي كتابه من وراء ظهره ، فليحرر الإنسانُ هنا حسابه : ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٤]) .

وكان يقول : (كم من شيءٍ كمالٌ في حقِّ الخلق يكون نقصاً في جانب الحق ، وذلك كالأزواج والذرية) وأطال في ذلك .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٣١] : (فيه حثٌّ علىٰ تحصيل مكارم الأخلاق والفضائل والمحامد ؛ فإن هـٰذه من أعظم زينة للإنسان) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [الأنعام : ٦٨] : (يدخلُ في ذلك من يخوضُ في أولياء الله بالنقص ؛ فإنَّ الأولياءَ من آيات الله الذين يُهتدىٰ بهم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ٢٥٩]) .

وكان يقول : (ما اشتغلَ متزوِّجٌ عن الله إلا لعدم نيَّته الصالحة في التزوُّج أولاً ، فلو أصلحَ نيتَهُ لم يشغلْه ذلك عن الله أبداً) .

وكان يقول : (نيَّةُ القربات تُصيِّرُ العاداتِ والمباحات عبادات ؛ وذلك كالفقير الذي يلبسُ الجبَّةَ من الصوف تواضعاً لله ؛ فإنها تصيرُ عليه أحسنَ من الحرير علىٰ أهله وأنورَ) .

وكان يقول : (بينك وبين ألا تُدركَ : أن تولِّي حبَّ الدنيا ظهرك) .

وكان يقول : (في معنىٰ قول الشيخ أبي الحسن في حزبه (وأعوذ بك من السبعةِ والثمانية) : (هي السبعُ ليال ، وثمانية أيام حسوماً[١] ؛ وهي مظهر أبواب جهنم ، وإن كانتِ الروايةُ (سبعين) بدل (السبعة) فالمراد بها : السلسلةُ التي ذرعها سبعون ذراعاً[٢] ، وهي مظهرُ الفرق الهالكة) .

وكان يقول : (لكلِّ وليٍّ خضرٌ يتمثَّلُ من روح ولايته علىٰ صورة الخضر المشهور ، كما أنَّ لكلِّ نبيٍّ جبريلَ يتمثَّلُ من روح نبوَّتِهِ علىٰ صورة جبريل النازل بالأحكام ؛ وذلك حتىٰ لا يكونَ كلامُ أهل الله وخاصته في تصرُّفاتهم العادية إلا بإلهامٍ من الله عز وجل) .

وقال في قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : « والذي نفسِي بيدِهِ ؛ ما سلكتَ فجّاً إلا سلكَ الشيطانُ فجّاً غيرَ فجِّكَ »[٣] : (المرادُ به : أن ذلك المقام إنما هو له من حينَ أسلمَ ، فلا يُقال : كيف أغوىٰ عمر بالشرك قبل أن يسلم ؟!) .

وكان يقول : (الخنقُ في اللغة : هو الضيق ، والخانقُ : الطريقُ الضيِّقُ ، ومنه سُمِّي المكان الذي يسكنُهُ الصوفية بالخانقاه ؛ لخنقهم نفوسهم بتضييقهم علىٰ أنفسهم بالشروط التي دخلوا عليها في ملازمتها) .

ويقولون أيضاً : من غابَ عن الحضور غابَ عنه نصيبُهُ ، وعندنا : أنَّ كلَّ مَنْ ذكروا أنه غاب فما غاب ، فما قال : من غابَ غاب عنه نصيبُهُ إلا أهل الخوانق ، وهي مضايق) .

وكان يقول : (لا تخرقْ حرمةَ من أمرك اللهُ باحترامه يبتليك اللهُ بالعقوبات) .

وكان يقول : (حيثُ جاء الخطاب الرباني : بـ ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الأعراف : ٢٦] فالمرادُ بهم أهل اليمين) .

---

(١) قال تعالىٰ في سورة (الحاقة) الآية (٧) : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .

(٢) قال تعالىٰ في سورة (الحاقة) الآية (٣٢) : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ .

(٣) رواه البخاري (٣٢٩٤) ، ومسلم (٢٣٩٦) بلفظ : « ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً إلا سلك الشيطان فجّاً غير فجك » عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٣٣) .

وكان يقول : (علمُ العالم هو جهلُ الجاهل ، وعرفانُ العارف : هو نُكرانُ المنكر : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٨٤]) .

وكان يقول : (ما دام المريدُ في يد مربِّيه فهو يُدخله مدخلَ المُقربين ، فإذا خرجَ من يده خسرَ ، فإذا عادَ إلىٰ يده ردَّهُ إلىٰ سيرته الأولىٰ) .

وكان يقول : (ليس للسالك أن يتكلَّمَ بما اطلع عليه للهالك ؛ فإنه يزيدُهُ هلاكاً وإنكاراً ، وما للسالك والهالك !) .

وكان يقول : (من طلبَ ألا يكونَ له حاسدٌ فقد تمنَّىٰ ألا يكونَ عنده من الله نعمة ؛ فإن الحكمَ الوجودي اقتضىٰ مقابلة النِّعمَ بالحسد ، لا بدَّ من ذلك ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ٥] فأتىٰ بـ ﴿ إِذَا ﴾ ولم يقل : (إن حسد) ، فأمرَ بأنْ يستعيذَ بالله من شر الحاسد لا من وجوده ، فافهم) .

وكان يقول : (لا يكره الناسُ أحداً من المحبوبين لله إلا لجهلهم به ، وظنِّهم فيه خلافَ ما هو عليه ؛ ولذلك سمَّوهم ضلاَّلاً وسحرةً وكهنة ، ولو أنهم اعتقدوا فيهم الخصوصيةَ لأحبوهم) .

وكان يقول : (انظر الحقَّ تعالىٰ قبل خلقِ الخلقِ ، وانظر ماذا ترىٰ ، فلن ترىٰ غيرَه تعالىٰ) .

وكان يقول : (صورةُ صلاةِ كلِّ ربّانيٍّ علىٰ صورةِ إسرائه بقلبه إلىٰ حضرة ربِّه ، وما ثَمَّ أعلا من الإسراء المحمَّديِّ ؛ ولذلك فُرضتِ الصلاةُ فيه تنويهاً بعظمتها ، إذِ المصلي يُناجي ربَّهُ) .

وكان يقول : (إنما كان العارفُ لا يصحُّ في حقه الرياء ؛ لأن الحقَّ تعالىٰ هو مشهوده في عبادته ، فلا يرىٰ سواه حتىٰ يُرائيه) .

وكان يقول : (حبُّك للشيءِ علىٰ قدرِ بغضك لضدِّه وكذلك العكس وزناً بوزن ، مثلاً بمثل ، سواءً بسواء) .

وكان يقول : (لا تستعذْ من الأشياء ؛ ولـٰكنِ استعذْ من شرِّها فقط) .

وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم : « الأنصارُ شِعار ، والناسُ دِثار »(١) : (الشعارُ : هو ما مسَّ البَشَرة ، والدِّثار : ما بعده ؛ إذ لا يمسُّ بشرتَك ثوبان معاً) .

قال : وإنما كان الأنصارُ شعاراً ؛ لرضاهم به عما دونه : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ . . . ﴾ الآية [الحشر : ٩] فحبُّهم لا لعلةٍ سوى التحقُّق به ، وإنما كان الناسُ دثاراً ؛ لتعلُّقهم بالعللِ الخارجة عن التحقق به ، « أمَا ترضونَ معاشرَ الأنصارِ أنْ يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ ، وتذهبونَ برسولِ اللهِ إلىٰ رحالِكمْ ؟! »(٢) قالوا : رضينا ، فاعرفْ يا أخي الأنصار بسيماهم ، فهـٰذه آيتهم لمن توسَّمهم ، ولا تُقيِّدْهم بقبيلةٍ ولا طائفة .

وكان يقول : (من أبعدِ المطالب عن الصواب مطالبةُ العبد ربَّهُ بالثواب ؛ فإن الحقَّ يفعلُ ما يشاء ، ويحكمُ ما يريد ، وشأنُ العبدِ امتثالُ أمر ربِّه لا غير) .

وكان يقول : (إنما يأمرُ الحقُّ وينهىٰ منك قلبَك ؛ لأنه هو السامعُ الفاهم ، ولا يؤدِّي عنك ما كُلِّفت به إلا أنت ، فمتىٰ عملَ جسمُك عملاً وقلبُك غافلٌ عنه لم يُحسب لك ، ولم تسقطْ عنك المطالبةُ عند الله ، وإنما سقطَ اللومُ الظاهر عنك بمباشرة الجسم للعمل شرعاً ، لا لظنِّ حضور القلب وقصده إلىٰ ذلك ، فراقبْ علامَ الغيوب ؛ فإنه ناظرٌ إلى القلوب) .

وكان يقول : (احذرْ أن تزدري أصحابَ الخلع الحقية من الفقراء ، الشعثةُ رؤوسهم ، المغبرة وجوههم ؛ فإنهم ناظرون إلىٰ ربِّهم ، وإنما أنت أعشى البصر) .

وكان يقول : (إياك أن تحسدَ من اصطفاه الله عليك ، فيمسخك اللهُ كما مسخَ إبليس من الصورة الملكية إلى الصورة الشيطانية لمَّا حسدَ آدم ، وفي هـٰذا تحذيرٌ لك أن تحسدَ من فضَّلَهُ الله عليك)(٣) .

وقال في حديثِ صوم عاشوراء : « نحنُ أحقُّ بموسىٰ منهمْ »(٤) : أي : من

(١) رواه البخاري (٤٣٣٠) ، ومسلم (١٠٦١) عن سيدنا عبد الله بن زيد رضي الله عنهما ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٦٦) .

(٢) هو جزء من الحديث السابق .

(٣) لم يكن إبليس ملكاً ، وإنما جنياً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف : ٥٠] .

(٤) رواه البخاري (٢٠٠٤) ، ومسلم (١١٣٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٧١) .

اليهود ، إنما كانت هـٰذه الأمةُ أولىٰ بموسىٰ من أمَّة موسىٰ ـ يعني : اليهود ـ لأنا آمنا بموسىٰ كإيمانٍ من عاصره ، لدلالة معجزة نبيِّنا التي هي القرآن ؛ فإنا عرفنا إعجازَهُ بالمشاهدة لا بالخبر ، وأما اليهود الذين لم يُعاصروه فإنما آمنوا به تقليداً للخبر الذي أخذوه عمن غيَّرَ وبدَّل فيه ؛ وأين مَنْ يُؤمن تقليداً كمثل هـٰؤلاء ، ممن يؤمن عياناً وتحقيقاً ؟! فنحن أحقُّ بجميع الرُّسلَ ممن لم يعاصرْهم من أُممهم ، ولم يدرك دينهم قبل التبديل ، أما من أدرك أديانهم الصحيحة وتمسك بها فلسنا أولىٰ منه بذلك النبي إلا من حيث كوننا خير أمة . انتهىٰ ، والسلام) .

وكان يقول : (إنما كان يومُ عرفة أفضلَ من يومِ عاشوراء بالحجِّ المشروع فيه ؛ وهو ركنٌ من أركان الإسلام ، فليس في يومِ عاشوراء ركنٌ من أركان الإسلام يختصُّ به كيوم عرفة ، والله أعلم) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] : (﴿ صِدْقًا ﴾ هنا وضع موضع فضلاً ؛ إذ قوبل به ﴿ وَعَدْلًا ﴾ ، فكأنَّ الحقَّ تعالىٰ تفضَّل بصدقها علىٰ قلوب قوم حتىٰ صدَّقوها ، وعدلَ اللهُ بقلوب قوم حتىٰ عدلوا عن تصديقها) .

وكان يقول : (ما دمتَ صاحبَ صفاتٍ كريمة فأنتَ إنسانٌ باقٍ علىٰ إنسانيتك ، لم تُمسخ ، ولم تنسخ ، ومتىٰ نُسختْ منك الكرائمُ بالذمائم فقد نُسختْ عنك الإنسانيةُ بالصورة الشيطانية التي انمسختَ بها ، وإن خلَّطتَ لم تكن إنساناً خالصاً ، ولا شيطاناً خالصاً ، وفيما بينهما يتفاوتُ المتفاوتون ، والحكم للأغلب ، فافهم) .

وكان يقول : في معنىٰ حديث : « القلبُ بيتُ الربِّ »[1] : (فلا ينبغي لعبدٍ أن يُدخلَ قلبَه إلا ما يحبُّه الله ، ولا يجوز له أن يُدخلَ بيتَ ربِّه ما يكرهُهُ ربُّه من المعاصي

---

(١) قال العجلوني في « كشف الخفا » (١٨٨٤) : (قال الزركشي والسخاوي والسيوطي : لا أصل له ، قال النجم : قلت : رواه ابن ماجه عن أبي عنبسة بلفظ : « إن لله آنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبها إليه ألينها وأرقها » وهو شاهد لما هو دائر علىٰ ألسنة الصوفية وغيرهم : « ما وسعني سمائي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن ») ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٦٧ ، ١٧٤) .

والقاذورات ، فما أعلمنا الشارع بذلك إلا لنحذر مما يُسخطُ الله) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف : ١٠٧] : (النزلُ : أولُ شيءٍ يوضع للضيف علىٰ وجه الإكرام ، فإذا كان الفردوسُ أولَ درجات الكرامة ، فما ظنُّك بآخرها ؟!) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] : (أي : فينبغي للعالم أن يرى القرآنَ هدىً ورشداً لجميع المسلمين ، ولا يُنكر علىٰ أحدٍ ما فهمه منه من الهدىٰ ؛ أعني : عند الفاهم ، وإن كان مخالفاً لفهمه هو لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ﴾ [آل عمران : ٧] أي : عند كلِّ تأويلٍ فيه هدايةٌ لغيرهم : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] ، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] ، ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] فافهم) .

وسئل عن سبب تسمية الملَكَيْنِ بمنكر ونكير ، فقال : (إنما سُمِّيا بذلك لأنهما يأتيان العبدَ في صورة إنكاره وتنكيره ، فإن كانَ مُنكراً للمنكر ؛ متنكراً بالقلب علىٰ أهله ، لا يُؤانسُهم ولا يوادِدهم . . أتياه في صورةٍ حسنة معروفة ، وإن لم يكنْ مُنكراً للمُنكر ، ولا هاجراً لأهله . . أتياه في صورةٍ مُفزعةٍ لا أنس فيها كصورة المعاصي ، فكانا عليه كالمنكر والنكير ، فافهم) .

وكان يقول : (الزهَّادُ ملوكُ الدنيا على الحقيقة ؛ لأن ملوك الدنيا محتاجون إلى الزهَّادِ ، ولا تحتاجُ الزهَّادُ إليهم) .

وكان يقول : (ثقلُ الثواب وخفَّتُه علىٰ قدرِ ثقلِ الأعمال وخفَّتها على البدن ، ومثال ذلك مثال ملِك قال : كلُّ من أتاني بشيءٍ وزنتُ له ثقله ذهباً ، فأتاه إنسان بصخرةٍ ، وأتاه إنسانٌ بريشةٍ ، وهـٰذا مأخوذٌ من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة : « أجرُكِ علىٰ قدرِ نَصَبِكِ »[1]) .

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٧٠) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأصله في « الصحيحين » ، كتاب الحج ، باب أجر العمرة علىٰ قدر النصب ، بلفظ : « انتظري ، فإذا طهُرت فاخرجي إلى التنعيم فأهلي ، ثم ائتينا بمكان كذا ، ولـٰكنها علىٰ قدر نفقتك أو نصبك » .

وكان يقول : (جلوسُك في خرابةٍ وأنت معتوقٌ من رقِّ الشهوات ، خيرٌ لك من جلوسك في قصرٍ مشيد وأنت مسجونٌ في سجنِ الشهوات ، مَحجوبٌ عن محبوبك) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [النور : ٣٧] : (فأما تقلُّب القلوب : فهو أن يصيرَ ما في القلوب هنا ظاهراً على القوالب هناك ، فمن كان في قلبه كمينُ شرٍّ أو خيرٍ هنا ظهر عليه ظاهراً هناك ، وأما تقلُّب الأبصار : فهو أن يظهرَ حكمُ البصائر هنا في الأبصار هناك ، فكلُّ ما لا يصحُّ للعبدِ أن يراه في الدنيا إلا إيماناً يراه يوم القيامة عياناً ، وكلُّ مَنْ كشفَ اللهُ عن بصيرته هنا ، فرأىٰ ما لا يراه الناسُ إلا في يوم القيامة ، فما هو في الدنيا حقيقةً ، وإنما هو في حالٍ قياميٍّ عُجِّل له ، وهو في حال خوفٍ ؛ لأنه في ذلك اليوم ، فافهم) .

وكان يقول في حديث : « إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ »[1] : (فيه دليلٌ علىٰ أن من أراد أن الحقَّ تعالىٰ يحبُّهُ فلا يقعُ في شيءٍ من العيوب والنقائص ؛ لأن اللهَ لا يحبُّ من عبده إلا الجمال والكمال والطهارة) .

وكان يقول : (كلُّ من كانَ أغرقَ في الضلال كان أبعدَ من الإجابة ؛ ولذلك كان أبو بكر أسبق قريشٍ بالتصديق لمحمد صلى الله عليه وسلم لضعف رابطة الضلال عنده ، بخلاف غيره) .

وكان يقول : (الصوم في اللغة : الثبوتُ ، يقال : صام النهار إذا وقفت الشمس في مستواها ، فمعنىٰ : ﴿ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا ﴾ [مريم : ٢٦] أي : ثبوتاً علىٰ إفراد مشاهدة الرحمـٰن دون غيره) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص : ١٤] : (اعلم : أنَّ كلَّ من دخل مقام الإحسان فعبَدَ اللهَ كأنه يراه فقد بلغ أشدَّه واستوىٰ ، ولو كان صبياً ، كما قال تعالىٰ في هـٰذه الآية ، فما آتاه حكماً وعلماً إلا علىٰ إحسانه ومشاهدته لمعبوده في عبادته) .

وكان يقول : (المحبَّةُ دائرٌ معها حب التوحيد والإخلاص ، فكلُّ مَنْ أحبَّ شيئاً

---

(١) رواه مسلم (٩١ / ١٤٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (٢ / ١٧٧) .

فلا يُريدُ أن يكونَ له فيه شريك ، ألا ترى الرجل لا يحب أن يكون له في امرأته شريك ، وكذلك المرأةُ لا تحبُّ أن يكونَ لها شريكٌ في زوجها ؛ من ضرة أو سرية ، ففي كلِّ محبٍّ من الشرك بالله علىٰ قدر ما أخلَّ بالمحبَّة ، والسلام) .

وكان يقول : (نفوس أهلُ الغي والضلال تنفرُ من أهل الهدىٰ والتقوىٰ ، وبالعكس ، فلا يتبعُ إمامَ الهدىٰ إلا المهتدون ، ولا إمامَ الضلال إلا الضالون ؛ ولأن صورة ضلالهم تشكلَّت في إمامهم ، فصَبَوْا إليها ، كلٌّ علىٰ شاكلتِهِ ؛ إيمانُهُ وكفره ، فلا يتبع الدجالُ إلا مَنْ في قلبه كفر ، والسلام) .

وكان يقول : (من أرادَ من الفسقةِ أن يكونَ في حفظِ ربِّ العالمين فليخدم الصالحين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٢] فانظر كيفَ حفظَ اللهُ الشياطين لمَّا خدموا أولياءه العارفين) .

وكان يقول : (جميعُ الأعمال إنما شرعت تذكرةً بمشرعها كي لا ينسوه ، ويَصْبُوا إلىٰ غيره : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه : ١٤] فافهم) .

وكان يقول : (من أراد ثباتَ الإخوان علىٰ ودِّهِ وثنائهم عليه بكلِّ لسانٍ ، فليقابلهم إذا آذوه بالحلم والغفران) .

وكان يقول : (من أشغلَ قلبَهُ بحبِّ شيءٍ من الأكوان ذَلَّ عند الله وهان : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ ﴾ [الحج : ١٨]) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾ [البقرة : ٣٠] : (إنما خصَّ الأرضَ بالذكر ؛ لأنَّ آدمَ عليه السلام كان خليفةً في الملأ الأعلىٰ ، حيث خرُّوا له ساجدين ، فافهم) .

وكان يقول : (اشتغالُ القلب بهمِّ الرزق مع راحةِ البدن عذابٌ على القلب ، وراحةُ القلب من همِّ الرزق مع تعبِ البدن عذابٌ على البدن ، فالراحةُ في ترك الاهتمام ، والسلام) .

وكان يقول : (الكاملُ : من يهضم نفسَهُ حتىٰ يُزكِّيه ربُّهُ علىٰ ألسنة خلقه ، وتأمَّلوا

إبليسَ لما قال : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف : ١٢] كيف أخرجَهُ الحقُّ من حضرته ولعنه ، وإلىٰ فرعون حين قال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] كيف أخذه الله نكال الآخرة والأولى ، وإلىٰ موسىٰ عليه السلام حين قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] كيف قال له لما أوجس في نفسه خيفة : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه : ٦٨] فافهم) .

وكان يقول : (من أراد أن يخلد الله عليه ما أنعم به عليه فليُضفْ ذلك إلىٰ ربِّه ، ويُثني عليه ، فيتكرَّمْ ويقول : الفضلُ لله ، ويحسن ويقول : المحسنُ هو الله ، وهـٰكذا) .

وكان يقول : (أفهامُ العارفين تستخرجُ الحكمة والهدىٰ مما اتخذه الغافلون هزواً ولعباً ، فإياك أن تُنكر ذلك على العارفين ، فتخوض في بحر الظلماتِ ؛ بل سلِّم للعارفين ؛ فإنهم في بحر الأنوار خاضوا ، وإنْ أردتَ أن تذوقَ ما ذاقوا فاسلكْ طريقهم) .

وكان يقول كثيراً : (ربَّما تكون جواهرُ قومٍ أصدافَ قوم آخرين : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦]) .

وكان يقول : (إذا ذكرتَ ذنوبك فلا تقلْ عليها « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ، فإن قلت ذلك فكأنك تُبرِّئُ نفسك منها ، وتضيفها إلىٰ حول الله وقوَّته ، وتُريد عدمَ الحجة عليك ؛ بل قل إذا ذكرت ذنوبك : « رب إني ظلمت نفسي ؛ فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم »(١)) .

وكان يقول : (من عملَ بصحبة المعرضين عن ذكر الله أهانَهُ اللهُ في عيون الخلق من الحكام والعلماء والعامة ، وبالعكس) .

وكان يقول : (كلُّ ما أغفلَ قلبَك عن ربِّك ، فهو عدوٌّ لربِّك ، فانظرْ حالك ؛ فإن صديقَ العدو عدو) .

وكان يقول : (مهما أضمرتَهُ في خاطرِك من السيئات ، ولم تتبْ منه توبةً متقبَّلَةً ظهرَ يومَ تُبلى السرائر) .

---

(١) قال تعالى في سورة القصص (١٦) : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] : (منَ الناس من يكونُ ردُّهُ بإقامة الأدلَّة عليه ، فإقامةُ الأدلَّة هي أحسنُ ، ومن الناس من يُذعن لأوامر الله بالترغيب أو الترهيب ، فذلك في حقِّه أحسن ، وبالجملة ، ومن الناس من لا يذعن للحق إلا بالقتال فقاتله أحسن ، ومن الناس من يكون الإغضاء والاحتمال في حقه أحسن ، وبالجملة : فكلُّ ما حصلَ به الإذعان للحق فهو مُجادلةٌ بالتي هي أحسن) .

وكان يقول : (لا ينبغي لفقيرٍ أن يتصدَّرَ لإرشاد المريدين إلا بعد إذنٍ إلـٰهيٍّ علىٰ لسانِ مَلَكِ الإلهام ، قال : ولقد أُلهمتُ إلهاماً في سنة تسعٍ وتسعين وسبع مئة ، صورتُهُ : يا علي ؛ إنَّا اخترناك لنشر الأرواح من ألحاد أجسادها[١] ، فإذا أمرناك بأمرٍ فاستمع : ﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ * إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية : ١٨ـ١٩]) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود : ٢٨] : (اعلمْ : أن السيادة لا تحصلُ لكلِّ من اشتهاها ، ولا يُكره عليها من أباها ، فينبغي للعبد أن يلازم الحبَّ والتمحيص ، والحقُّ تعالىٰ وليُّ الوهب والتخصيص) .

وكان يقول : (كلُّ امرأة تعلَّقتْ همَّتُها بالله فهي رجل ، وكلُّ رجلٍ تعلَّقت همَّتُهُ بغير الله فهو امرأة) .

وكان يقول : (لمَّا كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خُلُقِهِ ألا يواجهَ أحداً بمكروهٍ جازاه الله تعالىٰ بأن ذكَّرَ أمَّتَهَ ووعظهم ونبَّههم علىٰ عيوبهم بذكرِ عيوب الأمم السالفة ؛ وذلك لينزجروا ويعتبروا بغيرهم بحُسن عبارةٍ)[٢] .

وكان يقول : (العاقلُ لا يمدحُ نفسَهُ بقاله ، ولا يذمُّها بحاله إلا إذا أمره الشرعُ بذكر كماله ، قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ »[٣]) .

---

(١) كذا في (هـ) وحدها ، وفي باقي النسخ : (من أجسادها) بدل : (من ألحاد أجسادها) .

(٢) في هامش (ي) : (مطلب : كان عليه السلام لا يُواجه أحداً بذنبه) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٢٣) .

وكان يقول : (لا تأمنِ المُعتقِدَ فيك ، ولو ظهر لك منه غايةُ السكون والاعتقاد ، فإن نفسَ المعتقد إنَّما سكنتْ حيث عَقَلَها عقلُها النظري بعقالٍ ظنّي ؛ مَسَدُهُ من لحي[1] عوارض الأحوال والأعمال والأقوال ، والظنون بالتناسخ ، ومعلوم : أن الأعراض لا تبقىٰ ، فكأنَّك بالعقال وقد انحلَّ أو تمزَّقَ ، ورجع المعقولُ إلىٰ توحُّشِهِ وإفساده ، بخلاف المحبِّ لك ؛ فإنَّه لا يُريد إلا ما تريد ، لا يصرفُهُ صارفٌ ، ولا تردُّه السيوف والمتالف) .

وكان يقول كثيراً : (المحبُّون قليلٌ ، والمعتقدون كثير ، وما قلَّ وكفىٰ خيرٌ مما كثرَ وألهىٰ ، وكفىٰ باللهو ضرراً) .

وكان يقول : (من ظنَّ أنه حصل على المراد بالاعتقاد فذلك الذي ضلَّ بالله عن الله في كلِّ واد ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٣٣]) .

وكان يقول : (ينبغي لكلِّ كبيرٍ أن يتغافلَ عن كلِّ من أتىٰ مخالفةَ أمره متستِّراً ، كما ينبغي معاقبةُ كلِّ من أتىٰ ما يُغضبه مجاهرةً ، ومن هنا لُعن إبليس بتركه سجدةً واحدة ، وكم تركَ غيرُهُ صلواتٍ كثيرةً ، لٰكنْ علىٰ حجابٍ وجهل ؛ فلذلك أُمهل ولم يُعاجل) .

وكان يقول : (إذا خالقك أحدٌ بأخلاق البهائم فخالقْهُ أنت بأخلاقِ الأكارم ، فكلٌّ يعمل علىٰ شاكلته التي هي جزاؤه) .

وكان يقول : (لا يخلو عبدٌ عن محبّة الحقِّ لعلَّةٍ ، وأما المحبَّةُ الصادقة فهي فوق العلل ؛ ولذلك كان أصحابُها أقلَّ من القليل) .

وكان يقول : (ألسنةُ المحبة أعجميةٌ علىٰ غير أهلها ، وهي علىٰ أهلها عربيةٌ) .

وكان يقول : (من تنبَّهَ لنفسه لم يقنعْ بالقال عن الحال) .

وكان يقول : (كلُّ حجابٍ عن الحبيب عذاب ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [الدخان : ١٢] أي من خلف الحجاب) .

وكان يقول : (من أرادَ أن ينالَ مقامَ الرجال فليثبت تحت تربية أستاذه ؛ فإنه

---

(١) في (هـ ، و ، ي) : (سنده من لجج) بدل (مسده من لحي) .

ما ثبتت شجرةٌ قطُّ قَطعَتْ زمانها في التنقُّلِ من مغرسٍ إلىٰ مغرس) .

وكان يقول : (من كان لا يَرىٰ من أستاذه إلا وجهَ بشريَّته . . فلا يزيدُهُ ما كشف له من الحقِّ البين إلا إعراضاً وتكذيباً ونفوراً ، ومن ثَمَّ لا تجدُ عارفاً محقِّقاً يظهر لقومه إلا مِنْ حيث يشهدونه من ظهور المماثلة ؛ ولذلك قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لعموم أصحابه : « لا تُفضِّلوني علىٰ موسىٰ »[١] وقال لخصوصهم لمَّا فارقَ بشريَّته : إنه أفضل من جميع المرسلين والملائكة والمقرَّبين[٢] ، فقبلوا ذلك منه ببشاشةٍ ، ولو أنه قال ذلك لمن هو في بشريَّتِهِ لارتابَ ، وهـٰكذا الحكمُ في كلِّ وليٍّ مع قومه ، فافهم) .

وسئل عن الجود والهبة والسماحة والسخاء ، فقال : (الجودُ : هو سعةُ العطاء ، والهبةُ : إثباتُ العطية وإتمامُها علىٰ مَنْ أخذها ، والسماحةُ : سهولةُ العطاء ، والسخاءُ : سرعةُ العطاء للمحتاج لتفريج ما به بتلك العطية) .

وكان يقول : (عدمُ مغفرةِ الشيخ للمريد إذا أشركَ به في المحبَّةِ أحداً غيرَه من أخلاق الله تعالىٰ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ . . ﴾ الآية [النساء : ٤٨] فافهم) .

وكان يقول في معنىٰ حديث : « مَنِ اعترفَ بذنبِهِ ثمَّ تابَ تابَ اللهُ عليهِ »[٣] : (اعلموا أنه إنما لم تصحَّ توبةُ من لم يعترف بذنبه ؛ لأنَّ إنكارَ الذنب والاعتذار عنه بالكذب تزكيةٌ للنفس المذنبة ، وشهادةُ زور ، وتجهيلٌ لمن اعتذرت إليه : ﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ ﴾ [فصلت : ٢٣] ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ ﴾ [الأنعام : ٢٤] .

وإيضاحُ ذلك : أنَّ المذنبَ إذا اعترف بذنبه رقَّ له المُؤاخِذُ ، وكره عقوبته وتوبيخه بعد ذلك : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۞ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [يوسف : ٩١ـ٩٢] والعكس بالعكس ، أين هـٰذا الجواب من

---

(١) رواه البخاري (٢٤١١) ، ومسلم (٢٣٧٣/ ١٦٠) بلفظ : (لا تُخيِّروني علىٰ موسىٰ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٨٩) .

(٢) روى الترمذي (٣١٤٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر . . . وما من نبي يومئذ ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائي» .

(٣) رواه البخاري (٢٦٦١) ، ومسلم (٢٧٧٠) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٩٠ ، ١٩٨) .

جواب قولهم : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف : ٧٧] حيث لم يعترفوا بأن يوسفَ كان مظلوماً ؟!) .

وكان يقول : (إضافةُ الأموال إلى العبدِ كإضافة الإقليم إلى العامل عليه ، فمن ادَّعىٰ مُلكَ شيءٍ بيده من الأموال دون سيده فقد خابَ وافترىٰ ، وكان عليه فتنةً ، ومن اعترفَ بأنَّ ما في يده كلَّهُ لسيده فليس ذلك بفتنةٍ في حقِّهِ ، ولو مَلَكَ العالم كلَّهُ ؛ لأنَّ ذلك إنما هو لمولاه ، ومولاه تعالىٰ لا يستكثر عليه شيءٌ ، فلا يَنتقصُ وليّاً لله تعالىٰ بكثرةِ ما في يده من المال إلا جاهلٌ ، وتأمل قولَهُ صلى الله عليه وسلم : « أُعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ »[1] فكان صلى الله عليه وسلم يعلم أنَّ العبدَ كلما كثرَ مالُ سيده عنده كلما كثرَ فضلُ الله عليه ، وظهرت فضيلتُهُ عند مولاه علىٰ غيرِهِ من العبيد .

فعلم : أن موضعَ فتنة المال إنما هو دعوى المُلْك ، والسلام) .

وكان يقول : (من شرطِ من يطلبُ أن يكونَ إماماً يُقتدىٰ به : أن يهاجرَ بهمَّتِهِ عما تشتهي الأنفس البشرية ، ألا ترىٰ إلىٰ آدم عليه السلام لم يُعطَ الخلافةَ إلا بعد أن هاجرَ من الجنة ، وما فيها من شهوات النفوس إلى الأرض ، وهـٰكذا كلُّ من أُريد به أن يكون إماماً حقّاً ؛ فإنه لا يقوم بالحق إلا بعد أن يخرجَ ويهاجرَ بهمَّتِهِ عما يشغلُ قلبَهُ عن ربِّه : ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٨٩] فافهم) .

وكان يقول : (كلُّ يومٍ من يوم الأستاذ في حضرة مراقبته لربِّهِ كألفِ سنة مما يعدُّ المريدُ عند ربِّه) .

وكان يقول : (من رأىٰ من أولياء الله أجسامَهم ، لم يزدْه ذلك إلا غفلةً عن مقامهم ، واستغراقاً في سوء الظنِّ بهم ، وقلَّة الأدب معهم ؛ لأنه حُجب برؤية الجسم عن الحقائق) .

وكان يقول : (جميع ما يراهُ المحجوبُ من العارف فهو صورةُ الرائي لا المرئي ، فإن رآه زنديقاً فهو زنديق في علم الله ، وإن رآه صدِّيقاً فهو صدِّيق في علم الله ؛ لأنَّ العارف مرآةُ الوجود) .

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٤) ، ومسلم (٢٢٩٦/ ٣٠) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه (٢/ ١٩١) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحىٰ : ٣ـ٤] : (القلى : البغض ، والتوديعُ : البعدُ ؛ أي : عدم قلاه لك خيرٌ لك من عدم توديعه لك فـ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ هي الأولىٰ من هاتين الكلمتين ، و﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ هي الأخرىٰ منهما ، وإنما كان ذلك لأن البعدَ مع المحبة والرضا خيرٌ من القرب مع البغض والغضب ، فافهم) .

وكان يقول : (من مشىٰ مع وليٍّ لله تعالى ابتغاءَ مرضاته ، أبعدَ اللهُ وجهَهُ عن النار سبعين خريفاً) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران : ١٥٢] : (أي : يُريدُ الدنيا للآخرة ، ويُريد الآخرة لله ، ومنكم من لا يُريدُ سوانا ، وفي الآية دليلٌ علىٰ أن المؤمن قد يُريد الدنيا ، ولا يقدحُ ذلك في أصل إيمانه) .

وكان يقول : (امتهان الأولياء بعد معرفتهم سُمٌّ ساعة ، فمتىٰ خالطَ القلبَ ماتَ لوقته ، وواضعُ العلم في قلبٍ متدنّسٍ بالرئاسة وحبِّ الدنيا كواضعِ العسل في قشورِ الحنظل) .

وكان يقول : (لا تكملُ لعبدٍ معرفةُ الله إلا إن نفذ بسره من جميع الأقطار العلويات ، والسفليات ويتجاوز حدَّ الخفض وحد الرفع) .

وكان يقول : (صاحبُ الزمان في كلِّ عصرٍ وأوان واحدٌ ، وإن كانوا كثيراً ، فهم واحدٌ في الصورة باطناً ؛ كموسىٰ وهارون مثلاً ، فهما اثنان حسّاً وواحد في الحقيقة : ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٦] كما إذا شئتَ أن تعبِّر عن اسم الذات الأقدس بالعربية فتقول : الله جل جلاله ، كما أنه بالفارسية : خداي ، وبالعبرانية : الوهيم ، وبالتركية : تنغري ، وبالرومية : أربوص ، وبالقبطية : ليلصا[١] ، وفي كلِّ لغةٍ بلفظٍ ، وانظر إلىٰ جبريل حال تمثُّله في صورة البشر لم يخرج عن كونه جبريل ذا الأجنحة والرؤوس المتعدِّدة ، بل هو عينه في كلا الصورتين ، واحدٌ لم يتعدَّدْ) .

---

(١) في (ز) : (ليصا) ، وفي (ي) : (ليلسا) .

وكان يقول : (مخالفةُ الحقِّ لأغراضِ المحبِّين له دليلُ صدقٍ علىٰ محبَّته لهم) .

وكان يقول : (العلمُ في غير حكيم شمسٌ طلعت من مغربها ، والعلمُ في غير آدوب[1] شهدٌ وضع في قشر الحنظل) .

وكان يقول : (من وافقَ أستاذَهُ في أفعاله طابقه فيما أخبر به عن مقاله ، ومن خالفه في أفعاله فقدَ المطابقةَ في فهم معاني أقواله) .

وكان يقول : (لا يخرجُ أحدٌ عن القول بالجهة في شهود الحقِّ إلا من نفذَ من أقطار السماوات والأرض ، ولا ينفذُ مَنْ أقطارها مَنْ حكمتْ عليه بقيَّةٌ جسمانيةٌ ؛ لأن جسم الإنسان هو سجنه ، فإذا فارقَهُ فارقَ السجن) .

وكان يقول : (من التفتَ إلىٰ بشريَّتِهِ بالكلية ، حُجب عن الحقائق الربانية ، وسُلبت عنه الحقيقة الإنسانية) .

وكان يقول : (علامةُ فلاحِ المريد مع أستاذه ثلاثةُ أمور : أن يُحبَّهُ بالإيثار ، ويتلقَّىٰ عنه كلَّ ما سمعه منه بالقبول ، ويكون معه بالموافقة في سائر الشؤون) .

وكان يقول : (من تقرَّبَ من أستاذه بالخدم ، تقرَّبَ الحقُّ إلىٰ قلبه بواسطة الكرم ، ومن آثر أستاذَهُ علىٰ نفسه كشفَ اللهُ عن حظيرة قدسه ، ومن نزَّهَ حضرةَ أستاذه عن النقائص منحه الله بالخصائص ، ومن احتجبَ عنه أستاذُهُ طرفةَ عينٍ ، أوبقه الله في بوائق البين ، ومن لم يستحل مقارعَ الأستاذ لم تُجْلَ له عروسُ الوداد ، تباً لمريدٍ جمحَ بطبعه عن الدليل ، لقد ضل عن سواء السبيل ، كتب الله علىٰ نفسه ألا يدخلَ قلباً فيه سواه ، ولا يظهرَ لعينٍ رأت غيرَهُ في مرآه) .

وكان يقول : (قلبُ العارف حضرةُ الله ، وحواسُّهُ أبوابها ، فمن تقرَّبَ إلىٰ حواسِّ العارف بالقُرَبِ بالملائمة فُتحت له أبوابُ الحضرة) .

وكان يقول : (من مَلَكَ أخلاقَهُ فهو عبدُ الله ، ومن ملكته أخلاقه فهو عبدها ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣]) .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، ولعلها بمعنىٰ : أديب .

وكان يقول : (من قال عند ظهور براءته من الريب : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ﴾ [يوسف : ٥٣] قال له الملك : ﴿ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ [يوسف : ٥٤]) .

وكان يقول : (من تجرَّدَ من جميع العلائق فهو مرآة الوجود ، وما قابلتها صورة إلا وانطبعتْ فيها ، فمن رأىٰ خيراً فليحمد الله ، ومن رأىٰ غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه) .

وكان يقول : (يكفيك من الطعام ما يقوِّيك علىٰ فعل ما أمرك الله به ، ومن الملبس ما لا يُسفِّهك به العاقل ، ولا يزدريك به الجاهل ، ومن المسكن ما واراك عمن لا تريد أن يراك ، ومن الأدب ما يقيك من غضب الكريم والعالم ، وجرأة اللئيم والظالم ، ومِنْ حُسْنِ الظنِّ بالله ما لا يجرئ علىٰ معصيته ، ولا يوئس من رحمته) .

وكان يقول : (من قَبِلَ النصيحة أَمِنَ الفضيحة) .

وكان يقول : (محلُّ الشعر ظاهرُ الشخص لا باطنه ، ولو نبت في القلب شعرةٌ واحدة لماتَ صاحبه لوقته ، فلا تشغلْ قلبَك بشيءٍ من الملاذ الدنيوية ؛ فإنها بمنزلة الشعر ، فالقلبُ بيتُ الواحد الذي مَنْ أشركَ معه شيئاً تركَهُ وشريكَهُ) .

وكان يقول : (من أحبَّ اللهَ لم تسو الدنيا عنده رِجلَ ذُبابةٍ من الذباب ، وخضعت له الرقاب ، فكيف تخضعُ لشيءٍ يؤول إلىٰ تراب ؟!) .

وكان يقول : (مخالطةُ الغافلين عن الله عز وجل عقوبةٌ على المريدين ، ورحمةٌ ونعمة للعارفين ؛ ليرشدوهم إلىٰ مسالك المتقين) .

وكان يقول : (النفسُ مطيةُ المؤمن ، فلا تسمح لنفسِك بشكاسة خلقها ، وكثرة نفارها ؛ فإنها مطيَّتُكَ على الصراط ، فتتعب بها إذا جريت[1] على الصراط ، وتأخَّرتْ إلىٰ وراء ، وربَّما أوقعتك في النار ، فرُضْها علَّها أن تُوصلَكَ إلى الجنة بلا وقوعٍ في النار : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران : ١٨٥]) .

---

(١) في (أ ، و) : (جزت) بدل (جريت) ، وفي (هـ ، ي) : (حرنت) ، وفي (ز) : (فتتعبك إذا جزت) .

وكان يقول : (ما بنى الحقُّ تعالىٰ هٰذا البدن باقتداره ، ووضع فيه منظرةً ، وبادهنجا[١] ، ومنتزهاً ، وخزانة ، ومزبلة ، وبالوعة ، وكنيفاً إلا لحكمةٍ يرضاها ، فلا تيئس من روحه ورضوانه ولو أتيتَ بقُراب الأرض خطايا ما دمتَ تشهدُ أن لا إلٰه إلا الله) .

وكان يقول : (من رضي بشيءٍ تنعَّم به ، ومن سخط علىٰ شيءٍ تعذَّب به ، فالشيءُ الواحد نعيمٌ علىٰ من رضيه ، وجحيمٌ علىٰ من سخطه ، اللهم ؛ هبْ لنا الرضا المطلق بجميع أحكامك) .

وكان يقول : (إنما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ [نوح : ١٩] ليعلِّمَ عباده التواضعَ ، فمن تواضع انبسطَ) .

وكان يقول : (من ركنَ إلىٰ ظالمٍ مسَّتْهُ النارُ إلا من رحم الله : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] أي : نارُ الفتنة ، وكفىٰ بالخدمة لهم ركوناً ، فعلم : أنَّ من ركنَ إلىٰ ظالمٍ ، وخلص منه سالماً من فتنته فتلك له كرامة إبراهيمية بحسبه) .

وكان يقول : (أصحابُ المكنة عبادُ الله الرزَّاق ، لا عباد الرزق ؛ فمن كان عبد الرزاق فالأرزاقُ محتاجةٌ إليه ، ومن كان عبدَ الأرزاق فهو محتاج إليها ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورىٰ : ٢٧] فالضميرُ في قوله : ﴿ لِعِبَادِهِۦ ﴾ عائدٌ على الرزق ؛ لأنه أقربُ معهودٍ ، وإنما بغوا فيه لسوء تصرُّفهم) .

وكان يقول : (من خافَ ورجا فقد مدحَ وهجا ، ومن رضي وسلَّم فقد حمد وعظَّم ، فانظر ماذا ترىٰ ؛ فإن شدَّةَ الخوف ربما تكون من سوءِ الظنِّ ممَّن خفتَ منه) .

وسُئل رضي الله عنه عن تجمُّل الشاذلية بالثياب والمآكل اللذيذة ، ودعواهم أنهم على الطريقة ، مع أن السلفَ الصالح إنما كانوا متقشِّفين في اللباس والمطعم ، وبذاذة الهيئة ، فقال رضي الله عنه : إنما تجمَّل الشاذليةُ بالثياب وغيرِها إظهاراً للغنىٰ عن

---

(١) بادهنج : معرب بادكير ، وهو المنفذ الذي يجيء منه الريح ، وسُمِّي : راووق النسيم . « شفاء الغليل » (ص ٤١) .

الخلق ، ورضاً بما أعطاهم الحقُّ تعالىٰ في سرائرهم حين لبسَ غيرُهم المرقعاتِ إظهاراً للفاقة ، واستجلاباً لما في أيدي الناس .

وأما السلفُ الصالح فما لبسوا الثيابَ الرثَّة ، وأكلوا خشنَ الطعام إلا حين وجدوا أهلَ الغفلة قد انهمكوا على الدنيا ، واشتغلوا بتحصيل الزينة الظاهرة تفاخراً بالدنيا ، والركون إليها ، فخالفوهم بإظهار حقارة الدنيا التي عظَّمها أهل الغفلة ، وقنعوا بالأطمار الرثة والخليقات[1] ؛ لأنهم كانوا قدوةً للناس .

فعلم : أن الشاذلية ما خالفوا السَّلفَ في رثاثة الحال نفوراً من الاقتداء بهم ، وإنما هو نفورٌ من حالِ فقراء زمانهم الذين جعلوا بذاذةَ هيئتهم حيلةً علىٰ تحصيل الدنيا[2] .

وقد أشار إلىٰ نحو ذلك الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بقوله لبعضٍ من أنكرَ عليه جمالَ ثيابه من أصحاب الرثاثة : ثيابي هـٰذه تقول : الحمدُ لله ، وثيابك هـٰذه تقول : أَعطوني شيئاً من دنياكم ، والقومُ أفعالُهم دائرةٌ مع مرضاة الله ، فلو خالطْتَهم لعرفتَ مرادَهم ؛ ولذلك كان سيدي الشيخ أبو الحسن يقول لأصحابه : كلوا ألذَّ الطعام ، والبسوا ألينَ الثياب ؛ فإن العبد منكم إذا فعل ذلك ، وقال : الحمد لله يستجيبُ كلُّ عضوٍ فيه للحمد ، وإذا أكلَ الخشنَ ، ولبسَ الخشن ، وقال : الحمد لله يقولُها وعنده اشمئزازٌ في نفسه ، فلم يخلص له الرضا بما أعطاه الله ، وانشراحُ الأعضاء للحمد أعظمُ أجراً من التقشُّف مع عدمه ، فافهم) .

وسئل عن قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] فإنْ قال قائل : لا مغفرةَ إلا من حيثُ الذنب ، فالأمرُ بالمسارعة إلى المغفرة أمرٌ بالذنب ، قلنا : هـٰذا لا يقوله إمام هدىً رباني إلا علىٰ معنىً أنه تعالىٰ أمر عبده بأن يرىٰ نفسه مُذنباً وإن أطاع جهدَهُ ؛ لتحقُّقه عجزه عن قيامه بتمامِ حقِّ ربِّه في كلِّ طاعةٍ ، وأما علىٰ أنه يأتي الذنب فلا ، فافهم ، وإياك والغلطَ) .

وكان يقول في قول أبي يزيد البِسطامي رضي الله عنه : (خضتُ بحراً وقفَ الأنبياء

---

(١) **الأطمار** ، جمع طمر : وهي الثوب الخَلَق .

(٢) **البذاذة** : رثاثة الثياب .

بساحله) : (معناه : أن الأنبياء عبروا بحر التكليف إلىٰ ساحلِ السلامة ، ووقفوا علىٰ ساحله الآخر يتلقَّون مَنْ سَلِمَ ، وبهٰذا أُرسلوا ، وبهٰذا أُمروا ، وأشهىٰ ما إليهم وصول أممهم إلىٰ محلِّ الخوض الذي هو إشارةٌ إلى القرب من ساحل السلامة ؛ فإن السفينةَ قد انكسرتْ بالخلق من يومَ أكل آدم من الشجرة ، فكان في ذلك إشارةٌ إلىٰ ما يقع فيه بنوه ، وهو عليه السلام ناج بلا شكٍّ ، ولو أكل الشجرةَ كلَّها ، فافهم) .

وكان يقول : (من دعاه المحبوبُ فلا عائقَ ، ومن جذبَهُ داعي الغيوب فما على القلوب دروب) .

وكان يقول : (لا تأمنِ انتقال النفوس التي هي للمنقولات أميل عما كانت معك عليه ؛ فإنها بالطبع منقولة ، ولا ترجو من النفوس التي هي للمعقولات أميل إطلاقاً من عقالها[1] ، وإن أظهرتْ لك الميلَ إلىٰ ذلك ؛ فإنها بالأصل معقولة) .

وكان يقول : (إنما أطلق صلى الله عليه وسلم الغسل في حديث : « فمنْ جاءَ منكمُ الجمعةَ فليغتسلْ »[2] ليشمل غسلَ القُرَبِ كلِّها ، وذلك بالمسارعة إلى امتثال الأمر والعمل به ، فيغسل النفسَ بالتوبة ، ويغسل الهمَّةَ بالإخلاص ، ويغسل القلبَ بالتوحيد) .

وكان يقول لأصحابه : (عليكم بلزومِ ذكرِ المحبوب ؛ فإنه جليسُ مَنْ له ذَكَرَ[3] ، ولن يُعدمَ جليسُ الكريم من ظفر) .

وكان يقول : (من ذاق حقيقةَ الطاعة وصل إلىٰ حضرة ربِّهِ في ساعة) .

وكان يقول : (منِ ادَّعىٰ في نفسه الكبرياء والعظمة فلا فرقَ بينه وبين من قال :

---

(١) في « طبقات المناوي » (٣/ ٢١٣) : (انطلاقاً) بدل (اطلاقاً) .

(٢) رواه البخاري (٨٧٧) ، ومسلم (٨٤٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) إشارة إلى الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٢٣١) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٧٠) عن كعبٍ قال : قال موسىٰ عليه السلام : أي ربِّ ؛ أقريبٌ أنتَ فأناجيك ، أم بعيدٌ فأناديك ؟ قال ياموسىٰ : « أنا جليس مَنْ ذكرني » ، وعند البيهقي أيضاً في « الشعب » (٦٩٧) أنَّ أبا أسامة قال : قلت لمحمد بن النضر : أما تستوحش من طول الجلوس في البيت ؟! قال : وما لي أستوحش وهو يقول : « أنا جليس من ذكرني » .

« إني إلـٰه من دونه » وكفىٰ بذلك كفراً ، فافهم) .

وكان يقول : (من شرطِ المحقِّق : أن يخاطب أهل كل مرتبة بلسانها ؛ لأن كل شيء عنده بمقدار ، فلا يخاطب أهل الحديث بغير حديثهم ، ولا أهل النظر بغير نظرهم ، ولا أهل الذوق بغير ذوقهم) .

وكان يقول : (مِنْ كمال سياسة الداعي إلى الله تعالىٰ تأليفُ الناس عليه أولاً بالإحسان ، وطيبِ الكلام ، وتخفيف المأمورات ، فإذا رسخوا فله التحكُّمُ فيهم كيف شاء ، وعليه يُحمل أمرُ بعض العارفين مريدَهُ أن يعتزلَ زوجتَهُ وأولاده إذا خاف عليه الفتنةَ ، والاشتغالَ عن الله عز وجل ؛ ولهـٰذا وجبتِ الهجرةُ من أرض العدوِّ الكافر خوفَ الفتنة في الدين) .

وكان يقول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٣٨] : (في هـٰذه الآية دليلٌ واضح علىٰ نفي الجهة عن الله تعالىٰ ، وجهُ الدلالة : أنَّ قاعدة الترقِّي تقتضي أن يكونَ الاطلاعُ علىٰ ما في الأرض أقرب من الاطِّلاعِ علىٰ ما في السماوات ، فلو كانتِ السماءُ جهةَ الله لم تُؤخَّر في الآية ؛ إذ لا يحسنُ أن يقالَ : لا يخفىٰ على الملك شيءٌ في البلاد القاصية ولا في بيته أو بلده ، وإنما يحسن أن يقال : لا يخفىٰ عليه شيء في بلده ولا في البلاد القاصية علىٰ بلده ، فلو كان للحقِّ تعالىٰ جهةٌ لاقتضت هـٰذه الآية أن تكون الأرض جهته ، لـٰكنَّ الخلقَ كلَّهم متَّفقون علىٰ أنَّ الحقَّ تعالىٰ منزَّهٌ عن جهة الأرض ، والآيةُ تدلُّ علىٰ أنه تعالىٰ منزَّهٌ عن جهة السماء فما فوقها ، ولا جهة غيرهما تليق به ، فلا جهة للحقِّ أصلاً ، فافهم) .

وكان يقول : (إذا دعوتَ ربَّك في حاجةٍ ولم يُجَب ، فذلك لعدم صدقِكَ في الاضطرار كما وجب) .

وكان يقول : (قوَّةُ الاعتقاد توجبُ قبول النصح ، وبالعكس موجبٌ للردِّ) .

وكان يقول : (لا بدَّ لكلِّ إمامِ حقٍّ من النَواب أن يقابلَهُ إمامُ باطلٍ من ثلمة النيابة ، فآدمُ قابلَهُ إبليس ، ونوحٌ قابله حام وغيره ، وإبراهيم قابله نمروذ ، وموسىٰ قابلَهُ

فرعون ، وداود قابله جالوت وأضرابه ، وسليمان قابله صخر ، وعيسىٰ قابله في حياته الأولىٰ بختنصر ، وفي حياته الثانية الدجال ، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكنْ له مقابلٌ حقيقة لإتيانه بالإحاطة الخفية ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] بل هو صلى الله عليه وسلم حقٌّ قُذف به على الباطل ، فإذا هو زاهقٌ ، حتىٰ قال أبو جهل : والله ؛ إني لأعلمُ أنَّ محمداً صادق) .

قلتَ : ووجه الاستدلال بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] من جهة باب الإشارة خفيٌّ جدّاً ؛ فإنه تعالىٰ كما هو ربُّ محمد كذلك هو ربُّ بقيَّةُ الأنبياء ، إلا أنَّ تجلِّي الخفاء لا يلحظه غيرُ أهله من حيث إفرادُهُ تعالى الضمير هنا ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٨٦] فافهم ، فلم يَعدُّو أبا جهل وأضرابَهُ مقابلاً لمحمد ، فافهم .

وكان رضي الله عنه يحثُّ أصحابه علىٰ قراءة حزب العشاء والصبح ، ويقول : لا رخصةَ في تركهما في حضرٍ ولا سفر ؛ فإنهما صدقةُ الله على الصادقين من عباده : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ . . . ﴾ الآية [الكهف : ٢٨] .

وكان يُشير علىٰ أصحابه إذا كتبَ أحدٌ منهم كتاباً أن يجعلَ صدرَ الكتاب : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، يا مولاي ، يا واحد ، يا مولاي يا دائم ، يا عليُّ يا حكيم : مِنْ عبدِ الله فلان ، إلىٰ أخيه أبي فلان ، أمتعه اللهُ بما منَّ به عليه ، وبلَّغه ما وجَّهه منه إليه ، أما بعد : أحمدُ إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو ، وهو هو بما هو هو سيِّدي وربِّي وهو مولاي ، وحسبي ليس إلا هو ، وصلَّى الله بذاته ، وسلَّم بأسمائه ، وبارك بصفاته علىٰ أحمد ومحمد ، إحاطة تنزُّلاته ، وحيطة تجلِّياته ، وعلىٰ آله وصحبه ومحبِّيه عيون تعيناته ، ومثل تمثلاته بمحامده وسبحاته ، وكلٌّ من عند الله ، وإلى الله تُرجع الأمور .

وفي هـٰذا القدرِ من عيون كلام سيِّدي عليٍّ كفاية ، فمن أراد زيادةً علىٰ ذلك فلينظر في « الطبقات الكبرىٰ »[1] .

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ١١٣) .

وبالجملة : فقد طالعتُ كثيراً من كلام الأولياء فما رأيتُ أكثر علماً ، ولا أرقىٰ مشهداً من كلام سيِّدي عليٍّ رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣١٧) سيِّدي حسن الصائغ رضي الله عنه[١]

المدفون بناحية إخنا[٢] .

كان مقيماً بطندتا ، فلما قَرُبَ مجيء سيدي أحمد البدوي من العراق صارَ يقول : قد جاء صاحبُ البلاد لها ، فمن شاء دخل تحت حكمه ، ومن شاء رحل .

فأما سيدي سالم المغربيُّ فدخل تحت حكمه فسلم ، وهو مدفون قريباً من مقام سيدي أحمد .

وأما غيرُه فلم يُسلِّم ، فسُلب .

وأما سيدي حسن هـٰذا فرحلَ إلىٰ بلاده ، فكانت إقامتُهُ ببلده حتىٰ مات رضي الله عنه .

ومنهم :

(٣١٨) سيدي الشيخ عبدُ العال خليفةُ سيدي أحمد البدوي رضي الله عنهما[٣]

كان من أجلِّ أصحاب سيدي أحمد .

وهو صاحبُ البشت الأحمر ، الذي يلبسُهُ الخليفةُ في المولد كلَّ سنةٍ .

---

(١) انظر ترجمته في « طبقات المناوي الصغرىٰ » (ص ٢٥٩)، و« الخطط التوفيقية » (٨/ ١٤١)، وفي (هـ ، و ، ي) : (علي الصائغ) .

(٢) **إخنا** : كورة من كور الحوف الغربي من مصر ، قرب الإسكندرية . « معجم البلدان » (١/ ١٢٤).

(٣) انظر « السلوك » (٢/ ٢/ ٣٥٥) ، و« النجوم الزاهرة » (٩/ ٢٩٥) ، و« حسن المحاضرة » (١/ ٤٩٥) ، و« طبقات المناوي » (٣/ ٤٦) ، و« طبقات الشاذلية » (ص ٩٩) ، ولا يكاد يخلو كتابٌ ترجم للشيخ أحمد البدوي إلا وذكر الشيخ عبد العال ، وقد تقدم ذكره في « الطبقات الكبرىٰ » . انظر الفهرس العام .

وهو الذي بنىٰ مقام سيدي أحمد والمئذنة ، ورتَّبَ السماط ، والأشائر ، وأصغر الخبزَ .

وهو من أكبر أصحاب السطح الذي صحبوا سيدي أحمد ، وهو مقيمٌ فوق سطح دار ابن شحيطة شيخ طندتا ؛ فإنه رضي الله عنه أقام فوق السطح اثني عشر سنة ، وقيل : عشر سنين ؛ ولذلك سُمِّي السُّطوحي ، وسُمِّي أكابرُ أصحابه السطوحيةَ .

وكان صورةُ صحبتهم له كما أخبرني به شيخُنا الشيخُ محمد الشِّنَّاوي الأحمدي رضي الله عنه : أن سيدي عبد العال كان يأتي إلىٰ سيدي أحمد بالبدويِّ الذي يبول في ثيابه ، فينادي سيدي أحمد من فوق السطح ، فيأتي فينظرُ إلىٰ ذلك الشخص نظرةً واحدةً ، فيملؤه مدداً ، ثم يقول لسيدي عبد العال : أرسله إلى البلد الفلانية ، فيكون فيها مقامُهُ إلىٰ أن يموت .

وكان سببُ اجتماع سيدي عبد العال بسيدي أحمد : أنَّ سيدي أحمد قبل دخوله إلىٰ طندتا مرَّ علىٰ ناحية فيشا المنارة ، وعيناه متورمتان ، فطلب من سيدي عبد العال بيضةً من بيض الدجاج يجعلها علىٰ عينيه ، وسيدي عبدُ العال صغيرٌ يلعب مع الصغار ، فقال لسيدي أحمد : وتعطيني هـٰذه الجريدة الخضراء التي معك ؟ فقال سيدي أحمد : نعم .

فذهب سيدي عبد العال إلىٰ أُمِّهِ ، فقالت : ما عندنا بيض ، فرجعَ إلىٰ سيدي أحمد ، وقال : ما وجدتُ لك شيئاً يا عمِّ ، فقال سيدي أحمد : ارجعْ تجدْ الصومعةَ كلَّها بيضاً ، فرجعَ إلىٰ أمِّهِ ، فأخبرها بذلك ، فنظرتْ إلى الصومعة ، فوجدتها ملآنةً بيضاً ، فخرجتْ مع ولدها إلىٰ سيدي أحمد ، ورأت ولدَها يتبعه لا يستطيع أن يمنعَ نفسَهُ من اتباعه ، فقالت : يا بدوي الشؤم علينا ، فقال : قولي : يا بدوي السعادة ، سيصيرُ لولدك هـٰذا شأنٌ عظيم ، فقالت : من أين عرفت ولدي ؟ فقال لها : من يوم أخذه الثورُ في قرونه وشردَ ، فما أخذه من قرونه إلا أنا ، فتذكَّرتْ أنها كانت وضعتْ سيدي عبد العال وهو في القماط في معلفِ الثور ، فجاء الثورُ ليأكل ، فدخلتْ قرونُ الثور في قماطه ، فحمله وهاج الثورُ ، فلم يستطعْ أحدٌ أن يُنزله من قرونه ، فمدَّ سيدي أحمدُ يده ـ وهو في ناحية الدهناء قريباً من الينبوع ـ فخلَّصه ، ووضعه علىٰ مصطبةٍ

هناك ، فاعترفتْ أمُّهُ بذلك واستغفرت ، ومضىٰ ولدُها مع سيدي أحمد إلىٰ طندتا إلىٰ أن كان ما كان رضي الله عنه .

ومما شهدتُهُ من كراماته في سنة سبعٍ وأربعين وتسع مئة : أن شخصاً راود امرأةً عن نفسها في قبّتِهِ ، فسمَّره ، وييَّسَ أعضاءَهُ ، فكان يصيحُ حتىٰ كاد أن يموت ، فأخبروني به ، فمضيتُ إلىٰ قبره ، وأمرت بعضَ الفقراء أن يسألَ سيدي عبد العال في الصفح عنه ، فقرأ الفاتحة ودعا ، فانتشرتْ أعضاؤه ، وتاب إلى الله من ذلك اليوم ، وصار من الفقراء الملاح .

وكراماته كثيرةٌ مشهورةٌ في بلاده ، وبين الفقراء الأحمدية وغيرهم ، رضي الله عنه .

ورأيت بخطِّ الشيخ جمال الدين سِبط الحافظ ابن حجر رضي الله عنه ما نصُّه : (لمَّا مات سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه في يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول سنة خمسٍ وسبعين وست مئة . . تخلَّف بعده الشيخُ الصالح المُعمَّرُ عبدُ العال ، فشيَّد أركان البيت ، ورتَّبَ الأشائر ، وقصده الناس للزيارة من سائر الأقطار حتىٰ تُوفي يوم السبت العشرين من ذي الحجة سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مئة .

فتخلَّفَ من بعده أخوه شقيقُه الشيخ الصالح **زينُ الدين عبد الرحمـٰن** فعمرَ البيتَ ، وقصدَهُ الناسُ من كلِّ ناحيةٍ للزيارة والتبرُّك بدعائه الصالح والنذور والشفاعات عند الحكام ، حتىٰ تُوفي في الرابع والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

فتخلف من بعده الشيخُ الصالح **نور الدين أبو محمد علي** شقيق الشيخ عبد العال أيضاً ، فلم يزلْ قائماً بشعائر المقام حتىٰ تُوفِّي في ليلة الأحد سابع عشرين رجب سنة تسعٍ وثمانين وسبع مئة .

فتخلَّف من بعده ولدُهُ المُعمَّر **محمدُ شمس الدين** ، فجاد وساد ، وخضعت له رقاب الولاة وغيرهم حتىٰ تُوفي يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان سنة اثنين وأربعين وثمان مئة ، ودفن بالمقام .

فتخلَّف من بعده ولده **أحمد** ، فسار سيرةً حسنة في المقام حتىٰ تُوفِّي يوم الثلاثاء

الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ستٍّ وأربعين وثمان مئة .

فتخلَّف من بعده ولد أخيه **عبد الكريم بن علي بن محمد** ، فلم يزل خادماً للمقام حتىٰ توفي مقتولاً يوم الأربعاء في صفر سنة اثنين وستين وثمان مئة) انتهىٰ ما رأيتُه بخطِّ الشيخ جمال الدين سبطِ الحافظ ابن حجر رضي الله عنه .

ثم زاد الشيخ زين العابدين السَّخاوي علىٰ ذلك قوله : (ثم إنه جلس بعد عبد الكريم الشيخُ **سالم** قرابة الخواجا شمس الدين المعروف بابن الزكين[1] صاحب المدارس والرُّبط في مصر ومكة والمدينة وغيرها ، ثم عُزل سالم ، وجلس بعده أبوه ، ثم عُزل أبوه ، وتولَّىٰ سالم ولدُهُ بعده ثانياً حتىٰ توفي ، فجلس بعده ولدُهُ **الأسمر** ، وكان سِنُّهُ دونَ سنِّ التمييز ، ثم عُزل عنها بأخيه **الأبيض** ، وأجلسوه وسنُّهُ دون العشر سنين ، قال : ولم أعرفْ اسمَ الأسمر ولا الأبيض حتىٰ أُسمِّيَهُ) انتهىٰ ما ذكره زين العابدين السخاوي سبط الحافظ السخاوي .

قلت : اسمُ الأسمر الشيخ إبراهيم ، والد الشيخ أبي البقاء الموجود الآن ، واسم الأبيض الشيخ محمد ، والدُ الشيخ عبد الكريم ، وقد توفي الشيخ محمد هـٰذا في حلب لمَّا سافرَ مع السُّلطان الغوري في تجريدة قتال السُّلطان سليم بن عثمان .

وتخلَّف بعده ولدُهُ الشيخ **عبدُ الكريم** ، فمكث في الخلافة نحو خمسين سنة ، وكان كثيرَ الاحتمال للأذىٰ ، كثيرَ الحياء ، لا يُواجه أحداً بمكروهٍ ، كثيرَ التواضع مع الناس إلىٰ أن تُوفي رابع عشر رجب سنة إحدىٰ وستين وتسع مئة ، ودفن في زاوية الشيخ يوسف بن أبي الطيب الأحمدي بدرب الكافوري بمصر تجاه المدرسة القادرية ، رضي الله عنه .

ثم تخلَّف بعده ولدُهُ الشيخُ **عبدُ المجيد** على الأثر ، وهو الخليفةُ الآن وهو سنةِ خمسٍ وستين وتسع مئة ، فسار مع الفقراء الأحمدية سيرةً حسنةً .

ونشأ عندنا في الزاوية ، فقرأ القرآن العظيم والعلم ، وما رأينا عليه سوءاً في دينه .

---

(١) في (أ ، ط) : (ابن الزمن) بدل (ابن الزكين) .

وكان يتهجَّد عندنا في غالبِ الليالي ، ويسهرُ معنا ليلةَ الجمعة من صلاة العشاء إلى الصباح .

واحتاج فقراءُ المقام إلى القمح ، فأعطاهم تسعين إردبّاً من قمحه ، ولم يأخذْ لها ثمناً .

ولم تزل إخوتُهُ يخاصمونه ويشتكونه للحكام ، ومع ذلك فيصبر علىٰ أذاهم ، فاللهُ تعالىٰ يزيدُهُ كرماً وحلماً ، وسعةً في الرزق ، وصبراً على الأذىٰ ، ولو لم يكن من مناقبه إلا اختيار سيدي أحمد البدوي له أن يكونَ خليفتَهُ في مقامه ؛ يلبسُ عمامتَهُ وقميصه وآثاره . . لكان في ذلك كفايةٌ في وجوب تعظيمه واحترامه والتبرك به ؛ فإن هٰذه الخصوصية لم يشاركه فيها أحدٌ من خلفاء الأشياخ في هٰذا الزمان .

وقد كان سيدي الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ محمد الشناوي يقول : كلُّ من لبس أثرَ سيدي أحمد كنَّا خدَّاماً له ، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة ، آمين .

* * *

